



وقائع ومجوت

أسبوع الإمامة الأولى والثاني

لمنحقت تحت شعاع

النبوة والإمامة صنوا لا يفترقان

وبعنوانك

منهج الإمامة في تربية الفرد والامة

لجريدة السادس

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٤ م

الترقيم الدولي المعياري للكتاب

ISBN : 9789922263342

العتبة العباسية المقدسة. اسبوع الامامة الدولي (الثاني : 2024 : كربلاء، العراق)، مؤلف.
وقائع وبحوث اسبوع الامامة الدولي الثاني : المنعقد تحت عنوان النبوة والامامة صنوان لا يفترقان :
وبعنوان منهاج الأئمة في تربية الفرد والأمة-الطبعة الأولى-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة،
1445 هـ. = 2024.

8 مجلد : ايضاحيات : 24 سم

يتضمن ارجاعات ببيوجرافية.

النص باللغة العربية : ومستخلصات باللغة العربية والانجليزية.

ISBN : 9789922263342 (v. 6)

1. اهل بيت الرسول عليهم السلام (شيعة)-مؤتمرات. أ. العنوان.

LCC: BP193 .A83 2023 VOL. 06

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة أثناء النشر



٢٣٩،٠٦

و ٤٩٨ وقائع وبحوث اسبوع الامامة (٢٠٢٦:٢ : كربلاء)

وقائع وبحوث اسبوع الامامة الثاني : تحت شعار

النبوة و الامامة صنوان لا يفترقان / مجموعة مؤلفين -. ط ١ .

- كربلاء : العتبة العباسية المقدسة ، ٢٠٢٦

ج٦ (٧٩ ص.) : ٢٤٤ سم.

١. السيرة النبوية الشريفة - بحوث . ٢. الامامية (الشيعة).

٣. علي بن ابي طالب (ع)-الامام الأول -بحوث . أ. العنوان .

رقم الإيداع

٢٠٢٦ / ٣٥١١

المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (٣٥١١) لسنة ٢٠٢٦



اسم الكتاب

وقائع وبحوث اسبوع الامامة
الدولي الثاني

المراجعة العلمية

اللجنة العلمية المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

الناشر

العتبة العباسية المقدسة

الاعداد والتحرير

اللجنة التحضيرية المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

الاشراف العام

اللجنة العليا المشرفة
على اسبوع الامامة الدولي

التصميم والايخراج الطباعي

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الجزء

السادس

الطبعة

الاولى

١٤٤٥هـ - ٢٠٢٤م



مؤتمر الإمام الكاظم
السدولي الثاني

(المباني الوعظية في فكر الإمام الكاظم عليه السلام)

م.م زينب حازم كشيش

جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص

إن مسألة العظة والوعظ لا تكون عرضية وإنما تأتي وفق مبانٍ محدّدة تركز على أُسسٍ ومناهج فكريّة، لذا نجد أنّ الإمام الكاظم عليه السلام قد سعى إلى تفعيل مبدئية الموعظة وتنشيطها بعد إن أضعفها البعض، ومما يعضد ذلك ما قدمه الإمام عليه السلام في معرض كلامه إذ قال مخاطباً هارون العباسي: «لن ينقضي عني يوم من البلاء حتى ينقضي عنك يوم من الرخاء حتى نفنى جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، وهناك يخسر المبطلون» قدم الإمام عليه السلام مبنياً وعظياً يشير إلى زوال الدنيا بخيرها وشرها.

Abstract

The issue of preaching is not an occasional issue, but rather comes in accordance with specific principles built on intellectual foundations and approaches. Therefore, we find that Imam Al-Kadhim - peace be upon him - sought to activate the principle of preaching and revive it after some people weakened it. What is supported by his saying to Harun Al-Abbasi: "No calamity will pass over me until a day of goodness passes over you, until we are all annihilated until a day that has no end, and the oppressors lose there." The Imam, peace be upon him, presented. - An educational building that indicates the disappearance of worldly life, with its good and evil.



المقدمة

تُعَدُّ الموعظة منهجاً إصلاحياً مُحَقَّقاً لفائدة معنوية ومادية وفق مبنئ وفكرٍ معيّنٍ ، فالموعظة تأتي وفق سياق قانوني محدد بشرائط وجزاءات لا يمكن الخروج عنه ، لأنه طُرِحَ وفق دائرة الحدود الإلهية.

الإمام الكاظم (عليه السلام) مثَّلَ الموعظة بكل جوانبها الحيائية ، فكان فعله وقوله موعظةً ، وقد ركَّز (عليه السلام) موعظته على مَنْ حوله بما يتعلَّق بالوعظ المُنمِّي للروح الفردية والمنتج للمنعج القويم ، فقد عالَجَ الإمام الكاظم (عليه السلام) العديد من المسائل وفق مبدئية الموعظة ، فمنها المباشر ومنها غير المباشر ، وتدرَّج هذه المواعظ بين التثقيف والردع.

ضمن هذا البحث مقدّمة وأربعة مباحث وخاتمة ، جاء المبحث الأول بعنوان (مفهوم المباني الوعظية) وتم تفسير المفردتين وبيان معناهما اللغوي والاصطلاحي ، بينما كان المبحث الثاني يناقش (مرتكزات الوعظ الفكري) وتمّ تشخيص المنطلقات الأساسية التي يمكن أن يركّز عليها الفرد لتحقيق التوازن في كافّة الجوانب والمستويات ، كما تُهيءُ هذه المرتكزات السبيل إلى معالجة بعض العادات الخاطئة أو المواقف المنحرفة ، فيمكن للإنسان تطبيق تلك المرتكزات لتفعيل الميدان الوعظي .

وكان المبحث الثالث قد خُصَّص لبيان (أساليب الوعظ وآلياته) ، وفيه تمت معالجة الحالات المختلفة وفق سياقٍ منمٍّ للمجتمع ، فكان منه وعظٌ ظاهرٌ للعيان ، ووعظٌ إيحائيٌّ يوضّح القوانين الصحيحة ، وحمل المبحث الرابع عنوان (آثار الوعظ ونتاجه) وحوى هذا المبحث حصيلة البحث وغايته الوعظية ، وبه يستقصي الإنسان أهمية الوعظ ودلالاته وفق فكر الإمام الكاظم (عليه السلام) .

استند البحث على العديد من المصادر، يأتي في مقدمتها بحسب الأهمية: كتب مرويات أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومنها: كتاب الكافي للكليني (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م) بما تضمّنه من مرويات قيّمة أثّرت البحث ونمّت الفكرة، بينما جاء كتاب تحف العقول لابن شعبة الحراني، (ت ق ٤هـ / ٩ق م) حاوياً لمادّة غنيّة من مواعظ الإمام الكاظم عليه السلام وأقواله، كما كان لكتب اللغة أهميّة كبيرة أغنت البحث وتم اعتمادها منها كتاب العين للفراهيدي (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م) الذي أفادنا تفسير المعاني اللغوية لكثير من المفردات وأغنانا بالعديد من المفاهيم التعبيرية.

البحث الأول: مفهوم المباني الوعظيّة

إن الحديث عن الجانب البنائي يحتاج إلى التعمّق في فحوى ذلك البيان اللفظي، فالمفهوم يتعلّق بتفسير المعنى ليأتي المبنى في اللغة بمعنى ما بُني وفق أساس وقاعدة وجمع مبنى مباني^١، فالمباني تكون الأساسات التي تُشرع لتحقيق مرمى ما، والقواعد هي التي توضع لبلوغ هدف معيّن. أما المفردة الأخرى وهي الوعظ، فيرى ابن فارس أن الواو والعين والظاء: كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ^٢، وذكر الوعظ في اللغة بعدّة معانٍ منها:

١. الحكمة فيقال: العِظَةُ والموعظة وَعَظْتُ الرَّجُلَ أَعْظُهُ عِظَةً وموعظة وَاتَّعَظَ تَقَبَّلَ العِظَةَ، وهو تذكيرك إياه الخير ونحوه ممّا يرقّ له قلبه ومن أمثاله المعروفة لا تَعْظِيَنِي وَتَعْظَعُظِي، أي اتّعظي أنت ودعي موعظتي^٣.
٢. الإرشاد بمعنى: النُصْحُ والتذكير بالعواقب، كأن تقول: وَعَظُّهُ وَعَظاً وَعِظَةً فَاتَّعَظَ، أي قَبِلَ المَوْعِظَةَ^٤.

٣. العبرة كقول: لأجعلنك عظة أي موعظة يتَّعظ بك غَيْرُكَ وَهِيَ
من الأسماء المنقوصة وَأَصْلُهَا وَعْظَةٌ وَمَعْنَى وَعْظَ ذَكَرَ بِهَا يَكْفُ ، أي
لأجعلنك كافاً لغيرك .

نجد مفردة الوعظ هنا جاءت بدافع بنائي وهي مرتبطة بالمبنى معنوياً،
فالحكمة والإرشاد والعبرة جميعها مُتَبَنِّيات نفسية مهمة يُحَقِّقُهَا الوعظ .

وحتى يكتمل المعنى التفصيلي لمفهوم المبنى الوعظي تم الرجوع إليه في
الاصطلاح ، وُجِدَ أَنَّ مصطلح المبنى من المصطلحات المعاصرة والحديثة،
ويُعدُّ المبنى ما تتقوَّم به القاعدة، ويراد منه ما يحيط كل جوانب القاعدة
ويحكمها، فهو ما يُستفاد من الدليل، ويُشيد على الأدلة، وبناءً على هذا
يمكن ان يكون مصطلح المبنى في كل علم وفعل ^٦ .

فالمبنى في اللغة يوافق ما جاء في الاصطلاح ، فهو موافق له في مداه
ونوعه، ومما يجب ان ننوه له أَنَّ مصطلح المبنى ليس حديثاً ، وإنما متداولٌ،
وما يؤكِّد ذلك ما ذكرته المعاجم اللغوية ، القديمة منها والحديثة .

بينما عُرِّفَ الوعْظُ في الاصطلاح بأنَّه : علمٌ يُعرف به ما هو سبب
الانزجار عن المنهيات، والانزعاج إلى المأمورات من الأمور الخطابية
المناسبة لطباع عامَّة الناس، والزجر مقترن بتخويف ، وقيل إن الوعظ
يكون بالدرجة الثانية من الدعوة ^٧ .

بينما هناك من عدَّ الوعظ أنه إبانة تدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة
والرهبة ، والوعظ ما دعا إلى الخشوع والنسك وصرف عن الفسوق والإثم
فهو تذكير بالخير فيما يرقُّ له القلب ^٨ .

إن المتفحّص لما مرَّ من التعريفات اللغوية منها والاصطلاحية يجد
إن التناغم اللفظي والمعنوي للمفردات واضحٌ جداً ، وهذا يدعونا إلى
تعريف المباني الوعظية: بأنها الأسس والقواعد الحكيمة التي يضعها

الإنسان لتحقيق الفائدة المرجوة التي تتمحور في تقويم الذات الإنسانية
وفق تنبيهات وإرشادات مؤطرة

المبحث الثاني: مرتكزات الوعظ الفكري

إن المبدأ الوعظي بحد ذاته يؤسس بناءً فكرياً سليماً، فكيف لو قام هذا
الوعظ وفق مباني ومنهج الإمام الكاظم عليه السلام، ورد في الأثر: «كتب هارون
العباسي إلى الإمام الكاظم عليه السلام قائلاً: عِظْنِي وأَوْجِزْ، فكتب عليه السلام إليه: ما
من شيءٍ تراه عينك إلا وفيه موعظة»^١، فالمرتكزات التي يطرحها الإمام عليه السلام
تورد خطوات معروفة واستشرافاً مدروساً، ومن هذه المرتكزات:

أولاً: المرتكز النفسي

إن دراسة النفس ومعرفة الذات من أولى الخطوات المحققة للمنهج
الوعظي عند الإمام الكاظم عليه السلام، إذ تعدّ النفس المنية الأقرب لتحقيق
النجاح الفردي والجماعي على السواء، فبناء النفس يعتمد عليه الوعظ
ذاً، لذا نجد أن الإمام عليه السلام قد فعّل الاستثمار النفسي بقوله: «من استوى
يوماه فهو مغبون»^٢، حفّز الإمام عليه السلام الدينامية النفسية ببيان الغبن
الشخصاني للفرد ممن تشابهت أيامه، فكان هذا التحفيز له اثر في تحريك
النفس وبنائها بالوعظ المستثمر لتلك النفس.

وجاء ذلك التحفيز الاستثماري بغية تلافي الكسل الذي يقع فيه
الإنسان، وقد عبّد الإمام عليه السلام تلك الصورة الوعظية حينما قال: «إياك
والضجر والكسل، فإنهما يمنعان حظك من الدنيا والاخرة»^٣، وهنا
نشط الإمام عليه السلام الطاقة النفسية الكامنة، فالكسل له مردود نفسي سلبي
كبير على الفرد والمجتمع.

كما عمل الإمام الكاظم (عليه السلام) على تفعيل مبدأ المعاشة المادية لتعزيز الروح المعنوية ، إذ قال : « لا تحدثوا أنفسكم بالفقر ولا بطول عمر ، فإنه من حدث نفسه بالفقر بخل ، ومن حدثها بطول العمر يحرص »^{١٢} ، عرض الإمام (عليه السلام) المرتكز النفسي القائم على تجاوز الأمور الماديّة القليلة الأمد . وقد وازن الإمام (عليه السلام) تلك الفلسفة النفسيّة بقوله : « إن كان يغنيك ما يكفيك ، فأدنى ما في الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك ، فليس شيء من الدنيا يغنيك »^{١٣} ، أسّس الإمام (عليه السلام) نفسياً لمبدئيّة القناعة المعنويّة ، وجعلها أغنى ما في الدنيا واعظاً بذلك النفس الإنسانية وواضعاً (عليه السلام) قاعدةً فكريّةً تصحّح البصيرة.

ثانيًا: المرتكز الشخصي

بعد أن بنى الإمام عليه السلام الذات النفسانية بدأ بتفعيل تلك الذات وتنشيطها على أرض الواقع ، إذ قدّم الإمام عليه السلام وعظاً تطبيقياً شخصياً ، أي إظهار ما تمّ وعظه بالنفس على تصرف الإنسان ، فعندما يحدّد الإمام عليه السلام الخيانة والكذب فهو باعتبار أنّهما تصرفٌ ظاهر للعيان يصدر من الإنسان ، فيعطي الإمام عليه السلام ركيّةً مهمّةً بقوله: « الخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق »^{١٤} ، أعاد الإمام عليه السلام الجانب الشخصي إلى الجانب الكامن في النفس ، فالكذب والخيانة أمران ظاهران يُحدِثهما بواطن النفس ليقابلهما بالتالي فعلٌ مُنافٍ وهو الأمانة والصدق ، وهما أيضًا فعل شخصي يصدر من الإنسان العاقل ، قال عليه السلام : « أداء الأمانة والصّدق يجلبان الرزق »^{١٥} ، وهنا الرزق قد يكون ماديّاً أو معنويّاً ، لذا عمد الإمام عليه السلام إلى توسيع نطاق الوعد الإيجابي بالرزق اللا محدود.

ومن المرتكزات التي يمكن أن تظهر على فعل الفرد هو التوسط والاتزان إذ قال ﷺ: « مَنْ اقْتَصَدَ وَقَعَ بَقِيَّتُ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ »^{١٦}، فالإقتصاد والتَّوَازُن في النعمة مظهرٌ خارجيٌّ وشخصيٌّ يتولّد من القناعة التي

طُرحت في الموضوع النفسي، من ذلك نمو الإمام عليه السلام الفعل الشخصي للفرد ليُجعل قبالة صفة ندبة للاقتصاد وهي الإسراف، وقد أوضح ذلك بقوله: «من بذّر وأسرف زالت عنه النعمة»^{١٧}.

من ذلك يُستقصى إن الإمام الكاظم عليه السلام عمل على تنشيط ما تم بناؤه في النفس الإنسانية ليكون ذلك البناء ظاهراً للفعل الإنسان ومُتجاً على المستوى الشخصي، فكان الوعظ المطروح تدرجياً مرحلياً.

ثالثاً: المرتكز الاجتماعي

يمثل هذا المرتكز حصيلته وانعكاساً لما مرّ من المرتكزات، إذ يقوم على وفق التفاعلات البشريّة والروابط الإنسانية، فعندما تكون الذوات قد صُقلت والنفس بُنيت فإنّ العلاقات الاجتماعيّة هنا نُظّمت وفق أساسٍ منسجمٍ ومتناغمٍ.

فقد عمل الإمام عليه السلام على تحقيق مبدأ الإنسانية ونبت التمييز البشريّ، يُذكر: «أنّ الإمام عليه السلام كان مارةً فجالس مُستضعفاً سائلاً عن حاله لتؤدّي تلك الفعلية إلى استنكار أصحابه بقوله: يا ابن رسول الله، أتزل إلى هذا وتسأله عن حوائجه وهو إليك أحوج، إنّ هذا الرجل محتاجٌ إليك أكثر، فهو الذي يجب أن يأتيك ويطلب حاجته، فقال لهم: عبدٌ من عبيد الله وأخٌ في الله يجمعنا وإياه خيرُ الأبناء آدم، وأفضل الأديان الإسلام، ولعلّ الدهر يردُّ من حاجتنا إليه، فإنا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه»^{١٨}.

وعظ الإمام عليه السلام الحاضرين بكلمات فلسفيّة حيال تلك الفكرة المنغلقة ساعياً من خلالها إلى وضع ركيزة اجتماعيّة مفادها تعزيز الروابط الاجتماعيّة بعيداً عن القيود والشروط الشكلية التي لا تمت للعقلانية بشيء، كما هدف عليه السلام إلى فتح الأفق المعرفيّ بمسائل التقارب والتواصل الإنسانيّ - الاجتماعيّ.

وقد شدّد الإمام الكاظم عليه السلام على التكاتف الاجتماعيّ ، فقد رُوي: « أنَّ أحد أصحابه قال له: جُعِلَتْ فداك، الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه ، أسمع عنه شيئاً مكروهاً لا يعجبني ، فأسأله عنه فينكر ذلك ، وقد أخبرني عنه قومٌ ثقاتٌ ، فقال عليه السلام: «كذب سمعك وبصرَكَ عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قُسامة يُقسِمون ويحلفون بالله وقال لك قولاً فصدّقه وكذبهم، لا تزيعنَّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروءته ، فلا تنقل ما تسمع عنه لتُسقط أخاك بين الناس فتكونَ من الذين قال الله في كتابه^{١٩} ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾^{٢٠} .

عالج الإمام عليه السلام قضية مهمة جداً تقوم على عملية الهدم الاجتماعي، وتنقسم في لحاظين:

اللحاظ الأول: فعل الإمام عليه السلام حُسن الظن للساءل.

اللحاظ الثاني: قنن الإمام عليه السلام المنع من الزور في القول.

بعد التقارب الروحي يُعزّز الإمام الكاظم عليه السلام تلك الرابطة بتعميقها وفق الارتكاز على مبدئية التقارب الجسديّ والتزاور الاجتماعيّ ، إذ قال: « من زار أخاه المؤمنَ لله لا لغيره يطلب به ثواب الله وينجز ما وعد الله عزوجل وكلّ عزوجل به سبعين ألف ملك من حين يخرج من منزله حتى يعود إليه، فينادونه: ألا طبت وطابت لك الجنة، تبوّأت من الجنة منزلاً^{٢١} .

نلاحظ من ذلك أنَّ الإمام عليه السلام طرَح التدرّج والتمرحل في عملية الترابط الاجتماعيّ ، فبدأها بحُسن الظنّ والتقارب الروحيّ ، لتُختتم بالتواصل الواقعيّ .

المبحث الثالث: أساليب الوعظ وآلياته

إن المبنى الوعظي لم يكن على وتيرة واحدة أو نمطية ثابتة ، وإنما طرح الإمام (عليه السلام) الموعظة وفق بيان فلسفي نوعي ، فجاءت أساليب الإمام (عليه السلام) شاملةً ، منها: الموعظة غير المباشرة والموعظة المباشرة ، وحتى كلا أسلوبَي الموعظة ضُمنا تنوعاً وتدرجاً وعظيًّا ، سنبين ذلك من خلال نوعي الوعظ وهما:

أولاً: الوعظ غير المباشر

ويكون هذا الأسلوب موجَّهاً للعامة والخاصة على السواء دون تحديد شخوص معينين ، أذ يقدم الإمام (عليه السلام) طرحاً فكرياً متناغماً مع الحالة التي استجدَّ وعظُّها ، فقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى معالجة فورية بتقديم وعظ غير مباشرٍ إمَّا قولياً دون تحديد المعنى أو فعلياً لبيان أسس التعامل الحي .

فقد كان الإمام الكاظم (عليه السلام) يقدم وعظاً عامّاً غير مباشرٍ من خلال النصيحة قولاً ، إذ نظم الإمام (عليه السلام) حياة الفرد في هذا النوع من الوعظ بقوله: « اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات؛ ساعة لمناجاة الله ، وساعة لأمر المعاش ، وساعة لمعاشرة الإخوان الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن ، وساعة تُخلُّون فيها للذاتكم بغير محرم »^{٢٣} ، جاء هنا الوعظ بشكل عامٍّ لم يُحدِّد فيه شخصٌ معيَّن ، وكان التوجيه إلى التنظيم والترتيب للشؤون الدنيوية والدينية وفق نظامٍ فلسفيٍّ يحقق توازناً نفسياً ، وما يؤيد ذلك قوله (عليه السلام) : « ليس ممّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم ، فإن عمل حسناً استزاد الله ، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه »^{٢٣} ، يظهر هنا الوعظ التحذيريُّ بتوكيد محاسبة النفس وجعل تلك المحاسبة كجزءٍ لا يتجزأ من حياة الفرد .

وتظهر الإيحائية كواحدة من أساليب الوعظ غير المباشر ، إذ حقق الوعظ الإيحائي انعكاساً على السلطات الحاكمة ، فعندما كان الإمام

الكاظم عليه السلام محتجزاً في سجن الفضل بن الربيع^{٢٤}، كان هارون العباسي يصعد أحياناً إلى السطح المشرف على السجن الذي فيه الإمام عليه السلام وينظر إلى داخل السجن، وفي كل مرة كان يرى شيئاً كالملابس ملقى في زاوية من زوايا ذلك السجن ولا حركة فيه، وفي أحد الأيام سأل هارون: «لمن هذه الملابس؟ فقال الربيع: ليست هي ملابس، وإنما هو موسى بن جعفر حيث أنه في أغلب الأحيان يقبل الأرض في حالة السجود والعبادة لله، فقال هارون: حقاً أنه لمن عبادة بني هاشم، فسأله الربيع: أذن لماذا تأمرنا أن نشدد عليه في السجن؟ قال هيهات، لا مقرر لنا من فعل ذلك!!»^{٢٥}.

تلك الإيحائية التي رصدها هارون داخل السجن أثرت به شخصياً ليجعل نفسه أمام تساؤل الربيع معترفاً دالاً بتلك الهيئة العبادية الجاذبة والمقننة للأخطاء المتغلغلة والأفكار الجمعية السالكة، مما دعا ذلك تخوف هارون العباسي وترقبه الأفعال الميدانية المطروحة من قبل الإمام عليه السلام والتي تؤثر سلباً عليه^{٢٦}.

ثانيًا: الوعظ المباشر

ويعنى هذا الأسلوب بالمواجهة المباشرة والتشخيص الموجه ، لكن هذا التشخيص لا يمنع ان يكون عامًّا ، إذ إن وعظ الإمام الكاظم عليه السلام يُسند إلى شرائط وجزئات ، فإذا وقع الشرط وجب حضور الجزاء ، مما يعنى أن الوعظ يكون لحالة فردية قد تتكرر لتكون عامة.

ركز الإمام عليه السلام في هذا الوعظ على الردع والتعزية الوعظية ، منها ما قدمه الإمام عليه السلام من مكاشفة واعظة لهارون حينما خاطب الإمام عليه السلام بعد أن دخل عليه بقوله : « ما هذه الدار؟ فأجابه الإمام عليه السلام : هذه دار الفاسقين قال الله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ ٢٧ ، فقال له هارون: فدار من هي؟ قال: هي لشيعتنا فترة ولغيرهم فتنه، قال فما بال

صاحب الدار لا يأخذها؟ فقال: اخذت منه عامرة ولا يأخذها إلا معمورة، قال: فأين شيعتك فقرأ أبو الحسن عليه السلام: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾^{٢٨} فقال له فنحن كفار؟ قال: لا ولكن كما قال الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾^{٢٩}، فغضب عند ذلك وغلظ عليه^{٣٠}.

سعى الإمام عليه السلام إلى تقديم بيانٍ وعظيٍّ مباشر لهارون العباسي ومن حوله بعد أن حاول هارون التباهي بسطوته، ليهت ذلك هارون، وإنَّ غضب هارون دلالةً واضحة على عمق الموعظة وأثرها إذ مست هذه الموعظة ذات هارون واستيقنتها نفسه فأغضبه ذلك.

فقد كان هارون العباسي دائم الاحتكاك بالإمام الكاظم عليه السلام وصاحب الوفرة من المواعظ، ففي أحد المرات بعث هارون كتاباً إلى الإمام عليه السلام جاء فيه: «إنه قد سبق مني فيك يمين أني لا أخليك حتى تقر لي بالإساءة وتسألني العفو عما سلف منك، وليس عليك في إقرارك عار ولا في مسألتك إيّاي منقصة، فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً: ستعلم غداً إذا جاثيتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي على صاحبه والسلام»^{٣١}.

وكتب الإمام الكاظم عليه السلام رسالةً أخرى من داخل السجن بعد أن حاول هارون التنكيل بالإمام عليه السلام، وجاء في رسالة الإمام: «انه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون»^{٣٢}، قدّم الإمام عليه السلام مبنياً وعظيماً فلسفياً مباشراً إلى هارون بشكل خاص والمجتمع بشكل عام يوضح فيه فلسفة الحياة الدنيا ونظام الرخاء والبلاء الموكل بالإنسان.

ومن المواعظ المباشرة التي فعلها الإمام عليه السلام لوعظ هارون والحاضرين هو بيان محورية نسب هارون العباسي، فلما دخل هارون المدينة توجه

لزيارة النبي ﷺ ومعه الناس ، فتقدّم الرشيد إلى قبر رسول الله ﷺ وقال:
«السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابن عم، مفتخرا بذلك
على غيره فتقدم أبو الحسن عليه فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام
عليك يا أبتاه ، فتغيّر وجه الرشيد، وتبيّن الغيظ فيه»^{٣٣} .

وقد يأتي المبنى الوعظي عند الإمام الكاظم عليه السلام على وفق مبدأ إثرائيّ -
تنمويّ ، فمن ذلك ما ذكره يونس بن عبد الرحمن^{٣٤} حينما أوصاه الإمام عليه السلام
قائلاً: « يا يونس ارفق بهم، فإنّ كلامك يدقّ عليهم قال: قلت: إنهم يقولون
لي: زنديق، قال لي: وما يضرك أن يكون في يدك لؤلؤة فيقول الناس هي حصاة،
وما ينفعك أن تكون في يدك حصاة فيقول الناس إنها لؤلؤة »^{٣٥} .

عمد الإمام عليه السلام إلى التأكيد على الثقة في النفس وتحقيق عظة مباشرة
وخاصّة ليونس وللمجتمع، فما طرحه الإمام عليه السلام قاعدة متجه تعمل
حينما تُفعل وفق أشراطها وشروطها.



المبحث الرابع: آثار الوعظ ونتاجه

حصيلةً لما تقدم من فكر فلسفي ووعظ فني اتبعه الإمام الكاظم عليه السلام نتجت آثار نوعية يمكن أن تستحصل بديهيّاً جرّاء تلك الأسس والركائز الفكرية المطروحة من الإمام عليه السلام، وبما أنّ لكلّ عمل إيجابياً كان أو سلبياً أثراً، فكيف بالمبنى الوعظي للإمام الكاظم عليه السلام؟ وعليه سيتمّ عرض تلك الآثار على وفق ما يلي:-

أولاً: الأثر النفسي

يعدّ التصحيح النفسي والبناء الذاتي من أهمّ الآثار التي يمكن أن تحقّقها الموعظة، لذلك عمل الإمام الكاظم عليه السلام على شريطة تقويّ هذه النفس وفق البناء الوعظي وأهمها الإنتاج والدينامية، وقد أكّد عليه السلام ذلك بقوله: «من استوى يوماء فهو مغبون»^{٣٦}، ممكّن أن نرصد الأثر النفسي من خلال التجدّد الابتكاريّ للفرد، فعدم التطوّر والتجدّد يُميت الإرادة الذاتية، بالتالي ينتج غُبناً للنفس وتراجعاً.

وقد أكّد الإمام عليه السلام على مبدئية التطوّر الذاتيّ بقوله: «إياك والضجر والكسل، فإنهما يمنعان حظك من الدنيا والآخرة»^{٣٧}، فمسألة الأثر النفسي تكمن بالدنيا والآخرة، لأنّ المواكبة والتميز لا تأتي دون عمل وتخطيط، ونجد أنّ الإمام عليه السلام قرن حظّ الدنيا بالآخرة، والمتمعّن هنا يدرك أنّ البناء الوعظي أُسند إلى الترابط الوثيق بين العمل في الدنيا وجزاء الآخرة، فالتطور المشروط والمؤطر بالقواعد الصحية يحصل على الأثر النفسي الدنيوي والأخرويّ على السواء.

كما قدّم الإمام عليه السلام عقاراً نفسياً يتمثّل بمحاكاة العقل الباطن وعدم الركون لليأس، إذ قال: «لا تحدثوا أنفسكم بفقر ولا بطول عمر، فإنه من حدث نفسه بالفقر بخل، ومن حدثها بطول العمر يحرص»^{٣٨}، يُستقصى

من ذلك أن الغنى الذاتي والتنمية العقليّة هي الحصيلّة المكتسبة من ذلك البناء، وما يؤكّد ذلك قوله ﷺ: «إن كان يغنيك ما يكفيك، فأدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس شيء من الدنيا يغنيك»^{٣٩}، وجاء الأثر هنا ليحقّق السكون النفسي والاستقرار الذاتي.

ثانياً: الأثر الشخصي

من البديهي أن يترك الأثر النفسي أثراً شخصياً بعد أن عمل الإمام ﷺ على إنجاح البناء الذاتي ليرتد ذلك النجاح شخصياً على واقع الفرد، وقد نوّه الإمام الكاظم ﷺ إلى الانعكاسات الشخصانيّة بقوله: «الخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق»^{٤٠}، يظهر من ذلك أن من حصائل الكذب: الفقر والنفاق، ولو دققنا في الفقر والنفاق للاحظنا أن الفقر الذاتي ناجم عن نفاق القلب، وهو نتيجة الكذب، وهذا يعود بدوره على الفقر الماديّ أيضاً.

وما يعطينا الرؤية الأصوب لذلك المقارنة التي جاء بها الإمام ﷺ للفقر، فقد طرح الغنى وأثره إذ قال ﷺ: «أداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق»^{٤١}، جاء الغنى النفسي وفق ثوابت متبادلة، فالأمانة عمل شخصيّ يعكسه الفرد، فكلّ صادق أمين، ومن كان كذلك كان غنياً بذاته قنوعاً برزقه. وقد أشار الإمام ﷺ وأسترسل في ميدان القناعة إذ قال: «من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة»^{٤٢}، ليوافق تلك القناعة بقول آخر جاء فيه: «من بذر وأسرف زالت عنه النعمة»^{٤٣}، فالقناعة هي الغنى النفسي والانعكاس الشخصي لتكون حصيلته الإبقاء على نعم الله، وهنا يقصد بالنعم السكون والاستقرار الذاتي - المعنويّ فضلاً عن دوام النعم المادية.

إن المبنى الوعظي الذي سعى الإمام ﷺ إلى إيصاله يحقّق آثاراً نفسيّة مرتدّة على ذات الشخص محققة توازناً مادياً ومعنوياً.



ثالثاً: الأثر الاجتماعي

بعد أن طُرح كلا الأثرين سيكون هذا الأثر هو التاج المكتسب جراء التعامل المتزن ، إذ يمثل هذا الأثر انعكاساً لما مرَّ من الآثار ، لأنه مُستخلص من التفاعلات البشريّة والروابط الإنسانية.

ثَقَّف الإمام (عليه السلام) إلى سياسة التسامح الخُلقي بعمل تطبيقي يوضّحه جلوسه (عليه السلام) مع شخصٍ مُعدم رفض أصحابه تلك المجالسة قائلين: «يا ابن رسول الله، أتزل إلى هذا وتسأله عن حوائجه وهو إليك أحوج، إنَّ هذا الرجل محتاجٌ إليك أكثر، فهو الذي يجب أن يأتيك ويطلب حاجته، فقال لهم: عبدٌ من عبيد الله وأخٌ في الله يجمعنا وإياه خيرُ الاباء آدم، وأفضل الأديان الإسلام، ولعلَّ الدهر يردُّ من حاجتنا إليه، فيرانا بعد الزهو عليه متواضعين بين يديه»^{٤٤}.

عرَض الإمام (عليه السلام) موعظة مفادها أنَّ الدنيا لا تدوم لأحد، فاليوم تنظرون بزهوة وغداً هو يزهو، إنَّ حصيلة هذه الموعظة تكمن في تجاوز الماديّات ، فهي زائلة وما باقٍ منها إلا المعنوي.

ومن الآثار الاجتماعية التي يمكن إستحصاها من المبنى الوعظي للإمام الكاظم (عليه السلام) عدم التأثر بما يقال عن الآخر ، فقد رُوِيَ : « أنَّ أحد أصحابه قال له: جُعِلت فداك، الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه أسمع عنه شيئاً مكروهاً لا يعجبني فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قومٌ ثقاةٌ، فقال (عليه السلام): كَذَبَ سمعك وبصرُك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامةً يقسمون ويحلفون بالله وقال لك قولاً فصدّقه وكذبهم، لا تزيعنَّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروءته فلا تنقل ما تسمع عنه لتُسقط أخاك بين الناس فتكونَ من الذين قال الله في كتابه^{٤٥} : «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^{٤٦}.

من هنا قوَّض الإمام عليه السلام الأفكار السلبية ليحلَّ محلَّها أفكاراً أكثر إيجابية وتفاعلاً، ليعضد تلك الإيجابية بقوله: «من زار أخاه المؤمن لله لا لغيره يطلب به ثواب الله وينجز ما وعد الله عز وجل وكلَّ عز وجل به سبعين ألف ملك من حين يخرج من منزله حتى يعود إليه، فينادونه: ألا طبت وطابت لك الجنة، تبوّأت من الجنة منزلاً»^{٤٧}.

عزَّز الإمام عليه السلام العلاقات الاجتماعية وفق وعظ منهجي ليكون الأثر المكتسب من التزوُّار والتواصل أثراً أخروبياً يرتكز على أساس عقديّ، وهذا ما يؤكِّد محوريّة العقيدة في الجوانب الأخرى.

الخاتمة

يستخلص من هذا البحث عدّة نتائج منها:

- وجود تناغم لفظي ومعنوي بين تعريفيّ اللغة والاصطلاح.
- جاء المبنى والوعظ في اللغة وفق معنى تكامليّ، فالوعظ يحقق البناء الذاتي والشخصي، والمبنى لا يتمّ إلا وفق جوانب إيجابية ومنه الوعظ.
- يأتي الوعظ وفق مرتكزات وقوانين مؤطرة لا يمكن الإستغناء عنها.
- تنوّعت أساليب الوعظ في فكر الإمام الكاظم عليه السلام، فمنها المباشر ومنها غير المباشر.
- نتج عن الوعظ آثار بنائية عملت على بواطن الذات الإنسانية لتنتقل إلى حيّز التطبيق الشخصي ثم المجتمع.

الهوامش:

- ١- دوزي، تكملة المعاجم، ١/ ٤٥٩.
- ٢- معجم مقاييس اللغة، ٦/ ١٢٦.
- ٣- الفراهيدي، العين، ٢/ ٢٢٨، ينظر: أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية، ٣/ ٢٤٦٨.
- ٤- الجوهرى، الصحاح، ٣/ ١١٨١، ينظر: أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية، ٣/ ٢٤٦٨.
- ٥- ابن عياض اليحصبي، مشارق الأنوار، ٢/ ٨٢، ينظر: أحمد مختار وآخرون، معجم اللغة العربية، ٣/ ٢٤٦٨.
- ٦- إبراهيم، مفهوم المباني عند المعاصرين، ص ٣٦٨.
- ٧- زايد، علم الوعظ تأصيله وفقهه عند الإمام ابن الجوزي، ص ١٣.
- ٨- الجميلي، الوعظ في القرآن الكريم دراسة دلالية، ص ٣١١.
- ٩- المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ٣٢٧.
- ١٠- المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ٣٢٧.
- ١١- الكليني، الكافي، ٥/ ٨٥.
- ١٢- ابن بابويه، فقه الرضا، ص ٣٣٧.
- ١٣- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٣٨٧.
- ١٤- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤٠٣.
- ١٥- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤٠٣، المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ٣٢٧.
- ١٦- المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ٣٢٧.
- ١٧- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤٠٣، المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ٣٢٧.
- ١٨- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤١٣، المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ٣٢٥.
- ١٩- المازندراني، شرح أصول الكافي، ١٢/ ١٥٣.
- ٢٠- سورة النور من الآية ١٩.
- ٢١- البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ١٢/ ٦٢٣.
- ٢٢- الشاهرودي، مستدرک سفينة البحار، ٥/ ٢٩٧.
- ٢٣- الكليني، الكافي، ٢/ ٤٥٣.
- ٢٤- الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة، واسم أبي فروة كيسان، وكنية الفضل أبو العباس كان حاجب هارون العباسي، ومحمد الأمين، وكان أبوه حاجب المنصور والمهدي، ولما أفضت السلطة إلى الأمين قدم الفضل عليه

من خراسان- وكان في صحبة هارون العباسي إلى أن مات بطوس- فأكرم الأمين الفضل وألقى أزمة الأمور إليه، وعول في مهماته عليه، وقد أسند الحديث عن المنصور والمهدي، توفي سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، وقيل سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٢/ ٣٣٩-٣٤٠، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤٠/ ٤.

٢٥- الصدوق، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ٢/ ٨٨-٨٩، المجلسي، بحار الأنوار، ٢٢٠/ ٤٨.

٢٦- جاءت العبادة عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الانقطاع لأنهم وظفوا ما يعتريهم من مللّات في جانب الإيجاب فكانوا يرون الحبس فرصة للعبادة وقد أكد الإمام الكاظم (عليه السلام) ذلك بقوله: "اللهم إنك تعلم أني كنت أسألك أن تفرّغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد"، المفيد، الإرشاد، ٢/ ٢٤٠، كما يلخص لنا الطلب المقدم من أمير المؤمنين (عليه السلام) في المناجاة الشعبانية التوجه المنقطع لله وجاء فيه: "إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تحرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك، إلهي واجعلني ممن ناديت به فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك فناجيت به سرًا وعمل لك جهراً"، ابن طاووس، إقبال الأعمال، ٣/ ٢٩٩، المجلسي، بحار الأنوار، ٩١/ ٩٩.

٢٧- سورة الأعراف من الآية ١٤٦.

٢٨- سورة البينة من الآية ١.

٢٩- سورة إبراهيم من الآية ٢٨.

٣٠- المفيد، الاختصاص، ص ٢٦٢، المجلسي، بحار الأنوار، ٤٨/ ١٥٦.

٣١- الطوسي، الغيبة، ١/ ٤٩، المجلسي، بحار الأنوار، ٤٨/ ٢٣١.

٣٢- الإريلي، كشف الغمة، ٣/ ٤٤، الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٢/ ٤١٨.

٣٣- الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ١٦٧، المفيد، الإرشاد، ٢/ ٢٣٤.

٣٤- يونس بن عبد الرحمن مولى علي بن يقطين بن موسى، مولى بني أسد، أبو محمد، متقدّم، عظيم المنزلة، ولد في أيام هشام بن عبد الملك، ورأى جعفر بن محمد، بين الصفاء، روى عن أبي الحسن موسى والرضا، وكان الرضا (عليه السلام) يشير إليه في العلم والفتيا، كانت له تصانيف كثيرة، منها: كتاب السهو، كتاب الأدب والدلالة على الخير، كتاب الزكاة، كتاب جوامع الآثار، كتاب الشرائع، كتاب الصلاة، كتاب العلل الكبير، كتاب اختلاف الحجّ، كتاب الاحتجاج في الطلاق، وغيرها، ينظر:

النجاشي، رجال النجاشي، ٤٤٨.

٣٥- الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ٧٨٣/٢، المازندراني، شرح أصول الكافي، ٦/٧.

٣٦- المجلسي، بحار الأنوار، ٣٢٧/٧٥.

٣٧- الكليني، الكافي، ٨٥/٥.

٣٨- ابن بابويه، فقه الرضا، ص ٣٣٧.

٣٩- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٣٨٧.

٤٠- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤٠٣.

٤١- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤٠٣، المجلسي، بحار الأنوار، ٣٢٧/٧٥.

٤٢- المجلسي، بحار الأنوار، ٣٢٧/٧٥.

٤٣- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤٠٣، المجلسي، بحار الأنوار، ٣٢٧/٧٥.

٤٤- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٤٠٣، المجلسي، بحار الأنوار، ٣٢٧/٧٥.

٤٥- المازندراني، شرح أصول الكافي، ١٥٣/١٢.

٤٦- سورة النور من الآية ١٩.

٤٧- البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ٦٢٣/١٢.





المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إبراهيم، إيناس كريم راجي

* مفهوم المباني عند المعاصرين والتعريف الإشكالي للمصطلح، بحث منشور في مجلة كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد، المجلد ٢٠٢٠، العدد ٦٢ (٣٠) يونيو/ حزيران ٢٠٢٠.
أحمد مختار عبد الحميد عمر.

* معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
الإربلي: ابن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م).
* كشف الغمة، ط٢، دم، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
ابن بابويه: علي (ت ٣٢٩هـ).

* فقه الرضا، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم المشرفة، ط١، الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام - مشهد المقدسة، شوال ١٤٠٦.

البروجردى: السيد الحاج آقا حسين الطبطبائي.

* جامع أحاديث الشيعة في أحكام الشريعة، د.ط، مهر - قم، ١٣٧٧ - ١٤١١ هـ.

الجميلي: سندس محمد خلف

* وعظ في القرآن الكريم دراسة دلالية، بحث منشور في مجلة مداد الآداب العدد الثلاثون، مجلد ١٣ عدد ٣٠ (٢٠٢٣).

الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م).

* الصحاح تاج اللغة وصحاح

العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين - بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م).

* تأريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).

* ٧٩- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ج١-د.ط، سنة ١٩٠٠م، ج٤-ط١، سنة ١٩٧١م، دار صادر - بيروت - لبنان.

دوزي: رينهارت بيتر آن (ت ١٣٠٠هـ)

* تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمد سليم النعيمي، ط١، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية، ١٩٧٩ - ٢٠٠٠م.

الذهبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).

* تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط٢، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

زايد: أحمد محمد

* علم الوعظ تأصيله وفقهه عند الإمام ابن الجوزي، بحث منشور في مجلة كلية الدعوة الإسلامية، المجلد ٧ الاصدار الثاني للعدد ٢٤، القاهرة، ٢٠١٠م. الشاهرودي: الشيخ علي النمازي.

* مستدرک سفينة البحار، تحقيق وتصحيح : الشيخ حسن بن علي النمازي، د.ط، د.م، ١٤١٨هـ. ابن شعبة الحراني: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة (ت ق ٤هـ / ق ٩م).

* ١١٨- تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق: تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، ط٢، د.م، ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش. * عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، د.ط، د.م، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

ابن طاووس: السيد رضي الدين، علي بن موسى بن جعفر (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م). * إقبال الأعمال، تحقيق: جواد القبومي الاصفهاني، ط١، د.م، رجب ١٤١٤هـ. الطبرسي: أحمد بن علي بن أبي طالب أبو منصور (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٤م).

* الاحتجاج، تحقيق: تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، د.ط، د.م، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

الطوسي: محمد بن الحسن أبو جعفر (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م).

* إختيار معرفة الرجال، تحقيق: مير داماد الأسترابادي والسيد مهدي الرجائي، د.ط، مؤسسة آل البيت (عليه السلام).

لإحياء التراث، بعثت-قم- إيران، ١٤٠٤هـ.

ابن عياض اليحصبي : عياض بن موسى بن عياض بن عمرو السبتي، أبو الفضل (ت ٥٤٤هـ / ١١٤٩م).

* مشارق الأنوار على صحاح الآثار، د.ط، المكتبة العتيقة ودار التراث، د.ت.

ابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م).

* معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د.ط، دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت ١٧٠هـ / ٧٨٦م).

* العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، د.ط، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

الكليني: محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ / ٩٤٠م).

* الكافي، تحقيق: تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري، ط٥، حيدري-دار الكتب الإسلامية - طهران - إيران، ١٣٦٣ش. المازندراني: مولى محمد صالح (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م).

* شرح أصول الكافي، تحقيق: مع تعليقات : الميرزا أبو الحسن الشعراني / ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، ط١، د.م، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

- المجلسي: أبو عبد الله محمد باقر بن محمد
تقي بن مقصود علي المجلسي الأصفهاني
(ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م).
- * بحار الأنوار، تحقيق: يحيى العابدي،
ط ٣، د.م، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- المفيد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن
النعمان (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م).
- * الإرشاد ، تحقيق: مؤسسة آل
البيت (عليه السلام) لتحقيق التراث، ط ٢، د.م،
- ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- * الاختصاص، تحقيق: علي أكبر
الغفاري، السيد محمود الزرندي، ط ٢،
د.م، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي
بن أحمد بن عباس النجاشي الكوفي
(ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م).
- * رجال النجاشي، ط ٥، د.م، ١٤١٦هـ.

أُسّس المناظرة الحضاريّة في فكر الإمام الكاظم عليه السلام

السيد أحمد جاسم الغالبي
الشيخ أياد كاظم السهلاني
الحوزة العلمية

ملخص البحث:

لقد تميّز عصر الإمام الكاظم عليه السلام بموجةٍ من الاتجاهات والحركات الأيديولوجية والفكرية التي تلوّنت بصبغة الشبهات المنحرفة، والأفكار الضالّة، وقد تصارعت تلك الحركات الفكرية تصارعاً - إلى مدى بعيدٍ - أحدث تصدّعاً اجتماعياً كبيراً كان خطره محدّقاً بالمجتمع الإسلاميّ ككلّ، وربّما يعود السبب وراء ذلك إلى نقل ثقافات الأمم مع سائر علومها وعاداتها وتقاليدها إلى العالم الإسلاميّ، وابتعاد الأمة عن مركز الهداية، وباب النجاة المتمثّل بأئمة الحقّ، وقادة المجتمع الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، إلى غير ذلك من الأسباب.

ونتيجة لهذا التنوّع الفكريّ والمذهبيّ والسياسيّ أخذ بعضهم يثير الشُّبه، ويحرّف الكلم عن مواضعه، ويبثّ سمومه، وينشر أفكاره المنحرفة، ويحاول استدراج البسطاء ممّن غلبهم الجهل، وقَلَّتْ حيلهم في الردّ والدفاع عمّا يدين ويعتقد، فكان من الطبيعيّ لقادة الأمة التصدّي لتلك الأفكار ومواجهتها بالأسلوب الحكيم، والقول السليم، فبرز في تلك الفترة الدور الفعّال للإمام الكاظم عليه السلام في رصد تلك الأفكار ومعالجتها بالطريقة التي تتناسب والمرحلة التي تقتضيها، على الرغم من التنكيل والاضطهاد



الذي مورس بحق الإمام (عليه السلام) وشيعته ممن خاض تلك المناظرات، ولمع نجمه في قائمة المتصدين لتلك الأفكار الدخيلة، إلا أن الإمام (عليه السلام) جعل من تلك المناظرات سلاحاً لمحاربة تلك الأفكار والمعتقدات الفاسدة، وأعطى للمناظرة بعداً حضارياً، وأسلوباً علمياً، له وقعه في النفس، وتأثيره في المتلقي، وأرسى لها أسساً وقواعد يُنتصر بها للحق، ويُعرف بها ميزان الصدق، فيُلْقَمُ الآخر حجر بيان المقال، وتُكشَفُ عورة جهله بكل حال.

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على الرسول المسدّد، المصطفى الأجد، حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد، وعلى آله الذين أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

أما بعد:

فقد تميّز عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) بموجة من الاتجاهات الأيديولوجية والفكرية التي تلوّنت بصبغة الشبهات المنحرفة، والأفكار الضالّة، وقد تصارعت تلك الحركات الفكرية تصارعاً -إلى مدى بعيد- أحدث تصدّعاً اجتماعياً كان خطره محققاً بالمجتمع الإسلامي ككل، وربّما يعود السبب وراء ذلك إلى نقل ثقافات الأمم مع سائر علومها وعاداتها وتقاليدها إلى العالم الإسلامي، وابتعاد الأمة عن مركز الهداية، وباب النجاة المتمثل بأئمة الحق، وقادة المجتمع الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، إلى غير ذلك من الأسباب.

ونتيجة لهذا التنوع الفكري والمذهبي والسياسي أخذ بعضهم يثير الشبهة، ويحرّف الكلام عن مواضعه، ويبثّ سمومه وينشر أفكاره المنحرفة، محاولاً استدراج البسطاء ممن غلبهم الجهل، وقَلَّتْ حيلهم في الردّ والدفاع

عَمَّا يَدِين وَيَعْتَقِد، فكان من الطبيعيّ لقادة الأُمَّة التصدّي لتلك الأفكار ومواجهتها بالأسلوب الحكيم والقول السديد، فبرز في تلك الفترة الدور الفعّال للإمام الكاظم (عليه السلام) في رصد تلك الأفكار ومعالجتها بالطريقة التي تناسب الحال والمقام، على رغم التنكيل والاضطهاد الذي مُورس بحق الإمام (عليه السلام) وشيعته ممّن خاض تلك المناظرات ولمع نجمه في قائمة المتصدّين لتلك الأفكار الدخيلة، إلّا أنّ الإمام (عليه السلام) جعل من تلك المناظرات سلاحاً لمحاربة تلك الأفكار والمعتقدات الفاسدة، وأعطى للمناظرة بُعداً علمياً، وسلوكاً حضارياً له وقعه في النفس وتأثيره في المتلقّي، فأرسى بذلك أسساً وقواعد يُنتصر بها للحقّ، ويعرف بها ميزان الصدق، فألَقَمَ بذلك الآخر حجرَ بيان المقال، وكشفَ عورةَ جهلِ المعاند بكلّ حال.

لقد أخذت المناظرة مشروعيتها من مصدري التشريع الإسلامي: الكتاب، والسنة المطهّرة، فقد شرّع القرآن الكريم المناظرة وجعل لها حدوداً وضوابط وأكّد على ضرورتها وأهمّيتها، وذلك في كثيرٍ من آيات الذكر الحكيم، بحيث أولاها جانباً كبيراً من الاهتمام؛ إذ ما من رسول أو نبيّ إلّا وقد ناظر قومه وحاججهم وجادلهم في إثبات صحّة ما يدعوههم إليه، فقال تبارك وتعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١).

وقال عزّ من قائل: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾^(٣).

أمّا ما ورد في الأحاديث والروايات فأكثر من أن يسعه هذا البحث، فعن النبيّ الأكرم (عليه السلام) أنّه قال: ((نحن المجادلون في دين الله على لسان سبعين نبياً))^(٤).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: ((خاصموهم ويبنوا لهم الهدى الذي أنتم عليه، ويبنوا لهم ضلالهم وباهلوهم في عليّ))^(٥). وغيرها الكثير. وحتى نحيط بتلك الأسس والقواعد خبراً، ونهيئ لمن أراد من أمرها رشداً؛ جعلناها وفق المباحث التالية:

المبحث الأول

بناء قاعدة من رجال العلم المتحدّثين:

وتعدّ هذه القاعدة من أساسيات المواجهة، ونقاط الانطلاق في التحاور؛ لذلك دأب الإمام عليه السلام على تأسيس قاعدة واعية من رجال العلم وحملة الفكر، لهم القدرة على محاوره الطرف الآخر بكلّ حكمة وكياسة ورجاحة عقل، بحيث لم تنقل لنا كتب السير ومجالس العلم أنّهم وهنوا أو دُحضت حجّتهم أمام خصمهم، فكان من هؤلاء هشام بن الحكم الذي كان من أبرع المتحدّثين في زمنه، ونتيجة لقوّة استدلاله، ووضوح حجّته فقد كان الرشيد يحضر من وراء ستار فينصت إليه ويذهل ببيانه^(٦).

فروي أنّ هارون العبّاسيّ قال لجعفر بن يحيى البرمكيّ: إنّني أحبّ أن أسمع كلام المتكلّمين من حيث لا يعلمون بمكاني فيحتجّون عن بعض ما يريدون، فأمر جعفر المتكلّمين فأحضروا داره، وصار هارون في مجلس يسمع كلامهم، وأرعى بينه وبين المتكلّمين سترًا، فاجتمع المتكلّمون وغصّ المجلس بأهله ينتظرون هشام بن الحكم، فدخل عليهم هشام، فسلم على الجميع ولم يخصّ جعفرًا بشيء، فقال له رجلٌ من القوم: لم فضّلت عليّاً على أبي بكر، والله يقول: ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾^(٧).

فقال هشام: فأخبرني عن حزنه في ذلك الوقت أكان لله رضاء أم غير رضاء؟ فسكت! فقال هشام: إن زعمت أنه كان لله رضاء فلم ينه رسول الله ﷺ فقال: (لا تحزن)؟ أنهاه عن طاعة الله ورضاه؟

وإن زعمت أنه كان لله غير رضاء، فلم تفتخر بشيء كان لله غير رضاء؟ وقد علمت ما قال الله تبارك وتعالى حين قال: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨).

ولكنكم قلتُم وقلنا وقالت العامة: الجنة اشتاقت إلى أربعة نفر: إلى عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وأبي ذرّ الغفاريّ. فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة، وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتُم وقلنا وقالت العامة: إنّ الذّابّين عن الاسلام أربعة نفر: عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، والزيبر بن العوّام، وأبو دجانة الانصاري، وسلمان الفارسيّ، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتُم وقلنا وقالت العامة: إنّ القرّاء أربعة نفر: عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتُم وقلنا وقالت العامة: إنّ المطهّرين من السماء أربعة نفر: عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة وتخلّف عنها صاحبكم، ففضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامة: إنّ الأبرار أربعة: عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام)، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة وتخلّف عنها صاحبكم، فضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

وقلتم وقلنا وقالت العامة: إنّ الشهداء أربعة نفر: عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) وجعفر وحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب، فأرى صاحبنا قد دخل مع هؤلاء في هذه الفضيلة، وتخلّف عنها صاحبكم، فضّلنا صاحبنا على صاحبكم بهذه الفضيلة.

قال: فحرّك هارون الستر وأمر جعفر الناس بالخروج، فخرجوا مرعوبين، وخرج هارون إلى المجلس فقال: من هذا؟ فوالله لقد هممت بقتله وإحراقه بالنار^(٩).

هذا في المجال الفكريّ والعقائديّ، وأمّا في مجال الفقهيّ فقد قام الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بإعداد نخبة من الفقهاء ورواة الحديث، وقد عُرف من بين أصحابه ستّة بالصدق والأمانة، وقد أجمع الرواة على تصديقهم فيما يروونه عن الأئمة (عليهم السلام)، على أنّه اشتهر بين المحدّثين ثمانية عشر فقيهاً ومحدّثاً من أصحاب الأئمة الثلاثة: الباقر والصادق والكاظم (عليهم السلام) وهم المعروفون بأصحاب الإجماع، ستّة من أصحاب أبي جعفر، وستّة من أصحاب أبي عبدالله، وستّة من أصحاب أبي الحسن موسى (عليه السلام) وهم: يونس بن عبد الرحمن، وصفوان بن يحيى، بياع السابريّ، ومحمّد بن أبي عمير، وعبدالله بن المغيرة، والحسن ابن محبوب السّراد، وأحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطيّ، وغيرهم^(١٠).

ومن أهمّ ما أكّده الإمام الكاظم (عليه السلام) على أصحابه هو ضرورة التسلّح بالعلم والمعرفة، والاستنارة بالهديّ الصالح، ولزوم الحقّ.

فقد سار الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) على نهج جدّه محمد (عليه السلام) وآبائه المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين في الاهتمام بشؤون الرسالة الإلهية وصيانتها من الضياع والتحريف، والحفاظ على هويّة الامّة من الاندثار والاضمحلال، ومكافحة الانهيار الأخلاقيّ والعقائديّ.

ومن هنا فقد أكد الإمام (عليه السلام) على أن لا يخوض أي من أصحابه ميادين المناظرة إلا إذا كانت له خبرة وإلمام بفن المناظرة، فكانت المناظرة يوم ذاك من الأنشطة الفكرية الواسعة الصيت وفي أوجها وأعلى مراتبها، فقد استثمر هذه الظاهرة وأعد لها نخبة من العلماء المختصين في هذا الميدان تعاهدوا للدفاع عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وتعريفه للناس، واستطاعوا رغم المنع السلطوي والحصار الفكري ضدهم أن يروجوا للمذهب ويحققوا انتصارات مشهودة، حيث ظهر ذلك جلياً من خلال كلامه لساعة بن مهران^(١١) اشترط أن يكون المناظر عارفاً وعالمًا بما يقول، فعن ساعة بن مهران، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) (قال: قلت: أصلحك الله إننا نجتمع فتذاكر ما عندنا فلا يرد علينا شيء إلا وعندنا فيه شيء مسطر، وذلك ما أنعم الله به علينا بكم، ثم يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء فينظر بعضنا إلى بعض، وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه؟ فقال: وما لكم وللقياس؟ إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس، ثم قال: إذا جاءكم ما تعلمون، فقولوا به وإن جاءكم ما لا تعلمون فيها، وأهوى بيده إلى فيه)^(١٢).

ومما روي في ذلك أنَّ ضرار بن عمرو الضبيّ قال لهشام بن الحكم:
(ألا دعا عليّ عليه السلام الناس عند وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى الائتنام به إن كان وصيّاً؟
فقال هشام: لم يكن واجباً عليه، لأنّه قد دعاهم إلى موالاته والائتنام
به النبيّ صلّى الله عليه وآله يوم الغدير ويوم تبوك وغيرهما فلم يقبلوا منه، ولو كان
ذلك جائزاً لجاز على آدم أن يدعو إبليس إلى السجود له بعد إذ دعاه ربّه إلى
ذلك، ثمّ إنّّه صبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) (١٣).

ومَّا ذكرناه نعلم أنَّه قد استطاع الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) من خلال اختيار خيرة أصحابه أن يحفظ للأمة المسلمة هويَّتها ويدافع عن شخصيَّتها المعنويَّة واستقلال كيانها الفكريِّ والدينيِّ.

المبحث الثاني:

ضرورة الرجوع إلى المرجعية الحقَّة:

إنَّ نشاط الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) لم يقتصر على مجال دون مجال، بل ما قام به (عليه السلام) من نشاط سيِّما فيما يخصُّ بناء الجماعة الصالحة من أصحابه الذين أسَّس بناءهم الفكريِّ والدينيِّ، حيث قطع الإمام (عليه السلام) أشواطاً في منهجه التربويِّ في مجالات مختلفة، وامتلاكه القدرة على مواجهة التحديات والوقوف أمام عمليات الإبادة الفكريَّة التي بدأ المتربِّصون بالدين الإسلاميِّ بالتخطيط لها كلِّما شعروا بتوسُّع دائرة أتباع الأئمَّة (عليهم السلام)، وهذا يظهر من تصريح هارون ((بأنَّه لو أعطى الإمام عطاءه اللائق به لم يأمن أن يشهر الإمام ضده مائة ألف سيف لإزالة ملكه))^(١٤).

ومن هنا فإنَّنا نطالع نشاط الإمام (عليه السلام) في هذا المجال بشكل واضح وجليٍّ، وبه يتميَّز شيعة أهل البيت - صلوات الله عليهم - عن غيرهم وعُرفوا بذلك منذ زمن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، حيث إنَّهم ((إذا اختلف الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذوا بقول عليٍّ (عليه السلام)، وإذا اختلف الناس عن عليٍّ (عليه السلام) أخذوا بقول جعفر بن محمَّد (عليه السلام))^(١٥).

لذا فإنَّ الرجوع إلى أهل البيت (عليهم السلام) يعتبر المحور الأساسيِّ في التشيع؛ إذ دلَّ الدليل القطعيُّ على وجوب الرجوع إلى آل البيت (عليهم السلام) وأنَّهم المرجع الأصيل بعد النبي (صلى الله عليه وآله) لأحكام الله المنزلَّة، ومنه ما تواتر عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): ((إنِّي قد تركت فيكم أمرين لن تضلُّوا بعدي، ما إن تمسَّكتم

بهما : كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنَّ اللطيف الخبير قد عهد إليَّ أنَّهما لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض) (١٦).

وقد تواتر عن النبي ﷺ: أنَّ حبَّهم علامة الإيمان، وأنَّ بغضهم علامة النِّفاق، وأنَّ من أحبَّهم أحبَّ الله ورسوله، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله) (١٧). وبما أنَّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام امتدادُ لخطِّ الرسول والرسالة، فقد عمل على ترسيخ مفهوم: (اعرف الحقَّ تعرف أهلَه) (١٨) من خلال إرشاد الناس إلى ضرورة الرجوع إلى المرجعيَّة الحقَّة، وأنها الملاذ الوحيد في الملمات، وصاحبة القول الفصل في حلِّ المشكلات، ومن ذلك ما حصل بينه عليه السلام وبين الحسن بن عبد الله عندما التقى بالإمام فقال عليه السلام له: ((يا أبا عليٍّ، ما أحبَّ إليَّ ما أنت عليه وأسرني به، إلَّا أنَّه ليست لك معرفة فاطلب المعرفة، قال: وما المعرفة؟ فقال له الإمام عليه السلام: تفقَّه واطلب الحديث، فذهب الرجل وكتب الحديث عن فقهاء أهل المدينة وعرضه على الإمام فلم يرضه عليه السلام وأرشده إلى أهل البيت وأخذ الأحكام منهم، والاعتراف لهم بالإمامة فانصاع الرجل لذلك واهتدى)) (١٩).

ومن ذلك ما روي أنَّ هارون العبَّاسيَّ قال للإمام الكاظم: (لم جوِّزتم للناس أن ينسبواكم إلى النبي ﷺ في حين أنتم أولاد عليٍّ ولستم أولاد النبي؟ فردَّ الإمام، وسأل هارون: إذا رجع النبي إلى الدنيا حيًّا، وخطب منك ابنتك، هل تزوجه؟ فأجاب هارون: نعم، وأفتخر على العرب والعجم وقريش، فقال الإمام: لكنَّ النبي لا يخطب إليَّ ولا أزوجه، فقال هارون: لماذا؟ فقال الإمام: لأنَّه ولدني ولم يلدك، ثمَّ سأل هارون الإمام ثانية: كيف تقولون أنتم ذرية رسول الله، في حين أنَّ النبي لم يترك ولدًا ذكرًا بعده، فأقسم الإمام عليه بقبر النبي أن يعفيه من الجواب، لكنَّه رفض، وألحَّ عليه أن يبرهن له أنَّهم من ذرية النبي ﷺ،

فتلا الإمام: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢٠)، فسأله الإمام: من أبو عيسى؟ فردّ هارون: ليس لعيسى أب، فقال: فألحق بذرية الأنبياء من طريق مريم، وكذلك ألحقنا بذرية النبي من قبل أمنا فاطمة، ثم تلا آية المباهلة).^(٢١)

المبحث الثالث:

بسماحة الخلق يُقبل الآخر:

الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام هو فرع كبير مشرق من تلك الدوحة النبوية الكريمة الباسقة، غرف من بحور مدينة علم جدّه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وآبائه الأئمة الأطهار عليهم السلام، وزانه الله تعالى بعظيم الخلق، وأنبل السجاياء والصفات، فكان في زمانه قبلة أنظار أهل العلم والدارسين، وقدوة المتّقين، وما زالت آثاره الخالدة ومآثره الطيبة تشعّ نوراً وهدى على مدى الأجيال.

وحسبنا أن نتعرّف على بعض سجاياه وتعاليمه، ممّا نقلته إلينا المصادر من روايات كثيرة تكشف عمّا أراد الإمام عليه السلام أن يوصله الى أصحابه وأهل الإيمان من شيعته، مقتصرين على درسين منها.

فمن منطلق قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٢٢) مثّل الإمام الكاظم عليه السلام مشروع السماء وخلق الشريعة السمحاء بصفات الكمال النفسية، والأخلاق المحمدية، ومن ذلك ما شاع عنه عليه السلام بكظم الغيظ، وهي الصفة التي اشتهر بها ولقّب بها، ووصفه بالكاظم ممّا اتفق عليه المؤلّف والمخالف،

فالكظم: هو الإمساك عن غيظ وغم^(٢٣)، وهي من الصفات الحميدة التي وردت فيها النصوص الكثيرة الدالة على فضل الكاظمين الغيظ، منها: قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢٤). ومما جاء في ذلك ما رواه الشيخ المفيد: (أن رجلاً كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن موسى عليه السلام ويسبّه إذا رآه، ويشتم عليّاً عليه السلام فقال له بعض جلسائه يوماً: دعنا نقتل هذا الفاجر، فنهاهم عن ذلك أشدّ النهي، وزجرهم أشدّ الزجر، وسأل عن الرجل، فقيل له: إنّه يزرع بناحية من نواحي المدينة، فركب فوجده في مزرعة له، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به الرجل: لا توطئ زرعنا، فوطأه أبو الحسن عليه السلام بالحمار حتّى وصل إليه، فنزل وجلس عنده وباسطه وضاحكه، وقال له: كم غرمت في زرعك هذا؟ فقال له: مائة دينار، قال: وكم ترجو أن تصيب فيه؟ قال: لست أعلم الغيب، قال: إنّا قلت لك: كم ترجو أن يحيئك فيه؟ قال: أرجو فيه مائتي دينار. قال: فأخرج له أبو الحسن عليه السلام صرة فيها ثلاث مائة دينار، وقال: هذا زرعك على حاله، والله يرزقك فيه ما ترجو.

قال: فقام الرجل، فقبّل رأسه، وسأله أن يصفح عن فارطه^(٢٥)، فتبسم إليه أبو الحسن عليه السلام وانصرف. قال: وراح إلى المسجد فوجد الرجل جالساً، فلما نظر إليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالاته. قال: فوثب أصحابه إليه فقالوا: ما قصّتك؟ قد كنت تقول غير هذا، قال: فقال لهم: قد سمعتم ما قلت الآن، وجعل يدعو لأبي الحسن عليه السلام فخاصموه وخاصمهم، فلما رجع أبو الحسن إلى داره قال لجلسائه الذين سألوه في قتل الرجل: أيّما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت؟ إنني أصلحت أمره بالمقدار الذي عرفتكم، وكفيت به شرّه^(٢٦).

ومن هذه الساحة في الخلق أكد الإمام عليه السلام على مبدأ قبول الآخر، بعيداً عن التعصب والشحناء ولذّة غرور الانتصار الزائف، وبذلك أعطى صورة حضاريّة مُلهمة عن الأخلاق المحمديّة الأصيلّة، ومدى إنسانيتها في التعامل مع الآخر مهما كان توجّهه ومذهبه وقناعاته التي آمن بها، سواء كان الآخر ممن هو أخٌ في الدين أو نظيرٌ في الخلق، فأرسى بذلك قواعد العيش المشترك وحرية إبداء الرأي، وطلب الحقيقة من مظانّها، وتأكيداً لمبدأ الاحترام المتبادل لقواعد الاختلاف.

ومن ذلك مناظرته مع الراهب النصرانيّ، فقد روي أنّ الإمام الكاظم عليه السلام التقى راهباً معروفاً تقدّسه النصارى وتعظّمه، فلما رآه الراهب دخله منه هيبة، فقال: يا هذا أنت غريب؟ قال الإمام عليه السلام: نعم.

قال الراهب: منّا أو علينا؟ قال الإمام عليه السلام: لست منكم.

قال الراهب: أنت من الأُمّة المرحومة؟ قال الإمام عليه السلام: نعم.

قال الراهب: أفمن علمائهم أنت أم من جهّالهم؟ قال الإمام عليه السلام: لست من جهّالهم.

فقال الراهب: كيف طوبى أصلها في دار عيسى وعندكم في دار محمّد وأغصانها في كلّ دار؟ فقال الإمام الكاظم عليه السلام: الشمس قد وصل ضوءها إلى كلّ مكان وكلّ موضع وهي في السماء.

قال: وفي الجنّة لا ينفد طعامها وإن أكلوا منه ولا ينقص منه شيء؟

قال: السراج في الدنيا يقتبس منه ولا ينقص منه شيء.

قال: وفي الجنّة ظلّ ممدود؟

فقال الإمام عليه السلام: الوقت الذي قبل طلوع الشمس كلّها ظلّ ممدود قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (٢٧).



أداة الخطاب والإقناع:

أبرزت المناظرات التي خاضها الإمام عليه السلام أن العقل هو أحد الأدوات الأساسية في الخطاب والإقناع؛ كون الحوار قائماً بالأصل على استنباط الحقائق عن طريق الفكرة ونقيضها وصولاً لنقطة التقاء، مبتعدين عن الميل العاطفي والتعصب بلا دليل، الأمر الذي أعطى لتلك المناظرات بعدها العلمي والقيمي .

وأرى أن العقل هو المبدأ الأول لكل حجة ودليل، وإليه تنتهي طرق العلم والمعرفة، والعقل هو القوة المبدعة التي منحها الله (عز وجل) إلى الإنسان وميّزه به على الحيوان الأبرك، وشرفه على بقية الموجودات، وبالعقل جعله خليفة في الأرض، ينظم الحياة عليها ويعمرها، العقل المستنير بالمعرفة والحق والإيمان، وليس من الجهل والتعصب والأهواء الشخصية.

فعلى العاقل الواعي أن لا يجزم بالفكرة الخاطفة العابرة، ولا ينطلق مع رغبته وإرادته قبل أن يتدبر ويتأمل، بل يترىث ويملك نفسه ويبحث، حتى يهتدي إلى الرأي الناهض الأصيل.

وهذا ما نراه جلياً في وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم في وصفه للعقل ، والتي يقول فيها:

((يا هشام: إن الله (تبارك وتعالى) بشر أهل العقل والفهم في كتابه العزيز فقال سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ^(٣١) .

يا هشام إن الله (تبارك وتعالى) أكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان، ودلهم على ربوبيته بالأدلة ، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ

فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
لَايَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ - (٣٣).

ومن ذلك ما روى الشيخ الصدوق - في كتابه عيون أخبار الإمام
الرضا (عليه السلام) عن أبيه، عن علي بن إبراهيم بن هاشم، عن أبيه، عن عثمان
بن عيسى، عن أصحابه، ((قال: قال أبو يوسف للمهدي وعنده موسى
بن جعفر: أتأذن لي أن أسأله عن مسائل ليس عنده فيها شيء؟

قال له: نعم. فقال لموسى بن جعفر (عليه السلام): أسأل؟ قال: نعم.

قال: ما تقول في التظليل للمحرم؟ قال: لا يصح.

قال: فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت؟ قال: نعم.

قال: فما الفرق بين هذين؟ قال أبو الحسن (عليه السلام): ما تقول في الطامث

أتقضي الصلاة؟

قال: لا.

قال: فتقضي الصوم؟ قال نعم.

قال: (ولم)؟ قال: هكذا جاء. قال أبو الحسن (عليه السلام): وهكذا جاء هذا.

فقال المهدي لأبي يوسف: ما أراك صنعت شيئاً؟ قال: رماني بحجر

دامغ)) (٣٤).

ومنه أيضاً أنه ((جاء قطب من أقطاب النصارى ومن علمائهما
الناهين يدعى بريهة، كان يطلب الحق ويبغي الهداية، اتصل بجميع
الفرق الإسلامية، وأخذ يحاججهم فلم يقتنع، ولم يصل إلى الهدف الذي
يريده، حتى وصفت له الشيعة، ووصف له هشام بن الحكم، فقصده
ومعه نخبة كبيرة من علماء النصارى، فلما استقر به المجلس سأل بريهة
هشام بن الحكم عن أهم المسائل الكلامية والعقائدية، فأجابه عنها
هشام، ثم ارتحلوا جميعاً إلى التشرف بمقابلة الإمام الصادق (عليه السلام)، وقبل

الالتقاء به اجتمعوا بالإمام الكاظم (عليه السلام)، فقصّ عليه هشام مناظراته وحديثه مع العالم النصراني بريهة، فالتفت (عليه السلام) إلى بريهة، قائلاً له: يا بريهة كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالم، فقال (عليه السلام): كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ما أوثقتني بعلمي به!

فأخذ (عليه السلام) يقرأ عليه الإنجيل ويرتل عليه فصوله، فلما سمع ذلك بريهة آمن بأن دين الإسلام حقّ، وأنّ الإمام من شجرة النبوة، فانبرى إليه قائلاً: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة، ثمّ إنّه أسلم وأسلمت معه زوجته)) (٣٥). وبهذا أثبت الإمام مبتغاه، وأفحم الآخر بالحجّة الدامغة، فلا مهرب للآخر إلا الإذعان للتأنيج، والرضوخ للحقيقة الحقّة، لأنّ طريق الحقّ واحد، والتحكيم للعقل السليم صلاح.



الخاتمة:

من خلال ما قدّمه البحث من إيجاز لأهمّ الأسس والقواعد للمناظرة والتي أرسى دعائمها الإمام الكاظم (عليه السلام) نستطيع أن نلخص أهمّ النتائج التي توصلنا إليها بما يلي:

اهتمام الإمام (عليه السلام) ببناء الشخصية الفذة القادرة على إدارة الحوار والمناظرة من خلال إعدادة لثلة مؤمنة صالحة، تمتلك مؤهلات المواجهة والقدرة على الإقناع، وإفحام الخصوم بالحجة البالغة الدامغة.

حريٌّ بكل مناظرٍ أن يتسلّح بما يستطيع الدفاع به عمّا يدين ويعتقد، وليس أنفع في هذا المجال من العلم والمعرفة الحقّة، والتنوّر بنور اليقين الصادق، وهو الأمر الذي أكّده الإمام (عليه السلام) وتبنّاه منهجاً وسلوكاً.

لا بدّ من وجود مرجعية يُحتكم لها، ويكون لها القول الفصل في الاختلاف بين المتناظرين، لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يميلون عن الحقّ قيد أنملة، معصومون عن الزلل، مطهّرون عن الرجس، مسدّدون من السماء، وهم أهل بيت العصمة والرسالة صلوات الله عليهم أجمعين. الابتعاد عن التعصّب الأعمى، ورغبة الغلبة والانتصار، وقبول الآخر بنفسٍ نقيّة، وخلق سامٍ، يعكس عمق الشخصية، وإنسانيّة المناظر، وصدق نواياه في الوصول للحقيقة، بعضّ النظر عن الآخر من يكون وإلى أيّ مذهب وطريق ينتمي.

الرجوع للعقل كأداة من أدوات الإقناع، وقبول النتائج التي تخرج بها المناظرة.



الهوامش:

- ١- سورة النحل: ١٢٥.
- ٢- سورة العنكبوت: ٤٦.
- ٣- سورة البقرة: ٢٥٨.
- ٤- الاحتجاج: ١/ ٥.
- ٥- بحار الأنوار: ١٠/ ٤٥٢.
- ٦- يُنظر: حياة الإمام موسى بن جعفر: ٣٤٣/ ٢.
- ٧- سورة التوبة: من الآية ٤٠.
- ٨- سورة التوبة: من الآية ٢٦.
- ٩- يُنظر: الاختصاص: ٩٧، بحار الأنوار: ١٠/ ٢٩٨.
- ١٠- ينظر: المناقب: ٤/ ٣٢٥.
- ١١- هو: سماعة بن مهران بن عبد الرحمان الحضرمي، مولى عبد ابن وائل بن حجر الحضرمي، يكنى أبا ناشرة - وقيل: أبا محمد -. كان يتجر في القز ويخرج به إلى حران، ونزل من الكوفة كندة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن، ومات بالمدينة، ثقة، ينظر: معجم رجال الحديث ٩/ ٣١٢.
- ١٢- الكافي: ١/ ٥٧، باب البدع والرأي، ح ١٣.
- ١٣- مناقب آل أبي طالب: ١/ ٢٣٢.
- ١٤- أعلام الهداية: ٩/ ١٤٢.
- ١٥- فهرست أسماء مصنفّي الشيعة (رجال النجاشي): ١٢.
- ١٦- ينظر: الكافي: ٢/ ٤١٥، ب أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أو كافراً أو ضاللاً، ح ١، الطبقات الكبرى: ٢/ ١٩٤.
- ١٧- دلائل الصدق لنهج الحقّ: ٦/ ٤٧٧، حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ٢/ ١٧٦.
- ١٨- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٣/ ٣٧٤.
- ١٩- الإرشاد: ٢/ ٢٢٣.
- ٢٠- سورة الأنعام: ٨٤- ٨٥.
- ٢١- يُنظر: عيون أخبار الرضا: ١/ ٨٠، الاحتجاج: ٢/ ١٦٣- ١٦٤.
- ٢٢- سورة آل عمران: من الآية ١٥٩.
- ٢٣- لسان العرب: ١٢/ ٥٢٠.
- ٢٤- سورة آل عمران: ١٣٤.
- ٢٥- الفارط: هو السابق، وفارطه أي ما سبق منه، ينظر: لسان العرب: ٧/ ٣٣١.

- ٢٦- الإرشاد ٢/ ٢٣٣.
- ٢٧- سورة الفرقان: ٤٥.
- ٢٨- يُنظر: مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٢٧.
- ٢٩- يُنظر: الاحتجاج: ٢/ ١٥٩، بحار الأنوار: ٥/ ٢٧.
- ٣٠- يُنظر: المصدر نفسه.
- ٣١- سورة الزمر: ١٨.
- ٣٢- سورة البقرة: ١٦٤.
- ٣٣- الكافي: ١/ ١٣.
- ٣٤- عيون أخبار الرضا: ١/ ٧٦.
- ٣٥- حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ١/ ٢٧١-٢٧٢.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْبَقَرَةُ

المصادر والمراجع

القران الكريم

* الاختصاص: للشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الرزقي، الناشر: دار المفيد للطبع والنشر، بيروت - لبنان، ط الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

* الإرشاد: للشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، الناشر: دار المفيد للطبع والنشر، بيروت - لبنان، ط الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

* الكافي: للشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط الخامسة، ١٣٦٣ش.

* بحار الأنوار: للعلامة المجلسي (ت ١١١١هـ)، الناشر: مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

* دلائل الصدق لنهج الحق: للشيخ محمد حسن المظفر (ت ١٣٧٥هـ)، الناشر: مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، دمشق، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

* حياة الإمام موسى بن جعفر: للشيخ باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣هـ)، الناشر: دار البلاغة، ط الأولى، ١٤١٣هـ.

* الطبقات الكبرى: لابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت.

* لسان العرب: لابن منظور (ت ٧١١هـ)، الناشر: أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

* المناقب: للخوارزمي (ت ٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط الثانية، ١٤١٤هـ.

* معجم رجال الحديث: للسيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ)، ط الخامسة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

* منهج البراعة في شرح نهج البلاغة: لحبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤هـ)، تحقيق: السيد إبراهيم المياجي، الناشر: أساس ثقافة الإمام المهدي هـ، ط الرابعة.

* مناقب آل أبي طالب: لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الناشر: المكتبة الحيدريّة، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.

* عيون أخبار الرضا: للشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

* فهرست أسماء مصنّفي الشيعة (رجال النجاشي): للنجاشي (ت ٤٥٠هـ): الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط الخامسة، ١٤١٦هـ.

* تاريخ طبرستان: لمحمد بن حسن بن اسفنديار (ت القرن ٦): الناشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط الأولى، ٢٠٠٢م.

الأبعاد الفكرية والجمالية في مرويات الإمام موسى

الكاظم عليه السلام

أ.د. كوثر هاتف كريم

أ.م.د. منى صالح حسن

جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

الملخص :

مما لا شكَّ فيه أنَّ معارف أهل البيت عليه السلام الفكرية والاجتماعية وغيرها الكثير كانت المعين الثَّمر الذي اغترف منه الفرد والمجتمع على السواء ، لأنَّها شملت نواحي الحياة كافة ، فجاء هذا البحث ليسلط الضوء على الأبعاد الفكرية والجمالية في مرويات أحد الائمة الكرام وهو الإمام موسى الكاظم عليه السلام لما تضمَّنته هذه المرويات من أبعاد فكريَّة سواء منها البعد السياسي أو البعد الديني أو الاجتماعي ، لما يمتلكه من أسلوبٍ عربيٍّ ناصع قائم على المنطق العقلي والبرهان الفكري النير ، فضلاً عن هذا فقد جاءت هذه المرويات بصيغ وتعايير فنيَّة ، وأساليب بلاغيَّة -

وبذلك قام هذا البحث على محورين يسبقهما مقدِّمة وتمهيد ، تعرَّضنا في التمهيد إلى السيرة المباركة للإمام موسى الكاظم عليه السلام ، وجاء المحور الأول لدراسة الأبعاد الفكرية في مروياته العطرة .

أما المحور الثاني، فقد تناولنا مروياته المباركة من الناحية الجمالية لما حوته من فنون بلاغيَّة ، وأساليب متنوِّعة صيغت بشكل جمالي وفني ، إذ إنَّها من أهمِّ الأسس القويمة للبناء الفكري والمنهج السلوكي لديننا

الحنيف الذي جاء به أهل البيت عليهم السلام ، لانهم الامتداد الحقيقي لنهج النبوة وسيرتها المعطاء .

ثم ختمت البحث بأهم ما توصلت إليه هذه الدراسة . وقائمة بالمصادر والمراجع ، والله الموفق للسداد ، هو نعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



Abstract

There is no doubt that the intellectual, social, and many other knowledge of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) was the wealth that benefited the individual and society alike, because it included all aspects of life. This research came to shed light on the intellectual and aesthetic dimensions in the narrations of one of the honorable imams, Imam Musa. Al-Kadhim (peace be upon him) because of the intellectual dimensions included in these narrations, whether political, religious or social, and because of his pure Arabic style based on rational logic and enlightening intellectual proof. In addition to this, these narrations came in artistic formulas and expressions, and rhetorical methods



إشراقات من حياة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

هو أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام). وهو الإمام السابع من الأئمة الاثني عشر، أئمة المسلمين في المذهب الجعفريّ، سليل بيت النبوة، ووليد بيت الشرف والمجد الرفيع، فأبوه الإمام الصادق (عليه السلام) إمام المسلمين وأستاذ العلماء والفقهاء، وورث منه العلم ولده الإمام الكاظم (عليه السلام) وأصبح من أكبر علماء الفقه والفكر الإسلامي^(١). ولد الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في الأبواء، سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة، وهو المشهور، ومنهم من قال بولادته سنة تسع وعشرين ومائة للهجرة، وذلك في أيام حكم عبد الملك بن مروان^(٢).

وقد ولد (عليه السلام) عندما كان الإمام الصادق (عليه السلام) في رحلة الحجّ، ولم يطل المكث في الأبواء، بل ارتحل عنها واتّجه إلى يثرب، وفور وصوله أقام تكريمًا لوليدته، فأطعم الناس من أجله ثلاثة أيام.

كان (عليه السلام) يكنى بأبي الحسن، وأبي إبراهيم، وأبي عليّ، ولعلّ أشهر هذه الكنى هي كنية (أبو الحسن)^(٣)

وأما ألقابه (عليه السلام) فهي متعدّدة، أشهرها :

١ - الكاظم :

وهو أشهر ألقابه، وقد لُقّب بذلك ؛ لأنّه كان يكظم غيظه على من يُغضبه من بني العباس ولا يبدي لهم ما يعرفه منهم.

وذكر ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) : أنّه سمّي بالكاظم ؛ لما يكظم من الغيظ وغيّض بصره عمّا فعله الظالمون به حتى مضى قتيلاً في حبسهم^(٤).

٢ - العبد الصّالح : لقب بهذا اللقب لأنّه كان المثال الأعلى في التّعبّد والتّهجّد، ذكر سبط ابن الجوزيّ (ت ٦٥٤هـ) انه كان ((يدعى بالعبد الصّالح لعبادته واجتهاده وقيامه بالليل))^(٥).

٣ - باب الحوائج :

وهو أكثر ألقابه وروداً وأشهرها ذيو عاً ؛ ذلك لأنه ما قصده مهموم أو حزين إلا فرّج الله آلامه وأحزانه ، وما استجار أحد بضريحه المقدس إلا قضيت حوائجه .

وللإمام الكاظم عليه السلام أيضاً ألقاب أخرى كثيرة منها : الصّابر ، والأمين ، وزين المجتهدين ، والنّفس الرّكيّة ، والزّاهر ، والطّيب ، والسّيد ، والمصلح ، والمبرهن ، وذو المعجزات ، والمأمون ^(٦) .

ورزق الإمام الكاظم عليه السلام الكثير من الذكور والإناث ، واختلف النّسأبون والمؤرّخون في عددهم اختلافاً كثيراً حتى قيل : إنهم ثلاثة وثلاثون ، وهم ثمانية عشر ذكراً أكبرهم الإمام الرّضا عليه السلام ، وخمس عشرة بنتاً . وقد تتلمذ على يد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في أثناء إقامته في يثرب جمع غفير من كبار العلماء ورواة الحديث ، إذ أفاض عليهم الإمام عليه السلام من علومه ومعارفه المستمدة من علم جدّه رسول الله ﷺ .

ومن هؤلاء الحسن بن عليّ بن فضال الكوفيّ ، وعثمان بن عيسى ، وداود بن كثير الرّقيّ ، ومن خواص أصحابه : عليّ بن يقطين ، وأبو الصّلت الهرويّ ، وإسماعيل بن مهران ، وأحمد بن محمّد الحلبيّ ، وموسى بن بكير الواسطيّ ، وإبراهيم بن أبي البلاد الكوفي ومن تلامذته المبرّزين ، أيضاً ، هشام بن الحكم صاحب المؤلّفات الكثير ^(٧) .

وهكذا عاش الإمام حياة حافلة بالعبادة وإرشاد الناس على الخير والصّلاح إلى أن حانت شهادته عليه السلام في سنة ثلاث وثمانين ومائة للهجرة ، لخمس بقين من شهر رجب ، وقيل سنة إحدى وثمانين ومائة للهجرة ، وقيل سنة ست وثمانين ومائة للهجرة ، وكان في يوم الجمعة وعمره الشّريف أربع وخمسون سنة ^(٨) .

ومن المعروف أنّه استشهد مسمومًا في حبس السّندي بن شاهك بأمر من هارون الرّشيد العبّاسي ، وقيل: إنّهُ استشهد في دار المسيب بن زهير بباب الكوفة الذي تقع فيه السّدرّة، وقيل: إنّ استشهاده في مسجد هارون وهو المعروف بمسجد المسيب ويقع في الجانب الغربيّ من باب الكوفة؛ لأنّه نقل من دار تعرف بدار عمرو. وقد اتفق أكثر المؤرخين على أنّ الإمام عليه السلام توفي مسمومًا ، وأنّ هارون الرّشيد هو الذي أوْعز في سمّه ، فيذكر أنّ يحيى بن خالد دسّ إلى الإمام عليه السلام سمًّا في رطب أو عنب فقتله^(٩).

وبقي الإمام الكاظم عليه السلام ثلاثة أيام لم يوارِ جثمانه المقدّس ، فتارة موضوعًا على قاعة السّجن، وأخرى ملقى على جسر الرّصافة ، وشرطة السّندي ينادون عليه بالأقاويل والتهم ، فبلغ الأمر سليمان بن أبي جعفر المنصور فأمرهم أن ينادوا بنداء معاكس لنداء شرطة السّندي، فانطلق غلمانهم رافعين أصواتهم بهذا النداء: ألا من أراد أن يحضر جنازة الطّيب ابن الطّيب موسى بن جعفر فليحضر ، وقام سليمان بتجهيز الإمام عليه السلام فغسّله وكفّنه .

وهرعت الناس إلى تشييع الإمام عليه السلام وهي تجوب الشّوارع والطرق ، يتقدمهم سليمان وهو حافي القدمين ماشيًا وهو مشقوق الجيب ، ودفن عليه السلام في الجانب الغربيّ من المقبرة المعروفة بمقبرة قريش من باب التبن ، فصار يعرف بـ (باب الحوائج) ، وكانت هذه المقبرة قديمًا لبني هاشم والأشراف من الناس^(١٠).

المحور الاول

الأبعاد الفكرية في مرويات الإمام الكاظم (عليه السلام)

ارتقى الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) مكانةً مرموقةً في مجال العلم والمعرفة، فعمل على معالجة قضايا العقيدة والشرعية في عصره، فحارب الاتجاهات العقائدية المنحرفة والمذاهب الدينية المتطرفة من خلال عقد الحلقات والمناظرات الفكرية، فكان يقوم بنشاطٍ علميٍّ واسعٍ في المدينة، حتى شاع ذكره في أوساط الأمة ما جعل المدينة محطةً علميةً وفكريةً لفقهاء ورواة عصره، يقصدها طلاب العلم من بقاع الأرض البعيدة^(١١)، فكانوا يحضرون مجلسه، وفي أكمهم ألواح من الخشب يثبتون فيها ما سمعوه منه، كما ذكرت المصادر التاريخية. فقد روي عن زيد النهشلي: ((كان جماعة من خاصة أبي الحسن (عليه السلام) من أهل بيته وشيعته يحضرون مجلسه، ومعهم في أكمهم الواح ابنوس لطاف وأميال، فاذا نطق أبو الحسن (عليه السلام) بكلمة أو أفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوا منه في ذلك))^(١٢) فقد برز الكثير من العلماء والفقهاء، في العلوم الإسلامية المختلفة آنذاك.

لذلك أتجه الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) لخدمة الإسلام في نشر تعاليمه وبسط علومه ومعارفه في شتى مجالات الحياة، فكان متصدياً لكل جزئيات العلوم الإسلامية التي سئل عنها أو كان المجتمع محتاجاً إليها. وللإمام الكاظم (عليه السلام) مناظرات واحتجاجات هامة وبليغة مع خصومه المناوئين له، كما جرت له مناظرات أخرى مع علماء النصارى واليهود، وقد برع فيها جميعها بما أقامه من الأدلة الدامغة على صحة ما يقول، وبطلان ما ذهبوا إليه، وقد اعترفوا كلهم بالعجز والفشل معجبين بغزارة علم الإمام (عليه السلام) وتفوقه عليهم^(١٣)

أولاً: البعد الديني :

لقد تعاهد آل البيت (عليهم السلام) وفقاً لتكليفهم الإلهي لقيادة الأمة، وذلك من خلال السير بتعاليم الإسلام المتمثل بالقران الكريم والحديث النبوي الشريف ، لذا نجد الإمام الكاظم (عليه السلام) قد عُنِي عنايةً خاصةً بنشر تعاليم الدين الاسلامي على الرغم مما يمرّ به عصره من تيارات عقائدية وفكرية منحرفة ، فعمل على تصحيح هذا المسار المنحرف عن الدين الاسلامي الخفيف ، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر عندما قصده وفد من علماء اليهود الإمام الصادق (عليه السلام) ليحاججوه في الإسلام ، فلمّا مثلوا بين يديه انبروا إليه يطلبون منه الحاجة والدليل على نبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلين: أيّ معجز يدلّ على نبوة محمد؟ أجابهم (عليه السلام): ((كتابه المهيمن، الباهر لعقول الناظرين، مع ما أعطي من الحلال والحرام وغيرهما، ممّا لو ذكرناه لطال شرحه، فقالوا: كيف لنا أن نعلم هذا كما وصفت؟ فانطلق الإمام الكاظم (عليه السلام) وكان آنذاك صبيّاً قائلاً لهم: (وكيف لنا بأن نعلم ما تذكرون من آيات الله لموسى على ما تصفون؟) قالوا: علمنا ذلك بنقل الصادقين. قال (عليه السلام) لهم: (فاعلموا صدق ما أنبأتكم به بخبر طفل لقّنه الله تعالى من غير تعليم، ولا معرفة عن الناقلين) فبهروا وآمنوا بقول الإمام الكاظم الصبي (عليه السلام) الذي هو المعجز بحقّ، وهتفوا معلّنين إسلامهم قائلين: نشهد أن لا آله الله وأن محمداً رسول الله، وإنكم الأئمة الهادون، والحجج من عند الله على خلقه))^(١٤).

ولما أدلى الإمام (عليه السلام) بهذه الحجّة وأسلم القوم على يده، وثب إليه والده (عليه السلام) فقبّل ما بين عينيه، وقال له: (أنت القائم من بعدي)، ثم أمر بكسوة لهم وأوصلهم، فانصرفوا وهم شاكرون))^(١٥)

من الواضح أن الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) قد عاش في هذه الحقبة التاريخية المهمّة، واستطاع أن يملأها علماً وفكراً، وأن يرصد كلّ الانحرافات الفكرية التي كانت تفرض نفسها، ليصحّحها ويقوّمها في الاتجاه الصّحيح.

ثانياً : البُعد الفلسفي

ومن الأبعاد الفلسفية ما جاء في مروياته عن العقل وعلامة العقلاء والتصبر ما أوصى به هشام بن الحكم بقوله : ((يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله تبارك وتعالى اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عند ربه (وكان الله) أنيسه في الوحشة وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة ومُعزّه في غير عشيرة.

يا هشام نُصِبَ الخلق لطاعة الله، ولا نجاة إلا بالطاعة، والطاعة بالعلم، والعلم بالتعلّم، والتعلّم بالعقل يعتقد، ولا علم إلا من عالم ربّاني، ومعرفة العالم بالعقل.

يا هشام قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود ، يا هشام إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرَضْ بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم، يا هشام إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيءٌ من الدنيا يغنيك.

يا هشام إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض ، يا هشام إن العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة، لأنهم علموا أن الدنيا طالبة ومطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام من أراد الغنى بلا مال وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين فليتضرّع إلى الله في مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه ومن قنع بما يكفيه استغنى ، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى .

يا هشام إن الله عز وجل حكى عن قوم صالحين انهم قالوا:
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ ﴾ ^(١٦) حين علموا أن القلوب تزيغ وتعود إلى عماها ورداها إنه
لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على
معرفة ثابتة يبصرها ويمجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحدٌ كذلك إلا
من كان قوله لفعله مصدقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً، لأن الله لم يدل على
الباطن الخفي من العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه.

يا هشام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما من شيء عبد الله به أفضل
من العقل، وما تم عقل امرئ حتى يكون فيه خصال شتى، الكفر والشرُّ
منه مأمونان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، نصيبه من الدنيا
القوت، ولا يشبع من العلم دهره، الذلُّ أحب إليه مع الله من العزِّ مع
غيره، والتواضع أحبُّ إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره،
ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلهم خيراً منه وأنه شرهم
في نفسه، وهو تمام الأمر.

يا هشام ما قسم بين العباد أفضل من العقل، نوم العاقل أفضل من
سهر الجاهل، وما بعث الله نبياً إلا عاقلاً حتى يكون عقله أفضل من جميع
جهد المجتهدين، وما أدى العبد فريضة من فرائض الله حتى عقل عنه ^(١٧).
حرص الإمام الكاظم عليه السلام على تصحيح المسار العقائدي والفكري
في الإسلام من خلال استعمال أسلوب المناظرة العلمية فكان عليه السلام يناظر
المنحرفين من المسلمين أصحاب الفرق المنحرفة التي تبناها علماء السوء
ووعاظ السلاطين أو لردِّ شبهة أو لإثبات حقٍّ، وكذلك من خلال الإجابة
على أسئلة فقهاء وقضاة الخليفة والمتبعين لسياسته التي يقصدون بها إخراج
الإمام عليه السلام والتقليل من مكانته، وقد كشف لهم وللناس ولكثير من

المَرَات ومن خلال الإجابات العلمية ذات الدليل العقلي والنقلي إنه عالم وأحقُّ بالاتباع، وهو الإمام المفترض الطاعة من عند الله سبحانه وتعالى^(١٨). ومما تقدم فقد أسَّس الإمام موسى الكاظم عليه السلام مدرسةً علمية لمواصلة ما بدأه الإمام الصادق عليه السلام في مدرسته العلمية الضخمة، بهدف تربية وتعليم شخصيات علمية كبيرة، تكون بمستوى العطاء العلمي والفكري الذي تحتاجه الأمة، وقد تخرَّج من هذه المدرسة العلمية نخبة من الفقهاء ورواة الحديث، قدر عددهم بـ(٣١٩) عالماً وفقيهاً إذ نهلوا من ندير علومه ومعارفه ما زادهم علماً ومعرفة وفكراً إسلامياً أصيلاً وفضلاً كبيراً في الفكر الاسلامي^(١٩).

ثالثاً: البعد المرتبط بحكام عصره .

ومن الأبعاد الأخرى التي عالجها الإمام موسى الكاظم عليه السلام تصحيحه للمسار الإداري الذي كان سائداً آنذاك، إذ عمل على تنظيم الحكم وتوجيه الشؤون التنظيمية والإدارية والاجتماعية في المجتمع، إذ يعكس الفكر والرؤية المتعلقة بالحكم والسلطة، ويسعى إلى تحقيق أهداف معيّنة تتعلق بالعدل والمساواة والحرية.

وقد عاصر الامام موسى بن جعفر عليه السلام العديد من الحكام العباسيين منهم «المنصور» و«المهدي» و«الهادي» و«هارون الرشيد»، وقد اتسم حكم «المنصور العباسي» بالشدة والقتل والتشريد وامتلات سجونته بالعلويين، إذ عمل على مصادرة أموالهم وتشريدهم وقضى بقسوة بالغة على معظم الحركات المعارضة. وهكذا حتى مات «المنصور»، وانتقلت السلطة الى ولده «المهدي العباسي» الذي خفف من وطأة الضغط والرقابة على آل البيت عليه السلام مما سمح للإمام الكاظم عليه السلام أن يقوم بنشاط علمي واسع في المدينة حتى شاع ذكره في أوساط الأمة^(٢٠).

وفي حكم «الهادي العباسي» الذي اشتهر بشراسته وتضييقه على أهل البيت (عليه السلام) وقد توعد الامام الكاظم (عليه السلام) وهدده مراراً، لكن وبحمد الله سبحانه وتعالى لم تسنح الفرصة له بذلك، إذ مات بعد وقت قصير، فانتقلت السلطة الى «هارون الرشيد» الذي فاق أقرانه في ممارسة الضغط والتسلط على العلويين^(٢١). وكان هارون على وعي تام بأن الإمام (عليه السلام) يفوقه علماً وفضلاً وحكمة وثقة، وأن المسلمين قد أجمعوا على تعظيمه، فتناقلوا فضائله وعلومه، وتدققوا على بابه من أجل الاستفتاء في الأمور الدينية. لذلك عصف الخوف بقلبه من الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، فأودعه السجن لمرات عديدة في البصرة وبغداد، لقد جهد «هارون» في ظلم الامام (عليه السلام) وأمعن في التكيل به خوفاً من تسلّمه الخلافة، علماً أن الإمام الكاظم (عليه السلام) لم يكن يبغي الحكم والسلطان، ولم يكن يبغي الجاه والمال، وإنما كان يبغي نشر العدل والحق بين الناس، ومقاومة ظلم أولئك الحكام وجورهم واستبدادهم بأمور المسلمين.

لقد اتخذ الإمام الكاظم (عليه السلام) موقف المعارض في التعامل مع السلطة الحاكمة وأجهزتها، فقد كان يبيد التحفظات في ممارسة أي عمل للنظام الحاكم، وكان يندّد بمواقف بعض المتملقين للحكم والعاملين في أجهزته. وتتضح دعوته (عليه السلام) في تحريم التعاون مع الحكم في أي مجال من المجالات خلال حواراته مع صفوان الجمال، فقد روى الكشي عن حمّويه قال: حدّثني محمد بن إسماعيل الرازي، قال: حدّثني الحسن بن علي بن فضال، قال: حدّثني صفوان بن مهران الجمال، قال: دخلت على أبي الحسن الأول (عليه السلام) فقال لي: ((يا صفوان، إنّ كلّ شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً، قلت: جعلت فداك، أي شيء؟ قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل - يعني هارون - قلت: والله ما أكرئته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو، ولكنني



أكرئته لهذا الطريق - يعني طريق مكة - ولا أتولاه، ولكن أبعث معه غلماني.
فقال لي: يا صفوان، أيقع إكراؤك عليهم؟ قلت: نعم، جعلت فداك.
فقال لي: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟ قلت: نعم. قال: فمن أحب
بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان وارداً النار)) (٢٢).

قال صفوان: فذهبتُ وبعثتُ جمالي عن آخرها، فبلغ ذلك إلى هارون
فدعاني، وقال: يا صفوان، بلغني أنك بعثتَ جمالك؟ قلت: نعم. فقال: لم؟
قلت: أنا شيخ كبير، وإن الغلمان لا يَفُونَ بالأعمال. فقال: هيهات هيهات!
إنني لأعلم من أشار عليك بهذا، أشار موسى بن جعفر. قلت: مالي ولموسى
بن جعفر. فقال: دَع هذا عنك، فوالله لولا حُسن صُحبك لَقَتَلْتُكَ)) (٢٣).
وبهذا الأسلوب من العمل يؤكد الإمام عليه السلام حقه في الحكم، ويعمل
على صيانة أصحابه وقواعده من الاندماج في الوضع الفاسد والإشراف
عليهم والتخطيط لسلوكهم وتنمية وعيهم وإمدادهم بكل أساليب الصمود
والارتفاع بهم إلى مستوى الطليعة الواعية المتفهمّة لدورها ورسالتها.

رابعاً: البعد الاجتماعي

تبين هذا البعد في سعي الإمام عليه السلام لتربية أفراد المجتمع على أساس
تقوية أواصر الإخوة والمحبة الإيمانية فيما بينهم لتصبح الجماعة الصالحة
قوة اجتماعية متماسكة لا يمكن زعزعتها أو تضعيفها لقوة الترابط العقائدي
والروحي فيما بينها، وهذا يتجسّد عندما حث الإمام الكاظم عليه السلام على
العفو والإحسان لمن أساء إليهم، فقد كان يشجعهم على الإصلاح بين
الناس، ويبيّن عاقبة المحسنين والمصلحين وما لهم من الأجر عند الله تعالى،
قال عليه السلام: ((ينادي مناد يوم القيامة ألا من كان له أجر على الله فليقم، فلا
يقوم إلا من عفا وأصلح)) (٢٤)، لقد أثبت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام
أنّه جديرٌ بقيادة الأمة الإسلامية والدفاع عن مصالح المجتمع الاسلامي.

وكان الإمام يتفقد الناس ليلاً، ليوصل لهم حاجاتهم، دون اضطرابهم
لذلّ المسألة والإبطاء فيها، ولا حتى معرفة المصدر، ولا يستثني في ذلك
خصومه ومن يناصره العدا والاذى، فيثبت أنه الكاظم للغيظ، وأنه
العافي عن الناس، وأن الله يحبّ المحسنين، وفي ذلك معنى تلقّيه بالكاظم،
والتي أثبتتها الكتاب الحكيم، ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
والله يحب المحسنين﴾.

وبهذا فقد نشر ثقافة البرّ والإحسان، والتكامل الاجتماعي، والنفع
العام والدعم المجتمعي، ومسؤوليات الوظيفة العامة، كونها تكليفاً
للخدمة، ووكالة عن المجتمع، وليست نافذة للإثراء غير المشروع، مترجماً
بهذه الثقافة، المعنى الحقيقي، للانتفاء لمدرسة آل البيت .

المحور الثاني

الأساليب الجمالية في مرويات الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

مما لا شك فيه أن الأفكار والقيم في أي أثر ذا قيمة وشأن مهم رفعت
بمقاييد الأدب إلى الذروة حيث الفنون الراقية لما تحمل من المعاني السامية،
وأن قيمة الأثر تكبر بما فيه من عمق في المعاني وإبراز الحقائق المفيدة
واستعمال للألفاظ المأنوسة المنسجمة مع المعنى المطلوب.

وينماز أسلوب الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) بطاقاتٍ إيجائية وتراكيب
لغوية بارعة، فالكلمات بحسب الملامح الدلالية والتعبيرية، لها الأثر الكبير
في جمال النصّ، والألفاظ بما فيها من تنوعات صوتية تتلاءم والمعنى،
فيأتي التعبير بأجمل ما يكون والجملة بطبيعتها التركيبية تعطي النصّ أبعاداً
دلالية جديدة لها أثر في استمالة عقول السامعين وقلوبهم .

إن خطاب مرويات الإمام الكاظم (عليه السلام) هو خطابٌ تشريعيٌّ موجز يعبر
عن رسالة لغوية وظيفتها الأولى الإبلاغ فحسب، بل لها وظيفة جمالية تتأتى

لها من تلك الأساليب اللغوية والتركيبية التي يوظفها الإمام الكاظم عليه السلام من أجل التأثير في المتلقي وذلك من خلال استعماله أساليب فنية وأخرى بلاغية اسبغت على النصّ جمالاً ورونقاً ^(٢٥).

لذا حاولت هذه الدراسة في هذا المحور الكشف عن الأبعاد الفنية بما تحمل من قيم جمالية وأخرى اسلوبية الكامنة في تلك المرويات ، مع بيان المعاني المكتنزة واللطائف التعبيرية التي جاءت بأدقّ الأساليب وأروع الصياغات المتمثلة بالجزالة والوضوح وبأبرز الصور الفنية مع دقة الوصف وجزالة الألفاظ فضلاً عن روعة الإداء الموسيقي المتحقّق من جرس الألفاظ.

وقد جاءت مرويات الامام الكاظم عليه السلام بصور بلاغية متعددة منحت المتلقي فرصة المشاركة والتمتّع من خلال الإيحائية التي خلفتها التراكيب المعتمدة في إنتاج تلك الصور، ومن هذه صورة الاستعارة المكنية التي جاءت في قوله : ((تواضع للحقّ تكن أعقل الناس ، يا بنيّ إنّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الإيـمان وشراعها التوكل وقيّمها العقل ، ودليلها العلم وسكّانها الصبر)) ^(٢٦) إذ تظهر من النصوص والروايات صور فيّاضة بالمعاني الموحية من خلال التراكم الاستعاري (المكني) الذي جاء به من أجل إيصال المعنى الدلالي من خلاله عرض المعنى بطريقة تجاوزت المرجعيّات القارّة في الأذهان ، مما أعطى فرصة للتأمّل والتخييل عن طريق الاستعارة المتحققة في (سفينتك تقوى الله ، وحشوها الإيـمان ، وسكّانها الصبر) ، أنّ اعتماد الأسلوب المجازي الذي جاء على سبيل (الاستعارة) ومثله قوله : ((يا عبيد السوء اتّخذوا مساجد ربّكم سجونا لأجسادكم وجباهكم ، واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى ، ولا تجعلوا قلوبكم مأوى للشهوات)) ^(٢٧) نجد قوله : (واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوى) الاستعارة هنا استعارة تشخيصية

وهي من جميل الصور و((من أجمل الصور البيانية لما فيه من التشخيص والتجسيد وبث الحياة والحركة في الجمادات، وتصوير المعنويات في صورة محسنة حيّة))^(٢٨) فهذه الصور الشخصية منحت النصّ جمالاً معنوياً فضلاً عن جمال العبارة .

ومن جميل الصور الفنية في مروياته عليه السلام صور التشبيه المتحققة في قوله: ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ كَفَّتِي الْمِيزَانِ ، كُلَّمَا زِيدَ فِي إِيْمَانِهِ زِيدَ فِي بَلَاءِهِ ، لِيَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا خَطِيئَةَ لَهُ))^(٢٩) ، فالتشبيه حاصل بقوله: (مثل المؤمن مثل كفتي الميزان كلما زيد ايمانه زيد في بلاءه) ، ففي هذا التشبيه نلاحظ التطوّر الحركي الكامن فيه بما يسبغ على النصّ عنصر الابداع الفني من خلال الترابط الحاصل بين أجزاء الكلام، أي: (كلما زاد المؤمن ايمانه زاد الله بلاءه) ، لأنّ الباري عزّ وجلّ يريد الخير للعباد ويضاعف لهم حسناتهم، مما زاد على النصّ جانب التشوّق والانشداد لفعل الخير .

إن هذا الأسلوب له القدرة على مدّ النصوص بقيم أسلوبية إبداعية قادرة على التأثير في نفس سامعها، فضلاً عن قدرته في صنع الخيال الذي يوجده فكر المتلقي لما في هذا الأسلوب من الابداع الذي يُغني بنية النصّ بالوضوح والتأثير .

لذا فإنّ صور التشبيه من أبرز انواع التصوير الفني التي تضمنته مرويات الامام الكاظم عليه السلام بوصفه وسيلة إبداعية ليس مقصوداً لذاته ولكنه يزيد المعنى وضوحاً وقوة في التأثير من خلال تقريبه للمعنى المراد بهذه الصور البيانية^(٣٠) .

ويظهر إبداع الإمام الكاظم عليه السلام وتميّزه الأسلوب في دقّة اختياره الأصوات المنسجمة مع جرس الألفاظ من خلال استعماله فن السجع لما يحقّقه هذا الفن من تنغيم وإيقاع في النصوص، والسجع هو ((سمة

زخرفية لفظية تختص باللفظة المركبة في جملة تتوافق فيها بعض فواصل الكلام المنشور على حرف واحد^(٣١)، وهو فن بديعي لا يخلو منه حديث نثري، من ذلك قوله عليه السلام: ((يا مفزع الفازع، ويا مأمّن الهالاع، ومطمع الطامع، وملجأ الضارع، يا غوث اللفهان، ومأوى الحيوان، ومروي الظمان، ومشيع الجوعان، وكاسي العريان، وحاضر كل مكان،...))^(٣٢) نجد السجع هنا في كلام الإمام عليه السلام جاء بنسق رائع منسجم فضلاً عن عمله في سرعة التأثير في المتلقي .

ومثله قوله: ((توكلت على الحي الذي لا يموت، وتحصنت بذي العزة والجبروت، واستعنت بذي الكبرياء والملكوت،...))^(٣٣) لقد حفل كلام الإمام الكاظم عليه السلام بهذا الفن البديعي لما له من تأثير واضح، وبما يسبغه على الكلام من رونق وبهاء، ومما لا شك فيه أن ضرورة السجع وتوازن المقاطع في النثر تساوي ضرورة القافية والوزن في الشعر^(٣٤) .

ومن الأساليب الأخرى التي توافرت عليها مرويات الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً ظاهرة الازدواج لما لهذا الفن من أهمية في الكلام المنشور، حتى قيل فيه: ((إذ لا يحسن منشور الكلام، ولا يخلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج...))^(٣٥) . من ذلك قوله: (((إِذَا نَزَلَ الْقَضَاءُ ضَاقَ الْفَضَاءُ)))^(٣٦) وقوله أيضاً عليه السلام: ((... وَأَنْ تَصْلُوا مِنْ قِطْعِكُمْ، وَتَعْفُوا عَمَّنْ ظَلَمَكُمْ، وَتَعْطِفُوا عَلَى مَنْ حَرَمَكُمْ، وَلِيَكُنْ نَظَرُكُمْ عِبْرًا، وَصِمْتُكُمْ فِكْرًا، وَقَوْلُكُمْ ذِكْرًا...))^(٣٧) وقوله عليه السلام أيضاً: ((طوبى للمتراحين، أولئك المرحومون يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس، أولئك هم المقربون يوم القيامة، طوبى للمطهرة قلوبهم، أولئك هم المتقون يوم القيامة، طوبى للمتواضعين في الدنيا، أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة))^(٣٨) .

من الواضح هنا نجد تعادل العبارات والجمل جاءت في موازنات صوتية متناسبة لتكسب هذه العبارات ضروباً من التوقع الموسيقي، وجمالاً في الأداء، فضلاً عن إيجاد عنصر التقابل بين (الإيصال والمقاطعة)، وبين (العفو الظلم)، فقد تضمنت مزايا للمصلحين وصفات هؤلاء المخلصين بعد وصفهم بتلك الصفات النبيلة والتزامهم الاخلاق الحميدة. ومما لاشك فيه أن مبدأ الثنائية والتقابل المزدوج يشكّل مكوناً مهماً من مكونات الخطاب، وبنية مركزية فاعلة تنكشف عبر وظيفتهما أنماط الأنساق المتضادة داخل النص، إذ تتحد الضديّات عند المتكلم لخلق تصوّرات معينة تجاه الحياة والكون، كما في قوله الامام عليه السلام: ((أوصيكم بالخشية من الله في السرّ والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والاكْتساب في الفقر والغنى...))^(٣٩)، فهذا النصّ نجده قائماً على هذه المقابلات المتحققة بين (السر والعلانية) وبين (الرضا والغضب) وبين (الفقر والغنى).

فهنا تتمحور جدلية قائمة على ثنائية الإصلاح والفساد لبناء المجتمع العربيّ، فنجد فيه الأسلوب جاء متناسقاً إيقاعياً ومنسجماً تخلقه هذه التقابلات فضلاً عن أهميتها في إظهار تلك العلاقات اللغوية بشكل متناسب وإن كانت متخالفة متضادة^(٤٠).

ومما تقدم فإن براعة الامام الكاظم عليه السلام في صياغة أسلوبه وبانتقاء الألفاظ الجزلة والرصينة وتوظيفها في المعاني المناسبة في مواضعها، كما تميّزت بكونها ذات تأثير قويّ بتألف أحرفها في جرس معيّن مقبول من القارئ أو السامع، وهذا ليس بغريب، فأهل البيت عليهم السلام هم أسياد البلاغة وفصاحة القول، نهلوا من علم جدّهم الإمام علي عليه السلام سيّد البلغاء وامام الفصحاء، والكلام يطول هنا إذ إنّ كلّ لفظة أو أسلوب في مرويات الامام موسى الكاظم عليه السلام تحتاج إلى دراسة معمّقة لا يسع الكلام لها هنا فضلاً عما تحمله من قيم أخلاقيّة سامية.

الخاتمة

إن الظروف السياسية التي تعرّض لها الإمام الكاظم (عليه السلام) جعلت منه أن يكون ممارساً لنشاط فكري وسياسي واسع، انعكست بمرويات تضمّنت أبعاداً فكريّة وأخرى جمالية جاءت بأدقّ العبارات وأجمل الألفاظ، فضلاً عن المبادئ الإنسانية السامية والنبيلة التي استقاها من شمولية علومه وموسوعيته، فكان نتاجه المعرفي وخطابه الفكري وأسلوبه اللغوي متناسقاً ومتناسكاً من أجل تقديم الفائدة للمسلم على مرّ الأزمنة .

وقد أنمازت مرويات الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بصدق التعبير وقوة الانفعال الصادرين عن الإيمان المطلق بما يذهب إليه من رؤى وأفكار، لأنها نابعة أصلاً من روافد الخير والجمال.

وقد كشفت تلك الرؤى عن عمقها وبعدها الفكري بجوانبها المختلفة، بوساطة عرض فني جميل ومؤثر يشير بأن الإمام الكاظم (عليه السلام) كان خبيراً ملماً بأساليب الخطاب وعارفاً بها، وهذا ممّا عرفت به مناظراته المتعدّدة الجوانب فضلاً عن علومه ومعارفه التي تضمّنتها تلك المرويات الشريفة. ومما تقدم يعدّ الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) موسوعة علمية زاخرة بالعلوم والمعرفة في شتى ميادين الحياة التي ورثها عن جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام) سيّد البلغاء وإمام الفصحاء، كانت حياة الإمام علي (عليه السلام) مليئةً بالوصايا والتعاليم الإرشادية الساعية إلى خير الفرد والمجتمع على السواء، فكان من أكبر اهتماماته أن يثقف الناس بما يرفع من مستواهم ويقدم الحلّ الأمثل لكل مشكلة تواجههم، ويفتح عقولهم ويربيهم على أساس الالتزام بالقيم الإسلامية السامية، فترك فضلاً من خبراته الثرة عكست خلاصة تجاربه فوضع أسساً وقواعد عامة في التعامل مع الآخرين من المقربين والصحابة وغيرهم من الناس على اختلاف طبقاتهم وميولهم ، وما هذا إلاّ غيض من فيض . والله المسدّد للصواب .

وآخر دعوانا إنّ الحمد لله ربّ العالمين ، هو نعم المولى ونعم النصير



الهوامش:

- ١- ينظر كشف الغمة: ٢/ ٧٤٣، وينظر ايضا حياة الامام موسى بن جعفر: ١٧٩.
- ٢- ينظر تحفة الطالب: ٤٨
- ٣- ينظر تاريخ بغداد: للبغدادي ١٣/ ٣٢
- ٤- مناقب آل ابي طالب: ٤/ ٣٢٩
- ٥- تذكرة الخواص: ٢/ ٤٥٢.
- ٦- أعيان الشيعة: ٢/ ٥٣٣
- ٧- بحار الأنوار: للمجلسي ٢/ ١١١.
- ٨- المصدر نفسه: ٢/ ١٢٩.
- ٩- أصول الكافي: ١/ ٥٥٠
- ١٠- حياة موسى بن جعفر دراسة وتحليل: ١/ ٤٢
- ١١- المصدر نفسه: ٢/ ١١٢.
- ١٢- مهج الدعوات: ابن طاووس ٤١١
- ١٣- حياة موسى بن جعفر: ١/ ١٠٩.
- ١٤- ينظر شذرات من حياة الامام الكاظم (عليه السلام): ٩٨.
- ١٥- سورة آل عمران: آية ٨.
- ١٦- ينظر شذرات من حياة الامام الكاظم (عليه السلام): ١١٠.
- ١٧- القيادة في الإسلام: محمد الريشهري ١١٤
- ١٨- ينظر شذرات من حياة الامام الكاظم (عليه السلام): ٤٨.
- ١٩- المصدر نفسه: ٥١.
- ٢٠- ينظر تاريخ بغداد: للبغدادي ٣/ ٢٤٥
- ٢١- حياة موسى بن جعفر: ٢/ ٤٥.
- ٢٢- ينظر الفن ومذاهبه في الشر العربي: د. شوقي ضيف ١٧٥.
- ٢٣- أصول الكافي: ٥٦
- ٢٤- المصدر نفسه: ٨٧.
- ٢٥- الصورة الفنية في المثل القرآني: د. محمد حسين الصغير ٨٧.
- ٢٦- شذرات من حياة الإمام الكاظم: ٨٧.
- ٢٧- ينظر علم أساليب البيان: د. غازي يموت ٤٤.
- ٢٨- علم البديع: عبد العزيز عتيق ٦١
- ٢٩- شذرات من حياة الإمام الكاظم: ١٢٩.

- ٣١- المصدر نفسه : ١٥٤ .
- ٣٢- ينظر موسيقى الشعر : د. إبراهيم أنيس
- ٣٣- المثل في ادب الكاتب والناثر : لابن الاثير ١ / ١٨٧ .
- ٣٤- المناقب : ١ / ١٩٤ .
- ٣٥- بحار الأنوار : ١ / ٢٢٠ .
- ٣٦- المصدر نفسه : ١ / ٢٠١ .
- ٣٧- بحار الأنوار : ٣ / ٢٧٣ .
- ٣٨- المصدر نفسه : ٣ / ٢٨٤ .
- ٣٩- ينظر الفن ومذهبه في النثر العربي : ٨٦
- ٤٠- المصدر نفسه : ١٠٤ .



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

* أصول الكافي : محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ) ، تحقيق : محمد جعفر شمس الدين ، دار التعارف للمطبوعات - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٨ م .
* أعيان الشيعة : السيد محسن الأمين ، تحقيق : السيد حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات - بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .
* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ) ، تحقيق : محمد باقر بهبودي ، المكتبة الإسلامية - إيران ، ط ٢ ، ١٣٤٩ هـ .

* تاريخ بغداد أو مدينة السلام : أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٤ م .
* تحفة الطالب بمعرفة من ينتسب إلى عبد الله وأبي طالب : السيد محمد بن الحسين السمرقندي (ت ٩٩٦هـ) ، تحقيق : أنس الكتبي الحسني ، دار المجتبى للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٩٩٨ م .

* تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة : يوسف بن فرغلي المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (ت ٦٥٤هـ) ، تحقيق : حسين تقوي زاده ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) ، إيران ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ .

* تحف العقول : لابن شعبة الحراني ، تأليف علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الاسلامي ، قم ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ .

* حياة الإمام موسى بن جعفر ، دراسة وتحليل ، تأليف باقر شريف القرشي تحقيق مهدي باقر القرشي ، الجزء الاول والثاني ، قسم الثقافة والاعلام في العتبة الكاظمية المقدسة ، ط ٢ ، ١٣٩٠ هـ .

* شذرات من حياة الامام الكاظم (عليه السلام) ، اعداد شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية في العتبة العلوية المقدسة ، ط ١ ، ١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م .

* الصورة الفنية في المثل القرآني ، الدكتور محمد حسين الصغير ، دار صادر ، القاهرة د.ت ط ١ ، ١٤٢٢ هـ .

* علم أساليب البيان ، د. غازي يموت ، الدار الوطنية للترجمة والنشر ، ٢٠١٠ م .

* علم البديع : عبد العزيز عتيق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ م .

* القيادة في الإسلام : محمد الريشهري ، الناشر : جمعية المعارف الإسلامية الثقافية ، ٢٠١٥ .

* كشف الغمّة في معرفة الأئمة : علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٢هـ) ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، مطبعة شريعت - قم ، ط ١ ، (د.ت) .

* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : أبو الفتح نصر الله المعروف بـ «ابن الأثير» (ت ٦٣٧هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، شركة مكتبة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر ، ط ١، ١٤٢١هـ .
* ميزان الحكمة : الشيخ محمد الريشهري ١٩٣٩م .
* مناقب آل أبي طالب : محمد بن علي بن
شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ) ، تحقيق : د .
يوسف البقاعي ، انتشارات ذوي القربى ،
الناشر دار الحديث للطباعة والنشر
والتوزيع ، ط ١٤٢٢هـ .

سنة ١٤٢٢هـ



دار الحديث للطباعة والنشر

الإمام الكاظم (عليه السلام) وخطاب المرحلة (التشخيص والعلاج)

الشيخ قيصر الصالح السيد ناصر المولى

الملخص:

يستعرض هذا البحث أبرز المشكلات التي حدثت في زمن الإمام الكاظم (عليه السلام) والذي كان يعتبر فترة من الفترات المهمة في تاريخ الأمة على جميع المستويات ولا سيما على المستوى العقدي والفقهية، من حيث تشكّل المذاهب الدينية والآراء الفقهية والادّعاءات العقديّة الباطلة كالغلو، فما كان منه (عليه السلام) إلا أن يواجه هذه المشاكل ويضع الحلول المناسبة لها، حتّى يحافظ بذلك على روح الرسالة المحمدية الأصيلة وتمثلها الحقيقي في الأمة.



الإمام الكاظم (عليه السلام)

المقدمة:

إنَّ جُلَّ المراحل التاريخية التي عاشها الأئمة المعصومون (عليه السلام) شهدت مجموعة كبيرة من المشاكل ومن أبرزها المشاكل العقديّة، وهي متفاوتة فيما بينها كمًّا وكيفًا، ومن أهمّ تلك المراحل هي التي عاشها الإمام السابع موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، حيث كانت مليئة بالنزاعات والانشقاقات العقديّة المختلفة بين العامّة والخاصّة، والخاصّة فيما بينهم، ومن البديهيّ أنّ الجانب المشمس والموقف المشرق في ردّ تلك الأحداث والتصديّ لها يكون من الإمام (عليه السلام) في كلّ زمان، فتصدّى (عليه السلام) لمجموعة كبيرة من الدعاوى الباطلة والاعتقادات الفاسدة - كادّعاء بعضهم الإمامة، وذهاب بعضٍ إلى إمامة غيره، والغلوّ والإلحاد والزندقة، بل ادّعاء الربوبية من بعضٍ - التي لا يصحّ للمسلم الاعتقاد بها ولا ينبغي له التمسك بمثلها، ونحن في هذا المختصر نذكر بعضها، فعلى ذلك نعقد البحث في مبحثين، الأوّل في حياته (عليه السلام)، والثاني في عرض وتشخيص جملة من المشاكل التي حدثت في عصره (عليه السلام) وكيف قام بمعالجتها.

المبحث الأوّل: أضواء على سيرة الإمام الكاظم (عليه السلام).

هو الإمام موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام).

والدته: هي السيّدة حميدة المغربيّة (البربريّة) بنت صاعد البربريّ^(١).

ويقال لها: نباتة^(٢).

ويقال لها: حميدة المصفّاة^(٣)؛ لأنّ الإمام الصادق (عليه السلام) لقبها بالمصفّاة من الأدناس^(٤).

ولد في الأبواء^(٥) يوم الأحد في السابع من صفر سنة ١٢٨ هـ، قال المنهال القصّاب: ((خرجت من مكّة وأريد المدينة فمررت بالأبواء وقد ولد لأبي عبد الله موسى عليه السلام فسبقته إلى المدينة، ودخل بعدى بيوم، فأطعم الناس ثلاثاً، فكنت آكل في من يأكل، فما آكل شيئاً إلى الغد حتّى أعود فأكل، فمكثت بذلك ثلاثاً، أطعم حتّى أرتفق، ثمّ لا أطعم شيئاً إلى الغد))^(٦).

في كنيته وألقابه:

قال الشيخ المفيد: ((كان يكنى أبا إبراهيم وأبا الحسن وأبا علي، ويعرف بالعبد الصالح، وينعت أيضاً بالكاظم))^(٧).

وقال الشيخ عبّاس القمّي في كتابه منتهى الآمال: ((كنيته المشهورة أبو الحسن وأبو إبراهيم، وألقابه الكاظم والصابر والصالح والأمين، ولقبه المشهور الكاظم؛ وذلك لكثرة كظمه الغيظ، وعدم دعائه على أعدائه مع ما لقى منهم حتّى إنّ الإمام عليه السلام حينما كان في السجن كانوا ينصتون إليه في الخفاء رجاء أن يسمعوا منه دعاء عليهم، إلّا أنّهم لم يسمعوا ذلك منه قط. قد قال له أصحابه تقيّة: العبد الصالح أو الفقيه أو العالم وغير ذلك، ويعرف بباب الحوائج عند الناس، والتوسّل به لشفاء الأمراض الظاهرية والباطنية سيّما وجع الأعضاء والعين نافع ومجرّب))^(٨).

نشأ الإمام الكاظم عليه السلام في ظلّ أبيه الإمام الصادق عليه السلام وتفيّاً بظلال علومه ومدرسته الربّانية التي بأشعتها النافذة استقطبت العالم الإسلاميّ، بل الإنسانيّ أجمع.

كانت ولادة الإمام الكاظم عليه السلام في نهاية العهد الأمويّ وعاصر بدايات نشوء الحكم العبّاسيّ، فعاصر عليه السلام حكم السفّاح، ثمّ حكم المنصور الذي اغتال الإمام الصادق عليه السلام في الخامس والعشرين من شوال سنة ١٤٨ هـ،

فتصدى عليه السلام لمنصب الإمامة^(٩) من بعد الإمام الصادق عليه السلام في ظل ظروف حرجية كانت يُخشى فيها على حياة الإمام عليه السلام.

عاش الإمام الكاظم عليه السلام مدة ثلاثة عقود من عمره المبارك والحكم العباسي لما يستفحل، ولكنه عليه السلام في عقده الأخير عانى ضغوطاً قلماً عاناها أحد من الأئمة عليهم السلام ممن سبق الرشيد من العباسيين - كالأُمويين - من حيث السجن المستمر والاغتيالات المتتالية بل حتى القتل في سبيل الله تعالى على أيدي عملاء السلطة الحاكمة^(١٠).

اغتيال الإمام الكاظم عليه السلام

لاقى عليه السلام من الرشيد - لعنه الله - أنواعاً وألواناً مختلفة من المحن التي تنهدُّ لها الجبال، كالتكبير بالقيود ونقله بين السجون والتضييق الشديد في التعامل معه، ومنعه من الاتصال بالناس وغيرها، وبعد هذا كله أقدم - لعنه الله - على قتله بشكل لم يسبق له نظير؛ محاولاً بذلك التخلص من مسؤولية قتله، حيث استشهد الإمام الكاظم عليه السلام مسموماً في سجن السندي بن شاهك في بغداد في الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ١٨٣ هـ، فقد أمر السندي بوضع جنازة الإمام على الجسر في بغداد ونودي عليها هذا إمام الرافضة فاعرفوه، فإنه موسى بن جعفر عليه السلام قد مات حتف أنفه، ألا فانظروا إليه^(١١).

المبحث الثاني: المشاكل العقائدية ومواجهة الإمام الكاظم عليه السلام لها.

ظهرت قبيل انتقال الإمامة للإمام الكاظم عليه السلام وفي بداية إمامته عليه السلام الكثير من الاعتقادات الخاطئة والاتجاهات المنحرفة التي كان لها التأثير الكبير على الوجود الشيعي ومستقبله، نشير إلى أهمها بنقطتين:

النقطة الأولى: من هو الإمام بعد الإمام الصادق (عليه السلام)؟

وقع الاختلاف بين الناس في تحديد الإمام بعد الإمام الصادق (عليه السلام)، ويمثّل هذا الاختلاف مشكلة عقديّة ترتبت عليها نشوء فرق منها الإسماعيليّة والفطحيّة، وغيرهما.

فقد قالت الإسماعيليّة: (إنّ الإمام بعد جعفر إسماعيل نصّاً عليه باتّفاق من أولاده إلّا أنّهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه، فمنهم من قال: لم يمت إلّا أنّه أظهر موته؛ تقيّة من خلفاء بنى العبّاس وإنّه عقد محضراً وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة.

ومنهم من قال: موته صحيح والنص لا يرجع القهقري، والفائدة في النصّ بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيرهم، فالإمام بعد إسماعيل محمّد بن إسماعيل، وهؤلاء يُقال: لهم المباركيّة، ثمّ منهم من وقف على محمّد بن إسماعيل وقال يرجعته بعد غيبته.

ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثمّ في الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنيّة، وإنّما مذهب هذه الفرقة الوقف على إسماعيل بن جعفر أو محمّد بن إسماعيل والإسماعيليّة المشهورة في الفرق منهم هم الباطنيّة التعليميّة الذين لهم مقالة مفردة^(١٢).

وقد ذكرهم الشيخ جعفر السبحانيّ - في كتابه بحوث في الملل والنحل - وقال: (الإسماعيليّة):

وربّما يعبر عنهم بالقرامطة: وهم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر ولما مات إسماعيل في حياة أبيه صارت الإمامة في ابنه محمّد بن إسماعيل، وهم فرقة كبيرة موجودة في العصر الحاضر^(١٣).

الفتحية: تعرّضت كتب الملل والنحل لذكرهم وبيان حالهم، فقد قال الشهرستاني: (إنّ الأفتحية قالوا: إنّ الإمامة انتقلت من الصادق إلى ابنه عبد الله الأفتح، وهو أخو إسماعيل من أبيه وأمه).

وكان أسن أولاد الصادق، وزعموا أنّه قال الإمام في أكبر أولاد الأئمة، وقال الإمام من يجلس مجلسي، وهو الذي يجلس مجلسه، والإمام لا يغسله ولا يصلي عليه ولا يأخذ خاتمه ولا يواريه إلا الإمام وهو الذي تولى ذلك كلّه، ودفع الصادق وديعة إلى بعض أصحابه وأمره أن يدفعها إلى من يطلبها منه وأن يتّخذ إمامًا وما طلبها منه أحدٌ إلا عبد الله.

ومع ذلك ما عاش بعد أبيه إلا سبعين يومًا ومات ولم يعقب ولدًا ذكرًا^(١٤).

وقد ذكر الشيخ السبحاني - دام ظلّه - ما نصّه: ((الفتحية: وهم القائلون بإمامة الإثني عشر مع عبد الله الأفتح ابن الامام الصادق عليه السلام يدخلونه بين أبيه وأخيه الإمام الكاظم عليه السلام، وعن الشهيد: «أنّهم يدخلونه بين الكاظم والرضا عليه السلام، وقد كان أفتح الرأس، وقيل: أفتح الرجلين.

وإنّما دخلت عليهم الشبهة ممّا رووا عن الأئمة: الإمامة في الأكبر من ولد الإمام، ثمّ منهم من رجع عن القول بإمامته؛ لما امتحنوه بمسائل من الحلال والحرام ولم يكن عنده جواب، ولما ظهرت منه الأشياء التي لا ينبغي أن تظهر من الإمام، ثمّ إنّ عبد الله مات بعد أبيه بسبعين يومًا، فرجع الباقيون - الشذاذ منهم - عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبي الحسن موسى عليه السلام^(١٥).

لقد كان لهذه الادّعاءات أثرٌ كبيرٌ في نفوس الناس حيث ضلّلتهم عن اتّباع الحقّ والانحراف عمّا أخبر به عمود الدين وترجمان الكتاب المبين

حيث كان الإمام الصادق عليه السلام يبين لشيعته أن الإمام الكاظم عليه السلام هو الإمام الشرعي من بعده في مواطن كثيرة.

فقد عقد شيخ الإسلام باباً في الكافي أسماه (الإشارة والنص) على أبي الحسن موسى عليه السلام، نذكر نزرًا يسيرًا من أحاديثه:

١- أحمد بن مهران عن محمد بن علي عن عبد الله القلا عن الفيض بن المختار قال: ((قلت لأبي عبد الله عليه السلام: خذ بيدي من النار من لنا بعدك؟ فدخل عليه أبو إبراهيم عليه السلام - وهو يومئذ غلام - فقال: هذا صاحبكم، فتمسك به)) (١٦).

٢- أحمد بن مهران عن محمد بن علي عن موسى الصيقل عن المفضل بن عمر قال: ((كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل أبو إبراهيم عليه السلام وهو غلام، فقال: استوص به، وضع أمره عند من تثق به من أصحابك)) (١٧).

٣- الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشاء عن محمد بن سنان عن يعقوب السراج قال: ((دخلت على أبي عبد الله وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى وهو في المهد، فجعل يساره طويلاً، فجلست حتى فرغ، فقمتم إليه، فقال لي: أدن من مولاك فسلم، فدنوت فسلمت عليه فردّ عليه بلسان فصيح)) (١٨).

٤- محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن جعفر بن بشير عن فضيل عن طاهر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((كان أبو عبد الله عليه السلام يلوم عبد الله ويعاتبه ويعظه ويقول: ما منعك أن تكون مثل أخيك، فوالله إني لأعرف النور في وجهه؟ فقال عبد الله: لم، أليس أبي وأبوه واحداً وأمي وأمه واحدة؟ فقال له أبو عبد الله: إنه من نفسي وأنت ابني)) (١٩).

وكذلك الشيخ المفيد عقد في الإرشاد^(٢٠) فصلاً ذكر فيه النصّ على إمامة الإمام الكاظم عليه السلام من قبل أبيه الإمام الصادق عليه السلام، وأخوته إسحاق وعليّ اللذين كانا من الفضل والورع على ما لا يختلف فيه اثنان، وجماعة من ثقة الفقهاء الصالحين حيث رَووا النصّ الصريح على إمامته عليه السلام.

لا يخفى على المتبّع أنّ ما أشرنا إليه آنفاً إنّما هو من وظائف الإمام الصادق عليه السلام حيث أنّه كلّ إمام سابق يشير إلى الإمام اللاحق، إلّا أنّ هذا لا يعطلّ وظيفة الإمام الكاظم عليه السلام في مواجهة كلّ ما يضلّ الأمة لأنّه الحجّة ولا سيما بعد استشهاد الإمام الصادق عليه السلام والثقل الثاني الذي أشار إليه الرسول ﷺ ذوقاً: ((إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأتّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض))^(٢١).

تمثّلت مواجهة الإمام عليه السلام للأدعياء وزعماء الفرق والطوائف الضالّة في زمانه من خلال إبرازه عليه السلام للقدرات الغيبيّة، وهذا ينبى عن محاولات إسقاط الحيرة الفكرية السائدة إبان تلك الفترة، وبهذا لفت أنظار الأمة وأعطاه حَسّاً من أجل أن تقارن وتحاكم به هذه التيارات وتفرز بين الحقّ والباطل فقد امتلكت مقاييس مستلهمة من مشاهد مثيرة حسية كان قد حقّقها الإمام الكاظم عليه السلام.

والنشاطات التي قام بها الإمام الكاظم عليه السلام خلال هذه المواجهة هي كما يلي:
أولاً: إخباره عليه السلام ببعض الغيبيّات - التي لا يمكن للإنسان العادي أن يتوصّل إليها - لعامة الناس، وقد وصل إلينا الكثير من هذه الإخبارات نذكر نموذجين منها:

النموذج الأول: عن إسحاق بن عمار قال: ((سمعت العبد الصالح عليه السلام ينعى إلى رجل نفسه، فقلت في نفسي: وإنه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته؟! فالتفت إليّ شبه المغضب، فقال: يا إسحاق قد كان رشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا والإمام أولى بعلم ذلك، ثم قال: يا إسحاق اصنع ما أنت صانع فإنّ عمرك قد فني، وإنك تموت إلى ستين، وإخوتك وأهل بيتك لا يلبثون بعدك إلا يسيراً حتى تتفرّق كلمتهم ويخون بعضهم بعضاً حتى يشمت بهم عدوهم، فكان هذا في نفسك، فقلت: فيّني أستغفر الله بما عرض في صدري، فلم يلبث إسحاق بعد هذا المجلس إلا يسيراً حتى مات، فما أتى عليهم إلا قليل حتى قام بنو عمار بأموال الناس فأفلسوا)) (٢٢).

النموذج الثاني: قال نافع التفليسي: ((خلّفت والدي مع الحرم في الموسم وقصدت موسى بن جعفر عليه السلام فلما أن قربت منه هممت بالسلام عليه، فأقبل عليّ بوجهه، وقال: برّ حبّك يا ابن نافع، أجرك الله في أبيك فإنّه قد قبضه إليه في هذه الساعة فارجع فخذ في جهازه، فبقيت متحيراً عند قوله، وقد كنت خلّفته وما به علّة، فقال: يا ابن نافع أفلا تؤمن؟ فرجعت فإذا أنا بالجواري يلطمن خدودهنّ، فقلت ما وراكن؟ قلن: أبوك فارق الدنيا، قال ابن نافع: فجئت إليه أسأله عمّا أخفاه ورائي فقال لي: أبداً ما أخفاه وراك، ثم قال: يا ابن نافع إن كان في أمّيتك كذا وكذا أن تسأل عنه فأنا جنب الله وكلمته الباقية وحجّته البالغة)) (٢٣).

ثانياً: استعمله عليه السلام لقدراته الكبيرة التي وهبها الله له، كتكلّمه بعدة لغات من دون أن يتعلّمها بالطرق الطبيعية للتعلّم كالتملّذة عند أستاذ أو معايشرة أهل اللغات الأخرى غير لغة الأمّ، وإتّما بالإلهام، وهذه القدرة تميّزه عن غيره من الناس، ولهذا النشاط الذي قام به عليه السلام شواهد:

الشاهد الأول: عن ابن أبي حمزة قال: كنا عند أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام إذ دخل عليه ثلاثون غلامًا مملوكًا من الحبشة قد اشتروا له فتكلّم غلام منهم وكان جميلًا بكلامه، فأجابه موسى عليه السلام بلغته، فتعجّب الغلام وتعجبوا جميعًا، وظنّوا أنّه لا يفهم كلامهم، فقال له موسى عليه السلام: **إني أدفع إليك مالًا، فادفع إلى كلّ واحد منهم ثلاثين درهمًا، فخرجوا وبعضهم يقول لبعض: إنّهُ أفصح منّا بلغتنا، وهذه نعمة من الله علينا، قال عليّ بن أبي حمزة: فلما خرجوا، قلت: يا ابن رسول الله رأيتك تكلّم هؤلاء الحبشيّين بلغاتهم؟! قال: نعم، وأمرت ذلك الغلام من بينهم بشيءٍ دونهم؟ قال: نعم، أمرته أن يستوصي بأصحابه خيرًا، وأن يعطي كلّ واحد منهم في كلّ شهر ثلاثين درهمًا؛ لأنّه لما تكلّم كان أعلمهم، فإنّه من أبناء ملوكهم، فجعلته عليهم وأوصيته بما يحتاجون إليه، وهو مع ذلك غلامٌ صدّق، ثمّ قال: لعلّك عجبّت من كلامي إيّاهم بالحبشيّة؟ قلت: إي والله، قال: فلا تعجب، فما خفي عليك من أمري أعجب وأعجب من كلامي إيّاهم، وما الذي سمعته مني إلا كطائر أخذ بمنقاره من البحر قطرة، أفتري هذا الذي يأخذه بمنقاره ينقص من البحر؟! والإمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده وعجائبه أكثر من عجائب البحر)) (٢٤).**

الشاهد الثاني: عن أبي بصير قال: (دخلت على أبي الحسن الماضي عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، بم يعرف الإمام؟ فقال: بخصال، أمّا أولهنّ فشيءٌ تقدّم من أبيه فيه وعرفه الناس ونصبه لهم علمًا حتّى يكون حجة عليهم؛ لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نصّب عليًّا عليه السلام علمًا وعرفه الناس، وكذلك الأئمة يعرفونهم الناس وينصبونهم لهم حتّى يعرفوه، ويسأل فيجيب، ويسكت عنه فيبتدئ، ويخبر الناس بما في غد، ويكلّم الناس بكلّ لسان، وقال لي: يا أبا محمّد، الساعة قبل أن تقوم أعطيك علامة تطمئنّ إليها،

فوالله ما لبثت أن دخل علينا رجل من أهل خراسان، فتكلّم الخراسانيّ بالعربيّة فأجابه هو بالفارسيّة، فقال له الخراسانيّ: أصلحك الله، ما منعني أن أكلّمك بكلامي إلّا أنّي ظننت أنّك لا تحسن! فقال: سبحان الله، إذا كنت لا أحسن أن أجيبك، فما فضلي عليك؟! ثمّ قال: يا أبا محمّد، إنّ الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس، ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه روح، بهذا يعرف الإمام، فإن لم تكن فيه هذه الخصال فليس هو بإمام^(٢٥).

ثالثاً: بما مرّ من الأوّلين يُفهم أنّه علاج عامّ لمشكلة ادّعاء الإمامة في غيره، أمّا موقفه عليه السلام اتّجاه أخيه عبد الله الأفطح الذي ادّعى الإمامة لنفسه بعد أبيه^(٢٦) فلم يكن موقفاً عدائياً سافراً، ولم يسلك مسار الضغط من الخارج على الخصم، ولم يدخل حرباً نفسية ولا كلامية، ولم يفرض على الشيعة أن ينقسموا إلى قسمين أنصار وخصوم، بل عالج هذا الشرخ الجديد بأسلوب هادئ، ونبّهن هذا الأسلوب من خلال أمور:

الأمر الأوّل: البقاء على العلاقة الوديّة مع أخيه، ولم يقطعه بسبب ادّعاءه الإمامة.

الأمر الثاني: استخدامه ﷺ للمعجزة التي تميّزه عن عبد الله الأفطح، حيث قام ﷺ بإثبات أنّه الإمام المفترض الطاعة أمام جمع من خواصّ الشيعة، وإليك ما حدث:

فقد قال المفَضَّل بن عمر: ((لَمَّا مضى الصادق عليه السلام كانت وصيَّته في الإمامة إلى موسى الكاظم عليه السلام، فادَّعى أخوه عبد الله الإمامة، وكان أكبر ولد جعفر عليه السلام في وقته ذلك، وهو المعروف بالأفطح، فأمر موسى عليه السلام بجمع حطبٍ كثيرٍ في وسط داره، فأرسل إلى أخيه عبد الله يسأله أن يصير إليه، فلما صار عنده، ومع موسى عليه السلام جماعةٌ من وجوه الإمامية، فلَمَّا

جلس إليه أخوه عبد الله، أمر موسى عليه السلام أن تضرم النار في ذلك الحطب، فأضرمت، ولا يعلم الناس السبب فيه، حتى صار الحطب كله جمرًا، ثم قام موسى عليه السلام وجلس بثيابه في وسط النار، وأقبل يحدث القوم ساعة، ثم قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس، فقال لأخيه عبد الله: إن كنت تزعم أنك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس. قالوا: فرأينا عبد الله قد تغير لونه، فقام يجر رداءه حتى خرج من دار موسى عليه السلام^(٢٧).

الأمر الثالث: ترك الأمر للشيعة وعلمائها في أن تقوم بنفسها بالكشف عن هذا المدعي وعلميّه وغيرها من الطاقات التي إذا كان يمتلك منها شيئاً، من خلال الفحص المباشر أو المقارنة بينه وبين الإمام الكاظم عليه السلام. وبهذا الأسلوب الهادئ تبين للطائفة التي اتبعت الأفتح ضعف دعواه وقوة رأي أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام، فرجع أكثرهم عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أخيه موسى^(٢٨).

استطاع الإمام الكاظم عليه السلام بهذا الأسلوب أن يربي الشيعة تربية عقائدية قوية، حيث فتح لهم المساحة الواسعة للبحث عن الإمام المفترض الطاعة، فكان اعتقادهم بإمامة الإمام الكاظم عليه السلام بنظرٍ ومعرفةٍ كما حدث مع مؤمن الطاق وهشام بن سالم^(٢٩).

النقطة الثانية: كيف واجه الإمام الكاظم عليه السلام الإلحاد والزندقة؟

عاش الإمام الكاظم عليه السلام في مرحلة كانت تمثل أخطر المراحل التي عاشها المسلمون؛ فقد تسرب الإلحاد والزندقة فضلاً عن كثرة الفرق الكلامية التي قامت على أفكار وآراء اعتقادية شتى، والمذاهب الفقهية أخذت بالتعدد، ونشأ الغلو، وغيرها الكثير.

أخذت الحركة اللاحادية تدعوا إلى إنكار الخالق تبارك وتعالى، وعدم الإيمان بالأنبياء والرسل والأوصياء وإنكار المعاد، والتحلل والتفسخ من الأخلاق والدين، ونشرت هذه المبادئ الشاذة الداعية إلى الفوضى بشكل كبير في المجتمع الإسلامي.

كانت هذه الدعوة في العصر العباسي الأول، فأخذت مجموعة من التيارات الملحدة بتبني أفكار اللاحاد والانحراف والزندقة، ومن أهم الفرق والتيارات المنحرفة التي انتشرت في عهد الإمام الكاظم (عليه السلام) والتي كان لها اتباع وأنصار هي: المانوية^(٣٠)، والمزدكية^(٣١)، والزرادشتية^(٣٢).

كان لهذه الأفكار الوافدة والشبهات المضللة الأثر الكبير على البسطاء الذين تلونهم الدعاية كيفما شاءت، فقد اعتنقوها وانطلقوا معهم بغير وعي ولا هدي.

تصدى الإمام الكاظم (عليه السلام) من أجل علاج هذا الغزو العقائدي، وأنقذ المسلمين منه كما فعل والده الإمام الصادق (عليه السلام) من قبل، حيث بذل (عليه السلام) جميع جهوده في إنقاذ الوطن الإسلامي من الملحدين والمضللين، فقد اتخذ الإمام الكاظم (عليه السلام) مواقف حازمة اتجاههم، وبين فساد معتقداتهم وانحرافاتهم العقائدية والفكرية، فقد اعتمد (عليه السلام) في التصدي لهذه التيارات المنحرفة على مناظراتهم ومحاوراتهم في الأماكن العامة وفي بيوت الوزراء والملوك وفق الأساليب العلمية القوية التي لا يصمد أمامها أصحاب هذا الفكر السقيم، ولذلك عاد بعضهم إلى الحق، بل جماعة من أعلام الدهريين بعد أن أثبت لهم الإمام زيف تلك العقائد رجعوا عن أفكارهم وثابوا إلى طريق الحق والصواب، كذلك اتبع (عليه السلام) أسلوب الاقناع بأدوات العقل والبديهة وهذا الذي لا سبيل لإنكاره من قبل أصحاب الفكر المنحرف.

وإليك نماذج من مناظرات ومحاورات واحتجاجات الإمام الكاظم (عليه السلام) مع الملاحدة:

١ - قال الملاحدة: إنَّ الله تعالى جسماً كباقي الموجودات؟

فقال (عليه السلام): ((إنَّ الله تعالى لا يشبهه شيءٌ، أي فحش أو خنى أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو بخلقة أو بتحديد وأعضاء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)) (٣٣).

٢ - من الأسئلة التي وجهت للإمام الكاظم (عليه السلام) هو: ما هو معنى الله؟

وقد كان جوابه (عليه السلام): ((استولى على ما دقَّ وجلَّ)) (٣٤).

٣ - رُفِعَ إليه (عليه السلام) سؤال عن علم الله تعالى، وهذا نصّه: (أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها؟ أو لم يعلم ذلك حتّى خلقها وأراد خلقها وتكوينها فعلم ما خلق عندما خلق وما كُؤن عندما كُؤن؟

فجاء الجواب من الإمام (عليه السلام): لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء) (٣٥).

كذلك اتخذ (عليه السلام) موقفاً آخر، وهو لعنهم والتبرؤ منهم، وتحذير المسلمين بضرورة الابتعاد عنهم وعدم مجالستهم أو مؤاكلتهم أو مناكرتهم؛ حتّى لا يتأثروا بفكرهم المنحرف.

ربّى الإمام الكاظم (عليه السلام) جماعة صالحة ثبتت في أنفسهم أركان التوحيد ونقّاهم من الشوائب الفكرية والعقائدية الضارة، ووجّه طاقاتهم باتجاه الأهداف الكبرى كتأصيل الامتداد الشيعي في وسط الأمّة، وامتلاك الشيعة القدرة على مواجهة التحديات، كالانحرافات العقائدية من ادّعاء الإمامة ونشر الإلحاد والزندقة وغيرها، وبذلك حفظ الشريعة من

الضياع، فقد قدّم عليه للأمة النموذج الصالح الذي صنعته مدرسة أهل البيت عليه السلام، ومن أبرز تلك النماذج^(٣٦) تلميذ الإمام الصادق والكاظم عليه السلام هو هشام بن الحكم، فقد قام بمناظرات واحتجاجات كثيرة عالج فيها أبرز المشكلات العقائدية، وقد عقد العلامة المجلسي باباً في البحار^(٣٧) أسماه احتجاجات هشام، فراجع.

هذا، وقد تمّ - بحمد الله - ما أردنا بيانه في هذا المختصر من عرض وتشخيص أبرز المشكلات العقدية التي حدثت في زمانه عليه السلام وكيف قام بعلاجها، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

الاستنتاجات:

أولاً: إظهار الإمام الكاظم عليه السلام القدرات الغيبية من أجل مواجهة الأدعياء وزعماء الفرق والطوائف الضالة في زمانه.

ثانياً: أعطى عليه السلام من خلال مواجهته زعماء وأدعياء الفرق الضالة الأمة حسّاً تربوياً، ولفت أنصارها؛ لكي تتخلص من الحيرة الفكرية وتميّز بين الحق والباطل. ثالثاً: الحفاظ على الروابط والعلاقات الأسرية مهما حدثت من مشاكل في الحياة، وهذا ما فعله عليه السلام مع أخيه عبد الله الأفطح.

رابعاً: إعطاء علماء الشيعة دوراً مهماً في كشف الادّعاء الكاذب لعبد الله الأفطح.

خامساً: مواجهة الإلحاد والزندقة بالمناظرات والمحاورات والاحتجاجات المتينة التي أسهمت في تربية الجماعات الصالحة.

سادساً: أسس عليه السلام منهجاً رئيساً وطريقاً قوياً لشييعته في كيفية معرفة الإمامة ومنع حصول الدسّ والتدليس من مدّعيها.

الهوامش:

- ١- أمّهات المعصومين: ٢٤٥.
- ٢- يُنظر: عمدة الطالب: ١٩٦.
- ٣- يُنظر: إعلام الوري: ٦/٢.
- ٤- يُنظر: الكافي: ١/٤٧٧، ب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام...، ح ٢.
- ٥- هو منزل بين مكّة والمدينة. يُنظر: معجم البلدان: ١/٧٩، مراصد الاطلاع: ١/٤٠٤.
- ٦- يُنظر: المحاسن: ٢/٤١٨.
- ٧- الإرشاد: ٢/٢١٦.
- ٨- يُنظر: منتهى الآمال: ٢/٢٨٧.
- ٩- يُنظر: الأئمة الإثني عشر: ١٢٨-١٣٠.
- ١٠- يُنظر: أعلام الهداية: ٩/١٧-١٨.
- ١١- يُنظر: الإرشاد: ٢/٢٣٧، منتهى الآمال: ٢/٣٣٥، أعلام الهداية: ٩/١٧٣، الأئمة الإثني عشر: ١٣٩.
- ١٢- يُنظر: الملل والنحل: ١/١٦٨.
- ١٣- بحوث في الملل والنحل: ٧/٥٤.
- ١٤- يُنظر: الملل والنحل: ١/١٦٧.
- ١٥- بحوث في الملل والنحل: ٧/٥٤.
- ١٦- الكافي: ١/٣٠٧، ب الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى عليه السلام، ح ١.
- ١٧- الكافي: ١/٣٠٨، ب الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى عليه السلام، ح ٤.
- ١٨- الكافي: ١/٣١٠، ب الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى عليه السلام، ح ١١.
- ١٩- الكافي: ١/٣١٠، ب الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى عليه السلام، ح ١٠.
- ٢٠- يُنظر: الإرشاد: ٢/٢١٦.
- ٢١- وسائل الشيعة: ٢٧/٣٣-٣٤، الباب الخامس من كتاب القضاء، ح ٩.
- ٢٢- الكافي: ١/٤٨٤، ب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، ح ٧.
- ٢٣- مناقب آل أبي طالب: ٣/٤٠٦.
- ٢٤- الخرائج والجرائع: ١/٣١٢-٣١٣، ح ٥.
- ٢٥- يُنظر: قرب الإسناد: ٣٣٩-٣٤٠، الكافي: ١/٢٨٥، ب الأمور التي توجب حجة الإمام عليه السلام، ح ٦.
- ٢٦- يُنظر: الإرشاد: ٢/٢٢١.
- ٢٧- الخرائج والجرائع: ١/٣٠٨-٣١٠.

٢٨- يُنظر: الإرشاد: ٢/ ٢١٠-٢١١.

٢٩- يُنظر: اختيار معرفة الرجال: ٢/ ٥٦٥، الإرشاد: ٢/ ٢٢١-٢٢٢.

٣٠- هم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول بنبوة المسيح عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام. يُنظر: الملل والنحل: ١/ ٢٤٤، حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ٢/ ١٢٦-١٢٧.

٣١- أصحاب مزدك ومزدك هو الذي ظهر في أيام قباد والد أنوشروان ودعا قباد إلى مذهبه فأجابه، وأطلع أنوشروان على خزيه وافترائه فطلبه فوجده فقتله، حكى الوراق: أن قول المزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين إلا أن مزدك كان يقول: إنَّ النور يفعل بالقصد والاختيار والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى وأن المزاج كان على الاتفاق والخبط لا بالقصد والاختيار وكذلك الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال أحلَّ النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء. يُنظر: الملل والنحل: ١/ ٢٤٩، حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ٢/ ١٢٩.

٣٢- وهي من أهمِّ الديانات الفارسية وأكثرها انتشاراً فيما بينهم، وتنسب لنبههم زرادشت، وتقوم عقيدة البعث عندهم على أساس أن للإنسان رسالة على هذه الأرض فإذا أدّاها على أصولها كان له الحقّ بالانضمام إلى الملائكة في الملأ الأعلى، وإذا قصر في أداء رسالته يبقى في عالم الظلام. يُنظر: أصول التشيع: ١٤٥، حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ٢/ ١٣٠، الإلهيات: ٢/ ٥٧.

٣٣- الكافي: ١/ ١٠٥، ب النهي عن الجسم والصورة، ح ٤.

٣٤- الكافي: ١/ ١١٥، ب معاني الأسماء واشتقاقها، ح ٣.

٣٥- يُنظر: الكافي: ١/ ١٠٧، ب صفات الذات، ح ٤.

٣٦- عقد الشيخ عباس القميّ فصلاً ذكر فيه أعظم أصحابه عليه السلام، يُنظر: منتهى الآمال: ٢/ ٣٨٣.

٣٧- يُنظر: بحار الأنوار: ٤٨/ ١٨٩.



المصادر والمراجع:

* الأئمة الإثني عشر، السبحاني، جعفر بن محمد حسين.

* اختيار معرفة الرجال، الطوسي، محمد بن الحسن المتوفى ٤٦٠ هـ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث، قم، ١٤٠٤ هـ.

* الإرشاد، المفيد، محمد بن محمد بن النعمان المتوفى ٤١٣ هـ، تحقيق: مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤ هـ.

* أعلام الهداية، المجمع العالمي لأهل البيت - لجنة التأليف، نشر المجمع العالمي لأهل البيت، قم، ١٤٢٥ هـ. * إعلام الوري، الطبرسي، الفضل بن الحسن المتوفى ٥٤٨ هـ، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٧ هـ.

* الإلهيات، السبحاني، جعفر بن محمد حسين، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم، ١٤١٢ هـ.

* أمّهات المعصومين، الحسيني الشيرازي، محمد بن المهدي المتوفى ١٤٢٢ هـ، مركز الجواد للتحقيق والنشر، بيروت، ١٤٢٤ هـ.

* بحار الأنوار، المجلسي، أبو عبد الله محمد باقر بن محمد تقي المتوفى ١١١١ هـ، تحقيق: يحيى العابدني الزنجاني- عبد

الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

* بحوث في الملل والنحل، السبحاني، جعفر بن محمد حسين، مؤسسة النشر الإسلامي- مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام. * حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، القرشي، باقر بن شريف بن مهدي بن ناصر المتوفى ١٤٣٣ هـ، دار البلاغة، بيروت، ١٤١٣ هـ.

* الخرائج والجرائح، الراوندي، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن عبد الله المتوفى ٥٧٣ هـ، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩ هـ.

* عمدة الطالب، الحسيني، أحمد بن علي بن الحسين المتوفى ٨٢٨ هـ، تحقيق: محمد حسن آل الطالقاني، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٠ هـ.

* قرب الإسناد، الحميري، أبو العباس عبد الله بن جعفر المتوفى ٣٠٤ هـ، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٣ هـ.

* الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب المتوفى ٣٢٩ هـ، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣١٦ هـ. * المحاسن، البرقي، أحمد بن محمد بن خالد المتوفى ٢٧٤ هـ، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠ هـ.

* مراصد الاطلاع، البغدادي، عبد

المؤمن المتوفى ٧٣٩هـ، تحقيق: علي محمد بجاوي، دار الجليل، بيروت، ١٤١٢هـ.

* معجم البلدان، الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله المتوفى ٦٢٦هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ.

* الملل والنحل، الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم المتوفى ٥٤٨هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاي، دار المعرفة، بيروت.

* مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، محمد بن علي المتوفى ٥٨٨هـ، تحقيق: لجنة

من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ.

* منتهى الآمال، القمي، عباس بن محمد رضا المتوفى ١٣٥٩هـ، جامعة مدرسين، قم، ١٤٢٢هـ.

* وسائل الشيعة، الحر العاملي، محمد بن الحسن المتوفى ١١٠٤هـ، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.



التربية النفسية والأخلاقية والاجتماعية عند

الإمام الكاظم (عليه السلام)

م . م . عقيل حسن جاسم

كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) أقسام ذي قار - قسم التاريخ

الملخص:

الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)، الملقب بالكاظم (عليه السلام)، يُعدُّ شخصية بارزة في تاريخ الإسلام، فإنَّه الإمام السابع في التسلسل الشيعي، وُلد في عام ١٢٨ هـ، ورحل عن هذه الدنيا في عام ١٨٣ هـ، تأثرت حياة الناس بشكل كبير بتعاليمه الروحانية والأخلاقية والاجتماعية.

عاش الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) معاناةً كبيرةً خلال حياته، حيث شهد معاناة والده للتحديات والتهديدات من السلطات العباسية، وكان مضطراً للتستر وعدم الكشف عن هويته حتى أمام بعض أتباعه، وكان ينبغي عليهم الحذر والتكتم، بدأ الإمام الكاظم (عليه السلام) مسيرته الأمامية في ظروف صعبة، فكانت حياته مليئة بالتحديات والعداء من قبل السلطات العباسية المعادية. ومن الواضح أنه اضطر إلى ممارسة التقية حتى مع شيعته لحمايتهم وحماية نفسه من الاضطهاد والانتقام الذي كان يلاحق أتباع أهل البيت (عليهم السلام)، التقية هنا لا تعني الانكسار أو الاستسلام، بل تعني حفظ الدين والنفس والحفاظ على الأمان، استخدم الإمام (عليه السلام) هذه الاستراتيجية للدفاع عن الإسلام وأتباعه بشكل سري، دون التخلي عن مبادئ الجهاد والمقاومة ضد الظلم والطغيان.

من هنا، نجد أنَّ الإمام عليه السلام قد دافع دفاعاً حثيثاً عن الدين في كل المجالات، بما في ذلك التربية والأخلاق والاجتماع حتى أثناء سنوات اعتقاله.

الكلمات المفتاحية: التربية النفسية ، الأخلاقية ، الإجتماعية، الإمام
الكاظم عليه السلام



Abstract

Imam Al-Kadhim also known as Imam Musa Al-Kadhim, is a prominent figure in Islamic history, representing the seventh Imam in the Shia sequence. He was born in 128 H and passed away in 183 AH. His spiritual, ethical, and social teachings greatly influenced people's lives.

Imam Musa Al-Kadhim endured great suffering throughout his life. He witnessed his father's struggles against challenges and threats from the Abbasid authorities, forcing him to conceal his identity even from some of his followers, who had to exercise caution and secrecy. Imam Al-Kadhim began his Imamate under difficult circumstances, facing challenges and hostility from hostile Abbasid authorities. It's evident he had to practice Taqiyya, even with his Shia followers, to protect them and himself from persecution and retaliation targeting the followers of the Ahl al-Bayt. Here, Taqiyya doesn't imply submission but rather preservation of religion, self, and safety. The Imam utilized this strategy to clandestinely defend Islam and its followers without abandoning the principles of jihad and resistance against injustice and tyranny. Thus, we find that the Imam was a relentless defender of religion in all aspects, including education, ethics, and society, even during his years of imprisonment.

key words: Psychological, moral, social education, Imam Al-Kadhim (peace be upon him)



المقدمة :

الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، شخصية فريدة ومميّزة في تاريخ الإسلام، فقد كان له دور كبير وواضح في تنمية الإنسان المسلم وتوجيهه نحو معنى الحياة الصالحة، كانت حياته مثلاً للتفاني والتفاهم والعفو، هذا الإمام العظيم لم يكتف بمجرد القيام بالواجبات الشرعية، بل تجاوز ذلك إلى تربية النفوس وتحسين السلوكيات، كانت تعاليمه تنطلق من العقل والقلب وتمتد إلى سلوكيات الحياة اليومية، محاولاً نشر روح التسامح والعطف والتواصل بين الناس، كان الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) يواجه التحديات بصبر وحكمة، ولم ينجس في دوامة الغضب أو الانتقام، بل كان دائماً يسعى لتعليم الآخرين قيم الإحسان والعفو في حياته، ويجسد روح الإسلام الحقيقي بشكل كامل، حيث كانت عبادته خالصة لله ومحبة، وخضوعه لأوامره كان السمة البارزة في حياته، كانت صلواته ممتدة وخاشعة، تعبّر عن عمق ارتباطه بالله وحبّه العميق له. كان يطلب الراحة عند الموت والعفو في الحساب، مظهراً تواضعه واعترافه بقوة الله وحكمته. كانت سياسته حكيمة متوازنة بين النشاط والإمساك، والكمون والحركة، حيث كان يسعى دائماً لصالح الإسلام والمسلمين بغض النظر عن الظروف، وكان يعتمد على الحكمة والتدبير في تعامله مع الأمور السياسية والاجتماعية.

ان أهمية دراسة حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) تكمن في تعزيز الشخصية الإسلامية المتوازنة، والابتعاد عن الانحرافات التي يمكن أن تؤدي إلى ضياع الهوية الإسلامية وبالتالي التبعية للثقافات الغربية. لقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي كمنهج مناسب لهذا نوع من البحوث، وقسمت الدراسة الى ثلاث مباحث تسبقها مقدّمة البحث، المبحث الأول: التربية

النفسية ، و المبحث الثاني : التربية الأخلاقية ، و المبحث الثالث : التربية الاجتماعية ، ومن ثمّ خاتمة البحث التي تضمنت أبرز النتائج.

وفي مقدّمة البحث نتناول بإطلالة مختصرة على حياة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام):

التمهيد:

نبذة عن حياة الامام الكاظم (عليه السلام)

هو الإمام موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) السابع من أئمة أهل البيت، وأمه حميدة البربرية أو المصفاة^١، ولد بالأبواء^٢ في شهر صفر سنة ١٢٨ هـ - ٧٤٥ م في أيام حكم عبد الملك بن مروان ، وكانت مدّة إمامته ٣٥ عاماً ، واستشهد سنة ١٨٣ هـ - ٨٠٠ م .

ومن ألقابه: الكاظم، الصابر، الزاهر، العالم، العبد الصالح، باب الحوائج^٣.

أولاده: له سبعة وثلاثون، ثمانية عشر ابناً، وسبعة عشر بنتاً أشهرهم: الإمام الرضا (عليه السلام) ، والقاسم واحمد ومحمد العابد وحكيمة التي تولت ولادة الإمام الجواد (عليه السلام) وفاطمة المعصومة ومرقدها في إيران^٤.

من زوجاته: السيدة الجليلة ((تكرم)) أم الإمام الرضا (عليه السلام)

صفته: كان اسمرَ شديد السُمرّة، معتدل القامة، كثّ اللحية، حسن الوجه، نحيف الجسم، له هيبة وجلال^٥.

قد شهد له أبوه الصادق (عليه السلام) بوفرة علمه فقال عنه : ((إنَّ ابني هذا لو سألتَه عما بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم)) وقال ايضاً ((وعنده

علم الحكمة، والفهم، والسخاء، والمعرفة بما يحتاج اليه الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم)) وقال الشيخ المفيد: وقد روى الناس عن أبي الحسن موسى فأكثرُوا وكان أفقه أهل زمانه^٧.

وعن ((داود بن قبيصة عن الامام الرضا عليه السلام أنه قال: سأل رجلُ أبي: هل منع الله عما أمر به؟، وهل نهى عما أراد، وهل أعان عما لم يُرد؟ فقال: أما قولك هل منع الله عما أمر به فلا يجوز ذلك عليه، ولو جاز ذلك لكان قد منع ابليس عن السجود لأدم، ولو منعه لعذره ولم يلغنه))^٨.

((وأما قولك هل نهى عما أراد، فلا يجوز ذلك، ولو جاز ذلك لكان حيث نهى ادم عن أكل الشجرة، أراد منه أكلها، ولو أراد منه أكلها، لما نادى عليه صبيان الكتائب: وعصى آدم ربه فغوى، والله تعالى لا يجوز عليه أن يأمر بشيء ويريد غيره)).

((وأما قولك: هل أعان عما لم يرد، فلا يجوز ذلك عليه وتعالى الله عن أن يُعين على قتل الأنبياء وتكفيرهم، وقتل الحسين بن علي والفضلاء من ولده، وكيف يُعين على ما لم يُرد وقد اعدَّ جهنم لمخالفيه ولعنهم على تكذيبهم لطاعته وارتكابهم لمخالفته، ولو جاز أن يُعين على ما لم يرد، لكان اعان فرعون على كفره وادعائه أنه رب العالمين، أفترى أنه أراد من فرعون أن يدعي الربوبية، ومضى الإمام يقول: يُستتاب قائل هذا القول، فإن تاب من كذبه على الله وإلا ضُربت عنقه))^٩.

وروى الرواة عن الحسن بن علي بن محمد العسكري عليه السلام أن أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: ((إنَّ الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون، فأمرهم ونهاهم، فما أمر به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الاخذ به،

وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ، ولا يكونون
آخذين ولا تاركين الا بإذنه ، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته بل
اختبرهم بالبلوى ، كما قال : ليلوكم أيكم أحسن عملاً^{١٠} .

وهاتان قطرتان من بحر علم الإمام الكاظم عليه السلام وما اتسع لها محل
الشاهد ، ولأننا لسنا بصدد علم الإمام عليه السلام ، فلو كان البحث في علمه لما
استوعبته أسفار ، ولا ريب لأنه سليل أهل بيت النبوة الذين زُقوا العلم زقاً .

نشأ الإمام موسى عليه السلام في بيت القداسة والتقوى ، وترعرع في معهد
العبادة والطاعة ، ورأى جميع صور التقوى ماثلة في بيته ، فصارت من
مقومات ذاته ومن عناصر شخصيته ، حتى أنه كان أعبد أهل زمانه
وأفقههم واسخاهم كفاً وأكرمهم نفساً ، وانه اذا وقف بين يدي الله
تعالى مصلياً او مناجياً أو داعياً ، أرسل ما في عينيه من دموع وخفق قلبه
واضطرب خوفاً من الله ، وقد شغل اغلب أوقاته في الصلاة ، فكان يصلي
نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ، ثم يعقب حتى تطلع الشمس ، ويحضر
الله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتمجيد حتى يقرب زوال الشمس^{١١} .

كان الإمام عليه السلام أجَلَ أولاد الإمام الصادق عليه السلام قدراً ، وأعظمهم محلاً ،
وأبعدهم في الناس صيتاً ، ولم يُر في زمانه أسخى منه ولا أكرم نفساً ، وكان
يبلغه عن الرجل انه ينال منه فيبعث اليه بصرّة فيها الف دينار ، وكان يُضرب
المثل بضرر الاموال التي يتصدق بها ، حتى قيل : عجباً لمن جاءته صرة
موسى فشكا الفقر ، ومرّ برجلٍ فرآه كئيباً ، فسأله عن السبب قال : لحقتني
الديون من اجل حقل زرعته بطيخاً ، وقثاءً وقرعاً ، فلما استوى الزرع
وقرب الخير جاء الجراد فأتى عليه ولم يبق منه شيئاً ، فذهب الزرع وبقيت
الديون ، فأعطاه الإمام عليه السلام ما كان يأمله من زرعه ، فوقى ديونه وبقيت معه

فضلة جعل الله فيها البركة كما حدّث صاحب الزرع ، وكان كآبائه وأجداده يتفقّد الفقراء ويحمل إليهم في الليل الطعام والمال وهم لا يعرفونه ١٢ .

وقد تربّى وترعرع الإمام الكاظم عليه السلام في حجر أبيه الإمام الصادق عليه السلام صاحب المدرسة الاسلامية ، فعندما اصبح يافعاً أخذ يحضر الدروس التي يلقيها أبوه في هذه المدرسة ، ويدوّن ما يأمره به من العلم ، وكان الصادق عليه السلام يوجه الناس الى ولده ويرشدهم نحوه ويأمرهم بطاعته وإيكال بعض الأسئلة إليه لينشر فضله وعلمه ، وعاش مع أبيه عليه السلام منذ ولادته عام (١٢٨) حتى عام (١٤٨) أي (٢٠) عاماً ١٣ .

ونلخص الظواهر البارزة التي عاشها الإمام الكاظم عليه السلام في ظل أبيه عليه السلام على النحو الآتي:

١- نموّ ظاهرة التمردّ على السلطة الأمويّة والاعتقاد بأهمية الثورة والدعوة للعلويين الذين يشكّلون الخطّ المناهض للحكم الأموي ، حتّى أصبح شعار الدعوة الرضا من آل محمد عليه السلام .

٢- ظهرت على المسرح السياسي مقدّمات نشوء الدولة العباسية ، وقرّر العباسيون أن يكون الخليفة محمداً ذا النفس الزكية ، لكنّهم دعوا الناس الى بيعه العباسيين سرّاً ، وعيّن إبراهيم الإمام عليه السلام في حينها غلامه أبا مسلم الخراساني قائداً عسكرياً على خراسان ، وأوصاه بالقتل على التهمة لخصومه الأمويين .

٣- تركّزت نشاطات الإمام جعفر الصادق عليه السلام في هذه المرحلة نحو البناء الخاص ، ومعالجة التحدّيات التي كانت تعصف بالوجود الشيعي ، وذلك من خلال عدّة اتجاهات ، هي:

أ- قرّر الإمام الصادق عليه السلام لزوم الحياد وعدم المشاركة في الأوضاع السياسية ، وأسّس جامعة أهل البيت عليه السلام لمواجهة المد الفكري المنحرف الذي رُوّج له الأمويون ، وكان للإمام الكاظم عليه السلام دورٌ بارزٌ في مدرسة أبيه عليه السلام في هذا الظرف بالذات ^{١٤}.

ب- تهيئة الأذهان لاستقبال قيادة وإمامة الكاظم عليه السلام والإيمان بإمامته، فقد جاء عن المفصل بن عمر أنه قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام، فدخل أبو إبراهيم موسى وهو غلام فقال لي أبو عبدالله عليه السلام: ((استوص به وضع أمره عند من تثق به من أصحابك))^{١٥}

ج- مواجهة الإمام الصادق عليه السلام للتيار الاسماعيلي وإخباره للشيعه بأن إسماعيل ليس الإمام من بعده ، وعندما توفي إسماعيل حضر حشداً من الشيعة ليخبرهم بحقيقة موته ، لئلا يستغل المنحرفون موته لتمزيق الكيان الشيعي^{١٦}.

٤-عاصر الإمام الكاظم عليه السلام معاناة ابيه الصادق عليه السلام ، وشاهد الاستدعاءات المتكررة له من قبل المنصور حتى استشهاده عليه السلام بعد الوصية لابنه الكاظم عليه السلام وإبلاغها لخواص شيعته وربط عامة الشيعة بإمامته ، ومن هنا نجد ان دور الإمام الكاظم عليه السلام أمام هذه الأحداث هو دور التابع لإمام عصره ، وهو الامام الصادق عليه السلام ، يقول ويفعل ما يأمره ، فكان وكيلاً عن أبيه في إدارة جامعة أهل البيت التي أسسها أبوه عليه السلام لمواجهة التيارات المنحرفة التي رُوِّج لها الأمويون.

النصّ على إمامته: -

كان أبوه الصادق عليه السلام يخشى عليه من المنصور ، لذلك جعله من خمسة
أوصياء في وصيته المشهورة التي بدد فيها تخطيط المنصور لاغتياله، وممن

روى صريح النصّ بالإمامة من أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) على ابنه أبي الحسن موسى (عليه السلام) شيوخ أصحاب أبي عبد الله وخاصته وبطانته وثقاته والفقهاء الصالحين - رضوان الله عليهم - ، ومنهم: روى ابن مسكان، عن سليمان بن خالد قال: دعا أبو عبد الله أبا الحسن (عليه السلام) يوماً ونحن عنده فقال لنا: ((عليكم بهذا بعدي فهو والله صاحبكم بعدي))^{١٧}

وروى محمد بن الوليد قال: سمعت علي بن جعفر الصادق (عليه السلام) يقول: سمعتُ الامام الصادق (عليه السلام) يقول لجماعة من خاصته واصحابه: ((استوصوا بابني موسى خيراً فإنّه أفضل ولدي ومن أخلف من بعدي ، وهو القائم مقامي والحجة لله تعالى على كافّة خلقه من بعدي))^{١٨}

وروى موسى الصيقل عن المفصل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فدخل أبو إبراهيم موسى (عليه السلام) وهو غلام ، فقال لي أبو عبد الله: ((استوص به وضع أمره عند من تثق به من أصحابك))^{١٩}

وروى عبد الأعلى عن الفيض بن المختار قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) خذ بيدي من النار من لنا بعدك قال: فدخل أبو ابراهيم - وهو غلام - فقال: ((هذا صاحبكم فتمسك به))^{٢٠}

المبحث الأول : التربية النفسيّة

الإمام الكاظم (عليه السلام) كان مثلاً حياً للسلوك النبيل والتحلي بالصبر والرضا عند مواجهة التحديات ، تعلّم الناس منه كيفية التعامل مع الضغوط والصعوبات بروح الثبات والإيمان ، و كان يشجّع على التفكير العقلاني والتأمّل ، مما يسهم في تنمية الوعي والفهم لدى الأفراد ، الإمام الكاظم (عليه السلام) حثّ أصحابه على محاسبة أنفسهم والنظر في أعمالهم ، فإن كانت حسنةً استزادوا منها ، وإن كانت سيئةً طلبوا من الله المغفرة



والرضوان ، قال ﷺ : ((ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فإن عمل حسناً استزاد منه ، وإن عمل سيئاً استغفر الله منها وتاب إليه)) ٢١ .

لا سيّما أنّه ينبغي على العبد أن يراقب نفسه في جميع أعماله ، ويلاحظها بالعين الخالصة ، لأنها إن تُركت بلا مراقبة فسدت وأفسدت ، ثم عليه أن يراقب الله في كل حركة وسكون ، وذلك بأن يعلم بان الله مطلع عليه وعلى ضميره ، خبير بسرائره ، رقيب على أعماله ، قائم على كل نفس بما كسبت ، وأن سرّ القلب عنده مكشوف ، كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف ، بل أشدّ من ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ٢٢ .

وقال تعالى أيضاً : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ ٢٣ .

وقال النبي الأكرم ﷺ : ((الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) ٢٤ .

ويروى أن زليخا لما خلت بيوسف ﷺ قامت فغطت وجه صنمها ، فقال يوسف ﷺ : ((مالك تستحين من مراقبة جمادٍ ولا استحي من مراقبة الملك الجبار ؟)) ٢٥ .

ولا ريب أن المراقبة تحصل من معرفة الله ، والعلم بأنّه تعالى مطلع على الضمائر ، عالم بما في السرائر ، بمرأى منه وبمسمع ، هؤلاء هم الورعون أصحاب اليقين ، غلب اطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم ، ولم يدهشهم ملاحظة الجمال والجلال ، بل بقيت قلوبهم على حدّ الاعتدال ، متّسعة للتلفّات إلى الأحوال والأعمال والمراقبة فيها ، وغلب عليهم الحياء من الله ، فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت ، ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في يوم القيامة ، فإنّهم يرون الله عليهم ، فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة .

قال الفقهاء : إن العبد لا يخلو إما أن يكون في طاعة أو معصية أو مباح^{٢٦}، فمراقبته في الطاعة بالإخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها من الآفات ، ومراقبته في المعصية بالتوبة والندم والإقلاع والحياء والاشتغال بالتفكير ، ومراقبته في المباح بمراعاة الأدب ، بأن يقعد مستقبل القبلة وينام على اليد اليمنى مستقبلاً إلى غير ذلك ، فكل ذلك داخل في المراقبة ، وبشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها ، وبالصبر على البلاء فإن لكل واحد منها حدوداً لا بدّ من مراعاتها بدوام المراقبة.

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾^{٢٧}.

وقال الإمام علي عليه السلام : ((رحم الله امرأ عرف حدّه فوقف عنده))^{٢٨}.

قال الإمام الكاظم عليه السلام : ((يا هشام إن العاقل اللبيب من ترك ما لا طاقة له به ، وأكثر الصواب في خلاف الهوى ، ومن طال أمله ساء عمله))^{٢٩}.

وقال الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً : ((من تعظّم في نفسه لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض ، ومن تكبر على إخوانه واستطال عليهم فقد ضادّ الله ، ومن ادّعى ما ليس له فهو أغنى لغير رشده))^{٣٠}.

أما الذين يصابون بالعقد والآلام النفسيّة ، أو يعانون كابوس اليأس والقنوط ، هم في الواقع أناسٌ غير مطلّعين على استعداداتهم وإمكاناتهم وطاقاتهم الكامنة فيهم كي يسدوا عوزهم بالإفادة ممّا فيهم من قوى وطاقات ، ويستبدلوا ما فيهم من نقص بالكمال ، ولذا فمن الضروري لهؤلاء السعي الحثيث لاكتشاف أنفسهم ، وقد أكّد العلماء على معرفة النفس ضمن الأمور التي ترتبط منها بالإنسان ، كذلك في العهد الحاضر يعدّ تعلّم أصول معرفة النفس من أهمّ المواضيع في علم النفس الطبي،

هذا، والعصر الحاضر عصر الدراسات العميقة بشأن الطبيعة الإنسانية وعصر علم النفس بالمعنى الفني والاختصاصي العام.

لا سيَّاً أنَّ مشكلة معرفة النفس والجهل بحاجاتها الروحية حقيقة لا يمكن إنكارها، في حين أن الجهال منَّا يظنون أنَّهم يعرفونها أفضل من الجميع، وأنهم مطلَّعون على علل دوافعها وأفكارها وسلوكها، ومن ثمَّ مطلَّعون على باطنهم تماماً، ومشكلة عدم معرفة النفس هي العلة لكثير من الأخطاء ولسوء الفهم ولإصدار الأحكام الظالمة، ممَّا يستدلُّ به على أنَّ رؤية الإنسان لأساس هذه المشاكل رؤية غاطسة في الجهل بالإمكانات التي أودعتها يد الخالق في وجود الإنسان وكميَّتها وكيفيتها، ولا ننسى الدور الذي تؤدِّيه الوراثة والتربية والمحيط الاجتماعي والبيئة في نظام الحياة النفسية، إضافة إلى سيطرة الأهواء والنقائص على الإنسان، ولنا في الحكم العباسيين دليل واضح على ذلك، وفي العصور القديمة كان الفلاسفة يؤكِّدون على معرفة النفس ضمن الأمور التي ترتبط بالإنسان، كما نلاحظ في وقتنا الحاضر أن تعلِّم أصول معرفة النفس يعدُّ من أهمِّ المواضيع في علم الطب النفسي، في هذا العصر ظهرت سلسلة من البحوث القيمة بشأن علم النفس بالمعنى الاختصاصي العام.

ولهذا فإن الرسول الأكرم ﷺ ينبِّه الناس إلى أن يجتنبوا اتباع الهوى فيقول: ((إياكم والهوى، فإن الهوى يعمي ويصم))^{٣١}.

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: ((لا يغرِّبك الناس من نفسك، فإن الأمر يصل إليك دونهم، ولا تقطع نهارك بكذا وكذا، فإنَّ معك مَنْ يحفظ عليك عملك، وأحسن فإني لم أر شيئاً أحسن دركاً ولا أسرع طلباً من حسنة محدثة لذنوب قديم))^{٣٢}. وروى الكليني أيضاً عن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام قال: ((لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا

قليل الذنوب فإن قليل الذنوب يجتمع حتى يصير كثيراً ، وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف ، وسارعوا إلى طاعة الله وأصدقوا الحديث وأدّوا الأمانة ، فإنما ذلك لكم ، ولا تدخلوا فيما لا يحلّ لكم ، فإنما ذلك عليكم) ٣٣ . وقال ﷺ أيضاً : ((ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فإن عمل حسناً استزاد الله ، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه)) ٣٤ .

المبحث الثاني : التربية الأخلاقية

لقد حثّ القرآن الكريم على حسن الخلق ورغب فيه ، ودعا إليه بأسلوب هو غاية في الروعة والأداء ، فيه التشويق إلى العطاء الذي ما بعده من عطاء ، ألا وهو قرض الله قرضاً حسناً ، وهل هناك أكرم وأعظم من هذا الذي نقرضه ؟ إنه العليّ القدير ، الرحمان الرحيم ربّ العالمين ، فاطر السماوات والأرض صاحب العرش العظيم ، قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ٣٥ .

فأي تلطّف من ربّ العالمين تبارك وتعالى في هذا التعبير الذي يجعل الإحسان بمثابة الإقراض ؟ ، وإنما يقترض المحتاج ، والله غنيّ عن العالمين ، له ملك السماوات والأرض ومن فيهن ، ولقد جاء التعبير بمثل هذه الصورة نيابة عن الفقراء والمحتاجين ودفاعاً عنهم ، وما قيمة امرئ يبخل بإقراض بعض المال لواهبه الذي سيردّه بلا ريب أضعافاً مضاعفة!! والإمام الكاظم ﷺ لهذا كلّ حثّ أصحابه على التحلّي بالسخاء وحسن الخلق ، قال ﷺ : ((السخي الحسن الخلق في كنف الله ، لا يتخلّى الله عنه ، حتى يدخله الجنة ، وما بعث الله نبياً إلا سخيّاً ، وما زال أبي يوصيني بالسخاء وحسن الخلق...)) .

وقد عمل عليه السلام بوصية أبيه عليه السلام ، ثم بوصية جده الرسول الأكرم صلوات الله عليه الذي قال : ((ألا أخبركم بأحبّكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ؟ أحاسنكم أخلاقاً الموطّئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ...))^{٣٦}.

مكارم الأخلاق

سأل رجل رسول الله صلوات الله عليه عن حسن الخلق ، فتلا قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^{٣٧} ، ثم قال صلوات الله عليه : ((وهو أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك)).

وقال صلوات الله عليه : ((إن الخلق الحسن ليميت الخطيئة كما تميث الشمس الجليلد))^{٣٨}.

وجاء في الكافي عن الإمام الباقر عليه السلام قال : ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)).

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال : ((ما يتقدم المؤمن على الله عز وجل بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من أن يسع الناس خلقه))^{٣٩}.

والإمام الكاظم عليه السلام عني بهذه الظاهرة ، فكان دوماً يوصي أصحابه بالتحلي بالصفات الكريمة ، ليكونوا بسلوكهم وهداهم قدوة صالحة لهم وللمجتمع ، حتى يستطيعوا نشر مفاهيم الخير والصلاح بين الناس.

وفي معنى الخلق وكيفيته وتهذيبه : قال العلماء : ليس الخلق عبارة عن الفعل ، فربّ شخص خلقه السخاء ، ولا يبذل إما لفقد المال أو لمانع آخر ، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء ، ولا عبارة عن القدرة لأن نسبة القدرة إلى الضدين واحدة ، ولا عن المعرفة

فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقيح جميعاً على وجه واحد ، بل هو عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة.

وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لابد من حسن الجميع ل يتم حسن الظاهر ، فكذلك لابد من الباطن من أربعة لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهي: قوة العلم ، وقوة الغضب ، وقوة الشهوة ، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث:

١ - قوة العلم : فحسنها وصلاحتها من أن تصبر بحيث يسهل لها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال ، وبين الحق والباطل في الاعتقادات ، وبين الجميل والقيح في الأفعال ، فإذا تحصلت هذه القوى حصل منها ثمرة الحكمة التي هي رأس الأخلاق الحسنة ((ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً))^{٤٠}.

٢ - قوة الغضب : وأما قوة الغضب والشهوة فحسنهما في أن يقتصر انقباضهما وانبساطهما على حد ما تقتضيه الحكمة والدين.

٣ - قوة العدل : وأما قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع ، فالعقل منزلته منزلة الناصح والمشير ، وقوته القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضي لإشارته ، والغضب والشهوة تنفذ فيهما الإشارة.

ومثال الغضب مثال كلب الصيد ، فإنه يحتاج إلى أن يؤدب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الإشارة لا بحسب هيجان النفس ، ومثال الشهوة مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد ، فإنها تارة تكون مروّضاً مؤدباً ، وتارة تكون جموحاً ، فمن استولت فيه هذه

الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقاً ، ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالإضافة إلى ذلك المعنى خاصة ، كالذي يحسن بعض أجزاء وجهه دون البعض .

نموذج للأخلاق العالية والتقوى . كان يحث على التسامح والرحمة والعدالة في التعامل مع الآخرين ، دعا إلى ممارسة فنون الحوار وحل النزاعات بطرق سلمية وبناءة .

لقد اصاب القيم الاسلاميّة جمود واهتزاز بفعل سياسة الخلفاء الفاسدين ، وتعرضت الأمة الى هبوط معنوي وتمييع مشهود ، وهنا تطلب من الإمام عليه السلام إن يحدّد من هذا الانهيار الأخلاقي ، فعلى هذا الصعيد قام الإمام عليه السلام بما يأتي^{٤١} :

١ - كان الإمام موسى الكاظم عليه السلام يتفقد فقراء المدينة ، فيحمل اليهم الطعام في الليل وهم لا يعلمون من أين ، وكان يصل بالمئة دينار الى ثلاثمئة دينار ، وكانت صرار موسى مثلاً^{٤٢} .

وهذا الامر ذكره الكثير من المؤرخين ، ونستنتج من هذا أنّه كان للإمام عليه السلام غايتان هما :

الأولى : إن الإمام عليه السلام أراد من هذا تشجيع أفراد المجتمع المسلم على التكافل ، لكي لا يبقى في المجتمع فقير ومحتاج .

الثانية : هي ان تكون الصدقة في السرّ ، لكي لا يشعر المحتاج بالذلّ والخجل ، حيث إن الإمام عليه السلام طول حياته لم يخبر أحداً عن صدقاته الليلة ، ولكن أدرك الناس انه هو من كان يتصدق لانقطاعها بعد حبسه .

٢ - التقرب الى الناس ومجالستهم بكل طوائفهم ودياناتهم اغنياء وفقراء ، وهو الإمام المفترض الطاعة وحجة الله على خلقه ، والتعامل معهم سواءً بسواء .

ومن ذلك ما روي عنه (عليه السلام) أنه مرَّ برجل من أهل السواد دميم المنظر، فسلم عليه ونزل عنده وحادثه طويلاً، ثم عرض عليه القيام بحاجته ان عرضت له، فقيل له: يا ابن رسول الله ﷺ أنتزل الى هذا ثم تسأله عن حوائجه وهو اليك أحوج؟ فقال (عليه السلام): ((عبد من عبید الله واخ في كتاب الله وجار في بلاد الله يجمعنا وإياه خير الآباء ادم وأفضل الأديان الإسلام)).

ونستنتج من هذه الحادثة أمرين هما:

الأول: أراد الإمام (عليه السلام) أن يرجع بالمجتمع الإسلامي الى عهد الرسول ﷺ وأنه لا فرق بين عبد وسيّد أو ابيض واسود أو عربي ولا أعجمي الا في التقوى الثاني: ان حكم الناس لا يتطلب قصوراً وعروشاً وإنما معرفة أحوال الناس وقضاء حوائجهم من خلال التعامل معهم والعيش في بيئتهم ٣- ومن أهم الأمور التي كان الإمام يعنى بها هي الإرشاد والتوجيه لكل الناس ليربي في أنفسهم الأخلاق التي أَرادها الله من عباده على لسان نبيه ﷺ ((افضلكم ايمانا أحسنكم اخلاقاً)) ومن ذلك حادثة بشر الحافي (٤٣):

وذكر في سبب توبته ان الامام (عليه السلام) حين اجتاز على باب داره ببغداد، سمع الملهي واصوات الغناء والقصب تعلو من داره، وخرجت منه جارية ويدها قمامة فرمت بها في الطريق فالتفت الامام اليها قائلاً: (يا جارية صاحب هذا الدار حرٌّ أم عبد؟ فأجابت (حرٌّ) فقال (عليه السلام): (صدقت، لو كان عبداً لخاف من مولاه) فوصل الخبر الى بشر فخرج مسرعاً حتى لحق الامام (عليه السلام) وتاب على يديه واعتذر منه وبكى، واخذ في تهذيب نفسه ففاق أهل عصره في الورع والزهد.

ونستنتج من هذه الحادثة عدة أمور منها:-

أ- مدى التفسخ الاخلاقي الذي كان عليه المجتمع، والدليل ان صوت الغناء والآلات كان يسمعه من يَمُرُّ بباب بشر الحافي

ب- مدى تأثير كلمات الامام عليه السلام وهي بضع كلمات ، ومدى تأثير شخصيته ، فهو لم يحاضر ولم يخطب بل اكتفى بقول ((صدقتم لو كان عبداً لخاف من مولاه))^{٤٤}

ج- مدى التأثير النفسي للأمام عليه السلام بحيث أن بشراً عندما جاءته الجارية بالخبر وسألها عن أوصاف من قال لها ذلك لم يتمالك نفسه ففزع حافياً مهرولاً خلف الامام عليه السلام حتى التقى به عليه السلام وحوله من بشر الخمار الى بشر الحافي لأنه لحق الامام عليه السلام حافياً وأصبح بعد ذلك من العباد

٤- واجه الإمام عليه السلام مَنْ أراد الانتقاص منه أو سبّه بأسلوب أخلاقي يتناسب مع أهداف الرسالة ، ليذكر الأمة بأخلاق جدّه الرسول ﷺ وقوله ((انها بعثت لأتمم مكارم الاخلاق))^{٤٥}

ومن ذلك ما روي عن الحسن بن محمد ان رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن عليه السلام فكان يسبه اذا رآه ويشتم علياً عليه السلام ، فقال له بعض حاشيته : دعنا نقتله ، فنهاهم عن ذلك وزجرهم اشد الزجر ، وسأل عن العمريّ في احد الايام ف قيل له: انه يزرع بناحية من نواحي المدينة ، فذهب اليه الامام عليه السلام ودخل الى مزرعته بحماره ، فصاح العمريّ : لا تطأ زرعنا ، فانهى اليه الامام عليه السلام وجلس عنده وقال له: كم غرمت في زرعك هذا؟ قال: مائة دينار، فقال له: كم ترجو ان تصيب منه ؟ ، قال: أنا لا نعلم الغيب، فقال

له الامام عليه السلام : أنا قلت لك كم ترجوان يحيئك منه، قال: أرجوان يحييني مائتا دينار، فأعطاه ثلاثمائة دينار وقال: هذا زرعك على حاله، فقام العمري وقبّل رأس الإمام عليه السلام وانصرف، فذهب الإمام عليه السلام الى المسجد فوجد العمري جالساً، فلما نظر الى الامام عليه السلام قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته، وجعل يدعو للإمام كلما دخل وخرج، فقال الإمام عليه السلام لحاشيته الذين ارادوا قتل العمري)) أيما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت ان أصلح أمره بهذا المقدار؟))^{٤٦}

نستنتج من هذه الحادثة ان الإمام عليه السلام أعطى من خلاها الكثير من الدروس الأخلاقية والتربوية لأصحابه وللمجتمع ومن تلك الدروس:-
الأول: ان من أخلاق المؤمن يجب ان لا يكون متسرعاً ويقوده غضبه،
لأن وكما قال الامام علي عليه السلام : ((لا تغضبوا ولا تغضبوا، افشوا السلام واطبوا الكلام))^{٤٧}

الثاني: ان لا يجابه الإساءة بالإساءة، بل المؤمن له في الرسول والأئمة عليه السلام أسوة حسنة في مجابهة الإساءة بالإحسان

الثالث: برهن الامام عليه السلام للعمري بالدليل العقلي بأنه إمام مفترض الطاعة وحجة الله على خلقه والامتداد الطبيعي للرسول ﷺ وولده وتجسداً لأخلاقه، وقد أذعن العمري لذلك بقوله : الله أعلم حيث يجعل رسالته.

٥- تصدى الإمام عليه السلام للانهيار الأخلاقي الذي تفشّى في العصر العباسي عامة وفي عهد المنصور خاصة من خلال سياسة لا توجه الانظار اليه، ولا سيما انه كان مراقباً من لدن السلطات، فكان تصديّه من خلال الكلمة القصيرة ذات المعنى الكبير، فكانت كالمصل يحقن به جسد المجتمع

الاسلامي الذي اصابته غيوبة وسلّم للفساد والميوعة ، ليرجع به الى الحياة ذات القيم والأخلاق الإسلامية ، ومن تلك الكلمات :

- قال ﷺ لبعض شيعته: ((أي فلان، اتق الله وقل الحق وان كان فيه هلاكك ، فإن فيه نجاتك، أي فلان، اتق الله ودع الباطل وان كان فيه نجاتك فإن فيه هلاكك))^{٤٨}.

- قال ﷺ: ((كلما أحدث الناس من الذنوب ما لم يكونوا يعلمون ، أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعدّون))^{٤٩}.

- قال ﷺ: ((اذا كان الجور اغلب من الحق ، لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه)).

- وقال ﷺ: ((ينادي منادي يوم القيامة: ألا من كان له على الله اجر فليقم ، فلا يقوم إلا من عفا وأصلح ، فأجره على الله))^{٥٠}.

- قال ﷺ: ((من تكلم في الله هلك، ومن طلب الرئاسة هلك، ومن دخله العجب هلك))^{٥١}.

- قال ﷺ: ((عونك للضعيف من أفضل الصدقة))^{٥٢}.

وغيرها مئات من الدرر والحكم التي لا تصدر الا من معلّم وتربوي فتح الله تعالى له خزائن علمه ، لأنّه وليّه وحجّته على خلقه ، وكل كلمة هي درس اخلاقي وتربوي ، وقد حقّق الإمام ﷺ من خلالها عدة غايات وهي :

أ- تصحيح أفكار الناس والرجوع بهم الى روح الدين الإسلامي ، بعد ما قام الخلفاء العباسيون بتشويه صورة الدين ، لأنّهم قتلوا وجاروا ونهبوا باسم الدين.

ب- زرع الاخلاق الفاضلة في المجتمع الاسلامي.

ج- وسيلة للتربية لا تتطلب منبراً وخطبة استطاع الإمام عليه السلام من خلالها كسر قيود الرقابة المشددة.

المبحث الثالث: التربية الاجتماعية:

لم يكن تلقيب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالكاظم، والعبد الصالح، وباب الحوائج إلى الله، وراهب بني هاشم مجرد مصادفة أو من باب الإطراء، بل هي صفات اتّفق عليها جمهور علماء المسلمين وفقهاؤهم ومؤرخوهم، هذه الصفات تجسّد شخصية نادرة في التاريخ، حتى أصبحت صفحة خالدة في سفر التاريخ العربي الإسلامي، لازمت هذه الصفات الإمام موسى بن جعفر عليه السلام طوال نشأته وسيرته وحياته، وفي الرسالة التي حملها، وإنجازاته العلمية، وأدواره المجتمعية حتى بعد وفاته، حيث دفن في بغداد، أصبح مرقده ملاذاً للناس كما وصفه الإمام الشافعي، الذي ترك بغداد بعدما فقدت سيدها شهيداً.

يتطلب هذا استعراضاً عميقاً لبناء هذه الشخصية وما تميّزت به من خصال أهّلتها لأداء أدوارها ومهامها، خاصّة في الجوانب المجتمعية والرعاية الإنسانية في مجالات التكامل والضمان الاجتماعي.

منذ طفولته، أظهر الإمام الكاظم عليه السلام نبوغاً في العلم والفقه وسرعة البديهة وحضور الجواب، كان كبار العلماء الذين يأتون للحضور بين يدي والده الإمام عليه السلام يتحاورون معه، فيبهرهم بقدرته على المحاوراة بالحجة والدليل، وبرجاجة عقله وقوة استدلالاته العلمية. كانوا يعودون إلى ديارهم معجبين بإجاباته وأقواله، وهو لا يزال في سن الشباب.

وكانت آخر وصايا والده له كانت: «أن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بصلاة»، مشيراً إلى أهمية العبادة الحقّة والتدين الصحيح في إظهار الولاء لمدرسة آل البيت (عليه السلام) واتباع مناهجهم، كما أكد على أن «صلة الأرحام والبر بالإخوان ولو بحسن الجواب ورد السلام يعصمان من الذنب». تميزت رسالته بثنائية العبادة الصحيحة والسلوك الاجتماعي، اللذين تجلت فيهما سيرته بالورع والتقوى^{٥٣}.

وقد اشترى الإمام الكاظم ضيعة تُدعى «اليسيرية»، وجعلها مركزاً لتلبية حاجات الناس. كان يقول لصاحبه هشام: «إن العاقل أو المتعلم، لا يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يعد ما لا يقدر، ولا يرجو ما يعنف برجائه، ولا يعد بما يخاف فوته بالعجز عنه». بذلك تميزت حركته الاجتماعية، حيث سعى إلى التأثير على الحكام وإرشادهم من خلال مواعظه الجريئة، مصححاً الأخطاء في السياسة والفقه والقضاء.

وهكذا، أسهم في تعزيز ثقافة البر والإحسان، والتكامل الاجتماعي، والنفع العام، والدعم المجتمعي، وإبراز مسؤوليات الوظيفة العامة، باعتبارها تكليفاً لخدمة المجتمع ووكالة عنه، وليست وسيلة للإثراء غير المشروع. ترجمة هذه الثقافة تعكس المعنى الحقيقي للانتماء لمدرسة آل البيت والدخول في ولايتهم، إذ لا يكفي للتعبير عن هذا الانتماء مجرد حبهم أو التودد العاطفي لهم، فقد يدخل ذلك في باب الرياء المرفوض، والذي وصفه الإمام الحسين السبط بأنه «أقلّه كفر». فالآية الكريمة التي تفرض محبة آل البيت والمودة لهم «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» لا تقبل بالحب العاطفي المجرد، بل تتطلب اقتران العمل والأفعال والسلوك الفردي والمجتمعي. ويتجسد هذا السلوك المجتمعي في قبول الآخر، واحترام الاختلاف،

ونشر ثقافة اللاعنف، التي كانت شعار النهضة الحسينية في جميع مراحلها، من خلال الدعوة إلى الإصلاح. وقد تولى الإمام السجاد زين العابدين مهمة التوعية بهذا الفكر ونشره، خاصة من خلال موسوعته الفكرية والفقهية والعقدية في صحيفته السجادية، حيث اتخذ من «الدعاء» وسيلة فعالة للتأثير والانتشار، متجاوزاً قيود السلطة وإجراءات القمع. ثم جاء دور الإمامين الباقر والصادق لنشر العلوم الفقهية والصرفة والتطبيقية والفلسفة الإسلامية، وتأسيس الجامعة الفكرية والعلمية^٥.

تولى الإمام الكاظم المسؤولية، وكان يعتقد أن من لا يحسن لأخوته ولا يسعى لتلبية احتياجاتهم ومساعدتهم، مقتدياً بنهجه ومبادئه الاجتماعية، لا يُعد من أتباعه الحقيقيين. كان يسعى دائماً لتعزيز المسؤولية الاجتماعية والإنسانية بين الناس، وفقاً لمسيرته المجتمعية والإنسانية، التي تميزت بالصمود والثبات في أداء رسالته رغم القمع والتهديد.

دفع الإمام الكاظم الناس نحو التعلم والتدبر واكتساب المعرفة في شتى مجالات الحياة، حيث كان يقول: «الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد بالدرجات على قدر عقولهم». كان يوصي أتباعه، مثل هشام بن الحكم، بنشر هذه الفكرة، مؤكداً على أهمية السعي للعلم باعتباره أعلى مراتب العبادة ووسيلة لتحقيق الخيرات والتفاعل الواعي مع المجتمع وحاجاته.

بسبب الظروف السياسية والأمنية، نشط الإمام في تلبية احتياجات الناس من خلال مؤسسته الاجتماعية، حيث نشر ثقافة التكامل الاجتماعي. كان يقول: «إن الله تعالى تحت عرشه ظلاً، لا يسكنه إلا من أسدى إلى أخيه معروفاً، أو نفس عن كربته، أو أدخل على قلبه سروراً». بذلك، أصبحت المسؤولية الاجتماعية تكليفاً حسب الكفاءة والمقدرة، مع مراعاة الفروق

بين الأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء. كانت مؤسسته نشطة في دعم طلاب العلم، ومعالجة المرضى، ومساعدة المحتاجين، والإنفاق على اليتامى والأرامل، ودعم المعسرّين، ورفع الظلم عن المظلومين^{٥٥}.

كان الإمام (عليه السلام) يتفقد الناس ليلاً، ليقدم لهم حاجاتهم دون أن يضطروا إلى مذلة السؤال أو التأخر في الحصول عليها، ودون أن يعرفوا مصدرها. لم يستثن في ذلك خصومه أو من يعاديه، مثبتاً بذلك صبره على الغضب وعفوه عن الناس، ومظهراً أن الله يحب المحسنين. في هذا التصرف يكمن سر لقبه «الكاظم»، كما جاء في الكتاب الحكيم: «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين». هذه السمات تظهر أيضاً في المجتمعات المعاصرة المتحضرة التي تضمن حقوق المواطنة وتلبي الحاجات الإنسانية والاجتماعية بلامتياز أو استثناء، ودون أن يضطر المحتاج لطلبها بنفسه. الدولة في هذه المجتمعات تكون ضامنة لرعاية الإنسان وتلبية جميع احتياجاته ومتطلباته الحياتية، مما يؤدي إلى تقدم وازدهار البلدان.

وعندما كان الناس يسألون الإمام كيف يتوجه بنفسه إلى الرجل الضعيف والقيح ليسأله عن حاجته، كان يجيب قائلاً: «عبد من عبيد الله، وأخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله، يجمعنا وإياه خير الآباء آدم، وأفضل الأديان». هذا هو المعنى الحقيقي للولاية للبيت المحمدي، فزكاة العلم نشره، وجميع ذوي القدرة والاقتدار مكلفون برعاية إخوانهم بتكليف شرعي يضمن التكافل المجتمعي. الاكتفاء بالولاء العاطفي وذرف الدموع والمشاركة في مجالس العزاء الحسيني لا يكفي لتحقيق شرف الانتماء لهذا البيت الشريف.

الإمام الكاظم (عليه السلام) الذي يعد أحد الأئمة الاثني عشر في التشيع الإسلامي، يُعتبر قدوة في الكثير من النواحي، بما في ذلك التربية الاجتماعية. يُعتبر الإمام الكاظم (عليه السلام) مثالاً للتسامح والرحمة والحكمة في التعامل مع الآخرين^{٥٦}.



تأسيسًا على السنة النبوية التي شيدت الإسلام على روح العدل والمساواة بين الناس، يُظهر الإمام الكاظم (عليه السلام) هذه القيم بوضوح إذ كان يتعامل بلطف وحكمة مع الناس من جميع الطوائف والأديان، وكان يعلم أتباعه بأهمية الصبر والتسامح والعفو.

علاوة على ذلك، كان الإمام الكاظم (عليه السلام) معروفًا بأخلاقه العالية وتواضعه الشديد. كان يعطي اهتمامًا خاصًا للفقراء والمحتاجين، وكان يشجع على مساعدة الآخرين وتقديم الدعم لهم.

فضلاً عن ذلك، كان الإمام الكاظم (عليه السلام) يحث على العلم والتعلم والتطوير الشخصي. كان يشجع أتباعه على اكتساب المعرفة والنظر بعمق في الأمور، وكان يشجع على التفكير النقدي والبحث عن الحقيقة. يُظهر الإمام الكاظم (عليه السلام) مثلاً رائعاً للتربية الاجتماعية من خلال تعاليمه وسلوكه النبيل والحكيم في التعامل مع الناس وتشجيعه على العدل والتسامح والتعلم.

كان يشدد على أهمية خدمة المجتمع والمساهمة في رفاهيته. كان يدعو إلى مساعدة الفقراء والمحتاجين.

نُظِّمت حلقات دراسية وجلسات تعليمية لتوجيه وتثقيف الجماعة الإسلامية، وهو ما ساهم في بناء مجتمع قائم على القيم والمسؤولية.

إنَّ الإمام الكاظم (عليه السلام) يشير إلى دور الإنسان كمركز لحركة الحياة وأهمية تربيته وتنميته على الصعيدين العاطفي والعملي. ويتحدث عن تأثير الأئمة والأنبياء على بناء الإنسان وتوجيهه نحو القيم الفاضلة والأخلاق الحسنة^{٥٧}.

من خلال الحديث عن تعليمات الإمام لأصحابه وشيعته، يظهر الاهتمام بتوجيههم نحو السلوكيات الإيمانية القويمة وبناء مجتمع توحيدي متكامل.

يتحدث الإمام عن أهمية العدالة، والثقة بالله، والتواضع، والصبر، والتقدير للمعروف وترك المنكر، وغيرها من القيم التي تشكل أساساً لتربية الإنسان وتوجيهه نحو الخير. ومن خلال المواقف التي يتناولها، يظهر أيضاً العمق في رؤيته للعلاقات الإنسانية وكيفية التعامل مع الآخرين، وكيفية إصلاح الأخيار وتأديب الأشرار يبرز الإمام عليه السلام كشاهد منتخب يحمل مسؤولية تأسيس أمة صالحة وتوجيهها وفقاً للأوامر الإلهية^{٥٨}.

تتلخص تعاليم الإمام الكاظم عليه السلام في النهوض بالفرد نفسياً وأخلاقياً، وتحفيزه للمساهمة في تحسين الحالة الاجتماعية وخدمة المجتمع. يعد تأثيره عظيماً على حياة الناس وتطويرهم في مختلف الجوانب.

لم يتوقف الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام عن الدعوة لله وممارسة التغيير حتى في السنوات الطويلة التي قضاها في السجون. لقد استطاع ان يمد الجسور مع محبيه وأنصار اهل بيت النبوة في كل مراحل حياته، وكان في اتصال دائم مع الأمة وهمومها، وعمل على ممارسة العبادة بأبعادها المتنوعة، كان خاشعاً لله، وملتزماً بصلواته وصيامه وعباداته الأخرى، ومطيعاً له، وسائراً على نهجه، فضلاً عن التزاماته السياسية بتغيير الحكم باتجاه مرضاة الله، وصابراً وكافياً للغيط على التهجير والتعذيب والسجن والمحاورة ومتابعة اصحابه والسائرين على نهجه. لقد قاوم الطاغوت هادفاً لتغييره، كانت ارادته صلبة وتصميمه للتصدي من دون توقف، حيث حرك الساحة السياسية باستخدام الوسائل المشروعة من التنظيم والعمل السري، ودعم الثورات لإزاحة الحكومات التي فرضت بوسائل غير شرعية ولا قانونية. كان الإمام يحرك الجماهير وهو في السجن من خلال الاتصالات السرية التي كونها لكسر حاجز الخوف والإرهاب والتضييق

الذي وضعته السلطة لعزله عن الجماهير. ظل الامام حاضراً في المسرح السياسي في العهد العباسي عبر قنواته التنظيمية، ومؤثراً وموجهاً ومحاسباً للحكام وفق منهج سياسي اختطه يتلاءم مع منهج مصادرة الحريات والقهر الذي كان سائدا للمعارضين للحكم.

وقد واجه الإمام كلّ تلکم المآسي التي تنهدّ لها الجبال، بعزمٍ ثابت وإرادةٍ لا تلين، وبتصميمٍ راسخ لا تزغزعه العواصف ولا تزيله القواصف، موطناً نفسه على مواجهة وتحمل كل الصعاب التي مارسها حكام الجور ضده. استمر الامام موسى الكاظم عليه السلام على منهج والده الامام جعفر الصادق عليه السلام براعتهم وتثقيف العلماء والفقهاء وقادة الامة عبر الدروس الاسلامية والسياسية والتوجيهية التي كان يحضرها مئات من العلماء والفقهاء والشخصيات الاسلامية والمذاهب الفقهية والسياسية في المجتمع آنذاك. طرح حكام الدولة العباسية في بداية حكمهم شعارات مضللة للناس، اذ رفعوا شعار السير على نهج أئمة أهل البيت عليه السلام ضد طغيان الدولة الاموية، واذا بنظامهم يسير على نفس المنوال من القهر والظلم. قدم الامام للأئمة الاطروحة العملية في مواجهة الظلم ومقاومة نفوذه بما يتفق وظروف تلك المرحلة، وبما ينسجم مع مسؤولياته الرسالية في النصيح للأئمة وتسديدها عند اشتباه الحق والتباس معالم الهدى والصلاح، وقابلته السلطة بالاعتقالات المتعددة، والمحاصرة، والتهجير، والسجن في الظلام الدامس مع التعذيب، والعزل عن الناس، واختتموا سلسلة إجرامهم بوضع السم في طعامه وهو في السجن وشهادته مظلوماً صابراً محتسباً في ٢٥ رجب عام ١٨٣ هـ. بعد حياة حافلة بالعطاء والتغيير امتدت لـ ٥٥ عاماً (ولادته كانت في ٧ صفر ١٢٨ هـ)، وبدأت إمامته بعد شهادة والده الإمام جعفر الصادق عليه السلام في عام ١٤٨ هـ لمدة ٣٥ عاماً. عاصر الإمام ولادة الحكم العباسي المنصور لمدة عشر سنوات (من ١٤٨ هـ الى ١٥٨ هـ) والمهدي والهادي لمدة سنتين وهارون الرشيد لمدة ٢٣ سنة^{٩٩}.

ملامح المشروع التغييري للإمام الكاظم عليه السلام: يمكن اختصار أهم معالم المشروع التغييري للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بما يأتي^{٦٠}:

١- إصلاح الشخصية الإسلامية بما يتلاءم مع توجهاتها التغييرية من خلال التثقيف والتربية الإسلامية ورسم خط التحرك العام في دائرة الأمة والانفتاح عليها بهدف إصلاحها ضمن صيغ وأساليب تربوية من شأنها إعادة الأمة إلى وعيها الإسلامي وقيمها الرسالية وممارسة دورها في تغيير الحكم

٢- التصدي للمعتقدات الضالة والبعيدة عن الإسلام، وذلك بطرح الفكر والمعتقدات الإسلامية الأصيلة ، والاهتمام بالفقه، والأصول الدينية، وتبديد الغلو، ومحاصرة المدارس المضللة والمنحرفة عن الإسلام، وبيان الإضافات والكذب الذي أوجده بني أمية وبنو العباس على النهج الإسلامي أثناء فترة حكمهم

٣- طرح معايير التقييم الصحيحة وتربية الامة للسير على هذه المعايير

٤- الاهتمام بالمحرومين والفقراء والضعفاء لكي لا يتم استغلال ضعفهم وفقرهم لإسناد الباطل

٥- دعم الثوار والعاملين على إسقاط الطغيان والظلم والتعسف في الحكم واستغلال الحكم أموال الدولة الإسلامية لأغراض أهوائهم وعيبتهم وفسادهم

٦- الاهتمام بالنسيج الاجتماعي للأمة ودوره في عزل المتطرفين والمنافقين
وأصحاب النوايا الشريرة والمستغلة للآخرين

٧- مواجهة الجماعة المخالفة باستخدام أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، والتثقيف على أطروحاته لأجل استنقاذها من الجهل العقائدي والانحراف الشرعي

٨- استخدام منهج التنظيم لإعداد الجماعة الصالحة للتغيير. اخترق تنظيم الإمام الجهاز الحاكم بعناصر قيادية بوزن وزير، واستخدمت آليات متقنة ومحكمة في نشاطهم الاستخباري وتأمين الاتصال السري من مراكز النظام الحاكم، ومن أمثال ذلك الوزير علي بن يقطين لتحقيق ما يأتي^{٦١}:

أ- مراقبة أعمال السلطة وقراراتها وأخذ الحذر من مكائدها، ووضع الخطط والتدابير اللازمة لئلا يتعرض أتباع تنظيم الامام للملاحقة والاعتقال او الإبادة .

ب- توعية السلطة أو التوجه نحو التطبيق الإسلامي الصحيح- السيطرة أو توجيه السياسة العامة للسلطة.

د- القيام بأعمال محضرة من قبل الحاكم المستبد، ولكنها تصب في المنهج الإصلاحى الإسلامى وللصالح العام بدون علم جهاز الحكم بذلك.

هـ- إسناد المستضعفين والمحرومين والفقراء والمحتاجين- دعم العلماء المخلصين والقوى الاجتماعية والسياسية المخلصة للإمام وتضعيف دور جهاز الحاكم وبطانته من علماء السوء.

ز- الانفتاح على العالم الإسلامى من مركز السلطة ودعم الأعمال التغييرية المطلوبة وإضعاف خط الحاكم المستبد وزبانيته^{٦٢}.

٨- الاستفادة من العوائد الاقتصادية لدعم بناء الأمة. اذ كانت تجبى الأموال من بعض الجماعات الموالية للإمام بالقسر من قبل السلطة، وحتى يكونوا في حالة فقر دائم همهم وشغلهم الشاغل تحصيل لقمة العيش ولكي لا يتمكنوا من العمل ضد السلطة، وكانت الخطة بأن يرجع الحق إلى أهله وذلك بإرجاع هذه الأموال إليهم عبر قنوات الإمام التنظيمية



٩- بناء الكوادر الاسلامية القادرة على التغيير من خلال رعاية وتشجيع الخواص من أتباع مدرسة الامام و انتهاج خطة تبدأ من تعميق روح التدين في أنفسهم وضمايرهم وتثقيفهم على افاق التحرك السياسي ضد الخصوم بشكل سليم . وفر الامام لهم أرضية الصمود والمواصلة للعمل بالصبر والمثابرة والتضحية لتحقيق المبادئ والقيم الإسلامية^{٦٣}.

لقد سعى الإمام على تربية الأمة الاسلامية على أساس تقوية أواصر الأخوة والمحبة الإيمانية فيما بينهم بحيث تصبح الجماعة الصالحة قوة اجتماعية متماسكة لا يمكن زعزعتها أو تضعيفها لقوة الترابط العقائدي والروحي فيما بينها. اتبع الإمام منهج الحرب الباردة في مقاطعة الحكم المستبد، وكان يهدف إلى إضعاف الروابط العملية بين الحاكم والأمة، وبذلك يفقد السلطان مؤهلات إقامة دولته وتركيز بناء حكمه، وتهيئاً الأرضية لإنهاء تماسك أجهزة الحكم وشل حركتها من الداخل. الإمام لم يمارس دور المعارض المنهزم والمنكسر، بل تواجد تنظيمه في الوسط الحكومي لأجل التصدي للممارسات المنحرفة وتغييرها ما استطاع^{٦٤}.

وصف الإمام موسى بن جعفر بـ (كاظم الغيظ) يشير إلى عمق صبر الإمام على تحمل ظلم الحكام المستبدين وأسفه على سير البعض على نهجهم أو تأييدهم أو السكوت على ظلمهم. صبر الإمام كان إيجابياً إذ عمل على تحريك الأمة على خط التصدي للظلم عبر وسائل عديدة، وما المسيرات المليونية نحو مرقد الامام الكاظم (عليه السلام) في الكاظمين في كل عام في ذكرى شهادته في ٢٥ رجب الادليل على ذلك، وهي عهد وولاء للمسيرة الاسلامية التي قادها رسول الانسانية محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته ومن سار على هذا الدرب من العلماء على طول الطريق التي امتد ١٤ قرناً، والعاقبة للمتقين .

لا بد من الإدراك أن التربية الاجتماعية والأخلاقية لها مجالات واسعة جداً إذ إنها تشمل كل ما يحتاج إليه الطفل في حياته الاجتماعية الحالية والمستقبلية. ولهذا يجدر بالآباء أن لا ينظروا إلى تربية أولادهم نظرة ضيقة وذات بعد واحد، حيث تقع عليهم مسؤولية كبيرة جداً في جوانب عديدة، منها:

أ- الجانب الفردي: على الآباء أن يعلموا أطفالهم الطرق والأساليب النافعة والمفيدة في الحياة كي يكونوا أناساً قادرين على التمييز بين الحق والباطل ومنتقدين وهداة صابرين مقاومين، وأن يتعرفوا على المشاكل والصعوبات حتى يكونوا وقورين في الكبر ويمتازون بالحلم. وقد جاء عن الامام الكاظم (عليه السلام) قوله: (تستحب غرامة الغلام في صغره ليكون حليماً في كبره)

فينبغي أن يتحلى الولد بالآداب وعزة النفس ويهتم بشرفه وعفته حتى يقاوم الانحرافات والمفاسد

ومن الصفات الفاضلة الأخرى التي يجب أن يتعلمها الطفل ويتربى عليها هي الشهامة والتضحية والإيثار والاستقامة والفهم والإدراك والاشتياق للصفات الحميدة.

ب- الجانب الاجتماعي: علينا أن نربي أولادنا على حب الناس وخدمتهم وتمني الخير لهم، وعلى الشعور بالمسؤولية وأدائها على أفضل ما يرام، وعلى التعاون في طريق الخير والتكافل الاجتماعي والمواساة والتكامل.

لا بد ان نربي أطفالنا حتى يحبوا للآخرين ما يحبون لأنفسهم ويكرهوا لهم ما يكرهون لها، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاهتمام بموضوع الرقابة الاجتماعية، وعلى الالتزام بالضوابط والمصالح الاجتماعية واحترام الإنسان من أجل إنسانيته لا للونه او عنصره، والالتزام بالتقاليد والاعراف

الجيدة. وكذلك اتخاذ مواقف مناسبة ازاء المجرمين والظالمين والمنحرفين، والشعور بالمسؤولية من اجل إصلاح المفاسد والتعويض عن النقائص.

الخاتمة:

خاتمة البحث ، إنَّ موضوع التربية النفسية والأخلاقية والاجتماعية عند الإمام الكاظم (عليه السلام) تعكس عمق التفكير والرؤية الشاملة التي يمثلها في الحياة الإنسانية. وفي الخاتمة توصلنا الى عدة نتائج مهمة في البحث :

فقد كان للإمام الكاظم دور مهم في توجيه المؤمنين نحو التربية النفسية السليمة والتطوير الأخلاقي، وكذلك في بناء العلاقات الاجتماعية القائمة على المحبة والعدالة. من خلال تعاليم الإمام الكاظم، نجد أنه أكد على أهمية السيطرة على النفس والتحكم في الانفعالات، وهو ما يعكس جانباً مهماً من التربية النفسية. كما أنه حث على تنمية الأخلاق الحسنة مثل الصدق والعفة والصبر والتسامح، وهذه القيم تشكل أساساً للتربية الأخلاقية. من الناحية الاجتماعية، دعا الإمام الكاظم إلى بناء علاقات طيبة مع الآخرين ومساعدتهم وتعاونهم في كل المجالات. كما حث على العدل والإنصاف في التعامل مع الناس، وهو ما يعكس الجانب الاجتماعي من تعاليمه.

في الختام يمكن القول إن التربية النفسية والأخلاقية والاجتماعية عند الإمام الكاظم (عليه السلام) تشكل نموذجاً متكاملًا لتحقيق السلام الداخلي والازدهار الاجتماعي في المجتمعات، وتعتبر مصدر إلهام وتوجيه للمسلمين في جميع العصور.

المصادر والمراجع:

- * القرآن الكريم
- * الأخلاق ، للعلامة، السيد عبد الله شبر، مكتبة نرجس، ط ١، ١٤٢٧.
- * أعلام الهداية، الإمام موسى بن جعفر الكاظم، المجمع العالمي لأهل البيت، قم، إيران، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- * الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، الشيخ عباس القمي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
- * باب الحوائج الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، حسن حسين الحاج، دار المرتضى، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠.
- * بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة علوم نهج لبلاغة. العتبة الحسينية المقدسة، العراق، ٢٠١٦
- * تحف العقول، ابن شعبة الحراني، المطبعة الحيدرية ومكتبتها. العراق، ٢٠١٤
- * جامع البيان، الطبري، ابن جرير الطبري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣
- * حياة الإمام موسى بن جعفر... دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، ايران، ١٤٢٢هـ
- * الفقه الإسلامي، مدخل لدراسة نظام المعاملات فيه، محمد يوسف موسى، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، ١٩٩٨
- * الفكر الإصلاحي للإمام موسى بن جعفر محمد سعيد الأجدد، المركز الإسلامي المعاصر، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
- * الكافي - الشيخ الكليني، مكتبة مدرسة الفقاهة، منشورات الاعلمي للمطبوعات، لبنان، ٢٠٠٨
- * المبسوط، الشيخ الطوسي، دار الكتاب الاسلامي، ط ١، قم، ايران، ١٩٩٢.
- * المجازات النبوية للشيخ الشريف الرضي، الشريف الرضي، أبو الحسن السيد محمد بن الحسين بن موسى (ت ٤٠٦هـ) - دار الحديث. تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي، القاهرة
- * مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧.
- * منهاج الكرامة، العلامة - مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية تحقيق: عبد الرحيم مبارك، ط ١،
- * ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، ط ١، ١٤٢٢هـ
- * نهج الفصاحة لأبو القاسم، دار النشر، مؤسسة انصاريان، قم، ١٤١٢.
- * وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، ٢٠١٩.



- ١- حميدة البربرية: اختلف المؤرخون في نسبها فقليل أنها أندلسية وتكنى لؤلؤة وقيل انها رومية وقيل انها من اجل بيوت العجم، وكان الامام الصادق عليه السلام يغدق عليها بمعرفه فقال فيها (حميدة مصفاة من الأنداس كسبيكة الذهب، مازالت الاملاك تحرسها حتى أدت الي كرامة من الله وللحجة من بعدي...) (ابن عاشور، ٢٠٠٥، ص ٤٢)
- ٢- الابواء: قرية من اعمال المدينة بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وقيل: جبل على يمين المصعد الى مكة من المدينة، معجم البلدان ج ١/ ص ٧٩.
- ٣- الأربلي، علي بن عيسى، كشف الغمه في معرفة الأئمة، قم، منشورات الشريف الرضي، ج ٢، ١٤٢١ هـ. ص ٧٤٣.
- ٤- الإرشاد. ص ٢٩٥
- ٥- الإمام الجواد من المهد إلى اللحد. ص ٦٠.
- ٦- الطبرسي، ١٩٧٠، ص ٢٩٤،
- ٧- المفيد، ٢٠٠٧، ص ٤٢٣
- ٨- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٥ - ص ٣٢٨
- ٩- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥ - ص ٢٦
- ١٠- الحسيني، ١٩٧٧، ص ٣٢٨
- ١١- المفيد، ٢٠٠٧، ص ٤٣٥
- ١٢- الطبري، ١٩٦٣، ص ١٥٠
- ١٣- ابن عاشور، ٢٠٠٥، ص ١٧
- ١٤- ابن عاشور، ٢٠٠٥، ص ٥٢
- ١٥- المفيد، ٢٠٠٧، ص ٤٢٣
- ١٦- الطبرسي، ١٩٧٠، ص ٢٩٥
- ١٧- الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - ص ٣١٠
- ١٨- الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ٢٢٠
- ١٩- الإرشاد - الشيخ المفيد - ج ٢ - ص ٢١٦
- ٢٠- المفيد، ٢٠٠٧، ص ٤٢٣
- ٢١- راجع الأخلاق لشبر، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ وحياة الإمام موسى بن جعفر للقرشي، ج ١، ص ٢٤٨.
- ٢٢- سورة النساء، الآية ١.
- ٢٣- سورة العلق، الآية ١٤.

- ٢٤- ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٣ - ص ١٧٩٩
- ٢٥- مستدرک سفينة البحار - الشيخ علي النازي الشاهرودي - ج ٤
- ٢٦- المبسوط - الشيخ الطوسي - ج ٦ - الصفحة ٢٧٨
- ٢٧- سورة الطلاق، الآية ١.
- ٢٨- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٢ - ص ٦٦
- ٢٩- تحف العقول - ابن شعبة الحراني - ص ٣٩٩
- ٣٠- مستدرک سفينة البحار - الشيخ علي النازي الشاهرودي - ج ٩
- ٣١- عن نهج الفصاحة، ص ٢٠١.
- ٣٢- الكافي ص ٤٥٣ - ٤٥٤.
- ٣٣- الكافي، ص ٤٥٣ - ٤٥٤.
- ٣٤- الكافي، ص ٤٥٣ - ٤٥٤.
- ٣٥- سورة البقرة، الآية ٢٤٥.
- ٣٦- المجازات النبوية للشریف الرضي، ج ١، ص ١٨٧، والكنف: الجانب، الموطئون
الذين يدوس الناس جانبهم فلا يؤذون ولا يزعجون.
- ٣٧- الأعراف، الآية ١٩٩.
- ٣٨- المجازات النبوية للشریف الرضي.
- ٣٩- الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - ص ١٠٠
- ٤٠- الأخلاق للعلامة السيد عبد الله شبر، ص ١٠.
- ٤١- باب الحوائج الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، حسن حسين الحاج، دار
المرتضى، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠. ص ٢٥
- ٤٢- الطبري، ١٩٦٣، ص ١٥٠
- ٤٣- بشر الخافي: ابو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن المروزي الاصل البغدادي
المسكن احد العرفاء الزهاد وعد من اصحاب الامام الكاظم عليه السلام
- ٤٤- منهاج الكرامة - العلامة الحلي - الصفحة ٥٩
- ٤٥- الحسني، ١٩٧٧، ص ٣٢١
- ٤٦- الطبري، ١٩٦٣، ص ١٥٠
- ٤٧- الحراني، ٢٠٠٨، ص ١٤٣
- ٤٨- تحف العقول - ابن شعبة الحراني - ص ٤٠٨
- ٤٩- ميزان الحكمة - محمد الريشهري - ج ٢ - ص ٩٩٥
- ٥٠- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٥ - ص ٣٢٤

- ٥١- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٧٥، ص ٣٢١، رقم ١٩.
- ٥٢- العاملي، ١٩٧٨، ص ١٤٢
- ٥٣- أعلام الهداية: الإمام موسى بن جعفر الكاظم، ، ص ١١٢
- ٥٤- الأخلاق للعلامة السيد عبد الله شير، ص ٣٥
- ٥٥- حياة الإمام موسى بن جعفر للقرشي، ج ١، ص ٢١٧.
- ٥٦- حياة الإمام موسى بن جعفر للقرشي، ج ١، ص ٢١٨.
- ٥٧- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧١ - ص ٣١٣
- ٥٨- أعلام الهداية: الإمام موسى بن جعفر الكاظم، ، ص ١٥٤.
- ٥٩- حياة الإمام موسى بن جعفر ... دراسة وتحليل، باقر شريف القرشي، ص ٤٥٥.
- ٦٠- الفقه الإسلامي - مدخل لدراسة نظام المعاملات فيه، محمد يوسف موسى: ص ١٦٠.
- ٦١- الفكر الإصلاحي للإمام موسى بن جعفر محمد سعيد الأجد، ص ١٠٣.
- ٦٢- تحف العقول: ص ٣٠٧، وعنه البحار: ج ٧٨ ص ٣٢١ ح ٢٠.
- ٦٣- الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، الشيخ عباس القمي، ، ص ١٥٨.
- ٦٤- أعلام الهداية: الإمام موسى بن جعفر الكاظم، ص ١١٠.

التعاطي الايجابي مع التحديات في المنهج التبليغي عند الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)

أ.د. شكري ناصر عبد الحسن

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية

على طول المراحل التاريخية التي مرّت بها مسيرة القادة الإلهيين أنبياء وأوصياء كان التحديّ العنوان الأكثر ظهوراً فيها، إذ أن هذا العنوان قد أخذ الحيز الأكبر من هذه المراحل ، بل وشكّل القطب الذي دارت عليه كل تفاصيل حياتهم.

وهذا من الأمور البديهية، وتعدّ نتيجةً طبيعية لحالة المواجهة التي تقوم مع الجهات التي تمثّل الانحراف والباطل ، فكما هو معلوم إن الأصل في مبعث الأنبياء والمرسلين وقيام الأوصياء من بعدهم هو لتقويم موارد الانحراف والاعوجاج التي تعاني منها المجتمعات البشرية ، ولبعث الأمان والاطمئنان داخل تلك المجتمعات، قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ سورة البقرة - آية (٢١٣)

كما لا يخفى أن جبهة الباطل والانحراف عادةً ما تكون جبهة متصلبة في مواقفها ومعتقداتها ، لذلك تكون مواقفها تجاه مشروعات التصحيح والتقويم انعكاساً لتلك المعتقدات ، ولذلك نجد أن هذه الجبهة تتبنى

مواقف إقصائية تجاه هؤلاء القادة وتعمل جاهدة لتحجيم حركتهم التبليغية والتقليل من تأثيرهم في تلك المجتمعات والعمل على وضع الحواجز والفصل بينهم وبين مجتمعاتهم.

ومع جميع تلك التحديات، كان هؤلاء القادة لا يفتر عن أداء دورهم التبليغي وإرشاد المجتمع وعدم التراجع أمام تلك التحديات، بل العكس تماماً فإنهم كانوا ينطلقون من تلك التحديات ويتعاطون معها بشكل إيجابي، لأنها تمثل نقاطاً تنكشف معها جبهة الانحراف وخطوطها.

مثل الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أحد القادة الإلهيين الذين تصدّوا لسياسة الإقصاء المنهجية التي اتخذتها السلطة الحاكمة والتي أرادت من خلالها تغييبه وتحجيم دوره الرسالي في بناء المنظومة الفكرية للمجتمع الإسلامي، ومع عظيم تلك التحديات إلا أنه عليه السلام عمل على أداء هذا الدور الرسالي من خلال التعاطي الإيجابي مع التحديات التي تعرض لها وتسخير هذه التحديات لنشر الأحكام والتشريعات الإلهية ولم يمنعه الحصار والسجن والحرمان من أداء هذه المهمة .

ومن خلال متابعة حركة التبليغ عند الإمام موسى بن جعفر عليه السلام نجد أن التعاطي مع التحديات قام على مجموعة من الخطوات .

١- البعد الزمني في التعاطي الإيجابي مع التحديات .

٢- البعد المكاني في التعاطي الإيجابي مع التحديات .

٣- مراعاة المستوى الثقافي للمتلقى .

٤- فاعلية التأثير والتغيير .

٥- تحديد الأهداف في التعاطي مع التحديات .

المقدمة

على طول المراحل التاريخية التي مرت بها مسيرة القادة الإلهيين أنبياء وأوصياء كان التحديّ العنوان الأكثر ظهوراً فيها، إذ إن هذا العنوان قد أخذ الحيز الأكبر من هذه المراحل ، بل وشكّل القطب الذي دارت عليه كل تفاصيل حياتهم ، وهذا من الأمور البديهية وتعدّ نتيجة طبيعية لحالة المواجهة التي تقوم مع الجهات التي تمثّل الانحراف والباطل.

فكما هو معلوم أن الأصل في مبعث الأنبياء والمرسلين وقيام الأوصياء من بعدهم هو لتقويم موارد الانحراف والاعوجاج التي عانت وتعاين منها المجتمعات البشرية ، ولبعث الأمان والاطمئنان داخل تلك المجتمعات ، قال تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ^(١)

كما لا يخفى أن جبهة الباطل والانحراف عادة ما تكون جبهة متصلبة في مواقفها ومعتقداتها لذلك تكون مواقفها تجاه مشروعات التصحيح والتقويم انعكاساً لتلك المعتقدات ؛ ولذلك نجد أن هذه الجبهة تتبنى مواقف إقصائية تجاه هؤلاء القادة وتعمل جاهدة لتحجيم حركتهم التبليغية والتقليل من تأثيرهم في تلك المجتمعات والعمل على وضع الحواجز والفصل بينهم وبين مجتمعاتهم.

ومع جميع تلك التحديات كان هؤلاء القادة لا يفترون عن أداء دورهم التبليغي وإرشاد المجتمع وعدم التراجع أمام تلك التحديات ، بل على العكس تماماً ؛ فإنهم كانوا ينطلقون من تلك التحديات ويتعاطون معها بشكل إيجابي لأنها تمثل نقاطاً تنكشف معها جبهة الانحراف وخطوطها.

مثّل الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أحد القادة الإلهيين الذين تصدّوا لسياسة الإقصاء المنهجية التي اتخذتها السلطة الحاكمة والتي أرادت من خلالها تغييره وتحجيم دوره الرسالي في بناء المنظومة الفكرية للمجتمع الإسلامي ، ومع عظيم تلك التحديات إلا أنه عليه السلام عمل على أداء هذا الدور الرسالي من خلال التعاطي الإيجابي مع التحديات التي تعرض لها ، وتسخير هذه التحديات لنشر الأحكام والتشريعات الإلهية ولم يمنعه الحصار والسجن والحرمان من أداء هذه المهمة ، ومن خلال متابعة حركة التبليغ عند الإمام موسى بن جعفر عليه السلام نجد أن التعاطي مع التحديات قام على مجموعة من الخطوات تبعاً لنوع ذلك التحدي .

ومن هنا ارتأينا دراسة هذا الموضوع تبعاً لنوع التحديات وخطورتها وتأثيراتها على وفق مجموعة من المباحث وبالشكل الآتي :

- المبحث الأول : تحدي السلطة ، وفيه ثلاثة مطالب : ١- المهادنة والموادعة ٢- المنهج الروحي وصياغة العقلية التوكّلية ٣- دفع الإيهام وكشف التضليل**
- المبحث الثاني : تحدي السجن ، وجاء في محورين ١- عقلية السلطة بين الإصرار والتمادي ٢- الجذب والاستقطاب .**
- المبحث الثالث : تحدي الثورات العلوية**

المبحث الأول : تحدي السلطة

على امتداد المسيرة التبليغية لأهل البيت (عليه السلام) كان التحدي مع الاتجاهات الأخرى ملازماً لهم، بل وأصبح معرقلاً لحركتهم التبليغية في كثير من الأحيان، مما دعاهم (عليه السلام) إلى البحث عن البدائل لإتمام حجّتهم على الناس. ولعل تحدي السلطة كان من أبرز التحديات التي أخذت حيزاً من هذه المعرقات ، لأنهم (عليه السلام) قد صادفوا سلطات اتصفت بالقسوة والتضييق وسلب الحريات ، وقد أظهرت لنا الروايات التاريخية أن الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) قد عاش في أزمنة ملؤها الإرهاب والفتن والتضليل. ولكي نفهم ماهية المنهج الذي اعتمده الإمام (عليه السلام) في تعاطيه مع تحدي السلطة سيتم تقسيم المبحث على وفق المطالب الآتية :

١- المهادنة والموادعة

لقد ارتبطت إمامة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) بفترة زمنية يمكن وصفها بأنها من أقسى وأشدّ وأصعب الفترات التي حكم بها بنو العباس، فقد تناوب عليها أربعة من طواغيتهم وهم أبو جعفر المنصور ومحمد المهدي وموسى الهادي وهارون الرشيد، إذ تعرضت الأمة لاسيما أهل البيت (عليه السلام) وأبناء عمومتهم من آل الحسن إلى شتى أشكال وأساليب الحرب النفسية والاقتصادية والسياسية ، بل وحتى الاجتماعية ، وما ذكره أحد الباحثين واصفاً تلك الفترة ومختصراً لنا هذه الأساليب (أن ما وقع على الناس من المظالم أيام بني العباس كان أهول وأبشع، ولقد قتل أبو العباس السفاح أعمامه وألوفاً كثيرة ظلماً وعدواناً، وجاء أخوه أبو جعفر المنصور فقتل من الناس أكثر ، وكان في جملة المقتولين أعمامه، وهانت الدماء على رجال بني العباس حتى إن الإنسان ليرحم على أيام الجاهلية) (٢)

ثم عاصر خروج محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم من بعده، وثورتها على المنصور، وما رافقها بين الثورتين وما تلاهما من قتل عدد غير قليل من أبناء الحسن وأنصارهم وأعوانهم ، وكان لأهل البيت عليهم السلام النصيب الوافر من هذا الظلم والاضطهاد حينما اظهر العباسيون حقدهم وغيظهم على آل علي ، ومع أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام لم يشارك ولم يبارك هاتين الثورتين ، فقد شمله ومعظم أفراد عائلته ذلك الظلم والعدوان من قبل المنصور وحكومته ، وقد حدث الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام واصفاً ما أصابه وأهل بيته: (حشرنا من المدينة فلم يترك فيها منا محتلم حتى قدمنا الكوفة ، فمكثنا فيها شهراً ، نتوَّع فيها القتل)^(٣) .

ونتيجة لهذه الأساليب الإرهابية نجد أن أهل البيت عليهم السلام كانوا على درجة عالية من الحذر في التعاطي معها ، وذلك لإغلاق جميع المنافذ على السلطة وعدم إعطائها المساحة الكافية للتحرك نحو تنفيذ مخططاتها ، إذ نقلت إحدى الروايات أن أبا جعفر المنصور لما بلغه خبر وفاة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كتب إلى والي المدينة يأمره أن يتوثق أن كان الإمام عليه السلام قد أوصى إلى رجل بعينه فقدّمه واضرب عنقه، فبحث الوالي في الأمر ودقق ، ثم كتب إلى المنصور أنه قد أوصى إلى خمسة أبي جعفر المنصور - الحاكم - ومحمد بن سليمان - الوالي - وابنيه موسى وعبد الله وحميدة ام موسى^(٤) . فهذه الخطوة التي خطاها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام تعطينا صورة واضحة للمنهج الذي سار عليه أهل البيت عليهم السلام في التعاطي مع التحديات التي أوجدتها السلطات الحاكمة ، فكان التمويه عليها وتشتيت تركيزها وجعلها في مواجهة مع أكثر من

جبهة قد فعل فعله ، وحصّن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) خطّ الإمامة من أن يوصل إليه بسوء، على الرغم من قوة الإجراءات التي كانت متّبعة حينذاك كما نقل (كان للمنصور بالمدينة جواسيس على من يجتمع بعد جعفر إليه الناس فيؤخذ فتضرب عنقها)^(٥)

وبناء على المعطيات التاريخية يظهر لنا أن الإمام (عليه السلام) كان يتعاطى مع طاغوتية المنصور بمنهج المهادنة والمواعدة بعيداً عن التشنّج والتوتر^(٦) وهذا هو الأسلوب الأمثل الذي تتطلبه هكذا ظروف طالما أن السلطة كانت تنظر بعين الريبة والشكّ إلى حركة الإمام (عليه السلام) وأتباعه وقد أشار أحد الباحثين إلى أن (حياة موسى في المدينة... في هذا العصر الشديد الاضطراب ليس معها دليل قاطع به... وكان الإمام موسى يعرف أن كل خليفة ينظر إليه بعين الحذر ويراقبه لعله يجد فيه ما يدلّ على عدم إخلاصه)^(٧)

وللشيخ محمد حسن آل ياسين رأي في طبيعة العلاقة بين الإمام (عليه السلام) والمنصور إذ يقول: (ومهما يكن من أمر؛ فقد رحل المنصور عن الدنيا ولم يسجل له أي موقف ظالم وأي تصرف عدواني صارخ ضد الإمام الكاظم (عليه السلام)، وبذلك استطاع الإمام أن يتفرغ لمهمات العلم والدرس في المدينة المنورة، في الوقت الذي كان أبو جعفر خلاله متفرغاً لمهمات سلطانه وشهوات نفسه في بغداد)^(٨)، ولكنه لم يبرّر لنا السبب الذي كان وراء عدم ظهور أي موقف عدائي مباشر ومعلن من المنصور تجاه الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) هل هو لأن المنصور كان معتدلاً ومتسامحاً مع الإمام (عليه السلام)؟ أم أن الظروف المحيطة بالمنصور هي التي جعلته منشغلاً بها دون الإمام (عليه السلام)؟ أم أن الإمام (عليه السلام) هو الذي أجبر المنصور على هذا الأمر؟



وما نعتقده أن الأمرين الثاني والثالث هما الأقرب إلى الواقع ؛ إذ أن الحراك الثوري العلوي الذي تمثل بثورات الحسين وتوحيداً ثوري محمد ذي النفس الزكية وأخيه إبراهيم قد أخذت مأخذها من المنصور وحكومته سياسياً وأمنياً وجعلته متفرغاً لها منشغلاً عن الإمام (عليه السلام) ، أما إذا قلنا أن السبب الأول هو المحرك لذلك ، فلعله يكون موجباً لقتل الإمام ، لأنه مرتبط بالثورات العلوية ، والإمام كان رأس العلويين خلال هذه المدة هذا أولاً ، وثانياً : إن ثورات أبناء الحسن انتهت سنة ثمان وأربعين يعني في السنة نفسها التي توفي فيها الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وبقي المنصور بقية حكمه ولم يواجه ثورة حقيقية منهم ، فكان بإمكانه التفرغ للإمام والقضاء عليه .

كما شكّل عصر المهدي العباسي ١٥٨ - ١٦٩ هـ تحدياً عصبياً للإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ؛ فقد عرف بعدائه وحقده على الإمام وأهل بيته والذي أخذ أشكالاً مختلفة وأساليب متعددة مما فرض على الإمام (عليه السلام) تحدياً جديداً وتطلب منه أن يتعامل مع هذا التحدي على وفق المعطيات السياسية القائمة وبما يحفظ خطّ الإمامة والكيان الإمامي .

والظاهر أن التحدي مع السلطة قد بدأ يتصاعد في عصر المهدي العباسي ، وهذا ما نستدلّ عليه من إشارة بعض الروايات التي ذكرت ذلك بقولها (المقدمة الأولى على المهدي)^(٩) مما فيه إشارة صريحة وواضحة إلى أن إحضار الإمام (عليه السلام) قد تكرر في هذا العصر .

وتظهر لنا إحدى الروايات التي نقلها الخطيب البغدادي عن الفضل بن الربيع عن أبيه ذلك التحدي والكيفية التي ردّها الإمام (عليه السلام) ما كان يحمله المهدي العباسي من مخاوف وخشية تجاهه ، قال : (لما حبس المهدي



موسى بن جعفر رأى المهدي في النوم علي بن أبي طالب وهو يقول: يا محمد ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ أَنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطَعُوا أَرْحَامُكُمْ ﴾ ^(١٠) ، قال الربيع: فأرسل إليّ ليلاً ، فراعني ذلك ، فجئته فإذا هو يقرأ هذه الآية - وكان أحسن الناس صوتاً - وقال : عليّ بموسى بن جعفر ، فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه ، وقال : يا أبا الحسن ؛ أني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم يقرأ عليّ كذا ، فتؤمّني أن لا تخرج عليّ أو على أحد من ولدي ؟ ، فقال: لا والله ؛ لا فعلت ذاك ولا هو من شأني ، قال: صدقت ، يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه إلى أهله إلى المدينة ، قال الربيع: فأحكمت أمره ليلاً فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق ^(١١) كشفت لنا هذه الرواية الرؤية الثاقبة والمنهج الثابت الذي كان أهل البيت عليه يتعاطون به مع السلطات وقدرتهم على مواجهة المواقف الصعبة واحتوائها ، خاصة تلك التي يراد بها القضاء وتصفية الخطّ الرسالي الذي تريده السلطات الحاكمة .

فلو أمعنا النظر في ما تضمّنته هذه الرواية ، نلمس أن المهدي العباسي كان عالماً ومقتنعاً بأن الإمام عليه السلام كان لا يحمل أي مشروع عدائي تجاه السلطة بما هي سلطة ، ولكن تلك الوسوسة والشعور بالنقص الذي كان عليه المهدي العباسي هو الذي دفعه إلى استهداف الإمام عليه السلام ، ولذلك وكما نفهم من الرواية أن الإمام عليه السلام قد شخص هذه المخاوف وحالة الانهزام النفسي الذي عاشه ، فدفع باتجاه تبديد تلك المخاوف وطمأنته بأن المشروع الذي يحمله الإمام عليه السلام أنها هو مشروع رسالي يهدف إلى بناء المنظومة الفكرية للمجتمع بعيداً عن التوجهات السياسية والسلطوية . وقد نجح الإمام عليه السلام في إدارة هذه الأزمة واحتوائها بل تصفيرها واستطاع أن يخلق تفكير جديداً ومغايراً لدى المهدي العباسي تجاهه عليه السلام .

٢- المنهج الروحي وصياغة العقلية التوكّلية

مثّل عصر الهادي العباسي ١٦٩-١٧٠ هـ الذي تولى الحكم في الدولة العباسية بعد المهدي العباسي أحد صور السلطة الدكتاتورية ذات المنهج الإقصائي الذي تعرّض له الإمام (عليه السلام)، إذ أن الهادي العباسي اعتبر أن السبب الرئيسي لحركة (الحسين صاحب فخ) هو الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)؛ ولذلك وبعد استشهاد (الحسين) وصحبه أخذ الهادي العباسي يتوعّد العلويين، وقد ذكر سيدهم الإمام موسى قائلًا: (والله ما خرج حسينٌ إلا عن أمره، ولا أتبع إلا محبته، لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت، قتلني الله أن أبقيت عليه) (١٢) وهذا التهديد والوعيد يعدّ من التحديات الخطيرة التي تعرض لها الإمام (عليه السلام) خاصة مع ما عرف عن الهادي العباسي من صفات التجبر والتكبر والطاغوتية، فقد ذكر أنه (كان سادراً في الطيش والغرور، وامتدّياً في الإثم والفجور، وقد أراح الله منه العباد في بداية ملكه، فلم تطل أيامه، ولو امتدّ به العمر لواجه المسلمون في عهده أعنف المشاكل وأقساها، فقد كان طاغياً جباراً لا يتحرّج من سفك الدماء وإراقتها بغير حقّ، وقد أسرف في سفك دماء العلويين، فأنزل بهم العقاب الصارم، وقد أجمع رأيّه على التنكيل بالإمام موسى (عليه السلام)، إلا أن الله قصم ظهره قبل أن يقوم بذلك (١٣): (كان يشرب الخمر وفيه ظلم ...) (١٤)

ولنلاحظ كيف كان المنهج الذي تعاطى به الإمام (عليه السلام) مع هذا التحدي، إذ ذكر أن علي بن يقطين كتب إلى الإمام موسى (عليه السلام) بصورة الأمر فورد الكتاب، (فلما أصبح أحضر أهل بيته وشيعته فأطلعهم على ما ورد عليه من الخبر، فقال: ما تشيرون في هذا؟ فقالوا: نشير عليك - أصلحك الله - وعلينا معك أن تباعد شخصك عن هذا الجبار وتغيّب شخصك عنه .

فتبسم الإمام موسى عليه السلام ثم تمثل بيت كعب بن مالك^(١٥) أخي بني سلمة وهو:

زعمت سخينة أن ستغلب ربها فليغلبن مغالب الغلاب^(١٦)

ثم رفع يده إلى السماء فقال: «إلهي كم من عدو شحذ لي ظبة مديته، وأرهف لي شبا حده، وداف لي قواتل سموه، ولم تنم عني عين حراسته، فلما رأيت ضعفي عن احتمال الفوادم، وعجزني عن ملأ الحوائج، صرفت ذلك عني بحولك وقوتك لا بحولي وقوتي، وألقيته في الحفيرة التي احتفرها لي خائباً مما أمله في دنياه، متباعداً عما يرجوه في أخراه فلك الحمد على قدر ما عمّمتني فيه نعمك، وما تولّيتني من جودك وكرمك. اللهم فخذ بقوتك، وافلل حده عني بقدرتك، واجعل له شغلاً فيما يليه، وعجزاً به عما ينويه. اللهم واعدي عليه عدوة حاضرة تكون من غيظي شفاءً، ومن حنقي عليه وفاءً، وصل اللهم دعائي بالإجابة، وأنظم شايتي بالتغير، وعرفه عما قليل ما وعدت به من الإجابة لعبيدك المضطرين أنك ذو الفضل العظيم، والمن الجسيم. (قال عليه السلام: قد - وحرمة هذا القبر - مات في يومه هذا، والله أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون، قال الراوي: ثم قمنا إلى الصلاة وتفرّق القوم فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتاب الوارد بموت الهادي والبيعة للرشد) (١٧).

ففي هذا التحدي وجد الإمام عليه السلام أن منهج الدعاء هو المنهج الأمثل لردّ هذا التهديد، مع أن أئمة أهل البيت عليه السلام لم يلجأوا إلى الدعاء على ظالمهم إلا عندما يبلغ الظلم منتهاه، والجور غايته، لأنهم عليه السلام يبحثون دائماً عن هداية الناس وإيصالهم إلى سلوك طريق الحق والابتعاد عن الظلم والعدوان، ولكن وكما يظهر من النص أن الظلم الذي تعرّض له قد

وصل إلى مستويات لا ينفع معها النصح والإرشاد أو أنه كان يأمل برجوع الهادي العباسي عن غيّه وتماديه وظلمه ، فما كان منه عليه السلام إلا اللجوء إلى هذه الوسيلة ليدفع بها هذا الظلم .

٣- دفع الإيهام وكشف التضليل

لعلّ التحوّل الأكثر خطورة والذي شكّل تحدياً صعباً للإمام عليه السلام ، إذ بدأت مرحلة جديدة في نوعية المنهج الإقصائي للسلطة تجاه الإمام عليه السلام ، خاصة بعد أن اخذت امامته في الانتشار والتوسّع والتفاف الشيعة حوله وحصول حالة من الفتور في الحراك الحسني العلوي المسلّح مما جعل السلطة توجه أنظارها نحوه .

والذي يبدو أن الإمام عليه السلام قد شخصّ هذه التوجّهات منذ البداية وأنه علم أن هارون الرشيد ماضٍ في مشروعه الإقصائي ، لذلك اتخذ الإمام عليه السلام خطوات استباقية تحافظ على مستقبل أبنائه خشية أن تطاخم يد الإرهاب الهاروني ومن جملة تلك الخطوات الاستباقية ما ذكره المؤرّخون عن نصّ وصيّة للإمام موسى بن جعفر ونصّ وقيّة إحدى ضياعه . جاء فيها: (أن أبا إبراهيم موسى بن جعفر أشهد على وصيته إسحاق بن جعفر بن محمد وإبراهيم بن محمد وجعفر بن صالح ومعاوية الجعفريين، ويحيى بن الحسين بن زيد، وسعد بن عمران الأنصاري ومحمد بن جعفر الأسلمي، بعد أن أشهدهم أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. وأن البعث بعد الموت حقّ، وأن الحساب والقصاص حقّ، وأن الوقوف بين يدي الله عز وجل حقّ، وأن ما جاء به محمد حقّ، وأن ما نزل به الروح الأمين حقّ، على ذلك أحيى وعليه أموت وعليه أبعث أن شاء الله.

أشهدهم أن هذه وصيتي بخطي وأوصيت بها إلى عليّ ابني وبني بعده، أن شاء وأنس منهم رشداً وأحبّ إقرارهم فذلك له، وأن كرههم وأحب أن يخرجهم فذلك له، ولا أمر لهم معه....^(١٨)

المتحصّل من مجمل هذه الوصية أن الإمام (عليه السلام) اتخذ جملة خطوات استباقية تحسّباً لأيّ خطوات يتّخذها هارون الرشيد خاصة إذا ما علمنا أن من عادة هؤلاء المتجبرين أن يعمدوا بعد استهداف شخص الإمام إلى مصادرة الأموال والتضييق الاقتصادي على أهل بيته وفرض شتى أنواع الحصار عليهم. ولذلك لجأ الإمام (عليه السلام) إلى هذا الإجراء تحسّباً لذلك.

والناظر إلى فقرات هذه الوصية يفهم خطورة التحدي القادم الذي شخصه الإمام (عليه السلام) وأهمية اتخاذ هكذا إجراءات وقائية لردعه، فللنظر إلى فقرات هذه الوصية لنعرف ذلك :

١- ذكر أسماء الشهود وعددهم

٢- ذكر أن هذه الوصية بخطه

٣- جعل الوصية إلى ابنه علي (الرضا) لأنه الإمام المفروض طاعته من بعده.

٤- أعطى له كافة الحقوق في التصرف بها بما يرى فيه مصلحة لأهل بيته .

فهذه الخطوات قطعت الطريق على أية جهة أن تُقدم على اتخاذ إجراءات من شأنها أن تضرّ بالموارد المعيشية لذريته ، كما أنه قطع الطريق على السلطة أن تتوجه بهذا الاتجاه الذي ربما يضعها في موضع الحرج أمام المجتمع فيما إذا ما أرادت فعل ذلك .

وطالعنا المصادر التاريخية بمنهج آخر تعاطى به الإمام (عليه السلام) مع هارون الرشيد، وهذا المنهج ربما يفهم منه أنه منهج مغاير للخطوات السابقة التي تعامل بها الإمام (عليه السلام) مع التحديات التي أظهرتها السلطة الحاكمة، ولكن النظر إليه من زاوية أخرى يعطي فهماً آخر وهو أنه لا بد لنا ونحن نقرأ ما يرد إلينا من مرويات عن أهل البيت (عليهم السلام) نتحدث عن منهجهم في التعاطي مع التحديات لاسيما تلك التي يكون مصدرها السلطات الحاكمة بأنه قائم على قاعدة (مصلحة الإسلام) إذ أنهم ناظرون إلى هذه المصلحة في كل الخطوات التي يقدمون عليها، فربما تختلف طبيعة تلك الخطوات وأشكالها وأدواتها وأساليبها ولكنها في نتائجها تجتمع على ضرورة الحفاظ على الهوية الإسلامية.

وهذه القاعدة كما هي قد طبقت في عصر الأئمة المتقدمين وكما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين)^(١٩) طبقها كذلك الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وبما ذكره المؤرخون حول اللقاء الذي جرى بين الإمام (عليه السلام) وهارون الرشيد عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أنه لما دخل المدينة توجه لزيارة النبي ومعه الناس، فتقدم الرشيد إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا ابن عم، مفتخراً بذلك على غيره، فتقدم أبو الحسن إلى القبر، فقال: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا، فتغير وجه الرشيد وتبين الغيظ فيه فكتمه وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً^(٢٠).

الذي يلحظ من هذه الرواية أن الإمام (عليه السلام) استخدم أسلوب النقض للفكرة التي أراد هارون الرشيد أن يبعثها في أذهان الناس بأنه الامتداد الحقيقي لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن وجوده في هذا المنصب إنما هو حق شرعي، وكما هو معلوم فأن هارون الرشيد أنطلق من المنطلق النسبي في ادعائه

هذا، مما جعل حجّته واهية أمام ما ردّ به الإمام عليه السلام وألفت إليه أذهان المجتمع ورفع الضباية عن أبصارهم . لقد حقّق الإمام عليه السلام جملة أمور في التعاطي مع هذا التحدي وهي :

١- أثبت أن الامتداد الحقيقي المرتبط نسبياً وروحياً مع النبي صلى الله عليه وآله هم أهل البيت عليه السلام

٢- سحب أذهان المجتمع (من شهد الموقف) من حال الإنشداد إلى هارون الرشيد بما أحاط به من أبهة السلطة إلى الإمام عليه السلام.

٣- جرّد الإمام عليه السلام هارون الرشيد من غطاء الشرعية في تولّي الحكم بعنوان خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال الشيخ محمد حسن آل ياسين : (المستنبط من مجموع روايات هذه الحادثة - وقد وردت في عددٍ غير قليل من المصادر المعتمدة كما يتّضح من مراجعة هامش التخرّيج - أن الرشيد قد صدمته هذه المفاخرة الصريحة أو المباهلة الجريئة ، فأفسدت عليه مشاعر التعالي ولذة المباهاة وحرّمته من توهم قدرته على خداع السامعين والمشاهدين بأنه أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وبكونه الأحق بالخلافة بحكم هذه القربى المتصلة الوشائج، ويبدو أن الإمام قد أحسّ بهدف الرشيد من هذا الإعلان؛ فبادر إلى إعلام جماهير الحاضرين بأنه الأقرب رحماً ونسباً والألصق لحمة وسبباً، وأنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله حقاً على رغم زيف المزيّفين وتضبيب المضبّبين) (٢١)

والذي يظهر أن الإمام عليه السلام استمرّ بهذا المنهج كلّما تعرض إلى هكذا تحدّ لأنّه وكما نفهمه أن الإمام عليه السلام قد استشعر الخطر من تحرّكات هارون الرشيد بهذا الاتجاه وأنه لابد من ردّة فعل تقطع الطريق عليه وتمنح الأفضلية

للإمام عليه السلام ومشروعه الرسالي ، وكان ممّا ذكر في هذا المجال ما ورد من أن هارون الرشيد سأل الإمام عليه السلام يوماً فقال: (لم زعتم أنكم أقرب إلى رسول الله ﷺ منا؟ فقال الإمام: لو أن رسول الله ﷺ أنشر فخطب إليك كريمتك هل كنت تحببه؟. فقال الرشيد: سبحان الله ، وكنت أفتخر بذلك على العرب والعجم ، لكنه لا يخطب إلي ولا أزوجه ، لأنه وَلَدَنَا ولم يلدكم). (٢٢)

وفي مجلس آخر سأل الرشيد الإمام قائلًا: لم قلتم أنا ذرية رسول الله ﷺ وجوزتم للناس أن ينسبواكم إليه فيقولون: يا بني رسول الله وأنتم بنو علي، وإنما ينسب الرجل إلى أبيه؟. فقال الإمام: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢٣)، وليس لعيسى أب، وإنما الحق بذرية الأنبياء من قبل أمه ، وكذلك ألحقنا بذرية النبي ﷺ من قبل أمنا فاطمة ، ثم أضاف الإمام فقال : قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَتَّلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢٤) ، ولم يدع عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء (٢٥)

وسأله الرشيد يوماً فقال: «أريد أن أسألك عن العباس وعلي؛ بم صار علي أولى بميراث رسول الله ﷺ من العباس، والعباس عم رسول الله ﷺ وصنو أبيه؟». فأجابه الإمام قائلًا: «أن النبي ﷺ لم يورث من قدر على الهجرة فلم يهاجر، أن أباك العباس آمن ولم يهاجر، وأن علياً له آمن وهاجر، وقال الله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَالَكُمْ مِنْ وَلَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾ (٢٦) ، فالتمع وجه هارون وتغير» (٢٧) والذي يلحظ

من إجابات الإمام (عليه السلام) الأمور الآتية :

١- أنها اتخذت صورة الحجاج بما يجعل المقابل عاجزاً عن الردّ لقوة الدليل والتحير في الجواب .

٢- أن الإمام (عليه السلام) استطاع من خلال هذه المناظرة أن يدفع باتجاه نشر المشروع الرسالي الذي طالما تعرّض للإقصاء والتغيب من قبل السلطات الحاكمة ، وتثقيف أبناء المجتمع الإسلامي بهذه الثقافة .

٣- ولعل الإمام (عليه السلام) وجد الفرصة سانحة أمامه في هذا الموقف لذلك مقارنة بالظروف القاسية التي أحاطت به خاصة في عصر هارون الرشيد.

٤- عمل الإمام (عليه السلام) على توظيف الآيات القرآنية ذات الصلة لردّ ادعاءات هارون الرشيد، خاصة تلك الآيات التي تحدثت عن النبي عيسى بن مريم وانتسابه إلى النبي إبراهيم (عليه السلام) لتشابه حاله مع حال الإمامين الحسن والحسين (عليه السلام) بالانتساب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

٥- أن الثقافة التي سادت لدى أغلب فئات المجتمع في العصر العباسي بأن العباسيين هم من أهل البيت وهذا متأثراً من الضخ الإعلامي والشعارات التي رفعوها خلال ثورتهم كشعار (للرضا من آل محمد) مما رسّخ هذه الثقافة في إذهان المجتمع .

ولعل من التحديات الخطيرة التي كانت في مواجهة الإمام (عليه السلام)، وواحدة من غايات الإمام (عليه السلام) في أتباع هذا المنهج هو ردّ هذه الثقافة وتصحيح المفاهيم لدى أبناء المجتمع .

إذ تطلّعنا المصادر بموقف آخر أظهر الإمام (عليه السلام) فيه التحديّ لمشروع السلطة من خلال محاولتها تحريف الحقائق وحرف المنظومة الفكرية

للمجتمع مما تطلب الردّ والمواجهة المباشرة لكي لا يأخذ ذلك طريقه في النفوذ إلى عقلية المجتمع . فقد روى الزمخشري : (أن هارون الرشيد كأن يقول لموسى بن جعفر: حدّ فداً حتى أردّها إليك، فيأبى، حتى ألحّ عليه، فقال: أن حدّتها لا تردّها، قال: بحقّ جدك إلا فعلت، قال: أما الحد الأول فعَدَن - فتغير وجه الرشيد وقال: إياها، قال: والحد الثاني سمرقند - فاربَدَّ وجهه، والحد الثالث إفريقية.... والرابع سيف البحر مما يلي الخزر وأرمينية، قال الرشيد: فلم يبقَ لنا شيءٌ، فتحوّل إلى مجلسي، قال موسى: قد أعلمتك أنني أن حدّتها لا تردّها) (٢٨).

وإذا ما أردنا أن نعرف أهمية التعاطي بهذا المنهج والأسلوب، لا بد أن نقرأ الرواية وأهم المضامين التي احتوتها .

١- أن هارون الرشيد (ظاهراً) أراد أن يبعث رسالة للمجتمع مضمونها أنه حريص على إعادة الحق (فدك) المسلوب من أهل البيت (عليهم السلام) اليهم بعد أن عمدت السلطات المتقدّمة إلى مصادرتة .

٢- أراد هارون الرشيد بذلك (متظاهراً) أن يظهر أمام المجتمع بحسن النوايا وأنه لا يحمل أي عداوة أو ضغينة تجاه الإمام (عليه السلام).

٣- أن رفض الإمام (عليه السلام) تحديدها في أول الأمر هو أسلوب إفحام وليس تردّداً أو خوفاً، حتى يصل بهارون الرشيد إلى مرحلة الانهزام وعدم الالتزام بالعهد والوعد.

٤- كشف الإمام (عليه السلام) لهارون الرشيد حقيقته قبل أن يتراجع عن وعده الذي قطعه بإعادتها، وكأنها الإمام (عليه السلام) قد عمل بقانون خير وسيلة للدفاع المهجوم؛ إذ أنه أعلن الهجوم (الفكري) عليه قبل أن تظهر منه حال الانهزام.

٥- أكّد الإمام (عليه السلام) على حقيقة مهمة ربما لم يلتفت إليها أكثر المجتمع أو

أنهم قد انخدعوا بالشعارات التي رفعها العباسيون، وهذه الحقيقة هي أن المنهج الاستهادي الإقصائي هو واحد لم يتغير ولم يتبدل بتبدل السلطات وسمياتها ذلك أنها جميعاً تبنت مبدأ (لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية)

٦- كشف الإمام عليه السلام لهارون الرشيد وسلطته أن موضوع فدك ليس موضوع أرض زراعية بما هي هي ، بل أن الموضوع يتعدى ذلك إلى موضوع الخلافة الإلهية ، ولذلك وجدنا الإمام عليه السلام عندما حدّثها قد حدّثها بحدود الدولة العباسية القائمة ولم يحدّثها بحدود تلك الأرض الزراعية التي كانت بالزمن الأول حين المصادرة. وتبعاً لهذه الحقيقة التي ثبتها الإمام عليه السلام نفهم أن حدودها متغيرة بتغير الأزمنة والحكومات ولا يعني هذا التغير إلا أنها تعني الحكم .

المبحث الثاني : تحدّي السجن

أشرنا فيما مرّ من تحدّي السلطة إلى أن الإمام تعرّض إلى السجن في مرات عديدة في زمن المهدي العباسي ومن بعده ابنه الهادي ، إلا أن الظاهر أن هذا السجن لم يدم طويلاً ، إلا أن السجن الذي ترك آثاره على الإمام عليه السلام وقيد حركته ودام لفترات طويلة هو ما كان في زمن هارون الرشيد.

وقد أظهر الإمام عليه السلام تعاطياً كبيراً في مواجهة هذا التحدي وذلك كما ذكرنا أنفاً أن المدد الزمنية قد طالت فيه وهو ما جعل المسافة بين الإمام عليه السلام والمجتمع طويلة زمنياً ومكانياً ، ولا يخفى أن المجتمع معرض لكثير من الابتلاءات والمحن التي تجعله بحاجة إلى وجود الإمام عليه السلام ليضع لهم الحلول والإجابات التي تمكّنهم من مواجهتها. وبيان هذا التحدي يأتي على وفق المحاور الآتية :

١ - عقلية السلطة بين الإصرار والتمادي

يتّضح ومن خلال المعطيات التاريخية أنه وعلى الرغم من أن الإمام عليه السلام كان يعاني من تلك السجون أشد المعاناة إلا أنه عليه السلام أنطلق بأداء دوره الرسالي متحدّياً أرادة السلطة الجائرة التي أرادت بسجنه أن تقوِّض من ادائه لهذا الدور الرسالي وتجعله عاجزاً عن ذلك وتقطع كل وسائل التواصل بينه وبين المجتمع.

ولعل الرواية التي نذكرها تبين لنا حال الإصرار والاجتهاد التي كانت عند هارون العباسي في التوجّه إلى سجن الإمام عليه السلام والتضييق عليه أشدّ المضايقة قالت الرواية: (وحجّ الرشيد في تلك السنة فبدأ بقبر النبي ﷺ .. فقال : يا رسول الله ؛ أني أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله ، أريد أن أحبس موسى بن جعفر ، فإنه يريد التشتيت بين أمتك وسفك دمائها ، ثم أمر به فأخذ من المسجد ، فأدخل إليه ، فقيّده ، وأخرج من داره بغلين عليها قبتان مغطتان هو في أحدهما ، ووجه مع كلّ واحدٍ منهما خيلاً ، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة والأخرى على طريق الكوفة ، ليعمّي على الناس أمره ، وكأن موسى في التي مضت إلى البصرة ، فأمر الرسول أن يسلمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور - وكان على البصرة حينئذ - فمضى به فحبسه عنده سنة (٢٩)

وقبل البيان في تعاطي الإمام عليه السلام مع هذه الخطوات التي أقدم عليها هارون الرشيد لابد لنا من وقفة تتبيّن من خلالها حيثيات هذا الإجراء ليتوضّح أماننا شكل ونوع وحجم التحدي الذي تعرّض له الإمام عليه السلام :

١ - اعترف هارون الرشيد اعترافاً صريحاً بأن التطاول على شخص الإمام موسى بن جعفر عليه السلام إنما هو تطاولٌ على شخص النبي ﷺ (يا رسول الله أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله ، أريد سجن موسى بن جعفر).

٢- إذا كان ما أراد هارون الرشيد الإقدام عليه من الأمور التي تحفظ وحدة المجتمع وتعمّز مكانة الاسلام (كما ادّعى هارون) فلماذا هذا الاعتذار من النبي ﷺ ؟ أليست هذه الأمور هي جوهر ما دعا اليه ﷺ ؟ ولكنه يعلم أن هذا الفعل هو عين الانحراف عن منهج النبي ﷺ ، وأنه تجاوز عني وصريح على المنهج الرسالي .

٢- أن هارون الرشيد كان يعيش حالة من الخوف (غير المبرر) من الإمام عليه السلام ووجوده بين المجتمع مع علمه التام أنه لا يشكّل مصدر خطر على سلطته (من حيث كونه حاكماً) خاصّة وأن الإمام عليه السلام قد أعطى العهود لأبيه من قبل بأن الخوض في شؤون السلطة ليس من شأنه .

٣- حاول هارون الرشيد أن يبرّر علة إقدامه على سجن الإمام عليه السلام (فأنه يريد التشتيت بين أمتك وسفك دماءها) والحقيقة فإن هارون الرشيد لم يذكر لنا كيف بان له ذلك ، فهل إن الإمام عليه السلام أظهر أفعالاً تظهر توجّهه نحو إعلان حراك ثوري مسلّح ضد السلطة الحاكمة ؟ وهل إنه عليه السلام صدر منه كتاب أو قول يوجّه الاتهامات إليها ؟ أو هل إن هارون علم من خلال أجهزته الاستخباراتية وعلم بالدليل أن الإمام عليه السلام ينوي إثارة المجتمع ضده ؟ هذه الأسئلة وربما غيرها لا نجد لها إجابة لكي نجعلنا نقبل بالعدو الذي ساقه هارون الرشيد لفعله .

٤- لعل ما ورد في النص من قول هارون الرشيد (فإنه يريد التشتيت بين أمتك) يكشف لنا حجم المخاوف والقلق التي كان يعيشها مع وجود الإمام عليه السلام بين ظهرائي المجتمع وهو يمارس دوره الرسالي الوعظي والإرشادي والتوجيهي ، وهذا كله في نظر هارون الرشيد (تشتيت) بين الأمة كما يدّعي .

٥- يظهر من سياق الرواية أن هارون الرشيد قد أعدّ العدة لذلك جيداً واتخذ كافة الإجراءات الكفيلة بتحقيق غايته هذه ، بل إن جميع هذه الإجراءات قد جرت تحت إشرافه مباشرة (ثم أمر به فأخذ من المسجد ، فأدخل إليه فقيّده).

٦- اتسمت خطوة هارون الرشيد هذه بالخطر الشديد والسرية التامة في عملية نقل الإمام عليه السلام من المدينة المنورة إلى العراق (وأخرج من داره بغلين عليها قبتان مغطتان هو في أحدهما ، ووجه مع كل واحد منهما خيلاً ، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة والأخرى على طريق الكوفة ، ليعمّي على الناس أمره) مما يعني أن هارون الرشيد يعلم أن عملية الاعتقال هذه ليست بالأمر الهين ولها مردودات سلبية تجاه السلطة العباسية .

٢- منهج الجذب والاستقطاب

كانت الخطوة التالية للإمام موسى بن جعفر عليه السلام في التعامل مع توجهات هارون الرشيد باتجاه قتله من خلال فرض واقع مخالف للواقع الذي أراد هارون الرشيد فرضه بأن الإمام يريد أن يشتت أمر الأمة ويفرقها ، فقد أعطى الإمام عليه السلام صورة مغايرة عن ذلك عندما أظهر أنه بعيد كل البعيد عن هذه المدّعيات وأنه لم يظهر الشقاق ولم يرد الفتنة بأسلوب (كونوا دعاة للناس بغير الستكم ...) ^(٣٠) ، الإمام عليه السلام لم يلق خطاباً ولم يرسل رسالة ولم يكتب كتاباً ، بل كان يقابل جميع إجراءات هارون الرشيد بالعبادة والذكر مما أدخل الاطمئنان في نفوس أتباع السلطة بأن مثل هكذا شخص لا يمكن أن يكون في موضع التهديد لأمن الدولة؛ إذ جاء في الرواية : (في أثناء هذه السنة كتب الرشيد إلى واليه يأمره بقتل الإمام ، فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خاصته وثقاته فاستشارهم فيما

كتب إليه الرشيد ، فأشاروا عليه بالاستعفاء من ذلك ، فكتب عيسى إلى الرشيد يقول له : لقد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي ، وقد اختبرتُ حاله ووضعتُ عليه العيون طول هذه المدة فما وجدته يفتّر عن العبادة ، ووضعتُ من يسمع منه ما يقول في دعائه فما دعا عليك ولا عليّ ولا ذكرنا بسوء ، وما يدعو لنفسه إلا بالمغفرة والرحمة ، فأن أنت أنفذت إليّ من يتسلّمه منّي وإلا خليت سبيله ، فإني متحرّج من حبسه (٣١) .

وكان بعض عيون عيسى بن جعفر قد أبلغه أنه طالما سمع الإمام يردّد في دعائه خلال ذلك الحبس عنده ويكثر من ترداده : (اللهم إنك تعلم أني كنت أسألك أن تفرّغني لعبادتك ، اللهم وقد فعلت فلك الحمد) (٣٢)

الواضح من خلال كتاب والي البصرة إلى هارون الرشيد أن تعاظمي الإمام عليه السلام مع هذا المنهج هو الذي جعل السلطة في البصرة وفرض عليها أن تنقل هذه الصورة الإيجابية عنه عليه السلام ، بل الأكثر من ذلك أن الإمام عليه السلام بات موضع ثقة عند السلطات في البصرة لدرجة أنها كانت تسمح بدخول الناس عليه يتفقّدونه ويسألونه الأحكام الشرعية (٣٣) مما يعطينا دلالة على أنه عليه السلام استطاع أن يحوّل هذا التحديّ إلى انتصار وأن يفرض خياراته واستراتيجيته ، كما أنه عليه السلام تمكن من وضع السلطة في زاوية ضيقة ؛ إما أن تستمرّ في التضييق عليه وتحجيم دوره حتى الوصول إلى مرحلة إنهاء حياته ، وهو ما تجد فيه حرجاً كبيراً عليها لأنه أصبح أسلوباً مكشوفاً أمام الرأي العام ، خاصة وأن الإمام عليه السلام نجح في إضعاف وإفشال هذا الخيار ، أو أنها تضطر إلى إطلاق سراحه وهذا يعني هزيمتها وفشل مشروعها الإقصائي . وفي الحاليين فإن السلطة هي الخاسرة .

وهذا المنهج في التعاطي مع مشروع السلطة نفسه أظهره الإمام (عليه السلام) عندما كان في سجن الفضل بن الربيع، فقد روى أحمد بن عبد الله عن أبيه قال: (دخلتُ على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح، فقال لي: أشرف على هذا البيت وأنظر ما ترى، فقلت: ثوباً مطروحاً، فقال: أنظر حسناً، فتأملت، فقلت رجل ساجدٌ، فقال لي تعرفه؟ هو موسى بن جعفر، أتفقده الليل والنهار فلم أجده في وقت من الأوقات إلا على هذه الحالة: إنه يصليّ الفجر فيعقب إلى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة، فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس.... فإذا صلى العتمة أفطر، ثم يحدّد الوضوء... فلا يزال يصليّ في جوف الليل حتى يطلع الفجر) (٣٤)

وكذلك الحال لما تسلّم الفضل بن يحيى الإمام (عليه السلام) فجعله في بعض حجر دوره، ووضع عليه الرصد، مشغولاً بالعبادة كعادته، يُحيي الليل كله صلاة وقراءة للقرآن ودعاء واجتهاداً ويصوم النهار في أكثر الايام ولا يصرف وجهه عن المحراب (٣٥)

فعندما نمعن النظر في هاتين الروايتين نجد أن الإمام (عليه السلام) تعاطى مع هذا التحديّ (السجن) بنسقٍ واحد وهو العبادة؛ لأنه يرى أن هذا المنهج هو الخيار الأسلم والأكثر فاعلية في الحركة الرسالية والمشروع الرسالي الذي يريد منه الإمام (عليه السلام) أن يأخذ طريقه إلى الانتشار والتوسّع.

وقد يقول قائل كيف يتحقّق هذا المشروع والإمام (عليه السلام) يعيش في ظلمات السجون لا يراه إلا القليل من أتباعه في حالات نادرة؟ وجواب ذلك: أن القائد الرسالي لا ينظر إلى قلة الناس أو كثرتهم ولا إلى المكان سجنًا كان أو مسجدًا أو محفلًا علميًا أو غيرها، بل أنه ينظر إلى الكيفية التي يبعث بها هذا المشروع وكيفية التأثير وصناعة الرأي والعمل على تغيير المنظومة



الفكرية للفئة المستهدفة ، وهذا ما ظهر بتمامه في منهج الإمام موسى بن جعفر عليه السلام إذا إنه استهدف المسؤولين وعمال الدولة والسجّانين فضلاً عن آحاد الأفراد من شيعته من خلال ذلك المنهج العبادي المتكامل من الدعاء والصلاة والصيام، مما ولّد قناعات جديدة عند هؤلاء خاصة ممن كان لا يعرفه، فبهذا المنهج استطاع الإمام عليه السلام أن يعرف بنفسه وبأهل البيت عليهم السلام الذين طالما سعت السلطات إلى تغييبهم عن ثقافة المجتمع ، لعلّ هذا وغيره هو ما كان يبتغيه الإمام عليه السلام من حركته الرسالية داخل هذه السجون.

ولعل ما ذكر حول الحركة الرسالية للإمام في سجن السندي بن شاهك يعزّز ما ذهبنا إليه ، إذ ذكر أن الإمام عليه السلام عندما نقل بأمر هارون الرشيد إلى سجن السندي بن شاهك ، سألت أخت السندي أخاها أن تتولى أمر هذا العبد الصالح في حبسه - وكانت تتدّين - فوافق على ذلك، فكانت على خدمته، وحكي أنها قالت: (كان إذا صلّى العتمة حمد الله ومجّده ودعاه ، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فإذا زال الليل قام يصليّ حتى يصليّ الصبح ، ثم يذكر حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى ، ثم يتهياً ويستاك ويأكل ، ثم يرقد إلى الزوال ، ثم يتوضأ ويصليّ، ثم يذكر في القبلة حتى يصليّ المغرب ، ثم يصليّ ما بين المغرب إلى العتمة ، فكانت تقول: خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل) (٣٦)

هذا النصّ يدلّنا على جملة من الأمور في تعاطي الإمام عليه السلام مع تحديّ السجن :

١ - يبدو أن منهج الإمام عليه السلام هذا قد أوجد جاذبيّة في القلوب نحوه بحيث إنها تتوق إلى رؤيته لتتعرّف عن قرب حقيقة تلك الصورة العبادية التي كان عليها وتناقلتها الألسن.

٢- إن هذا الطلب يظهر أن هناك جمالاً روحياً كان ينبعث من الإمام عليه السلام لكل من شاهده وشهده أو سمع به ، وهذا شبيه بذلك الجمال الذي كان عليه النبي يوسف عليه السلام عندما كان يأسر القلوب والأرواح كما وصفه القرآن الكريم ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (٣٧) وإذا كان الجمال الظاهري في النبي يوسف عليه السلام هو الذي اختطف الأبصار والقلوب، فإن الجمال الروحي الذي كان ينبعث من الحال الذي كان عليه الإمام عليه السلام هو من جعل تلك القلوب تهفو نحوه وتهوي إليه ، قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا أَنِي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٨)

٣- لم يترك الإمام عليه السلام وهو في السجن فترة زمنية تمر من يومه إلا وجعلها حالاً عبادية لكي يرسل رسالة إلى المجتمع بأن من أهم مظاهر مواجهة التحديات التي تعترض مسيرة الإنسان هو اللجوء إلى الأسلوب العبادي ، كما أن العبادة هي الحال الذي يلزم أن يكون عليه في كل حين ، لأن الأصل في خلق الإنسان هو عبادة الله وحده لا شريك له وأن يكون الإنسان في كل أحواله ملتجئاً إليه سبحانه وتعالى ، قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٣٩)

والعبادة ليست فقط الصلاة والدعاء وقراءة القرآن فهذا أحد أركانها، بل لها ركن آخر وهو العمل وفقاً لما رسمته الشريعة ، وما دام الإمام عليه السلام في السجن فإنه كان مقيّداً من الجانب الحركي ، لذلك نجده بلغ مشروعه الرسالي الحضاري من خلال هذه الأمور التي ورد ذكرها في هذا النص .

٤ - لقد بات تأثير المنهج الذي أنتهجه الإمام عليه السلام واضحاً في المجتمع، وشكّل عندهم قناعات مختلفة تماماً عن القناعات التي أرادها هارون الرشيد، بل أن هذه القناعات المتولّدة أعطتهم قوة وجرأة في رفض واعتراض تلك السياسية الاستهدافية من قبل السلطة تجاه الإمام عليه السلام وهذا ما نستدل عليه من قول اخت السندي بن شاهك (خاب قوم تعرّضوا لهذا الرجل).

٥ - وأجمل ما في هذا التأثير أنه اجتاحت قاعدة السلطة وأتباعها وهو أمر في غاية الأهمية إذا ما أردنا معرفة مستويات النجاح التي حقّقها الإمام عليه السلام في تعايطه مع التحديات.

المبحث الثالث : تحدي الثورات العلوية

تعد الثورات العلوية واحدة من التحديات الخطيرة والكبيرة التي عاشها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، إذ إن الحراك الثوري العلوي لا سيما الحسيني قد اجتاحت العصر العباسي الأول اجتياحاً كبيراً، إذ لا تكاد سنة من سنواته تمرّ دون قيام ثورة أو ثورة قائمة، ولا يخفى أن هذا الحراك الثوري قد فعل فعله في الدولة العباسية وهزّ أركانها واربك أمنها، بل لعله الخطر الثوري الأكبر الذي كأن قد أرقّ حكّامها واستنزف قواها عسكرياً وامنيّاً، كما أنه قد نغص عليهم نشوة الحكم خاصة الحكام الأوائل أبو جعفر المنصور والمهدي والهادي وهارون الرشيد والأمين المأمون، لذلك كانت هذه الثورات موضع تحدٍّ للأمام موسى بن جعفر عليه السلام، وقد ظهر هذا التحدي في اتجاهين: الاتجاه الأول من جهة السلطة والاتجاه الثاني من جهة الثوار أنفسهم.



ومن هنا وجدنا أن الإمام عليه السلام قد عاش ظروفاً صعبة وقاهرة مع وجود هذا الحراك الثوري كما عاشه من قبله والده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام؛ فقد ذكر عنه عليه السلام ما كان يعانيه من تحدٍّ واصفاً ما تعرّض له العلويون من ظلم وقهر واضطهاد بعد ثورتي محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن المثنى بقوله (... حشرنا من المدينة فلم يترك فيها منّا محتلم حتى قدمنا الكوفة فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل...) (٤٠) وبطبيعة الحال فإن كل أفعال السلطة وإجراءاتها كانت ردود أفعال تجاه هذا الحراك الثوري، ممّا يعني أن هذه الإجراءات كانت توصف بالعنيفة والقاسية، ومع أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لا زال في مستقبل العمر مع هذه الأحداث، إلا أنه عاشها جميعاً ورأى كل ما كان يتعرّض له والده عليه السلام من تضيق واستدعاء متكرّر من قبل المنصور العباسي، وكما أشرنا في موضع سابق فإن ضغط المنصور تجاه الإمام عليه السلام قد خفّ نوعاً ما بعد مقتل والده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وبعد القضاء على ثورتي محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن، وهذا يعني أن الثورات العلوية كانت قد ولّدت حالاً من الضغط على الإمام عليه السلام خشية السلطة من تأييد الإمام عليه السلام أو انضمامه لتلك الثورات وما يترتب عليه من خطر كبير على الحكم العباسي.

كما ظهر هذا التحدي تجاه الإمام عليه السلام من قبل بعض قادة تلك الثورات وهذا ما حدث مع الحسين بن علي صاحب فخ الذي أعلن ثورته على الحكم العباسي سنة ١٦٩ هـ، إذ ذكر - أن الحسين - دعا موسى بن جعفر إلى البيعة، (فأتاه فقال له: يا ابن عم؛ لا تكلفني ما كلف ابن عمك أبا عبد الله فيخرج مني ما لا أريد كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يريد، فقال له الحسين: أنها عرضت عليك أمراً؛ فإن أردته دخلت فيه وأن كرهته لم أحملك عليه، والله المستعان، ثم ودّعه، فقال له أبو الحسن موسى بن جعفر حين ودّعه: يا ابن عم إنك مقتول) (٤١).

وقد أكد أبو الفرج الاصفهاني على أنه لم يتخلف أحد من الطالبين عن الخروج مع الحسين هذا (إلا الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن وموسى بن جعفر بن محمد) (٤٢).

ولعل من الآراء الرائعة التي تنفعنا هنا في بيان علّة عدم خروج الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في هذه الثورة وحجم الضغوطات والتحديات التي تعرّض لها خلال هذه الأحداث هو ما ذكره المفكر الإسلامي محمد حسن آل ياسين بقوله: (ولم يكن امتناع الإمام موسى بن جعفر عن تأييد ابن عمه بالخروج معه أو حثّ الناس على بيعته ، أو إعلان وجوب الانخراط في صفوف الثائرين معه ، ناشئاً عن خوف من بطش السلطة ، أو إيثار للحياة على الموت أو حبّ للدينا و زبارجها الخداعة ، وأين منه كلّ ذلك ؛ وهو يعيش بطش السلطة وأذاها في كلّ يوم ، ويتمنّى لقاء الله وقدمه عليه في كل دعاء وابتغال . ولقد سبق منا القول في بحوثنا السابقة المعنية بالأئمة علي بن الحسين ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق أن هؤلاء القادة ليسوا من حيث المنطلق والمبدأ هواة حكم أو عشاق سلطان ، ولم يكن من أهدافهم في الدنيا كرسي الملك أو عرض ... (الحكم) ، وإنما يتمثل همهم الأكبر وشغلهم الشاغل في العمل على تطبيق أحكام الدين ، وتجسيد ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله على صعيد الواقع المعاش للمسلمين ، فأن علموا بتحقيق الثورة لذلك - ولو بالقوة لا بالفعل كما في ثورة الحسين - قاموا بها ولم يأبهوا بفداحة الخسائر وعظم التضحيات ، وأن لم يضمّنوا هذه النتيجة لا في الحال ولا في المستقبل المنظور امتنعوا عن إراقة الدماء وتأجيج نيران الحروب والفتن ، لأنها بلا جدوى ولا مردود . ومن هنا كان سبب تخلف الإمام عن تأييد نهضة ابن عمه ، لعلمه مسبقاً بأنها محكومة

بالفشل المحتّم وغير مكتوب لها النجاح - ولو بأدنى درجاته - في تحقيق الهدف، وبذلك لن يكون لها من نتيجة سوى مقتل القائمين بها ومقتل من ينصرهم فيها من جماهير الناس الناقمة على بني العباس ، وسوى تعزيز قبضة الحاكم وتدعيم تسلّطه على الرقاب ، من دون أن يترتب عليها أو يكون من أثارها شيء ملموس في إصلاح المفاصد وإزالة المظالم وتنفيذ شرع الله في خلقه وأرضه ، وعلى الرغم من علم الإمام بهذه الخاتمة وإخباره الحسين بصريح اللفظ أنه مقتول: وإصرار الحسين على موقفه وتصميمه ، فقد أثر عن الإمام موسى بن جعفر لما بلغه نبأ شهادة ابن عمه قوله فيه: «إنا لله وأنا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً صواماً أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر؛ ما كان في أهل بيته مثله^(٤٣) ، مشيراً في ذلك إلى أن قيام الحسين بنهضته إنما كان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس مشمولاً بعنوان الجهاد الشرعي العام الذي تجب مشاركة جميع المسلمين فيه أن توافرت شروطه وأركانه^(٤٤) ، ومن ذلك كله تتبين لنا جملة أمور يتضح معها المنهج الذي تعاطى به الإمام (عليه السلام) مع هذا التحدي :

١- أكد هذا المنهج أن موقف الإمام (عليه السلام) كان موقفاً ثابتاً من حيث الموقف تجاه السلطة الحاكمة وأنه لم يكن يحمل اتجاهاً ثورياً ضد نظام الحكم .

٢- أشار هذا المنهج إلى أن الثورة المسلّحة ليست هي الخيار الأمثل والأصلح دائماً في مواجهة مواطن الانحراف ، بل إن خيارات المواجهة كثيرة ومتعددة ، وهذا يتبع الظروف والنظر إلى تحقيق النتائج الإيجابية بما يخدم المصلحة العامة .

٣- يظهر أن الإمام (عليه السلام) شخّص أن المجتمع الشيعي عامة والامامي خاصّة لا يتحمّل مزيداً من الدماء والتضحيات دون نتائج واضحة وملموسة بل إنها زادت من عمليات القتل وسفك الدماء .

٤- أعطت هذه الثورات الذريعة والحجج للسلطة لاستهداف القيادات والعلماء ما بين القتل والتشريد والإقصاء وأفقدت الساحة العلمية كثيراً من الكفاءات والطاقات التي كان من الممكن توظيفها لتغيير واقع المجتمع .

٥- أن الهمم الأكبر للإمام عليه السلام خلال هذه الفترة هو الحفاظ على المجتمع الشيعي عامة والمجتمع الإمامي خاصة ولملمة شتاته لكثرة الفتن التي تعترض مسيرة هذا المجتمع .

الخاتمة :

١ - أن المنهج الذي اتبعه الإمام موسى بن جعفر عليه السلام كشف لنا حجم المخاوف والقلق الذي كانت السلطة تعيشه مع وجود الإمام عليه السلام بين ظهرائي المجتمع وهو يمارس دوره الرسالي الوعظي والإرشادي والتوجيهي .

٢ - تبين أن الإمام عليه السلام تعاطى مع بعض التحديات بمنهج العبادة ، لأنه عليه السلام رأى أن هذا المنهج هو الخيار الأسلم والأكثر فاعلية في الحركة الرسالية والمشروع الرسالي الذي يريد منه الإمام عليه السلام أن يأخذ طريقه إلى الإنتشار والتوسع .

٣- أشار هذا المنهج إلى أن الثورة المسلحة ليست هي الخيار الأمثل والأصلح دائماً في مواجهة مواطن الانحراف بل إن خيارات المواجهة كثيرة ومتعددة، وهذا يتبع الظروف والنظر إلى تحقيق النتائج الإيجابية بما يخدم المصلحة العامة. كما أكد هذا المنهج أن موقف الإمام عليه السلام كان موقفاً ثابتاً من حيث الموقف تجاه السلطة الحاكمة وأنه لم يكن يحمل اتجاهاً ثورياً ضد نظام الحكم .

٤- أن الإمام عليه السلام استطاع من خلال هذا المنهج أن يدفع باتجاه نشر المشروع الرسالي الذي طالما تعرض للإقصاء والتغييب من قبل السلطات

الحاكمة ، وتثقيف أبناء المجتمع الإسلامي على أهمية إتباع السبل والآليات التي تتناسب مع المنهج الرسالي في مواجهة هذه المخططات .

٥- اعتمد الإمام عليه السلام منهج الدعاء على الظالمين كمنهج أمثل لردّ مشروع الاستهداف ، ومع أن أئمة أهل البيت عليه السلام لم يلجؤوا إلى الدعاء على ظالمهم إلا عندما يبلغ الظلم منتهاه ، والجور غايته ، لأنهم عليه السلام يبحثون دائماً عن هداية الناس وإيصالهم إلى سلوك طريق الحق والابتعاد عن الظلم والعدوان ، ولكن وكما يظهر من النص أن الظلم الذي تعرض له قد وصل إلى مستويات لا ينفع معها النصح والإرشاد أو أنه كأن يأمل برجوع الهادي العباسي عن غيّه وتماديهِ وظلمه ، فما كأن منه عليه السلام إلا اللجوء إلى هذه الوسيلة ليدفع بها هذا الظلم .



- ١- القرآن الكريم ، سورة البقرة ، آية ٢١٣
- ٢- مؤنس ، حسين ، ظلمات بعضها فوق بعض ، ص ٧٣ .
- ٣- ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ٢٥٠-٣٥١
- ٤- المسعودي ، مروج الذهب ٣/ ٢١٢ ، سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ٣٥٦ ، ابن حجر الهيتمي الصواعق المحرقة ٢١٢ .
- ٥- المفيد ، الارشاد ٣١١
- ٦- آل ياسين ، الائمة الاثنا عشر سيرة وتاريخ ، ج ٢ ص ٤٣
- ٧- دوندلسن ، عقيدة الشيعة ١٦٢ - ١٦٣
- ٨- آل ياسين ، الائمة الاثنا عشر ، ٢/ ٤٣
- ٩- الكليني ، الكافي ٤٧٧/ ١ - ٤٧٨ ؛ ابن شهر اشوب ، المناقب ، ٢/ ٣٥٢ - ٣٥٥
- ١٠- القرآن الكريم ، سورة محمد ، الآية ٢٢ .
- ١١- تأريخ بغداد: ٣٠/ ٣- ٣١ ينظر كذلك: الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٨/ ١٧٧ وكثر الدر: ٣/ ١٢ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، ٢/ ١٠٤ ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : ٥/ ٧٢ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤/ ٣٩٣ ، ابن طلحة الشافعي ، مطالب السؤول ٢/ ٦١ - ٦٢ سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص: ص ٣٥٩ ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ٦/ ٢٧٢ - ٢٧٣ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ١٨٣/ ١٠ ، اليافعي ، ومرة الجنان: ١/ ٢١٥ ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ١/ ٣٠٤ .
- ١٢- الآبي ، نثر الدر ، ١/ ٣٥٨ .
- ١٣- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٣/ ١٣٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٨/ ٢٠٥ .
- ١٤- الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ٧/ ٤٤١
- ١٥- كعب بن مالك بن ابي كعب بن القين
- ١٦- الديوان ، ص ٢٨ . بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ، كنيته ابو عبد الله ، كان من شعراء النبي ﷺ الذين ردوا عنه اذى قريش ، شهد معظم مشاهد النبي ﷺ ، وكان احد النفر الذين تخلفوا عن بيعة امير المؤمنين ﷺ والتحق بمعاوية حتى تولي معاوية حكم الدولة ، ثم رجع الى المدينة حتى وفاته . ينظر : ابو الفرج الاصفهاني ، الاغانى ، ١٦/ ٢٤٨ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ص ١٣٢٣-١٣٢٦ ، المرزباني ، معجم الشعراء ، ٢٢٩-٢٣٠ .
- ١٧- المجلسي ، بحار الانوار ، ٤٨/ ٢١٧ .
- ١٨- المجلسي ، بحار الأنوار ، ٤٨/ ٢٧٦ - ٢٨٠
- ١٩- نهج البلاغة ، الخطبة ٧٤ .

٢٠- المفيد، الإرشاد، ص ٣١٨، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٣ / ٣١، ابن شهر اشوب، المناقب، ٢ / ٣٨٠، الطبرسي، الاحتجاج، ص ٢١٤، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥ / ١٠٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤ / ٢١٤، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٥٩، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦ / ٢٧٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠ / ١٨٣، اليافعي، مرآة الجنان، ١ / ٣١٥، ابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة، ص ١٢٢.

٢١- الأئمة الاثنا عشر / ٥٢ - ٥٣

٢٢- الآبي، نثر الدر ٣٥٦ / ١، المجلسي، بحار الأنوار ١٨ / ١٣٧ - ١٣٨

٢٣- القرآن الكريم، سورة الأنعام، الآية ٨٥.

٢٤- القرآن الكريم، سورة ال عمران، الآية ٦١.

٢٥- الآبي، نثر الدر ١ / ٣٥٩، القندوزي الحنفي، ينابيع المودة ٤٨ / ١٢٢ - ١٢٨ - ١٢٩

٢٦- القرآن الكريم، سورة الأنفال، الآية ٧٢.

٢٧- ابن شعبة الحراني، تحف العقول / ٣٠٢، المجلسي، بحار الأنوار ١٠ / ٣٤٢

٢٨- ربيع الأبرار ١ / ٣١٥ - ٣١٦

٢٩- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٥٠١ - ٥٠٢، المفيد، الإرشاد /

٣١٩ - ٣٢٠، ابن طباطبا، الفخري / ١٧٢

٣٠- الكليني، الكافي، ٢ / ٧٨.

٣١- أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين / ٥٠٢.

٣٢- المفيد، الإرشاد، ص ٣٢١، ابن شهر اشوب، المناقب، ٢ / ٣٧٩

٣٣- المجلسي، بحار الأنوار / ٤٨ / ٢٩

٣٤- ابن شهر اشوب، المناقب ٢ / ٣٧٩، المجلسي، بحار الانوار، ٤٨ / ٢١٠ - ٢١١

٣٥- المفيد، الارشاد / ٣٢١

٣٦- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٣ / ٣١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥ /

١٠٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٦ / ٢٧٣، ابو الفداء، التاريخ، ٢ / ١٥.

٣٧- القرآن الكريم، سورة يوسف، آية ٣١

٣٨- القرآن الكريم، سورة إبراهيم، آية ٣٧

٣٩- القرآن الكريم، سورة الذاريات، آية ٥٦

٤٠- ابو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين ٣٥٠ - ٣٥١

٤١- الكليني، الكافي، ١ / ٣٦٦، المجلسي، بحار الأنوار، ٤٨ / ١٦٠ - ١٦١

٤٢- مقاتل الطالبين، ص ٤٤٧.

٤٣- المجلسي، بحار الأنوار، ٤٨ / ١٦٥

٤٤- ينظر: الأئمة الاثنا عشر سيرة وتاريخ، ٢ / ٤٦ - ٤٧

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* الآبي، أبو سعيد منصور بن الحسين
الوزير، نثر الدر، الهيئة المصرية للكتاب،
القاهرة ١٩٨٠م.

* آل ياسين ، محمد حسن ، الأئمة الاثنا عشر سيرة وتاريخ ، الطبعة الأولى ، مطبعة الغدير ٢٠٠٠م .

* ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي
الكرم محمد بن محمد الجزري ت ٦٣٠
هـ ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب
العربي ، بيروت ، د.ت

* ابن حجر ، شهاب الدين أحمد
بن محمد الهيثمي المكي (ت ٩٧٣هـ)،
الصواعق المحرقة ، طبعة القاهرة ،
١٣١٢ هـ.

* الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.د.

* ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٤٩ م.

* دوندلسن، دوايت ، عقيدة الشيعة ،
الترجمة العربية ، القاهرة ١٣٦٥ هـ .

* الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد
بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ). سير أعلام
النبلأ / مؤسسة الرسالة / بيروت /

١٤٠٦ هـ.

* سبط بن الجوزي ، يوسف بن فرغلي
الغداد (ت ٦٥٤ هـ). تذكرة الخواص ،
المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ، ١٣٨٣ هـ.

* ابن شعبة ، أبو محمد الحسن بن علي الحراني الحلبي (من أعلام القرن الرابع) تحف العقول عن آل الرسول ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ١٣٨٠ هـ .

* ابن شهر آشوب ، أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي السروي (ت ٥٥٨ هـ). المناقب مناقب آل أبي طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ١٣٧٥ هـ .

* الطبرسي ، أحمد بن علي بن أبي طالب
(ت ٥٨٨ هـ) . الاحتجاج ، دار النعمان ،
النجف الأشرف ، ١٣٨٦ هـ .

* الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير
(ت ٣١٠هـ). تاريخ الأمم والملوك ، دار
القاهرة ١٩٦٣ .

* ابن طلحة الشافعي ، كمال الدين
محمد بن طلحة الشافعي النصيبي (ت
٦٥٢هـ) مطالب السؤول في مناقب آل
الرسول ، النجف الاشرف ١٣٧١ هـ .

* ابن عبد البر، عمر بن يوسف النمري
(ت ٤٦٣ هـ) الاستيعاب في معرفة
الأصحاب ، تحقيق محمد علي البجاوي،
الهند ، حيدر اباد ١٣١٨ هـ .

* علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، نهج
البلاغة ، مجموعة خطب الإمام علي (عليه السلام)

جمعها الشريف الرضي .

* ابن العماد الحنبلي ، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت ٥٨٩ هـ) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

* أبو الفداء ، إسماعيل بن علي بن محمود (ت ٧٣٢ هـ) ، التاريخ ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .

* أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ) ، الأغاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢ م . مقاتل الطالبين ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ١٩٥٦ .

* القندوزي ، سليمان بن أبي إبراهيم الحنفي (ت ١٣٩٤ هـ) . ينابيع المودة ، مطبعة آخر ، استانبول ١٣٠١ هـ .

* ابن كثير ، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) البداية والنهاية ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .

* كعب بن مالك الأنصاري ، الديوان ، الطبعة الأولى ، تحقيق محمد طراد ، دار صادر ، بيروت ١٩٩٧ .

* الكليني ، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي البغدادي (ت ٣٣٩ هـ) . أصول الكافي ، دار الكتب الإسلامية ،

طهران ١٣٨٣ هـ .

* المجلسي ، شيخ الإسلام ، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١ هـ) . بحار الأنوار / ج ٤٨ / تحقيق : محمد مهدي الموسوي الخرساني . المطبعة الإسلامية ، طهران ١٣٨٥ هـ

* المرزباني ، محمد بن عمران ، معجم الشعراء ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٨٢ .

* المفيد ، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٣١٤ هـ) الإرشاد ، الطبعة الثانية ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ١٣٩٢ هـ .

* مؤنس ، حسين ، ظلمات بعضها فوق بعض ، دار المستقبل ، بيروت ١٩٨٦ .

* اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد اليمني (ت ٧٦٨ هـ) . مرآة الجنان ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ١٣٩٠ هـ .

* اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٥٤ هـ) . تأريخ اليعقوبي : تحقيق : محمد صادق بحر العلوم ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ١٣٨٤ هـ .



التوجيه الدلالي في الروايات التفسيرية للإمام موسى الكاظم عليه السلام

أ.م.د. عمّار حسن عبد الزهرة
المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء

الملخص:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلغة العرب وهم في أوج فصاحتهم وازدهارهم البلاغي، وهذا لا يعني أن جميع الألفاظ القرآنية جاءت بمقاصد تتلاءم مع ما يفهم من تداولها في ذلك الوقت، وإنما كان للقرآن الكريم مساراً دلاليّاً في كثير من ألفاظ اللغة العربية، ولا يعني ذلك أيضاً أنّه نقلها كليّاً من حقلها في الوضع الأوّل أو المستعمل في حينه؛ بل إنّهُ أضفى عليها مساحةً دلاليّةً في بعض الأحيان لتكون مؤهّلة لحمل المقاصد الإلهيّة، أو أنّه خصّصها أو عمّمها في أحيانٍ أخرى، أو نقلها من حقلها الدلاليّ ولكن لا على نحو الانقطاع التام عن بيئتها في استعمالها السابق، ولما كان الأمر هكذا احتجنا إلى من يكشف المقاصد الإلهيّة أو يقارنها على نحو يوازي فهم المتلقّي القرآنيّ، والأمر هذا لا يُتاح للجميع إلّا من أيّده الله تعالى بلطفه ففاض عليه من معرفته، وما نراه أنّه مختصّ بمن أنزل الله تعالى عليه القرآن الكريم، وهو رسول الله ﷺ ثمّ أهل بيته عليه السلام من بعده، بدليل انحصار إحراز عدم الضلال بهم بمعيّة القرآن الكريم، وذلك لوصيّة الرسول ﷺ المجمع عليها بين المسلمين بالتمسك بالقرآن والعترة، وكأنّ اجماعهم على تلك الوصيّة حجةٌ بالغة على الثقلين بوجوب اللجوء



إليهم، ومن هذا المنطلق قرّنا البحث في التوجيه الدلالي لبعض المفردات القرآنيّة التي وردت في الروايات التفسيرية لأحد أئمة أهل البيت، وهو الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)؛ بوصفه أحد العترة الذين جعلت الهداية بهم، واتباع بوعي كيفية توجيهه الدلالي لبعض الألفاظ وبحسب ما يسمح به المقام، لعلّ أن تُتبع هذه الدراسة بدراساتٍ تكشف أثر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في التوجيه الدلالي؛ ولاسيما مسارات انفراداتهم للتوجيه الدلالي للألفاظ القرآنيّة.

الكلمات المفتاحيّة: الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، الروايات التفسيرية، التوجيه الدلالي.



المقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أُنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أُلْهِمَ، وَالشَّانُ بِهَا قَدَمٌ، مِنْ
عُمُومِ نَعَمٍ ابْتَدَأَهَا، وَسُبُوحِ آلاءِ أَسْدَاها، وَتَمَامِ مَنَنِ وَالِاهَا، جَمَّ عَنِ
الإِخْصَاءِ عَدْدُهَا، وَنَأَى عَنِ الْجُزْأِ أَمْدُهَا، وَتَفَاوَتْ عَنِ الإِذْرَاكِ أَبْدُهَا.
وَالصَّلَاةُ وَأَزْكَى السَّلَامُ عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ..

يَعْدُ الْبَحْثُ الدَّلَالِيُّ مِنْ أَهَمِّ الْفُرُوعِ اللُّغَوِيَّةِ، وَعَلَيْهِ يُعْتَمَدُ فِي تَفْسِيرِ
كَثِيرٍ مِنَ الظُّوَاهِرِ اللُّغَوِيَّةِ؛ لِارْتِبَاطِهِ الْمُبَاشِرِ بِالْمَعْنَى وَبِالعَلَاقَةِ بَيْنِ الرَّمْزِ
وَكَيْفِيَّةِ أَدَائِهِ لِمَا حُمِّلَ مِنْ مَقَاصِدِ الْمُتَكَلِّمِ، وَلَوْ اتَّجَهْنَا صَوْبَ الدَّلَالَةِ الْقِرَائِيَّةِ
فَإِنَّ الْأَمْرَ سَيَزِدُّ أَوْ أَمَّا أَهْمِيَّةً؛ لِارْتِبَاطِهِ بِالْقَصْدِ الْإِلَهِيِّ، وَيَصَاحِبُ تِلْكَ الْأَهْمِيَّةَ
حَذَرٌ كَبِيرٌ مِنْ أَنَّ الدَّارِسَ قَدْ يَتَّجِهَ بِالدَّلَالَةِ بِغَيْرِ الْقَصْدِ الْإِلَهِيِّ فَيَجْعَلُهُ
ضَمَنَ الْمَخَالَفَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَخُصُوصًا فِي حَالٍ لَمْ يَكُنْ
مُتِمِّكًا مِنْ أَدَوَاتِهِ الْمَعْرِفِيَّةِ، وَلِذَلِكَ خَيْرُ سَبِيلٍ فِي الْكَشْفِ عَنِ الدَّلَالَةِ
الْقِرَائِيَّةِ اتِّبَاعُ الرِّسُولِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ فِيمَا سَطَّرُوهُ مِنْ قَوَاعِدٍ وَمَنَاجِحٍ تَضُمِّنُ
السَّلَامَةَ فِي الْبَحْثِ الْقِرَائِيِّ وَدِرَاسَةِ دَلَالَاتِهِ، وَلَا سِيَّامًا وَأَتَمُّ بِمَعِيَّةِ الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ يُشَكِّلُونَ الْحَرْزَ الْعَاصِمَ مِنَ الضَّلَالِ بِنَصِّ الرِّسُولِ ﷺ.

وَمَّا سَبَقَ كَانَ اخْتِيَارُنَا فِي الْبَحْثِ دِرَاسَةَ التَّوْجِيهِ الدَّلَالِيِّ لِمُجْمَلَةٍ
مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي فَسَّرَهَا أَحَدُ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ، وَهُوَ الْإِمَامُ
الْكَاسِمُ ﷺ، وَقَدْ وَقَعَ اخْتِيَارُنَا عَلَى خَمْسَةِ أَلْفَاظٍ قِرَائِيَّةٍ بَحَثْنَا ثَلَاثًا
مِنْهَا فِي الْمُبْحَثِ الْأَوَّلِ (حَيَاةُ الْأَرْضِ، الْإِثْمُ، التَّدْلِي) فِي خُصُوصِ
آيَاتٍ مَعِيَّةٍ، وَاثْنَتَيْنِ فِي الْمُبْحَثِ الثَّانِي (الْفَاحِشَةُ، وَالطَّمْثُ) فِي
الْمُبْحَثِ الثَّانِي بَعْدَ أَنْ قَدَّمْنَا تَمْهِيدًا عَنْ مَفْهُومِ الدَّلَالَةِ الْقِرَائِيَّةِ وَأَهَمِّ
أَقْوَالِ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَالْبَيَانِ فِي بَعْضِ مَضَامِينِهَا، وَخُتِمَ الْبَحْثُ بِقَائِمَةٍ

ضُمَّتْ أَهَمُّ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْبَحْثُ، وَمِنْ أَهَمِّ تِلْكَ النَّتَائِجِ هِيَ أَنَّ
لِلْإِمَامِ الْكَاضِمِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) جُهْدًا دَلَالِيًّا مَا زَالَ فِي طَيِّ الْكُتْمَانِ، وَقَدْ أَظْهَرَتْ
الدِّرَاسَةُ جَمْلَةً مِنْهُ نَأْمَلُ أَنْ تَتَّبِعَ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ بِدِرَاسَاتٍ أُخْرَى
تَكْشِفُ ذَلِكَ الْجُهْدَ بِوَصْفِهِ قَوَاعِدَ تَضْمَنُ لِلْسَائِرِ عَلَى نَهْجِهَا عَدَمُ
الْوُقُوعِ فِي مِجَانِبَةِ الْقَصْدِ الْإِلَهِيِّ.

وختامًا لا أدّعي الكمال فيما سَطَّرْتُ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ، وَحَسْبِي أَنِّي
بَذَلْتُ جُهْدِي وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ.

التمهيد: الدلالة القرآنية

اللُّغَةُ: ((نظام من العلاقات المتغيرة، وهذا النظام يمنحها سمة نقل
الكلمات من دلالة إلى أخرى، أو الإشارة إلى المعنى الواحد بأكثر من لفظٍ،
أو التعبير باللفظ الواحد عن معانٍ متعددة))^(١)، ولهذا عُدَّ عِلْمُ الدَّلَالَةِ
مِنَ الْفُرُوعِ الْمَهْمَّةِ فِي عِلْمِ اللُّغَةِ^(٢). وَقَدْ عُرِّفَتِ الدَّلَالَةُ بِتَعْرِيفَاتٍ كَثِيرَةٍ
أَهْمُّهَا: ((كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيءٍ آخر، والشيء
الأول هو الدالّ، والثاني هو المدلول))^(٣)، وعُرِّفَتْ بِأَنَّهُا: ((ذلك الفرع
الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتّى يكون قادرًا على حمل
المعنى))^(٤)، أَوْ هِيَ ((الدِّرَاسَةُ الْعِلْمِيَّةُ لِلْمَعْنَى فِي اللُّغَةِ))^(٥).

وَعَلَى أَسَاسٍ مَا سَبَقَ فَلَا تَخْرُجُ الدَّلَالَةُ عَنْ مِرَاقَبَةِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الدَّلَالِ
وَالْمَدْلُولِ وَالشَّرْطِ الَّتِي تَوْهَلُ الرَّمْزَ لِأَنَّهُ يَكُونُ قَادِرًا عَلَى تَوْصِيلِ رِسَالَةِ
الْمَعْنَى، وَتَنْقَلَاتِ الْآخِرِ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ وَمَسَارَاتِ الْمَجَازِ، وَلَا يَوْجَدُ مِيدَانُ
أَكْثَرُ خُصُوبَةٍ فِي الدَّرْسِ الدَّلَالِيِّ مِنَ الِاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ بِوَصْفِهِ ((أَقْرَبُ
إِلَى الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْحَدِيثِ، فَالْأَلْفَاظُ الْقَدِيمَةُ تَكْتَسِبُ دَلَالَاتٍ جَدِيدَةً
مُسْتَحْدَثَةً إِذَا تَوَافَرَتْ لَهَا شُرُوطُ خَاصَّةٍ))^(٦).

ولكن يبقى القول كيف يمكن الوصول إلى الدلالة القرآنية التي يمكن أن نُعرّفها بأنّها: ((القصد الإلهي))، وسنحاول في الإجابة على ذلك لملة بعض أقوال سدنة أعلام اللغة في توصيف الاستعمال القرآني ونظمه؛ بل ما كان عليه العرب حين نزل القرآن الكريم عليهم، وسنبداً مع الجاحظ (ت: ٢٥٥ هـ) الذي قال: ((فحين استحكمت لغتهم، وشاعت البلاغة فيهم، وكثّر شعراؤهم وفاق الناس خطباؤهم، بعثه الله (عزّ وجلّ) فتحداهم بما كانوا لا يشكّون أنّهم يقدرّون على أكثر منه. فلم يزل يقرعهم بعجزهم، وينقصهم على نقصهم، حتّى تبيّن ذلك لضعفائهم وعوامهم، كما تبيّن لأقويائهم وخواصهم، وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبياً قط))^(٧)، ويتابعه ابن قتيبة (ت: ٢٧٦ هـ) في هذا المعنى بعد أن يؤكّد اختصاص العرب دون غيرهم من الأمم بعلوّ الكعب في البيان واتّساع المجال، فيقول: ((فإنّه ليس في جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة، والبيان، واتّساع المجال؛ ما أوتيته العرب خصّيصاً من الله، لما أرهّصه في الرسول، وأراد من إقامة الدليل على نبوّته بالكتاب، فجعله علّمه. كما جعل علم كل نبيّ من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه))^(٨)، وإليه يُشير الطبري (ت: ٣١٠ هـ): ((واخبرهم أن دلّالته على صدق مقالته وحجّته على حقيقة نبوّته، ما أتاهاهم به من البيان والحكمة والفرقان بلسان مثل ألسنتهم ومنطق موافقة معانيه معاني منطقهم))^(٩). ويؤكّد المعنى بعينه القاضي عبد الجبار (ت: ٤١٥ هـ) واصفاً القرآن الكريم وطريقة العرب في صناعة الكلام بقوله: ((هو مُشاكلٌ لصناعتهم وطريقتهم، غير خارج عن الأمر الذي يشتدّ به اهتمامهم، ويقوى له افتخارهم، وتظهر فضائلهم ومحاسنهم؛ لكي تقلّ الشّبه للعارف المُقدّم، فيعرف اضطرار المبالغة، والاتباع فيعرفون بعجز الرؤساء منهم، مع توفر الدواعي، مثل ما يعرفه

ذوو البصيرة منهم، وتقوى دواعيهم إلى النظر حالاً بعد حال، من حيث لا يغيب على الأسماع على طول الدهر، ولدخوله في جملة الباب الذي يقع فيه التنافس؛ ولأن وجه الإعجاز فيه لا يتغير على الأيام، كما أن شرعيته لا تزول على الأوقات؛ ولأنه يتضمن نفس الشرع من الأحكام، ولكي تكون محفوظة، محروسة بحراسة القرآن))^(١٠)، ومن المحدثين المؤيدين لهذا المعنى د. تمام حسان بقوله: ((إن مجيء القرآن والشعر بلغة واحدة كان فرصة للموازنة بين النصين لإظهار إعجاز القرآن، لقد تحدى القرآن الفصاحة العربية برمتها أن تأتي بسورة من مثله، وكان الشعر الجاهلي قمة ما وصلت إليه العرب من سمو الأسلوب وقوة السبك وروعة التعبير والبيان؛ ولكن كل ذلك الشعر الرائع كان يقف من القرآن موقف الممكن من الممتع، فكان الإبقاء على الشعر الجاهلي إبقاءً على دليل مادي يدل عند المقارنة على إعجاز القرآن))^(١١).

هذا ما كان من حال العرب وقت نزول القرآن الكريم، وما كانوا عليه من سمو في البلاغة والفصاحة والبيان، ومع ذلك فإن القرآن الكريم أعجزهم على أن يأتوا بمثله، ولم يستطيعوا إلى ذلك بأي سبيل، مما يؤيد القول بأن البيان القرآني وطريقة التعرف على القصد الإلهي لا تتأني لكل أحد؛ لما كان عليه القرآن من إعجاز على مستوى اللفظ والدلالة، وقد أكد ذلك جُل علماء اللغة والبلاغة، ومنهم على سبيل المثال الخطابي (ت ٣٨٨هـ) بقوله: ((واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمناً أصح المعاني))^(١٢)، والباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) الذي أكد إعجاز النظم في القرآن الكريم زائداً عليه دلالة إعجازه على نفسه بنفسه، وهو ما لم يكن للكتب السماوية السابقة، وفي ذلك يقول: ((وفارق حكمه حكم غيره من الكتب المنزلة على الأنبياء؛ لأنها لا



تدلّ على أنفسها إلا بأمر زائد عليها، ووصفٍ منضاف إليها؛ لأنّ نظمها ليس معجزاً، وليس كذلك القرآن؛ لأنّه يشاركها في هذه الدلالة، ويزيد عليها في أنّ نظمه معجز، فيمكن أن يُستدلّ به عليه^(١٣)، وهو عين المعنى الذي يؤكّده ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) بقوله: ((هو بنفسه الوحي المدّعى، وهو الخارق المعجز، فشاهده في عينه، ولا يفتقر إلى دليل مغاير له كسائر المعجزات مع الوحي، فهو أوضح دلالة لاتّحاد الدليل والمدلول فيه))^(١٤). ثمّ يؤكّد العلماء القصور عن إدراك ماهيّة القرآن والعجز عن الإحاطة بدلائله، وفي ذلك يقول ابن عطية (ت: ٥٤٢ هـ): ((ونحن نتبيّن لنا البراعة في أكثره، ونخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذٍ في سلامة الذوق وجودة القريحة، وميز الكلام))^(١٥)، ومن أشار إلى أنّ مكن الإعجاز في القرآن الكريم ببلاغته فعندما يُطلب منهم تحديد وجوه تلك البلاغة يعجزون عن ذلك، وهذا المعنى أشار إليه الخطابيّ بقوله: ((ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن، الفائقة في وصفها سائر البلاغات، وعن المعنى الذي يميّز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة، قالوا: إنّهُ لا يمكننا تصويره، ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم مباينة القرآن غيره من الكلام، وإنّما يعرفه العالمون به عند سماعه ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده))^(١٦).

ولذلك قيل: ((أمّا شأن القرآن فعجيب، إذ هو يخرج عن حدود هذه القاعدة، بحيث تتسع ألفاظه للمعاني المحدثّة في حالاتٍ كثيرة، ولاسيّما (الألفاظ المفاتيح) التي تتّصل بمعاني الصفات الإلهية، والغيب والعلم الإلهي))^(١٧)، وهذا يستدعي أن تكون اللفظة القرآنيّة ((منتقاة بدقّة متناهية، وموضوعة في سبكِ رائع قوي يظهر معه استواء كلّ كلمةٍ في محلّها اللائق بها، بما لا يجعل أي كلمةٍ أخرى من الألفاظ المقاربة لها في المعنى تقوم

مقامها، وتؤدّي كامل معناها))^(١٨)، ومّا سبق عرضه ننتهي بالقول إلى أنّ ((الدّلالة القرآنيّة وجه من الوجوه الإعجازيّة في القرآن الكريم الّتي لا يُمكنُ حصرُها أو تحديدها))^(١٩).

ولمّا كانت الدّلالة القرآنيّة معجزة، فهي لا تُتاح لأيّ شخصٍ مهما كان باعه وعلمه إلّا من كان مؤيّدًا من الله تعالى صاحب الإعجاز، وهو ما يُفسّر تأكيد الرسول محمد ﷺ على حصر المرجعيّة العاصمة من الضلال بالقرآن الكريم وأهل بيته ﷺ بقوله: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعَترَتِي))^(٢٠)، وأخبرهم بـ ((أَنَّهُمَا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))^(٢١)، وعلة تسميتهما بالثقلين؛ ((لعظم خطرهما وجلالة قدرهما))^(٢٢). فالرسول محمد ﷺ في وصيّته يأمر بوجوب الاقتداء بهديهما ومتابعتهما معًا، ولا يجوز التمسك بأحدهما دون الآخر؛ لأنّ الأمن من الضلال مشروط باقترانهما بالاتباع، وهكذا يكون رأي أهل البيت ﷺ هو الحاكم والفيصل في تحليل الخطاب القرآني بدليل الملازمة الدائمة بينهما التي لا تنتهي بافراقٍ أبدًا، ومع كلّ ما تقدّم لا نجد ذلك الاهتمام الذي يكافئ اقترانهم بالقرآن، ولو بحث المدقّق في عموم مدوّنات المسلمين التفسيرية لا يجد سوى النزر اليسير لهم، وإن ذكرت آراؤهم، فتذكر في درج الآراء الأخرى من دون مزية لها، ونستثني من ذلك التفاسير التي خُصّصت لمتابعة آرائهم ومروياتهم، وهي قليلة جدًا لا تتعدّى أصابع اليد، وعليه يكون من الواجب التربويّ العباديّ أن نتمسك بتفسير العترة الطاهرة للقرآن الكريم، وأن تتربّى الأمّة الإسلاميّة على جعل وصيّة الرسول ﷺ في الثقلين أساسًا في البرنامج التربويّ العباديّ على الأصعدة كافّة.

ومن هنا فإنّنا في هذا البحث سنتابع بعض التوجيهات الدلاليّة للإمام موسى الكاظم ﷺ لجمليّة من الآيات القرآنيّة بحسب ما يسمح به المقام،

وسنعمل على الموازنة ما بين توجيهه وتوجيه المفسرين الآخرين من غير أهل البيت (عليه السلام)؛ لنبيّن المميزات التي انماز بها توجيه الإمام الكاظم (عليه السلام) بوصفه أحد العترة الذين أوصى به النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

أولاً / التوجيه الدلالي للفظ (حياة الأرض):

وردت نسبة الحياة للأرض في قوله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧].

وردت في هذه الآية القرآنية لفظ (يحيي)، وهي من الحياة، وهذه اللفظة ذات معنى تجريدي وإن كانت لها آثارٌ حسيةٌ ماثلة، إلا أنّها بمفهومها العام تجريدية، وهذه المادة في اللغة لها ((أصْلان: أَحَدُهُمَا خِلَافُ الْمَوْتِ، وَالْآخَرُ الْإِسْتِحْيَاءُ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْوَقَاخَةِ، فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَالْحَيَاةُ وَالْحَيَوَانُ، وَهُوَ ضِدُّ الْمَوْتِ وَالْمَوْتَانِ، وَيُسَمَّى الْمَطَرُ حَيًّا؛ لِأَنَّ بِهِ حَيَاةَ الْأَرْضِ... وَتَقُولُ: أَتَيْتُ الْأَرْضَ فَأَحْيَيْتُهَا، إِذَا وَجَدْتَهَا حَيَّةَ النَّبَاتِ غَضَّةً)) (٢٣).

وقد وردت في الآية السابقة مسندة إلى الأرض، فهل تكون حياتها ظهور النبات على سطحها؟ أو تكون حياتها بغير ذلك، وقد ذهب أغلب المفسرين إلى الاحتمال الأول، ومما قالوا: ((النَّبَاتُ الَّذِي أَنْبَتَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى)) (٢٤)، فيحييها ((وَيُخْرِجُ زَرْعَهَا بَعْدَ خَرَابِهَا وَجُدُوبِهَا)) (٢٥).

أمّا الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) (ت: ١٨٣ هـ) فكان توجيهه على المستوى الآخر فقال: ((لَيْسَ يُحْيِيهَا بِالْقَطْرِ؛ وَلَكِنْ يَبْعَثُ اللَّهُ رِجَالًا فَيُحْيُونَ الْعَدْلَ فَتُحْيَى الْأَرْضُ لِإِحْيَاءِ الْعَدْلِ. وَلَا قَامَةُ الْحَدِّ اللَّهُ أَنْفَعُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْقَطْرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا)) (٢٦).

يظهر من تحليل الإمام الكاظم (عليه السلام) أنّ الخطاب القرآني نقل لفظ الحياة من دلالتها القارة في الذهن إلى معنى آخر وهو العدل، فإحياء الأرض هو إقامة العدل فيها بشريعة الله تعالى، وبذلك تكون الأرض نابضة بالحياة الحقيقية.



ثانيًا / التوجيه الدلالي للفظ (الإثم):

وردت لفظة (الإثم) في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٢٣]

وقد وجهها المفسرون على دلالتها الشرعية المعروفة، ومما قالوا فيها: ((وَأَمَّا الْإِثْمُ: فَإِنَّهُ الْمُعْصِيَةُ))^(٢٧)، وقيل: ((الإثم: هو الذي يَأْثُمُ المرء فيه))^(٢٨)، وقيل: ((الأفاعيل المذمومة التي لا يجب على فاعلها الحد))^(٢٩)، وهناك من عَمَّم الدلالة بشكل عام فقال: ((الإثم عام لكل ذنب))^(٣٠).

وأما الإمام الكاظم (عليه السلام) فقد وجهها دلاليًا بغير ما هو متبادر إلى الذهن من دلالة هذه اللفظة، وذلك بما ورد عن عَلِيِّ بْنِ يَقْطِينٍ قَالَ: سَأَلَ الْمُهْدِيَّ الْعَبَّاسِيَّ الْإِمَامَ مُوسَى بْنَ جَعْفَرِ الْكَاضِمِ (ت: ١٨٣ هـ) (عَنِ الْخُمْرِ هَلْ هِيَ مُحَرَّمَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟، فَإِنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَعْرِفُونَ النَّهْيَ عَنْهَا وَلَا يَعْرِفُونَ التَّحْرِيمَ لَهَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْحَسَنِ (عليه السلام): بَلْ هِيَ مُحَرَّمَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ لَهُ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ هِيَ مُحَرَّمَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ (جَلَّ اسْمُهُ) يَا أَبَا الْحَسَنِ؟ فَقَالَ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٢٣]؛ فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ يَعْنِي الزَّانَا الْمُعْلَنَ وَنَضَبَ الرَّاياتِ الَّتِي كَانَتْ تَرْفَعُهَا الْفَوَاحِشُ لِلْفَوَاحِشِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ يَعْنِي مَا نَكَحَ مِنَ الْأَبَاءِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ لِلرَّجُلِ زَوْجَةٌ وَمَاتَ عَنْهَا تَزَوَّجَهَا ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ إِذَا لَمْ تَكُنْ أُمُّهُ، فَحَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ، وَأَمَّا الْإِثْمُ فَإِنَّهَا الْخُمْرَةُ بَعَيْنُهَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فَأَمَّا الْإِثْمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهِيَ الْخُمْرَةُ وَالْمَيْسِرُ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ فَقَالَ: الْمُهْدِيُّ يَا عَلِيُّ بْنُ يَقْطِينٍ هَذِهِ وَاللَّهُ فَتَوَى هَاشِمِيَّةً))^(٣١).

فالإمام الكاظم عليه السلام كشف عن الحكم الشرعي للخمر عن طريق عقد مصاحبات قرآنية بين الآيات التي ذكرت موضوعه، ثم استنتج أن الخمر في الخطاب القرآني يمكن أن تنضوي تحت مفهوم (الإثم)، وهكذا تتصاحب لفظتا الخمر مع (الإثم) على أساس علاقة تفسيرية تعريفية، ومن هذه العلاقة استدلل الإمام الكاظم عليه السلام على تحريم الخمر؛ لما ورد من دلالة صريحة على تحريم (الإثم). ويبدو أن هذا التوجيه الدلالي غير مختص بالقرآن الكريم فقط؛ بل هو مشهور في تداول العرب، ومما جاء في التعبير عن الخمر بالإثم قول الشاعر:

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي ... كَذَلِكَ الْإِثْمُ تَذْهَبُ بِالْعُقُولِ^(٣٢)
وَقَالَ آخَرُ:

نَشَرِبُ الْإِثْمَ بِالصُّوَاعِ جَهَارًا ... وَتَرَى الْمُسَّ كَ بَيْنَنَا مُسْتَعَارًا^(٣٣)
وقد نص غير واحد على أن (الإثم) من أسماء الخمر^(٣٤)، وعزا ابن سيده (ت: ٥٨ هـ)، السبب في اقتران الخمر بالإثم؛ ((لأنَّ شُرْبَهَا إِثْمٌ))^(٣٥) وهو من تسمية الشيء بأسبابه. (فالإثم) يُطلق ويُراد به الخمرة، ومن هنا تشكَّلت مصاحبة لغوية بينهما، وهذه المصاحبة لم تقتصر على التداول القرآني؛ بل أخذت طريقها في استعمال الناس، ويبدو أن الخطاب القرآني هو من فتح هذه المصاحبة فيما لو عولنا على تعليل ابن سيده، إذ لم تكن الخمرة محرمة على نطاق واسع بحيث تأخذ طريقها في المصاحبة مع الإثم قبل نزول القرآن. ومن هنا كان الإمام الكاظم عليه السلام سبَّاقًا في الإشارة إلى هذه المصاحبة وتوجيهها دلاليًا بالاتجاه الذي يجعل من الخطاب القرآني مُتَّسِقًا ومنسجمًا بعضه مع بعضه الآخر.

وهناك من المفسرين من أشار إلى ما انتهى إليه الإمام الكاظم عليه السلام من دون الإشارة إليه، بعد أن أشار إلى المعنى العام الذي ذكرناه في أول

الحديث وذلك بقوله: ((الإثم: الخمر، والبغي: السكر... وسمي الخمر بالإثم، والسكر بالبغي لحدوثه عنهما))^(٣٦).

ومما سبق فإن الإمام الكاظم عليه السلام عمل على توجيه الأمة إلى الاجتناب عن أهم الرذائل التي نهى القرآن الكريم عنها، فبين لهم الفواحش الظاهرة والباطنة، ثم انتقل إلى ما يُثيره بعض مرضى القلوب على اختلاف العصور من أن القرآن الكريم لم يُحرّم الخمر صريحاً وإنما أشار إلى اجتنابها فقط مع الشهادة بوجود نفع فيها، ولكن الإمام الكاظم عليه السلام بين بضرٍ قاطع حرمتها بصريح القرآن الكريم، وبذلك وجّه الأمة تربوياً بالاجتناب عن الرذائل وأهمّها الخمرة.

ثالثاً / التوجيه الدلالي للفظه (فتدلى):

وردت هذه اللفظة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿ [النجم: ٨ - ٩]

شكّلت لفظه (فتدلى) محوراً دلاليّاً بين المفسّرين؛ لما يحمل توجيهها في بعض الأحيان من الخدش في العقيدة، ومما قيل فيها: ((يعني قرباً بعد قرب))^(٣٧)، وهناك من مثل القرب فقال: ((حيث الوتر من القوس الله من جبريل))^(٣٨)، وهناك من بين التقارب وشخصه فقال: ((هُوَ جِبْرِيلُ عليه السلام، وَقَالَ آخِرُونَ: بَلْ مَعْنَى ذَلِكَ: ثُمَّ دَنَا الرَّبُّ مِنْ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَتَدَلَّى))^(٣٩)، وقيل: ((هو بيانُ قُرْبِ الكرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم من ربه))^(٤٠)، وبعض هذه الأقوال يفهم منها نسبة الجهة والمكان للذات الإلهية، وهو خلاف الغنى المطلق لله تعالى؛ لأنّه سيكون محتاجاً للجهة والمكان.

أمّا الإمام الكاظم عليه السلام فوجّهها دلاليّاً على أنّها تعدّد لهجيّ، وهي جاءت على لهجة قريش التي كانت لها الخطوة الكبيرة في مجيء الخطاب



القرآني على سمتها في انتظام الكلام وصياغته، وكان ممّا جاء بلهجة قريش هذا الموضوع من الخطاب القرآني، وقد نصّ عليه الإمام أبو إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم (ت: ١٨٣ هـ) عليه السلام في إجابته لرجل يدعى عبد الغفار عن هذه الآية فقال: ((أرى هاهنا خروجًا من حجب، وتدلّيًا إلى الأرض، وأرى محمدًا رأى ربّه بقلبه، ونُسب إلى بصره، فكيف هذا؟ فقال أبو إبراهيم: ﴿ذَنَّا فَتَدَلَّى﴾، فإنّه لم يزل عن موضع ولم يتدلّ بيدن. فقال عبد الغفار: أصفه بما وصف به نفسه حيث قال: ﴿ذَنَّا فَتَدَلَّى﴾ فلم يتدلّ عن مجلسه إلّا وقد زال عنه، ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه. فقال أبو إبراهيم عليه السلام: إنّ هذه لغة في قريش، إذا أراد رجلٌ منهم أن يقول: قد سمعت يقول: قد تدليت، وإنّما التدلي: الفهم))^(٤١).

وهنا ينصّ الإمام الكاظم عليه السلام على اعتماد الخطاب القرآني على نمط استعمالٍ اختصّت به قبيلة قريش، فجاءت لفظة التدليّ فيه على ما تنتهجه هذه القبيلة من تداولٍ بين أفرادها، فكانت على القصديّة التي يعتمدونها وهي (الفهم)، وبذلك يجب قراءة هذه الآية في ضوء ما تسالت عليه قبيلة قريش في الاستعمال والقصديّة، لا على ما يقصده بها اللسان العربي العام، الذي تعني فيه الاقتراب، وهو ما فهمه السائل من هذه اللفظة، وقد صحّح له الإمام عليه السلام فهمه مبينًا له أنّ هذه اللفظة يجب أن تُحلّل على وفق الاستعمال القرشي لها، وبذلك يكون معناها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله عندما عُرج به إلى السماء ومرّ بتلك المشاهد فهمها ووعاها، لا أنّه اقترب من الربّ سبحانه حتّى وصل به الدنوقاب قوسين أو أدنى.

وممّا سبق يظهر أنّ الخطاب القرآني قد ضمّن في صياغاته اللغوية بعض الاستعمالات الخاصّة التي تتداول بها القبائل العربية آنذاك، وهذا ملمحٌ اجتماعيٌّ يثبت احتواء الخطاب القرآني لبيئته ومجتمععه؛ لكون اللغة بنت المجتمع، وفي أحضانه تكوّنت ونشأت، ووجدت يوم أحسّ الناس

بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم، فهي نتاج الاحتكاك الاجتماعي، ولهذا صارت من أقوى العُرى التي ترتبط فيها الجماعات^(٤٢)، ومن هنا يذهب جاردنر (Gardner) إلى القول بأنه من العبث أن يُقال: إنَّ هدف اللغة هو التعبير عن الفكر فحسب؛ بل هي وسيلة الاجتماع والمصاحبة التي يعتمد عليها الإنسان في حياته^(٤٣).

أمَّا القصديَّة من تضمين لهجات القبائل في الخطاب القرآني فيمكن أن نقرأها بفرض مؤداه السعي للتأثير بتلك القبائل وكسبها، وتوطينها دينياً واجتماعياً مع القرآن الكريم؛ لأنَّ تضمين اللهجات يجعل من أصحابها أكثر تعاطفاً وقبولاً وتلقياً للخطاب القرآني؛ لكون لهجاتهم حاضرة ببعض مفرداتها فيه، وهذا بطبيعته يؤدي إلى رفع درجات التأثير والقبول من لدن أصحاب تلك اللهجات.

وهنا نلاحظ ملمحاً توجيهياً عقائدياً يختصُّ بتنزيه الاعتقاد بالذات المقدَّسة عن كلِّ ما يشوبها من حاجةٍ ونقصٍ من قبيل المكان والجهة والاقتراب والبعد، انتهاءً بالوصول إلى الكمال المطلق، وعليه فقد وجَّه الإمام الكاظم (عليه السلام) الآية القرآنيَّة محلَّ البحث بما ينسجم مع العقيدة الحقَّة الملائمة للذات المقدَّسة، وحجَّاه (عليه السلام) مع محاوره ينتج توجيهاً نحو التربية العقائديَّة السليمة، التي تؤدي إلى إنتاج توحيد صحيح واعتقادٍ سليم لا يشوبه تشويهٌ أو اختلال.

رابعاً / التوجيه الدلالي للفظ (الفاحشة):

وهذه اللفظة وردت في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

حَلَّلَ الْمَفْسَّرُونَ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ، وَكَادُوا يَجْمَعُونَ عَلَى أَنَّهَا تَتَضَمَّنُ بَيَانًا ((فَعَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ... الْفَاحِشَةَ، وَذَلِكَ تَعْرِيمٌ لِلطَّوَافِ بِالْبَيْتِ وَتَجَرُّدُهُمْ لَهُ، فَعُدُّوا عَلَى مَا آتَوْا مِنْ قَيْحٍ فَعْلِهِمْ وَعُوتِبُوا عَلَيْهِ، قَالُوا: وَجَدْنَا عَلَى مِثْلِ مَا نَفْعَلُ آبَاءَنَا، فَحَنُ نَفْعَلُ مِثْلَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ، وَنَقْتَدِي بِهِدْيِهِمْ وَنَسْتَنْ بِسُنَّتِهِمْ، وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهِ، فَحَنُ تَبِعَ أَمْرَهُ فِيهِ))^(٤٤)، فَكَانَ الرِّجَالُ عِرَاءً بِالنَّهَارِ وَالنِّسَاءُ كَذَلِكَ بِاللَّيْلِ، وَكَانُوا يَدْعُونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ^(٤٥)، وَكَانُوا يَسْتَدَلُّونَ بِقَوْلِهِمْ: ((لَوْ لَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ وَلَمْ يَأْمُرْ، لَكَانَ يَنْكُلُهُمْ وَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ، يَعْنُونَ آبَاءَهُمْ، فَاسْتَدَلُّوا بِتَرْكِهِمْ وَمَا فَعَلُوا عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ كَانَ رَضِيَ بِذَلِكَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ، فَدَلَّ تَرْكُهُ إِيَّاهُمْ عَلَى ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ))^(٤٦).

أَمَّا لَفْظَةُ (الْفَاحِشَةُ) فَفُسِّرَتْ بِجُمْلَةٍ مِنَ الْأَرَاءِ مِنْهَا: طَوَافُهُمْ بِالْبَيْتِ عِرَاءً كَمَا تَقَدَّمَ^(٤٧)، أَوْ هِيَ مَا حَرَمُوهُ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ وَالْبَنَاتِ^(٤٨)، وَقِيلَ: هِيَ الشَّرْكُ^(٤٩)، وَقِيلَ: هِيَ كُلُّ مَا عَظُمَ فِيهِ النِّهْيُ^(٥٠)، وَقِيلَ: إِنَّ الْأَوَّلَى أَنْ يَحْكُمَ بِالتَّعْمِيمِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْفَحْشَاءَ هِيَ كُلُّ مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ فَيَدْخُلُ فِيهَا جَمِيعُ الْكِبَائِرِ^(٥١).

أَمَّا الْإِمَامُ مُوسَى الْكَاسِمُ عليه السلام فَكَانَ لَهُ رَأْيٌ آخَرٌ وَطَرِيقَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مُخْتَلِفَةٌ فِي التَّوْجِيهِ الدَّلَالِيِّ لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا سَأَلَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنِ الْآيَةِ الْمَتَقَدِّمَةِ فَأَجَابَهُ بِسُؤَالٍ مُبَاشَرَةً: ((هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالزَّنَا وَشَرْبِ الْخَمْرِ أَوْ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَحَارِمِ؟ فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْفَاحِشَةُ الَّتِي يَدْعُونَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِهَا؟ قُلْتُ: اللَّهُ أَعْلَمُ وَوَلِيِّهِ، قَالَ: فَإِنَّ هَذَا فِي أَيْمَةِ الْجَوْرِ؛ ادَّعَوْا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِالْإِثْمِ بِقَوْمٍ لَمْ يَأْمُرْهُمْ اللَّهُ بِالْإِثْمِ بِهِمْ، فَرَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ قَدْ قَالُوا عَلَيْهِ الْكَذِبَ، وَسَمَّى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَاحِشَةً))^(٥٢).

فالإمام الكاظم عليه السلام استند في توجيهه الدلالي إلى حاجة السائل في جوابه عندما صدره سؤال فحواه: ((هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالزُّنَا وَشُرْبِ الْخَمْرِ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْمَحَارِمِ؟))، وعن طريق هذا السؤال أراد الإمام عليه السلام أن يستحضر المفهوم الدلالي الذي تواطأ عليه بعض الناس من أنَّ الكفار والمشركين إذا فعلوا الفاحشة ادَّعَوْا بِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وقد أبطل الإمام عليه السلام هذه الحجَّة لعدم وجود من يقول ذلك؛ لأنَّ مقتطف الفاحشة لا يجرؤ أن يقول إنَّه اقترفها بأمر منه تعالى. ثُمَّ يُتْبَعُ هَذِهِ الْحِجَّةُ بِحِجَّةٍ أُخْرَى بِصِيغَةِ سُؤَالٍ عَنْ مَعْنَى الْفَاحِشَةِ، فَيُجِيبُهُ الْمُتَلَقِّي بِعَدَمِ الْمَعْرِفَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَفْهُومَ الْقَارِئَ قَدْ تَبَدَّدَ بِالْحِجَّةِ الْأُولَى، وَهُنَا أَصْبَحَتْ مَسَاحَةُ تَفْكِيرِ الْمُتَلَقِّي حُرَّةً بِالْكَامِلِ، وَهِيَ مَهْيَأَةٌ لِمَقْبُولِ الْمَفْهُومِ الْجَدِيدِ لِهَذِهِ الْجَنْبَةِ مِنَ الْخُطَابِ الْقَرَّانِيِّ مَعَ تَرْقُبٍ لَهَا؛ لِأَنَّ طَبِيعَةَ الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ إِذَا وَاجَهَهُ إِشْكَالٌ يَسْتَنْفِرُ طَاقَاتِهِ الْمَعْرِفِيَّةَ مِنْ أَجْلِ الْحَصُولِ عَلَى حَلٍّ لَهُ يَنَالُ بِهِ الْاسْتِقْرَارَ الْمَعْرِفِيَّ، وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ يَسُوقُ الْإِمَامُ عليه السلام جَوَابَهُ لِلْمُتَلَقِّيِّ، وَهُوَ جَوَابٌ مُسْتَنْدٌ إِلَى أُسُسٍ وَاقِعِيَّةٍ.

ولو تفحصنا توجيه الإمام الكاظم عليه السلام للآية محلَّ البحث فإنَّنا سنجد بها توجيهًا عقائديًا يُصَحِّحُ مسار العقيدة عند من يعتقد بمفهوم (الفاحشة) على غير ما أورده الإمام عليه السلام، ويُنبِّه إلى مسار تصحيحي وتوجيهي نحو فهم المقاصد القرآنيَّة عبر استحضار مسار الآية برمَّتها ومناقشة أولها مع آخرها ثُمَّ مقارنة الاستنتاج مع الواقع، وهل ينسجم مع حوادثه ومسارات تنقُّلاته أم يكون أجنبياً عن الواقع؟ وهو ما كان في توجيه الإمام عليه السلام عندما أبطل ما كان عليه من فهم للآية الكريمة، وانتهى إلى توجيه عقائديٍّ يبيِّن المسار الصحيح للاعتقاد بالإمام الحقِّ، والابتعاد عن الفاحشة التي نهانا الله تعالى عنها عندما نأتمُّ بأناسٍ لم يُنصِّبهم الله تعالى وندَّعي التنصيب كذباً وزوراً على الله تعالى، وهذا فاحشة نهانا الله تعالى عنها.

خامساً/ التوجيه الدلالي للفظه (الطمث):

وردت هذه اللفظة في قوله تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ [الرحمن: ٥٦].

وقد وجهها الإمام موسى بن جعفر بتخصيصها بمعنى الجماع، وذلك بما نقله عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال: ((قال: أبي لا تقولوا للحائض: طامث فتكذبوا؛ ولكن قولوا: حائض، والطمث هو الجماع، قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ [الرحمن: ٥٦])^(٥٣).

في هذا النص يرفض الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام استعمال (طامث) بمعنى حائض، ويتمسك بالاستعمال القرآني الذي فرق في أدائه بين هاتين اللفظتين فاستعمل (الطمث) بمعنى الجماع في الآية المستشهد بها في الرواية المذكورة آنفاً^(٥٤)، واستعمل (الحيض) بمعناه المعروف بموضعين: في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ [الطلاق: ٤].

ولو تقصينا لفظه (الطمث) في اللغة والتفسير لوجدناها في اللغة تعني: ((الافتضاض، وطمثت الجارية: افترعتها، وقول الله عز وجل: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ﴾ أي: لم يمسسهن))^(٥٥)، والافتضاض: هو النكاح بالتدمية، أي: أدميت بالافتضاض^(٥٦)، ((وَلَا يَكُونُ الطَّمْثُ نِكَاحًا إِلَّا بِالتَّدْمِيَةِ، وَعَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ أَي لَمْ يَدْمِمْهُنَّ بِالنِّكَاحِ))^(٥٧)، وطمثت على فعلت بمعنى حاضت^(٥٨).

وبعضهم قيده بأول الحيض^(٥٩)، أي: حيض الجارية^(٦٠)، وذهب بعضهم إلى أن معناه الجماع^(٦١)، ومال بعضهم إلى أن الأصل في الطمث الحيض، ثم جعل للنكاح^(٦٢)، والمحصلة أن في الطمث لغتين: النكاح والحيض^(٦٣).

وأمر اللغتين لم يرتضه الإمام الكاظم عليه السلام؛ لكونه لا يتساق مع أداء الخطاب القرآني في التعامل مع اللفظتين (الطمث، والحيض) لتفريقه بينهما في الاستعمال، ونحن هنا لا ننكر وجود اللغتين في تداول العرب وكذلك لا نثبته، وإنما غاية ما نريدُ بيانه أن الإمام الكاظم عليه السلام كان حريصاً على أن تكون لغة القرآن هي الأساس في التداول، وكلُّ ما يُخالف القرآن في لغته وأسلوب تعامله مع الألفاظ يكون خارجاً عن المستوى اللغوي الفصيح؛ بل يكون لحناً بإزاء القرآن، ويجب تصويبه على وفق ما ترتضيه أنظمة القرآن اللغوية، ومن هنا رفض التعدد اللهجي مع النمط اللغوي للخطاب القرآني، وعدّه لحناً من الواجب تصويبه.

أمّا من ناحية التوجيه الدلالي، فإن الإمام الكاظم عليه السلام وجّه لفظة ﴿يَطْمِئُنُّنَ﴾ على أن المراد منها مطلق الجماع من دون تقييد، وهذا هو الظاهر من نصّه السابق. أمّا غيره من المفسرين فلم يبتعدوا عمّا قيل عنه في اللغة، إلّا أن جُلّهم لم يذكر معنى الحيض؛ بل تمسكوا بمعنى الإدماء بالنكاح^(٦٤)، وعليه سار أهل التأويل^(٦٥)، وهناك من اتفق مع الإمام الكاظم عليه السلام ففسّروا (الطَّمْث) بمعنى النكاح من دون تقييد سواء أكان بافتضاض أم غيره^(٦٦).

وهنا نلاحظ التوجيه نحو البناء اللغويّ السليم والقويم الذي دعا إليه الإمام الكاظم عليه السلام، وأساسه بأن يكون التداول القرآني هو الحاكم في التقعيد اللغويّ، وعلينا أن نبتعد عن التعدد اللهجي في قبال الاستعمال القرآني؛ بل نصهر جميعاً مع التداول القرآني ونتنازل عمّا يُخالفه.

ومما سبق يظهر أن من الأمور التي انتهت لها الدّراسات اللغوية أن اللغة ظاهرة اجتماعية، ولون من ألوان النشاط الإنساني، تخضع لعوامل متعدّدة وتأثيرات مختلفة، ومن ذلك التغيّر الذي يصيب القسم الأكبر من

كلماتها . وهذا الأمر تخضع له جميع اللغات^(٦٧)، ويُعدُّ مظهرًا من مظاهر النموّ والثراء فيها^(٦٨)، وهو حتميٌّ على اللغة ولا مكان لحرية الاستعمال الفردي فيه، وقد يحصل التغيُّر على المدى القريب أو البعيد، ومن دون أن يُقتصر في مرحلة لغويّة معينة؛ بل هو شامل لكلِّ مفاصلها، ولا ينقطع إلّا بفنائها، وغالبًا ما يكون حدوثه تدريجيًّا^(٦٩) .

وقد حصلت في العربية انتقالٌ نوعيٌّ في التغيُّر الدلالي للألفاظ بعد مجيء الإسلام، إذ صار البون شاسعًا في الاستعمال بين ما كانت عليه فيما يسمّى بالعصر الجاهلي وبين ما صارت عليه في عهد الإسلام؛ بسبب ما أحدثه الخطاب القرآني من تغيُّرٍ لمعاني المفردات بحسب ما تقتضيه المقاصد القرآنية التي أسهمت بشكلٍ فاعلٍ في إحداث تغييرٍ في النواحي الاجتماعية والفكرية والثقافية والنفسية . فكان التغيُّر انعكاسًا لتلك النواحي التي تعدُّ من أهمِّ عوامل التغيُّر اللغوي فضلًا على النظام الحاكم لحركة الألفاظ في اللغة^(٧٠)، وحاجة المستعمل التي تلوي أعناق المفردات وتجعلها خاضعةً لأغراضه ومقاصده . وهناك عوامل أخرى مؤثّرة لا يمكن حصرها بحدودٍ معينة؛ لكونها نابعةً من صميم الحدث الذي يرافق التغيُّر .

على أن الألفاظ لا تتفق على مستوى واحدٍ في مدى الاستعداد لقبول التغيُّر الدلالي؛ بل ذلك تابعٌ للظروف المؤثّرة التي قد تؤدّي إلى تركيز التغيُّر بفئةٍ معيّنة من الألفاظ، إلّا أن ذلك لا يعني أن هناك نجاة من التغيُّر للمفردات الأخرى^(٧١)، وتلك هي حياة اللغة^(٧٢) .

الختامة:

بعد ما سبق عرضه في هذا البحث يمكن أن نجمل أهم ما تمّ التوصل إليه من نتائج، وهي:

١. وجدنا توجيهاً على مستوى التصحيح العقائدي واللغوي بمستوياتٍ متعددة في ما أفاده الإمام الكاظم (عليه السلام) بيانه الدلالي للألفاظ القرآنية التي مرّ ذكرها، فوجدناه يوجّه نحو التصحيح في الاعتقاد بالذات المقدّسة والسلامة العقائدية فيها، وكذلك الاعتقاد السليم بالإمام المفترض الطاعة، وأيضاً ما أفاده حول إحياء الأرض بإقامة حدود الله تعالى وهو توجيه نحو البناء السليم للمجتمع وعمران الأرض بما يريد الله تبارك وتعالى، وكذلك التوجيه التربوي والديني نحو اجتناب الخمرة بوصفها إثماً نهى الله تعالى عنه، وكذلك التوجيه نحو السلامة اللغوية التي تجعل من القرآن الكريم أساساً لها.

٢. هناك جهدٌ دلاليّ للإمام الكاظم (عليه السلام) في توجيهه لجملة من الألفاظ القرآنية، وجزءٌ من ذلك الجهد ما زال لم يأخذ حيّزه في الدراسات الدلالية، ولا سيما أن بعضه جاء منفرداً به مخالفاً لما ورد عند المفسّرين.

٣. وجّه الإمام الكاظم (عليه السلام) لفظة الإحياء عند إسنادها إلى الأرض على المجاز، وهو إحيائها بإقامة العدل فيها وتنفيذ حدود الله تعالى وشرعه بين ساكنيها.

٤. من الألفاظ التي وجّهها الإمام الكاظم (عليه السلام) لفظة (الإثم) في الآية التي ذُكرت في البحث، وقد جعل دلالتها تنضوي بمعنى الخمر.

٥. من التوجيه الدلاليّ للإمام الكاظم (عليه السلام) توجيهه لفظة (التدلي) على نحو ما تستعملها لهجة قريش.

٦. لفظة (الفاحشة) من الألفاظ التي وجهها الإمام الكاظم (عليه السلام)، وجعلها في دلالة ادّعاء طاعة أهل الجور.
٧. وجه الإمام الكاظم (عليه السلام) لفظة (الطَّمْث) بأنها خاصّة بالجماع في الاستعمال القرآني، ورفض استعمالها بمعنى الحيض.
٨. ظهر جلياً أسبقية الإمام الكاظم (عليه السلام) في تحديد دلالة (الإثم) و(الطمث) وبيانها، ثمّ تناقلت الكتب ما أفاده الإمام الكاظم (عليه السلام)؛ ولكن من دون أن تنسبه إليه أو تشير إليه ولو على سبيل التنويه.

١- الدلالة القرآنية في فكر السيد كمال الحيدري: ٣٢٧.

٢- يُنظر: النحو والدلالة: ٤٠.

٣- التعريفات: ٩١.

٤- علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ١١.

٥- علم الدلالة، مازن الوعر: ٢٦٠.

٦- الدلالة القرآنية عند الشريف المرتضى: ١١٨.

٧- حُجج النبوة: ٣/ ٢٧٩-٢٨٠.

٨- تأويل مشكل القرآن: ١٢.

٩- جامع البيان: ١/ ١١.

١٠- المغني في أبواب التوحيد والعدل: ١٦/ ٢٠٥-٢٠٦.

١١- الأصول (دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب): ٧-٨.

١٢- بيان إعجاز القرآن: ٢٧.

١٣- إعجاز القرآن: ١٤-١٥.

١٤- مقدمة ابن خلدون: ٩٥.

١٥- مقدمة المحرر الوجيز: ٢٧٩.

١٦- بيان إعجاز القرآن: ٢١-٢٢.

١٧- نظرية جديدة في دلالة الكلمة القرآنية: ٦٦.

١٨- الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: ١٧٣.

١٩- الدلالة القرآنية عند ابن خالويه: ٢١.

٢٠- تفسير القمي: ٢/ ٣٤٥، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٩/ ١٨٦، التبيان

في تفسير القرآن: ٩/ ٤٧٤، دَرْجُ الدَّرَر في تَفْسِيرِ الآيِ وَالسُّور: ٤/ ١٥٨٧، التَّفْسِيرُ

الْبَسِيط: ٢١/ ١٦٧، لباب التأويل في معاني التنزيل: ٤/ ٢٢٨، عمدة الحفاظ في تفسير

أشرف الألفاظ: ١/ ٢٨٢، التفسير الصافي: ٥/ ١١٠، تفسير نور الثقلين: ٥/ ١٩٣،

تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ١٢/ ٥٧٥، الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٢.

٢١- مجمع البيان في تفسير القرآن: ٧/ ٢٦٧، تفسير جوامع الجوامع: ١/ ٤١١، تفسير

القرآن العظيم: ٧/ ٢٠١، زبدة التفاسير: ٢/ ٩٠، البرهان في تفسير القرآن: ١/ ٢٠،

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ١١/ ٣٦٨، الأساس في التفسير:

٩/ ٥١٠١، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٤/ ٣٩٩.

٢٢- إعراب القرآن وبيانه: ٩/ ٤٠٧.

- ٢٣- (معجم مقاييس اللغة: ١٢٢/٢ (مادة: حَيّ))
٢٤- تفسير يحيى بن سلام: ٦٦٦/٢ .
٢٥- تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤٧٦/١٨ ، ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ٤٣٧/٣ ، تفسير القرآن العظيم: ٢١/٨ .
٢٦- (الكافي: ١٧٤/٧ ، تهذيب الأحكام: ١٤٦/١٠ ، التفسير الصافي: ١٢٩/٤ ، البرهان في تفسير القرآن: ٢٨٨/٥ .
٢٧- تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦٣/١٠ .
٢٨- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٤٠٩/٤ .
٢٩- التفسير البسيط: ١٠٧/٩ .
٣٠- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ١٠١/٢ .
٣١- تفسير العياشي: ١٧/٢ ، الكافي: ٤٠٦/٦ ، فقه القرآن: ٢٨١ - ٢٨٢ ، وسائل الشيعة: ١٧/٢٤١ ، البرهان في تفسير القرآن: ٣٤/١ ، بحار الأنوار: ٤٨/١٤٩ ، تفسير نور الثقلين: ٢٥ - ٢٦ .
٣٢- البيت غير منسوب: التذكرة الحمدونية: ٣٨٣/٨ ، نهاية الأرب في فنون الأدب: ٨٧/٤ ، المعجم المفصل في شواهد العربية: ٥٧٢/٦ .
٣٣- البيت غير منسوب: التنبيه على حدوث التصحيف: ١١٦/١ ، المجموع اللفيف: ١٤٩/١ ، المعجم المفصل في شواهد العربية: ٧٦/٣ .
٣٤- ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٢/٢١ ، تهذيب اللغة: ١٥٧/١٧٧ (مادة: أثم) ، التلخيص في معرفة أساء الأشياء: ٣١٣ ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٩/٦٢٠٩ ، لسان العرب: ١٢/٦ .
٣٥- المحكم والمحيط الأعظم: ١٨٧/١٠ .
٣٦- تفسير الماوردي - النكت والعيون: ٢/٢٢٠ .
٣٧- تفسير التستري: ١٥٦ .
٣٨- تفسير إسحاق البستي: ٤٥٨/٢ .
٣٩- تفسير الطبري - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٤/٢٢ .
٤٠- التيسير في التفسير: ١٠٧/١٤ .
٤١- الاحتجاج: ١٥٧/٢ ، التفسير الصافي: ٨٧/٥ ، بحار الأنوار: ٣/٣١٣ ، تفسير نور الثقلين: ٥/١٥١ ، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ١٢/٤٨٠ .
٤٢- ينظر: اللغة والجنس حفريات في الذاكرة والأنثوثة: ١٦ .
٤٣- ينظر: م. ن. ١٨ .

- ٤٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٠/١٣٧ ، ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤/٣٨٢ ، زهرة التفاسير: ٦/٢٨١٠ ، الميزان في تفسير القرآن: ٨/٧٢ .
- ٤٥- ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٥/١٤٦١ ، التبيان في تفسير القرآن: ٤/٣٨٢ ، التحرير والتنوير: ٨/٨١ ، الميزان في تفسير القرآن: ٨/٧٢ .
- ٤٦- تأويلات أهل السنة: ٤/٤٠٠ ، ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ٢/٩٨ .
- ٤٧- ينظر: تأويلات أهل السنة: ٤/٣٩٩ ، زاد المسير في علم التفسير: ٢/١١١ ، الجامع لأحكام القرآن: ٧/١٨٧ ، الميزان في تفسير القرآن: ٨/٧٢ .
- ٤٨- ينظر: تأويلات أهل السنة: ٤/٣٩٩ ، تفسير القرآن: ٢/١٧٦ ، زاد المسير في علم التفسير: ٢/١١١ .
- ٤٩- ينظر: تفسير القرآن: ٢/١٧٦ ، زاد المسير في علم التفسير: ٢/١١١ ، الجامع لأحكام القرآن: ٧/١٨٧ .
- ٥٠- ينظر: تأويلات أهل السنة: ٤/٣٩٩ .
- ٥١- ينظر: مفاتيح الغيب: ١٤/٢٢٥ .
- ٥٢- الكافي: ١/٣٧٣ ، البرهان في تفسير القرآن: ٢/٥٢٦ ، التفسير الأصفى: ١/٣٦٦ ، مرآة العقول في شرح أخبار الرسول: ٤/١٩٧ ، تفسير نور الثقلين: ٢/١٧ ، تفسير كنز الدقائق وبحر العجايب: ٦٥ .
- ٥٣- النوادر: ١٩٥ ، بحار الأنوار: ٧٣/٣٥٨ ، مستدرک الوسائل: ٢/٣٦ .
- ٥٤- تكرر لفظ ﴿يَطْمِئُنُّ﴾ مرّتين بالسياق نفسه ﴿لَمْ يَطْمِئُنُّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ في سورة الرحمن في الآية (٥٦ و ٧٤) .
- ٥٥- العين: ٧/٤١٢ ، تهذيب اللغة: ١٣/٢١٦ ، الحور العين: ١٢ ، لسان العرب: ٢/١٦٦ ، تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/٩٥ (مادة: طمّث) .
- ٥٦- ينظر: تهذيب اللغة: ١٣/٢١٦ ، أساس البلاغة: ١/٦١٣ ، الغريبين في القرآن والحديث: ٤/١١٨٠ ، لسان العرب: ٢/١٦٦ ، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: ١/٢٠٨ ، تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/٩٥ .
- ٥٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٢/٣٧٧ (مادة: طمّث) .
- ٥٨- ينظر: تهذيب اللغة: ١٣/٢١٦ ، أساس البلاغة: ١/٦١٣ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٢/٣٧٧ ، تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/٢٩٦ (مادة: طمّث) .
- ٥٩- ينظر: تهذيب اللغة: ١٣/٢١٦ ، أساس البلاغة: ١/٦١٣ ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٢/٣٧٧ ، تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/٢٩٦ ، معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢/١٤١٤ (مادة: طمّث) .



- ٦٠- ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٩/ ١٤٤ (مادة: طمّث) .
- ٦١- المحكم والمحيط الأعظم: ٩/ ١٤٤ ، لسان العرب: ٢/ ١٦٦ (مادة: طمّث) .
- ٦٢- ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/ ٩٥ (مادة: طمّث) .
- ٦٣- ينظر: العين: ٧/ ٤١٢ ، التقفية في اللغة: ٢٢٧ ، تهذيب اللغة: ١٣/ ٢١٦ ، الغريبين في القرآن والحديث: ٤/ ١١٨٠ ، لسان العرب: ٢/ ١٦٦ ، تاج العروس من جواهر القاموس: ٥/ ٩٥ - ٢٩٦ (مادة: طمّث) .
- ٦٤- ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/ ٢٠٤ ، التبيان في تفسير القرآن: ٩/ ٤٨١ ، مجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/ ٣٤٧ ، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان: ٢/ ٣٠١ .
- ٦٥- ينظر: تأويلات أهل السنة: ٩/ ٤٨١ .
- ٦٦- ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: ١١/ ٧٢٣٩ ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٠٥٦ ، البحر المحيط في التفسير: ١٠/ ٦٩ ، الميزان في تفسير القرآن: ١٩/ ١١٠ .
- ٦٧- ينظر: دور الكلمة في اللغة: ١٧٨ ، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه: ٥ ، كلام العرب من قضايا اللغة العربية: ١٤٤ ، التطور اللغوي التاريخي: ٢٧ ، لحن العامة والتطور اللغوي: ٣٥ ، أسس علم اللغة: ٧١ .
- ٦٨- ينظر: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق: ٣١٥ .
- ٦٩- ينظر: علم اللغة، علي عبد الواحد وافي: ٣١٤-٣١٩ ، الأضداد في اللغة: ٦٩ .
- ٧٠- ينظر: دلالة الألفاظ: ١٠٣- ١١٦ ، علم اللغة، علي عبد الواحد: ٣١٩-٣٢٥ ، فقه اللغة وخصائص العربية: ٢١٢-٢١٦ ، علم الدلالة: أحمد مختار عمر: ٢٣٧-٢٤٢ ، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن دراسة دلالية مقارنة: ٥٣-٥٦ .
- ٧١- ينظر: المشترك اللفظي في اللغة العربية: ٣٦ .
- ٧٢- ينظر: دور الكلمة في اللغة: ١٥٣ .

المصادر والمراجع

السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة،
ط ٥، ١٩٩٧ م .

* إعراب القرآن وبيانه، محيي
الدين بن أحمد مصطفى درويش
(ت: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون
الجامعية، سورية - حمص، دار اليمامة -
دمشق - بيروت، دار ابن كثير - دمشق
- بيروت، ط ٤، ١٤١٥ هـ .

* بحار الأنوار، العلامة المجلسي
(ت: ١١١١هـ)، تحقيق: يحيى العابدي
الزنجاني، عبد الرحيم الرباني الشيرازي،
مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان، ط ٢
المصححة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .

* البحر المحيط في التفسير، أبو حيان
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن
حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)،
تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر -
بيروت، (د ط)، ١٤٢٠ هـ .

* البرهان في تفسير القرآن، السيد
هاشم البحراني، (ت: ١١٠٧هـ)، تحقيق:
قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة
البعثة - قم، (د ط)، (د ت) .

* بيان إعجاز القرآن: أبو سليمان
حمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت:
٣٨٨هـ)، نشر ضمن كتاب (ثلاث رسائل
في إعجاز القرآن) للرباني والخطابي وعبد
القاهر، حققها وعلق عليها: محمد خلف
الله ومحمد زغلول، دار المعارف، مصر،
ط ٢، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨ م .

* تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد

* الاحتجاج، الشيخ الطبرسي (ت:

٥٤٨ هـ)، تعليق وملاحظات: السيد
محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة
والنشر - النجف الأشرف، (د ط)، ١٣٨٦
- ١٩٦٦ م .

* أساس البلاغة، أبو القاسم محمود
بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله
(ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون
السود، دار الكتب العلمية، بيروت -
لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

* الأساس في التفسير، سعيد حوى
(ت: ١٤٠٩ هـ)، دار السلام - القاهرة،
ط ٦، ١٤٢٤ هـ .

* أسس علم اللغة، ماريو باي،
ترجمة وتعليق: د. أحمد مختار عمر، عالم
الكتب، القاهرة، ط ٨، ١٩٩٨ م .

* الأصول، دراسة أيبستيمولوجية
للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام
حسان، دار الشؤون الثقافية العامة.
بغداد، ١٩٨٨ م .

* الأضداد في اللغة، د. محمد
حسين آل ياسين، مطبعة المعارف،
بغداد، ط ١، ١٩٧٤ م .

* إعجاز القرآن البياني ودلائل
مصدره الرباني، صلاح عبد الفتاح
الخالدي، دار عمّار للنشر والتوزيع،
عمّان، الأردن، ط ١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) .

* إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن
الطيب الباقلائي (ت: ٤٠٣هـ)، تحقيق:

عبد الله بن مسلم بن قتيبة، شرحه ونشره
: السيد أحمد صقر دار التراث، القاهرة،
ط ٢، (١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م).

* التبيان في تفسير القرآن،
الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)،
تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير
العاملي، مطبعة مكتب الإعلام
الإسلامي، ط ١، رمضان المبارك
١٤٠٩ هـ .

* التحرير والتتوير - تحرير المعنى
السديد وتتوير العقل الجديد من تفسير
الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد
بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي
(ت: ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية للنشر -
تونس، ١٩٨٤ هـ .

* تحفة الأريب بما في القرآن من
الغريب، أبو حيان محمد بن يوسف بن
علي بن يوسف بن حيان أثير الدين
الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: سمير
المجذوب، المكتب الإسلامي، ط ١،
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي،
بهاء الدين البغدادي (ت: ٥٦٢هـ)، دار
صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ.

* التطور الدلالي بين لغة الشعر
الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة
دلالية مقارنة: عودة خليل أبو عودة،
مكتبة المنار، ط ١، الأردن - الزرقاء،
١٩٨٥م - ١٤٠٥ هـ .

* التطور اللغوي التاريخي، د. إبراهيم السامرائي، دار الأندلس، بيروت، ط ٢، ١٩٨١ م.

* التطور اللغوي مظاهره وعلمه
وقوانينه. د. رمضان عبدالتواب، مكتبة
الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٣ م.

* التعريفات، علي بن محمد
الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق
ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار
الفضيلة، القاهرة.

* تفسير إسحاق البستي، أبو محمد
إسحاق بن إبراهيم البستي القاضي (ت
٣٠٧ هـ)، تحقيق: عوض محمد ظافر
العمري، عثمان معلم محمود شيخ علي،
الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، كلية
القرآن الكريم والدراسات الإسلامية -
قسم التفسير وعلوم القرآن، (د ط)، (د
ت).

* التفسير الأصفي، الفيض الكاشاني
(ت: ١٠٩١ هـ)، تحقيق: مركز الأبحاث
والدراسات الإسلامية، مطبعة مكتب
الإعلام الإسلامي، مركز النشر التابع
لمكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤١٨
هـ - ١٣٧٦ ش.

* التَّفْسِيرُ البَسيطُ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة

البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٣٠ هـ .

* تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (ت: ٢٨٣هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

* التفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١ هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الهادي - قم المقدسة، ط ٢، رمضان ١٤١٦ - ١٣٧٤ ش .

* تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف وعصام فارس الحارستاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م).

* تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠ هـ)، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية - طهران (د ط)، (د ت) .

* تفسير القرآن العظيم أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

* تفسير القرآن العظيم لابن أبي

حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩ هـ .

* تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي (ت: ٣٢٩ هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر - قم - إيران، ط ٣، صفر ١٤٠٤ هـ.

* تفسير الماتريدي - تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

* تفسير الماوردي - النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠ هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

* تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ت: ١١٢٥ هـ)، تحقيق: حسين درگاهي، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .

* تفسير نور الثقلين، الشيخ الحويزي (ت: ١١١٢ هـ)، تصحيح وتعليق:

السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة
إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع -
قم، ط ٤، ١٤١٢ هـ - ١٣٧٠ ش.

* تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت ٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتور هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

* التقفية في اللغة، أبو بشر اليان بن أبي اليان البَندنجي، (ت: ٢٨٤ هـ)، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، الجمهورية العراقية - وزارة الأوقاف - إحياء التراث الإسلامي (١٤) - مطبعة العاني - بغداد، ١٩٧٦ م.

* التَّلْخِصُ في مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاءِ،
أَبُو هَلَالِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ
بْنِ سَعِيدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ مَهْرَانَ الْعَسْكَرِيِّ
(ت: نَحْوَ ٣٩٥هـ)، تَحْقِيقُ د. عِزَّةُ حَسَنِ،
دَار طَلَّاسَ لِلدِّرَاسَاتِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالنَّشْرِ،
دَمَشْقُ، ط ٢، ١٩٩٦ م.

* التنبيه على حدوث التصحيف،
حمزة بن الحسن الأصفهاني (٢٨٠ هـ -
٣٦٠ هـ)، تحقيق: محمد أسعد طلس،
مراجعة: أسماء الحمصي - عبد المعين
الملوحي، دار صادر - بيروت (بإذن من
المجمع العلمي العربي بدمشق)، ط ٢،
١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

* تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي
(ت: ٤٦٠ هـ)، تحقيق وتعليق: السيد

حسن الموسوي الخرساني، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط: ٤، ١٣٦٥ هـ .
* تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م .

* التيسير في التفسير، نجم الدين
عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي
(٤٦١ - ٥٣٧ هـ)، تحقيق: ماهر أديب
حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات
وتحقيق التراث، اسطنبول - تركيا، ط ١،
١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.

* الجامع لأحكام القرآن - تفسير
القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن
أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي
شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)،
تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،
دار الكتب المصرية - القاهرة، ط ٢،
١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م .

* حجج النبوة، في ضمن (رسائل الجاحظ) للجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بمصر، ط ١، (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).

* الحور العين، نشوان بن
سعيد الحميري اليمني (ت: ٥٧٣
هـ)، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة
الخانجي - القاهرة، ١٩٤٨ م.

* دَرْجُ الدُّرِّ فِي تَفْسِيرِ الْآيِ وَالسُّورِ،
أَبُو بَكْرٍ عَبْدِ الْقَاهِرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ

محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار
(ت: ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفتاحة
والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح
الحسين، (وشاركه في بقية الأجزاء):
إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة
- بريطانيا، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
* دلالة الألفاظ، د. إبراهيم
أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية،
القاهرة، (د ط) (د ت).
* الدلالة القرآنية عند الشريف
المرتضى (دراسة لغوية)، حامد كاظم
عباس، دار الشؤون الثقافية العامة،
بغداد، العراق، ط١، (٢٠٠٤م).
* الدلالة القرآنية في فكر السيد
كمال الحيدري، عماد غالي سلمان
الصيمري، الطبعة الأولى، مؤسسة
الإمام الجواد للإفكار والثقافة،
بغداد، (١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م).
* دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان،
ترجمة وتقديم وتعليق: د. كمال بشر، دار
غريب، القاهرة، ط١٢، (د ت).
* روح المعاني في تفسير القرآن
العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين
محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي
(ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري
عطية، دار الكتب العلمية - بيروت،
ط١، ١٤١٥ هـ.
* الزاهر في معاني كلمات الناس،
محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو
بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، تحقيق: د.

حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة -
بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
* زبدة التفسير، الملا فتح الله
الكاشاني (ت: ٩٨٨ هـ)، تحقيق: مؤسسة
المعارف، پاسدار اسلام مؤسسة المعارف
الإسلامية - قم - إيران، ط١، ١٤٢٣ هـ.
* زهرة التفسير، محمد بن أحمد بن
مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة
(ت: ١٣٩٤هـ)، دار النشر: دار الفكر
العربي، (د ط)، (د ت).
* شمس العلوم ودواء كلام العرب
من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميري
اليمني (ت: ٥٧٣هـ)،
* تحقيق: د حسين بن عبد الله
العمرى - مطهر بن علي الإيراني - د
يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان، دار الفكر دمشق -
سورية، ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
* علم الدلالة العربي النظرية
والتطبيق، د. فايز الدايدة، دار الفكر،
دمشق، ط٢، ١٩٩٦ م.
* علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم
الكتب، القاهرة، ط٥، (١٩٩٨م).
* علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي،
دار نهضة مصر، القاهرة، ط٩، ٢٠٠٤ م.
* عمدة الحفاظ في تفسير أشرف
الألفاظ، أبو العباس، شهاب الدين،
أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف
بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦ هـ)، تحقيق:
محمد باسل عيون السود، دار الكتب

العلمية، ط ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

* العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠ هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د ط)، (د ت).

* الغريين في القرآن والحديث، أبو عبيد أحمد بن محمد الهروي (ت: ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدم له ورأجعه: أ. د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

* الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، عبد الرحمن صالح الشايع، مكتبة العيكان، الرياض، ط ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

* فقه القرآن، قطب الدين الراوندي (ت: ٥٧٣ هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي، ط ٢، ١٤٠٥ هـ .

* فقه اللغة وخصائص العربية، د. محمد المبارك، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٦٤ م .

* الكافي، الشيخ الكليني (ت: ٣٢٩ هـ)، تحقيق: صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مطبعة: چاپخانه حيدري، دار الكتب الإسلامية - تهران - ايران، ط ٥، تابستان ١٣٦٣ ش.

* الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن

أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ .

* الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧ هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، أشرف على إخراجهم: د. صلاح باعشان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

* كلام العرب من قضايا اللغة العربية، د. حسن ظاظا، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، ١٩٧٦ م.

* لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١ هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ .

* لحن العامة والتطور اللغوي، د. رمضان عبد التواب، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٠ م.

* لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١ هـ)، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ .

* اللغة والجنس حفريات في الذاكرة والأنوثة، د. عيسى برهومة، دار الشرق، عمان، الأردن، ط ١، ٢٠٠٢ م.

* مجمع البيان في تفسير القرآن،

الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.

* المجموع اللفيف، أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني أبو جعفر الأفتسي الطرابلسي (ت: بعد ٥١٥ هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٥ هـ.

* المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨ هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

* مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلامة المجلسي (ت: ١١١١ هـ)، قدّم له: العلم الحجة السيّد مرتضى العسكري، إخراج ومقابلة وتصحيح السيد هاشم الرّسولي، مطبعة: مروي، دار الكتب الإسلامية، ط٢، ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش.

* المشترك اللفظي في اللغة العربية، د. عبد الكريم شديد محمد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية في ديوان الوقف السني، بغداد، (د ط)، ٢٠٠٧ م.

* المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠ هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، (د ط)، (د ت).

* المعجم المفصل في شواهد العربية، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

* معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د ط)، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

* المغني في أبواب التوحيد والعدل، القاضي عبد الجبار بن أحمد الاسدآبادي، حقّق بإشراف، طه حسين وإبراهيم مذكور، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، مطبعة دار الكتب، القاهرة (١٩٦٠ - ١٩٦٥ م).

* مقدمة المحرر الوجيز، في ضمن (مقدمتان في علوم القرآن)، لأبي محمد عبد الحق بن عطية (ت: ٥٤١ هـ)، وقف على تصحيحها وطبعها، د. آرثر جفري. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٤ م.

* المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، ابن إدريس الحلي، (ت: ٥٩٨ هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، إشراف: السيد محمود المرعشي، مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام)، ط١، ١٤٠٩ هـ.

* الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)، (د ت).

* النحو والدلالة مدخل لدراسة

المعنى النحوي - الدلالي، محمد حماسة
عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط ١،
(١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

* نظرية جديدة في دلالة الكلمة
القرآنية: د. عبد الصبور شاهين،
بحث في كتاب بحوث في اللغة
والأدب، إشراف د. سهام الفريح،
مكتبة المعلا، الكويت ١٩٧٨ م.

* نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد
بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد
الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب
الدين النويري (ت: ٧٣٣ هـ)، دار الكتب
والوثائق القومية، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

* النوادر، فضل الله الراوندي
(ت: ٥٧١ هـ)، تحقيق: سعيد رضا علي
عسكري، دار الحديث، مؤسسة دار
الحديث الثقافية - قم، ط ١، (د ت).

* الهداية إلى بلوغ النهاية في علم
معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل
من فنون علومه، أبو محمد مكّي بن أبي
طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي
القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي
(ت: ٤٣٧ هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل
جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث
العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.
د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة

بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

* الوجيز في تفسير الكتاب
العزیز، علي بن أحمد الواحدي (ت:
٤٦٨ هـ)، تحقيق: صفوان عدنان
داوودي، دار القلم والدار الشامية،
دمشق، بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.

* وسائل الشيعة، الحر العاملي
(ت: ١١٠٤ هـ)، تحقيق: مؤسسة
آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث،
ط ٢، مهر - قم، ١٤١٤ هـ.

* الوسيط في تفسير القرآن المجيد،
أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد
بن علي الواحدي، النيسابوري (ت:
٤٦٨ هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل
أحمد عبد الموجود، وآخرون، قدمه
وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي
الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت
- لبنان، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

الرسائل والأطاريح:

* الدلالة القرآنية عند ابن خالويه
(ت ٣٧٠ هـ): عزّة إبراهيم حمّاش،
(رسالة ماجستير)، كلية التربية، جامعة
تكريت، ٢٠٠٧ م.

الحفاظ على البيئة وصحة الأبدان في فكر الإمام الكاظم عليه السلام

حيدر السيد موسى وتوت الحسيني
العتبة العباسية المقدسة

الملخص

دين الإسلام القويم بمفاهيمه السامية وتعاليمه القيّمة العالية حثَّ على بناء المجتمع الإسلامي المجيد النابض بالحياة الآمنة المستقرة التي ترقى بأفرادها إلى أعلى مراتب الرقي والازدهار وتصونه عن التدهور والانحدار، من خلال نشر ثقافة المحافظة على النفس البشرية وديمومة سلامتها الصحية والبدنية، محلّقة بها في آفاق النهوض الحضاري المتألق، الذي يسمو بها إلى أعلى مراتب السعادة الإنسانية في كل مرافق الحياة المهمّة، ولا غرو أن أفضل الطرق وأتمّها للوصول إلى تلك الغاية الشريفة وإيصال تلك المفاهيم الاصيلّة المنيفة هو تبني العمل بما ورد عن النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته الأطهار الأبرار ﷺ في صون حياة الانسان والحرص على سلامته من مخاطر البيئة وأدرانها، لغرض تأسيس مجتمع سليم قائم على أسس البناء الصحيح لجميع مرتكزاته الحياتية والدينية والأخلاقية، والاهتمام بكل ما من شأنه الحفاظ على كينونته واستمرارية وجوده وبقائه، ومن الجوانب المهمة التي تسهم في تحقيق ذلك هو صحة الأبدان والعناية بها، والحفاظ على نظافة البيئة وسلامتها، لما لها من تأثير كبير على حياة الفرد بصورة خاصة، والمجتمع عموماً، وتنظيم شؤونه وتثمين عطائه ونتاجاته، فكان هذا



البحث المتواضع محاولة بسيطة تناولنا فيه بعض ما جاء عن الإمام العابد الزاهد الإمام الكاظم عليه السلام في هذا الجانب المهم من حياة الفرد والمجتمع.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على نبينا محمد وعلى آله الغرّ الميامين،..

وبعد ، فقد تبنى الإسلام بمفاهيمه السامية وتعاليمه القيّمة الخالدة أفكاراً نابضةً بالحياة تسلك بالفرد السويّ دروب الخير والسلامة وتنهض به إلى بناء مجتمع إسلاميٍّ سليمٍ متكاملٍ يسوده الخير والطمأنينة ويرقى بأفراده إلى أسمى مراتب العزّ والكرامة والعيش الرغيد . ولا غرو أنّ أفضل الطرق وأتمّها للوصول إلى تلك الغاية الشريفة وإيصال تلك المفاهيم الأصلية المنيفة هو تبني العمل بما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار الأبرار عليهم السلام في الحثّ على تأسيس مجتمعٍ سليمٍ قائمٍ على أسس البناء الصحيح لجميع مرتكزاته الحياتية والدينية والأخلاقية، والاهتمام بكلّ ما من شأنه الحفاظ على كينونته ووجوده، والارتقاء به إلى أعلى مراتب الرقيّ والازدهار في أسبغ الكرامة وأتمّ العيش.

ولا غرو أنّ من الجوانب المهمّة التي تسهم في تحقيق ذلك صحّة الأبدان والأرواح والعناية بها وسلامتها من أي ضررٍ ماديٍّ أو معنويٍّ؛ لما لها من تأثيرٍ كبيرٍ على حياة الفرد والمجتمع، وتنظيم شؤونه وتثمين عطائه ونتاجاته ؛ ومن ثمّ فقد أولت الشريعة الغراء اهتماماً بالغاً بسلامة الفرد والمجتمع وتحصينه من العلل والأمراض البدنية والنفسية، والحثّ على نظافة الأجسام والنفوس وسلامتها وتطهيرها من الأوساخ والأدناس، ومن كلّ ما قد يصيبها من ضررٍ أو أذى ، وبما يضمن لها الحياة الكريمة الطيّبة، وسعادة الدارين، ولا يخفى على كلّ ذي لبٍّ أنّ الطريق الأمثل

والمنهج الأكمل لتحصيل ذلك وتحقيقه هو العمل والالتزام بما ورد عن المعصومين (عليه السلام) سادات الأمة وينايع العلم والحكمة، والتمسك بما جاء عنهم (عليه السلام) من وصايا وإرشادات في هذا الباب المهم من الحث على تطهير الروح والجسد على حد سواء، وقد ورد عن النبي الأكرم (عليه السلام)، أنه قال: (العلم علما علم الأديان وعلم الأبدان)^(١). وكقوله (عليه السلام) : (بئس العبد القاذورة)^(٢). وكقوله (عليه السلام) : (خصلتان كثير من الناس مفتون فيهما: الصحة والفراغ)^(٣). وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (الصّحة أفضل النعم)^(٤). وكقوله (عليه السلام) : (صحّة الأجسام من هنا الأقسام)^(٥)، وعنه (عليه السلام) أيضاً: (زكاة الصحة السعي في طاعة الله)^(٦).

ولما كان ما صدر عنهم (عليه السلام) في هذا الباب إنما صدر من سراج واحد، ومشكاة واحدة، هي مشكاة آل محمد (عليه السلام)، فقد كان الهدف من بحثنا المتواضع هذا الوقوف بصورة خاصة على بعض ما ورد عن سابع الأوصياء وشمس الأصفياء الإمام المهام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) من أحاديث وروايات أفصحت عن جواهر وكنوز من علوم الإمامة الحقّة في هذا الجانب المهم من حياة الإنسان وصحّة الروح والبدن.

ثم لعظيم مقام الإمام الكاظم (عليه السلام) وجلالة شأنه عند الله تبارك وتعالى جعله من نوافذ الرحمة الإلهية ووسائل العناية الربانية في استجابة الدعاء وكشف الضرّ والبلاء، فكان من كراماته (عليه السلام) الباهرة العليّة وخصائصه الكاملة الجليّة عند الخاصة والعامة، أن العافية تلمس به وتطلب عند مضجعه المطهر، والتوسّل به وبحقّه عند الله تبارك وتعالى من أجل الوسائل وأعظم المسائل لمن رام الوسيلة إلى إجابة الدعاء، وطلب العافية والشفاء، والاستشفاء ببركة اسمه المعظم وقبره المكرّم صلوات الله وسلامه عليه، فهو الترياق الأكبر والكبريت الأحمر الذي فيه الشفاء والدواء، والكفاية والغناء، وهذا أمر لا يسع المقام ذكر شواهد وبراهينه.

وقد ورد عن مصادر الخاصّة ما يدعم ذلك، منها ما روي عن كتاب (قبس الإصباح في تلخيص المصباح) ^(٧) للشيخ الجليل الثقة نظام الدين سليمان بن الحسن الصهرشتي (٥ هـ.ق)، تلميذ الشريف المرتضى علم الهدى، وشيخ الطائفة الطوسي، بسنده عن الشيخ الجليل الثقة أحمد بن علي النجاشي رحمته الله صاحب كتاب (الرجال)، بسنده عن أبي الوفاء الشيرازي، في ذكر كرامات المعصومين عليهم السلام، نورده هنا بتمامه إتماماً للفائدة، قال أبو الوفاء: (كنت مأسوراً بكرمان في يد أبي علي إلياس صاحب كرمان، مقيداً مغلولاً، فوقفت على أنهم همّوا بقتلي، فاستشفعتُ إلى الله تعالى بمولانا أبي محمد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، فحملتني عيني، فرأيت في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: (لا تتوسل بي، ولا بابنتي، ولا بابني في شيء من عروض الدنيا، بل للآخرة، ولما تؤمّل من فضل الله تعالى فيها، وأما أخي أبو الحسن فإنه ينتقم لك ممن ظلمك) ،

فقلت: يا رسول الله أليس ظلمت فاطمة عليها السلام فصبرَ، وغضب على إرثك فصبرَ، فكيف ينتقم لي ممن ظلمني؟ فقال صلى الله عليه وآله: ذاك عهدٌ عهدته إليه وأمرٌ أمرته به، ولم يجز له إلا القيام به، وقد أدّى الحقّ فيه، والآن فالويل لمن يتعرّض لمواليه.

وأما علي بن الحسين ، فللنّجاة من السلاطين، ومن معرّة الشياطين.

وأما محمد بن علي وجعفر بن محمد ، فللآخرة.

وأما موسى بن جعفر ، فالتمس به العافية.

وأما علي بن موسى ، فللنّجاة من الأسفار في البر والبحر.

وأما محمد بن علي ، فاستنزل به الرزق من الله تعالى.

وأما علي بن محمد ، فلقضاء النوافل وبرّ الإخوان.

وأما الحسن بن علي ، فللآخرة.

وأما الحجّة ، فإذا بلغ منك السيف المذبح - وأوماً بيده إلى الحلق - فاستغث به فإنه يغيثك، وهو غياثٌ وكهفٌ لمن استغاث به .

فقلت: يا مولاي يا صاحب الزمان أنا مستغيثٌ بك، فإذا أنا بشخصٍ
قد نزل من السماء تحته فرسٌ وبيده حربَةٌ من نور، فقلت: يا مولاي
اكفني شرَّ من يؤذيني، فقال: قد كفيتك، فإنني سألت الله عزَّ وجلَّ
فيك وقد استجاب دعوتي، فأصبحت ، فاستدعاني ابنُ إلياس، وحلَّ
قيدي وخلع عليّ، وقال: بمن استغثت؟ فقلت: استغثت بمن هو غياث
المستغيثين حتَّى سأل ربَّه عزَّ وجلَّ، والحمد لله ربَّ العالمين^(٨).

ومنها ما حُكي أنّه مُغص بعضُ الخلفاء ، فعجز بختيشوع النصراني عن دوائه ، وأخذ جليداً فأذابه بدواء ، ثم أخذ ماءً وعقده بدواء ، وقال : هذا الطب إلا أن يكون مستجاب دعاءٍ ذا منزلةٍ عند الله يدعو لك ، فقال الخليفة: عَلَيَّ بِموسى بن جعفر، فأُتيَ به، فسمع في الطريق أنينه، فدعا الله سبحانه وزال مغص الخليفة، فقال له: بحق جدك المصطفى أن تقول بم دعوت لي؟ فقال عليه السلام: قلت: اللهم كما أريته ذلَّ معصيته فأره عزَّ طاعته، فشفاه الله من ساعته^(٩). إلى غير ذلك الكثير من أخبار كراماته ومحامده صلوات الله عليه.

أمّا في مصادر العامّة، فمنها ما ذكره الخطيب البغدادي، وعنه ابن الجوزي الحنبلي، وسبطه المعروف بسبط ابن الجوزي الحنفي، واللفظ للأوّل بسنده عن الحسن بن إبراهيم الخلال، أنه كان يقول: (ما همّني أمرٌ فقصدتُ قبر موسى بن جعفر فنوّسّلت به إلا سهّل الله تعالى لي ما أحبّ)^(١٠).

كما اشتهر عن الإمام الشافعي أنه كان يزور قبر الإمام الكاظم (عليه السلام)، ويقول: (قبر موسى الكاظم ترياقٌ مجربٌ لإجابة الدعاء)^(١١).

وعن ابن الصباغ المالكي (ت ٨٥٥هـ)، بما لفظه: (وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله، وذلك لنجح قضاء حوائج

المسلمين، ونيل مطالبهم وبلوغ مآربهم وحصول مقاصدهم) (١٢).
إلى غيرها من الأخبار الأخرى الدالة على هذا المعنى الشريف، التي
أعرضنا عن ذكرها هنا خوف الإطالة.

وقد رُتبت بحثي هذا بعد هذه المقدمة على ثلاثة محاور وخاتمة،
تضمّن المحور الأول ما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام من وصايا وارشادات
تتعلّق بسلامة البيئة والحفاظ عليها، والمحور الثاني فيما يتعلّق بصحة
الأجسام والأبدان وصونها من الأمراض والآفات، والمحور الثالث
ما جاء عنه عليه السلام فيما يتعلّق بصيانة النفوس وطهارة القلوب والأرواح،
وسميّه بـ (الحفاظ على البيئة وصحة الأبدان في فكر الإمام الكاظم عليه السلام)،
والله سبحانه من وراء القصد، وهو وليّ التوفيق.

(فائدة رجالية)

بدايةً، لا بدّ لنا هنا أن نورد فائدةً جليّةً تتعلّق بألقاب الإمام
الكاظم عليه السلام في سند الروايات المنسوبة إليه، لتعدها، وأهميّة معرفتها
في الأحاديث المروية عنه عليه السلام، وهي كما قال الشيخ فرج الله الحويزاوي
في رجاله: (إذا أُطلق في الروايات: قال عليه السلام، أو: وعنه عليه السلام، فالمراد
الرسول ﷺ، إلى أن قال: وإذا أُطلق (أبو الحسن عليه السلام)، فالمراد به
الكاظم عليه السلام، وكذا إذا قُيّد بالماضي (١٣)، وكذا إذا أُطلق أبو إبراهيم،
والعالم، والشيخ، والفقيه، والعبد الصالح، فهو المراد عليه السلام) (١٤).

وقال المولى الحاج محمد الأردبيلي في جامع الرواة: (قال مولانا خدا وردي
الأفشار في رجاله: اعلم، أن الأئمة صلوات الله عليهم يُذكرون كثيراً بالكنى،
فينبغي للمحدّث أن يُبيّن كُناهم، ويميّز الاشتراك... إلى أن قال: وأبو الحسن
مشارك بين زين العابدين، والكاظم، والرضا، والنقي عليه السلام، لكن المطلق هو
الكاظم عليه السلام، وكذا الأوّل، والماضي، والعالم، والفقيه، والعبد الصالح)

وعن الشيخ الحر العاملي، قال شيخنا في الفائدة الثالثة من خاتمة الوسائل: (إذا أُطلق في الرواية قال عليه السلام، فالمراد به النبي صلى الله عليه وآله، قال: وإذا أُطلق أبو الحسن، فالمراد به موسى الكاظم عليه السلام، وكذا أبو إبراهيم، والعالم، والفقيه، إلى آخره) (١٥).

المحور الأول: في المحافظة على البيئة وسلامتها

لما كان نقاء محيط الإنسان وسلامة بيئته ونظافتها من أكبر المؤثرات الحيوية على حياة الإنسان وسلامته وصحة جسمه، فقد أولت الشريعة الغراء هذا الموضوع اهتماماً بالغاً في التنبيه على مخاطره وآثاره، ومعالجة مشاكله وأضراره، الناتجة عن التلوث البيئي والانحدار الصحي، فجاءت إرشادات أهل البيت عليه السلام وتعاليمهم لدرء شر هذه المخاطر والآفات، وكيفية التخلص منها ومن آثارها بالطرق والوسائل العلمية الناجعة النافعة.

ومن ثم يُؤثر عن الإمام الكاظم عليه السلام في هذا الباب أحاديث عديدة، لعلَّ من أهمها ما يتعلّق بنظافة البيئة وسلامتها والحفاظ عليها، وهي بحق وصايا ونصائح لا تقدّر بثمن، وثروة علمية نفيسة لمن يبتغيها ويبحث عنها من المهتمّين بشؤون البيئة وكيفية خلوّها من الأوبئة والأمراض، بل حُقّ لهم أن يكتبوها بماء الذهب ويعملوا على دراستها وتبنيها والاستفادة منها كطريقة مُثلى ومنهجٍ قويمٍ يقودهم إلى توفير بيئةٍ صحيّةٍ متكاملةٍ مغمورةٍ بالعافية، فيأصّة بالخير والبركة، ينعم بها الفرد والمجتمع على حدٍّ سواء، فهي من مذكور علوم آل البيت عليه السلام، ومن كنوز أقوالهم وحكمهم عليه السلام.

١. فمما ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، في خبر جوابه لأبي حنيفة إمام المذهب الحنفي، وقد سأله (أين يُحدّث الغريب؟)، وذلك: أن أبا حنيفة كان قد خرج من عند الإمام أبي عبد الله عليه السلام، وأبو الحسن موسى عليه السلام قائم وهو غلام، فقال له أبو حنيفة: يا غلام أين

يضع الغريبُ بلدكم؟ فقال: (اجتنب أفنية المساجد، وشطوط الأنهار، ومساقط الثمار، ومنازل النزال، ولا تستقبل القبلة بغائطٍ ولا بولٍ، وارفع ثوبك، وضع حيث شئت)^(١٦).

وفي نص آخر، أنه قال له: (يا غلام أين يضع الغريبُ في بلدكم هذه؟ فقال ﷺ: يتوارى خلف الجدار، ويتوقَّى أعين الجار، وشطوط الأنهار، ومسقط الثمار، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، فحينئذ يضع حيث شاء)^(١٧).

وفي نص آخر، أنه ﷺ قال له: (تَوَقَّ شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية المساجد وقارعة الطريق، وتوارَ خلف جدار، وشل^(١٨) ثوبك. ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، وضع حيث شئت)^(١٩).

وفي نص آخر، أنه قال له: (يا فتى أين يضعُ المسافرُ خلاه في بلدكم هذا؟ فاستند ﷺ إلى الحائط، وقال له: يا شيخ تتوقَّى في شطوط الأنهار، ومساقط الأثمار، ومنازل النزال، ومحجّة الطرق، وأقبلة المساجد وأفنيتهما، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ويتوارى حيث لا يُرى، ويضعه حيث يشاء)^(٢٠).

ولا يخفى ما اشتملت عليه فقرات جوابه الشريف ﷺ من الفوائد الصحية والتنبيهات العلمية الجليلة كمبادئ لعلوم الطب والوقاية الصحية المتعلقة بضمان سلامة الفرد والمجتمع، واتخاذ الخطوات اللازمة لحمايتهم من الأوبئة والأمراض، وما قد يصيبهم من العلل والأسقام في حال عدم الالتفات أو التهاون في تطبيق ما ورد في حديثه ﷺ من الإرشادات الصحية والتعاليم الوقائية الرافدة لروح الحياة الطيبة، الطامحة بسعادة النفوس المستقرّة. فقوله ﷺ: (اجتنب أفنية المساجد) و (وأقبلة المساجد وأفنيتهما).

إشارة منه ﷺ إلى أن يتجنَّب المرء وضع حاجته (أي فضلات جسمه من بول وغائط)، في جوانب المسجد وما اتسع من أمامه كالساحة والعريضة، لأنَّ الأفنية في اللغة جمع فناء، وهو ما امتد مع الدار أو البناء من

جوانبها^(٢١)، وما في ذلك من تلوّثٍ خطير لهذه المواضع بأنواع الأوساخ والقاذورات والروائح الكريهة التي تنبعث من هذه العذرة وفضلاتها، والتي تسهم بنشر الأوبئة والأمراض بشكلٍ كبير، مع ما يحمله هذا الفعل المشين من الإساءة المعنوية البالغة لمكانة المسجد وقداسته في نفوس المسلمين، خاصة إذا كان إحداثه لها في مواضع القبلة وقربها.

وقوله ﷺ: (يتجنب شطوط الأنهار) .

إشارةً منه ﷺ إلى أن يتجنب المرء وضع حاجته كالعذرة وغيرها، على ضفاف الأنهار وجوانبها، لأن الشطّ في اللغة: هو جانب النهر وضمّته، وطرفه^(٢٢)، فيكون الإنسان بفعله هذا قد شكّل مصدر تلوّثٍ خطيرٍ لمياه النهر الملازمة لها، لما تحمله هذه الفضلات من أوبئة وأمراض قد تنتشر سريعاً من خلال الماء مسببةً كوارث صحيةً وبيئيةً خطيرةً قد تنال من الإنسان وحياته، وأن الوقاية منها تكون بتجنب المرء مثل هكذا مواضع وإبقائها نقيّةً صافيةً صالحةً للاستخدام.

وقوله ﷺ: (ومساقط الثمار).

إشارةً منه ﷺ إلى ضرورة ابتعاد المرء إذا ما أراد أن يُحدّث عن البساتين المثمرة، والمواضع الزراعية المزهرة، خصوصاً تحت ظلال الأشجار ومساقط الثمار، كون ذلك يعرضها للتلوّث المريع والتلف السريع، والنجاسة المقيتة المسببة للضرر والأذى إذا ما لامست عذرة الإنسان وفضلاته الحاوية على الجراثيم والفيروسات، والتي تعدّ مصدراً للأوبئة والأمراض، مع ما في ذلك من إعراض النفوس عن استطابة تلك الثمار والتنفّر منها، ومن ثمّ، فنظافة محيط ظلال تلكم الأشجار اليانعة الثمار الغنية بقطوفها الدانية، وامتدادات جوانبها ممّا يسهم في المحافظة عليها وإبقائها في تناول اليد نظيفةً طاهرةً، والاستفادة من منافعها وفوائدها المتعددة في خدمة النظام الغذائي للإنسان السليم.

وقد جاء التأكيد من الشريعة المقدسة على اجتناب هذه المواضع، وكرهة تنجيسها وتلوّثها بحدث الإنسان كائناً من كان، من ذلك ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام)، بسنده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (نهى رسول الله ﷺ أن يتغوّط على شفير بئر ماء يُستعذب منها، أو نهر يُستعذب، أو تحت شجرة فيها ثمرتها) (٢٣). وعنه (عليه السلام) أيضاً: (عن آبائه (عليهم السلام) قال رسول الله ﷺ: إنّ الله تبارك وتعالى كره لكم أيتها الأمة أربعاً وعشرين خصلةً ونهاكم عنها، ... إلى قوله: وكره أن يُحدث الرجل تحت شجرة مثمرة قد أينعت أو نخلة قد أينعت - يعني أثمرت -) (٢٤). وعن الباقر (عليه السلام) أنه قال: (إنما نهى رسول الله ﷺ أن يضرب أحد من المسلمين خلاه تحت شجرة، أو نخلة قد أثمرت، لمكان الملائكة الموكّلين بها، قال (عليه السلام): ولذلك يكون الشجر والنخل أنساً إذا كان فيه حمّله، لأنّ الملائكة تحضره) (٢٥).

وعن العالم الفاضل الشيخ حسن بن الشهيد الثاني في معرض ذكره لهذا الامر، بما لفظه: (إذا عرفت هذا، فاعلم أنّ الصدوق قال في من لا يحضره الفقيه: (لا يجوز التغوّط في فيء النّزال وتحت الأشجار المثمرة) ثم يقول: والعلّة في ذلك ما قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام): إنّ الله تبارك وتعالى ملائكةً وكلّهم بنات الأرض من الشجر والنخل، فليس من شجرة ولا نخلة إلاّ ومعها من الله عزّ وجلّ ملك يحفظها وما كان منها، ولولا أنّ معها من يمنعها لأكلتها السباع وهوام الأرض، إذا كان فيها ثمرتها، وإنّما نهى رسول الله ﷺ أن يضرب أحد من المسلمين خلاه تحت شجرة أو نخلة قد أثمرت؛ لمكان الملائكة الموكّلين بها، قال - يعني أبا جعفر (عليه السلام) - : ولذلك يكون الشجر والنخل أنساً إذا كان فيه حمّله؛ لأنّ الملائكة تحضره) (٢٦).

وقوله ﷺ: (و منازل النزال) ، (وفي النزال)

إشارة منه ﷺ إلى ضرورة اجتناب المسلم وضع عذرتة وفضلاته في مواضع استراحة المسافرين ومحطات نزولهم وأماكن ارتيادهم في طرق أسفارهم وتنقلاتهم، والمنازل التي يستظلون بها من وعشاء سفرهم ومشقتهم، وإبقائها نظيفة طاهرة، خالية من كل أشكال التلوث والنجاسة، بما يضمن حصولهم على طيب الراحة والاستقرار أينما حلوا في تنقلهم بين هذه المواضع، ووقايتهم من آثار الخبائث والأذى والروائح الكريهة المنبعثة منها، والتي تكون بؤرة للجراثيم والأمراض.

وقد حثت الشريعة المقدسة على حفظ هذه المنازل وصيانتها وتحسينها بالنظافة والطهارة من كل أشكال التلوث البيئي الخطير، فعن الإمام أبي عبد الله الصادق ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاث ملعون من فعلهن: المتغوط في ظل النزال، والمانع الماء المتاب، وساد الطريق المسلوك)^(٢٧).

يقول الشهيد الثاني رحمه الله عند شرحه لهذه الفقرة: (وفي النزال) وهو موضع الظل المعد لنزول القوافل والمتددين، كشجرة وموضع ظل جبل أو ما هو أعظم من ذلك ، وهو الموضع المعد لنزولهم مطلقاً ، نظراً إلى أنهم يرجعون إليه في النزول ، من فاء يفىء إذا رجع ، ويرشد إليه الحديث السابق عن الكاظم ﷺ حيث عبر بـ (منازل النزال) . (ومواضع التأذي) هذا تعميمٌ بعد التخصيص ، فإنه يشمل ما تقدم ، ويزيد عليه ما هو بحكم ما يوجب تأذي الناس من مواضع تردداتهم وحاجاتهم ، بل يدخل فيه ما يوصل رائحته إليهم بحيث يؤذيهم وإن لم يحتاجوا إلى موضعه)^(٢٨).

قوله ﷺ: (ولا تستقبل القبلة بغائط ولا بول) ، (ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها) .



تنبيهٌ منه ﷺ إلى أهميّة القبلة وقداستها عند الله تبارك وتعالى وفي نفوس المسلمين جميعاً ، وحفظ موضعها وبقعتها من النجاسات والأقذار والفضلات ، وعدم استقبالها أو استدبارها بشيءٍ من الخبائث والمكروهات إجلالاً وتعظيماً لها ، لأنّ التوجّه إلى القبلة الشريفة أينما كان معناه التوجّه إلى الكعبة المعظمة ، بيت الله الحرام ، وقبله أهل الإيمان من الأنام ، فينبغي على المرء المسلم المؤمن توقيرها ، وتعظيم مكانتها في قلبه وروحه ، وعدم خدش حرمتها وجلالتها وعظيم شأنها بأيّ شكلٍ من الأشكال ، ومراعاة أن لا يضع حاجته في أيّ موضعٍ كان إلّا وهو منحرفٌ عنها ، وما في ذلك من الثواب الجميل والأجر الجزيل عند الله تبارك وتعالى ، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن النبي الأكرم ﷺ أنّه قال : (إذا دخلتم الغائط فتجنّبوا القبلة)^(٢٩) ، وعن الإمام الرضا عليه السلام ، أنه قال : (من بالّ حذاء القبلة ثمّ ذكر فانحرف عنها إجلالاً للقبلة وتعظيماً لها ، لم يقم من مقعده ذلك حتّى يُغفر له)^(٣٠).

قوله عليه السلام : (يتوارى خلف الجدار ، ويتوقى أعين الجار) ، (ويتوارى حيث لا يُرى) .

إشارةٌ منه ﷺ إلى ضرورة استتار المرء عند وضع حاجته ، وأن يتوقى ما استطاع وقوع نظر الآخرين عليه من جيرانٍ ومارةٍ وغيرهم ، وأن يعمل على توفير هذا الستر من خلال اتّخاذه في أسترٍ نواحي منزله موضعاً خاصّاً للخلاء أو ما يعرف بـ (الكنيف) ، بينيه مشتملاً على جدران ومقعد الغائط ، ومعزولاً عن فناء الدار ، يستتر به عن الآخرين عند قضاء حاجته ، وفي حال أراد ذلك وهو خارج منزله كأن يكون في الصحاري ومسالك الطرق النافذة ، أو ما شاكلها من الأماكن المفتوحة والمكشوفة ، فعليه أن يحتاط في ذلك قدر الإمكان ويختار من المواضع ما يتوارى به عن أعين الناس

ويتجنب نظراتهم. وقد روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: (من أتى الغائط فليستتر)^(٣١). وعن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: (كان رسول الله ﷺ أشد الناس توقياً للبول ، حتى إنه كان إذا أراد البول ، عمد إلى مكان مرتفع من الأرض أو مكان يكون فيه التراب الكثير كراهية أن ينتضح عليه البول)^(٣٢).

وعن القاضي النعمان المغربي: (روي عن بعضهم صلوات الله عليهم أنه أمر بابتناء مخرج في الدار، فأشاروا إلى موضع غير مستتر من الدار، فقال عليه السلام: يا هؤلاء ، إن الله عز وجل لما خلق الانسان خلق مخرجه في أستر موضع منه، وكذلك ينبغي أن يكون المخرج في أستر موضع من الدار)^(٣٣). وعن الشيخ المفيد رحمه الله، بما لفظه: (ومن أراد الغائط فليترد موضعاً يستتر فيه عن الناس بالحاجة وليغط رأسه إن كان مكشوفاً ليأمن بذلك من عبث الشيطان ومن وصول الرائحة الخبيثة إلى دماغه، وهو سنة من سنن النبي ﷺ، وفيه إظهار الحياء من الله لكثرة نعمه على العبد وقلة الشكر منه)^(٣٤).

هذا وما تقدم من شرح يسير لفقرات هذا الحديث المبارك، بمضامينه العالية إنما جاء على نحو الإيجاز والاقتضاب، لبيان أهميته الكبيرة والاستفادة منه لمنهجة الخطوات اللازمة عند المختصين بسلامة البيئة والمحافظة عليها كبيئة صحية صالحة حافلة بالخير والطمأنينة وتمام العافية.

٢. ومما جاء عن الإمام الكاظم عليه السلام فيما يتعلق بهذا الباب أيضاً، قوله عليه السلام في أحكام البئر وقربه من البالوعة، وقد سُئل: يكون بينها وبين الكنيف خمسة أذرع أو أقل، أو أكثر، يُتوضأ منها؟ قال: (ليس يكره من قرب ولا بعد، يُتوضأ منها ويُغتسل ما لم يتغير الماء)^(٣٥).

٣. وسئل ﷺ عن بئرٍ يدخلها ماء الطريق فيه البول والعذرة وأبوال الدواب وأرواثها وخرء الكلاب، فقال: (ينزح منها ثلاثون دلواً وإن كانت مبخرة) (٣٦) - (٣٧).

إلى غير ذلك من الأحاديث الشريفة الأخرى الصادرة عنه ﷺ الدالة على هذا المعنى المهم .

المحور الثاني: ما ورد عنه ﷺ في صحة الأبدان والأجسام

يؤثر عن الإمام الكاظم ﷺ العديد من الأحاديث المفيدة النافعة والنصائح الجليلة الماتعة المتعلقة بصحة الأبدان والأجسام وكيفية سلامتها وحفظها من الآلام والأسقام، ودفع الأمراض الموجبة لزوال العافية، وفساد مزاج الأعضاء، والوقاية من ضررها وأذاها بالمأثور من الآداب والسنن، والعمل بالمستحبات والمندوبات، وترك المحذورات والمكروهات، وذكر فوائد بعض الأعشاب والنباتات، كالشعير والعدس والهندباء، وفوائد التختّم ببعض الأحجار الكريمة، وفوائد الخضاب، وآداب التخليّ والسواك، ومنافع الحمامة، ودخول الحمام، والتعطّر والتطيّب، وعلاج بعض الأمراض والأسقام، وأثر ذلك كلّه على صحة الإنسان وعافيته، وديمومة سلامته، نورد فيما يلي بعضاً منها إتماماً للفائدة:

٤. (في التنظف والتطيّب) ، عن علي بن أسباط قال : سمعت أبا الحسن ﷺ يقول: (أربعٌ من أخلاق الأنبياء: التّطيّب والتنظّف وحلق الجسد بالنورة وكثرة الطروقة) (٣٨).

٥. (في حلق شعر الرأس) ، عن علي بن يقطين، عن أبي الحسن الأول ﷺ، قال: سمعته يقول: (إنَّ شعر الرأس إذا طال ضعف البصر وذهب بضوئه ونوره، وطمّ (٣٩) الشعر يجلي البصر ويزيد في ضوء نوره، وشعر الجسد إذا طال ، قطع ماء الصلب وأرخی

المفاصل وورث ضعف النسل^(٤٠)، وإن النورة تزيد في ماء الصلب، وتقوي البدن، وتزيد في شحم الكليتين، وتسمن البدن^(٤١).

٦. (في السواك)، قال أبو الحسن موسى عليه السلام: (لا يستغني شيعتنا عن أربع: عن خمرة يصلي عليها، وخاتم يتختم به، وسواك يستاك به، وسبحة من طين قبر الحسين عليه السلام، فيها ثلاث وثلاثون حبة متى قلبها ذكراً لله، كتب الله له بكل حبة أربعين حسنة، وإذا قلبها ساهياً يعبث بها كتب الله له عشرين حسنة)^(٤٢).

٧. (في النورة)، وقال عبد الرحمن بن مسلم: (كنت في الحمام في البيت الأوسط، فدخل أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، وعليه إزارٌ فوق النورة فقال: السلام عليكم، فرددت عليه ودخلت البيت الذي فيه الحوض فاغتسلت وخرجت)^(٤٣).

٨. (في ارتياد الحمام)، وعنه عليه السلام: (الحمام يومٌ، ويومٌ لا، يُكثر اللحم، وإدمانه كل يومٍ يذيب شحم الكليتين)^(٤٤).

٩. (في تقليم الأظفار والحجامة والحمام)، عن أبي الحسن عليه السلام، قال: (قلموا أظفاركم يوم الثلاثاء، واحتجموا يوم الأربعاء، وأصيبوا من الحمام حاجتكم يوم الخميس، وتطيّبوا بأطيب طيبكم يوم الجمعة)^(٤٥).

١٠. (في تقليم الأظفار وشفاء العين)، عن خلفٍ قال: (رأي أبي الحسن عليه السلام بخراسان وأنا أشتكي عيني، فقال: ألا أدلك على شيءٍ إن فعلته لم تشك عينك؟ فقلت: بلى، فقال: خذ من أظفارك في كل خميس، قال: ففعلت فما اشتكيت عيني إلى يوم أخبرتك)^(٤٦).

١١. (في التجمير^(٤٧))، عن مرآزم قال: (دخل أبو الحسن عليه السلام الحمام، فلما خرج إلى المسلخ دعا بمجمر، فتجمّر، ثم قال: جمّروا مرآماً، قال: قلت من أراد أن يأخذ نصيبه يأخذ؟ قال: نعم)^(٤٨).

١٢. (في التدلّك بالزيت والدقيق) ، عن أبي الحسن عليه السلام في الرجل يطلي بالنورة فيتدلّك بالزيت والدقيق، قال: لا بأس ^(٤٩).

١٣. وفي نصّ آخر، عن أبي الحسن عليه السلام ، أنه سئل عن الرجل يطلي بالنورة فيجعل الدقيق يلته به ويتمسّح به بعد النورة ليقطع ريحها؟ قال: لا بأس ^(٥٠).

١٤. (في غسل الرأس بالخطمي والسدر) ، وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : (غسل الرأس بالسدر يجلب الرزق جلباً) ^(٥١).

١٥. (في تسريح الرأس واللحية) ، وقال أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : (إذا سَرَّحت لحيتك ورأسك فأمرَّ المشط على صدرك، فإنه يذهب بالهَمِّ والوباء) ^(٥٢).

١٦. (في فوائد مشط العاج) ، علي بن إبراهيم، بسنده عن الحسن بن عاصم، قال: دخلت على أبي إبراهيم عليه السلام وفي يده مشط عاج يتمشط به فقلت له: جعلت فداك إن عندنا بالعراق من يزعم أنّه لا يحلّ التمشط بالعاج ، قال: (ولم؟ فقد كان لأبي عليه السلام منها مشطٌ أو مشطان، ثم قال: تمشطوا بالعاج فإن العاج يذهب بالوباء) ^(٥٣).

١٧. (في فوائد المشط) ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، قال: (لا تمشط من قيام؛ فإنه يورث الضعف في القلب ، وامتشط وأنت جالس فإنه يقوِّي القلب ويمخج الجلدة) ^(٥٤).

١٨. (في الحجامة) ، عن الكاظم عليه السلام ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (من كان منكم محتجماً ، فليحتجم يوم السبت) ^(٥٥).

١٩. (في الحجامة) ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: (لا تدع الحجامة في سبع من حزيران ، فإن فاتك فلاربع عشرة) ^(٥٦).

٢٠. (في الحجامة) ، عن شعيب العقرقوفي قال: (دخلت على

أبي الحسن عليه السلام وهو يحتجم يوم الأربعاء [في الخميس] ، فقلت : إن هذا يوم يقول الناس : من احتجم فيه فأصابه البرص فلا يلومن إلا نفسه ، فقال : إنما يخاف ذلك على من حملته أمه في حيضها ^(٥٧) .

٢١ . (في الحجامة) ، وعن أبي الحسن عليه السلام قال : (احتجم رسول الله صلى الله عليه وآله في رأسه وبين كتفيه وقفاه ، وسمى الواحدة النافعة ، والأخرى المغيثة ، والثالثة المنقذة) . وفي غير هذا الحديث : التي في الرأس المنقذة ، والتي في النقرة المغيثة ، والتي في الكاهل النافعة ، ورُوي : المغيثة ^(٥٨) .

٢٢ . (في الحجامة بعد الأكل) ، ورُوي عن العالم عليه السلام أنه قال : (الحجامة بعد الأكل ، لأنه إذا شبع الرجل ثم احتجم ، اجتمع الدم وأخرج الداء ، وإذا احتجم قبل الأكل خرج الدم وبقي الداء) ^(٥٩) .

٢٣ . (في علاج الجرب ^(٦٠)) ، قال الإمام الصادق عليه السلام : وشكا بعضهم إلى أبي الحسن عليه السلام كثرة ما يصيبه من الجرب ، فقال : (إنَّ الجرب من نجار ^(٦١) الكبد ، فاذهب واقتصد ^(٦٢) من قدمك اليمنى ، والزم أخذ درهمين من دهن اللوز الحلو على ماء الكشك ^(٦٣) ، وأتق الحيتان ^(٦٤) والخَل ، ففعل ذلك ، فبرئ بإذن الله تعالى ^(٦٥) .

٢٤ . (في الخضاب) ، عن أبي الحسن عليه السلام ، قال : (في الخضاب ثلاث خصال : هيبَةٌ في الحرب ، ومحبةٌ إلى النساء ، ويزيد في الباه) ^(٦٦) .

٢٥ . (في الخضاب بالسواد) ، عن ابن فضال ، عن الحسن بن جهم قال : دخلت على أبي الحسن عليه السلام وهو مختضبٌ بسواد ، فقلت : جعلت فداك قد اختضبت بالسواد ؟ قال : (إنَّ في الخضاب أجراً ، إنَّ الخضاب والتهيئة مما يزيد في عفة النساء ، ولقد ترك النساء العفة لترك أزواجهنَّ التهيئة لهنَّ) ^(٦٧) .

٢٦ . (في اختضاب الحائض) ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : (لا تختضب الحائض) ^(٦٨) .

٢٧. (في طرد الجراد) ، روي عن أبي الحسن عليه السلام ، أنه قال: (تفرّقوا وكبرّوا) ، ففعلوا ذلك ، فذهب الجراد^(٦٩).

٢٨. (في تثمين الخاتم، وما يتعلّق به) ، عن أبي الحسن عليه السلام ، قال: (قاوموا خاتم أبي عبد الله عليه السلام ، فأخذه أبي بسبعة ، قال: قلت: سبعة دراهم؟ قال: سبعة دنائير)^(٧٠).

٢٩. (في فصّ الخاتم البجادي^(٧١)) ، عن موسى بن جعفر ، عن أبيه ، قال: (إنّه نهى عن لبس الفصّ البجادي ، قال: إنّ زيد بن علي كان في يده فصّ بجادي يوم قتل)^(٧٢).

٣٠. (في فصّ الخاتم الفيروزج) ، عن علي بن مهزيار ، قال: دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ، فرأيت في يده خاتماً فصّه فيروزج ، نقشه «الله الملك» ، قال: فأدّمت النظر إليه ، فقال لي: (ما لك تنظر؟ هذا حجرٌ أهده جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ من الجنّة ، فوهبه رسول الله ﷺ لعليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، تدري ما اسمه؟ قال: قلت: فيروزج؟ قال: هذا اسمه بالفارسية ، تعرف اسمه بالعربية؟ قال: قلت: لا ، قال: هو الظفر)^(٧٣).

٣١. (في التجمل باللباس) ، عن أبي الحسن عليه السلام ، قال: (تهية الرجل للمرأة ممّا تزيد في عفتها)^(٧٤).

٣٢. (في لبس الثوب الجديد) ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام ، قال: (لم يكن شيء أبغض إليه من لبس الثوب المشهور ، وكان يأمر بالثوب الجديد فيغمس في الماء ويلبسه)^(٧٥).

٣٣. (في لبس العمامة) ، عن أبي الحسن عليه السلام ، قال: (أنا ضامنٌ لمن خرج يريد سفراً معتمداً تحت حنكه ثلاثاً لا يصيبه السرقة ، والغرق ، والحرق)^(٧٦).

فقلت: جعلت فداك فما حدُّ هذا؟ فقال: أن يبدأ ربُّ البيت لكي ينشط الأضياف، فإذا وضع الطست سمَّى، وإذا رفع حمد الله. ثم أُتي بالمائدة، فقلت: ما حدُّ هذا؟ قال: أن يُسمَّى إذا وُضع، ويُحمد الله إذا رُفع. ثم أُتي بالخلال، فقلت: ما حدُّ هذا؟ قال: أن تكسر رأسه لئلا يُدمي اللثة. فأُتي بإناء الشراب، فقلت: فما حدُّه؟ قال: أن لا تشرب من موضع العروة ولا من موضع كسر إن كان به، فإنه مجلس الشيطان، فإذا شربت سمَّيت، وإذا فرغت حمدت الله. وليكن صاحب البيت يا فضل إذا فرغ من الطعام وتوضأ القوم آخر من يتوضأ) (٨٢).
 ٣٩. (في أكل اللحم)، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: (اللحم ينبت اللحم، ومن أدخل جوفه لقمة شحم أخرجت مثلها من الداء) (٨٣).

٤٠. (في أكل طائر القبيج) (٨٤)، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام)، قال: (أطعموا المحموم لحم القباج، فإنه يقوِّي الساقين ويطرد الحمى طرداً) (٨٥).
 ٤١. (في أكل الحَبَّارَى) (٨٦). عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: (لا أرى بأكل لحم الحَبَّارَى بأساً، لآنه جيّد للبواسير ووجع الظهر، وهو ممّا يعين على الجماع) (٨٧).

٤٢. (في ألبان الإبل وأبوالها)، عن الجعفري، قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام)، يقول: (أبوال الإبل خيرٌ من ألبانها، ويجعل الله عزّ وجلّ الشفاء في ألبانها) (٨٨).

٤٣. (في تناول الكعك)، قال أبو الحسن (عليه السلام): (لا تدع العشاء ولو بكعكة، فإنّ فيه قوة الجسد، ولا أعلمه إلّا قال: وصالح للزواج بل للجماع) (٨٩).

٤٤. (في الحديد وفوائده)، عن نصر الخادم قال: (نظر العبد الصالح أبو الحسن موسى بن جعفر، إلى سفرة عليها حلق صفر، فقال: انزعوا هذه واجعلوا مكانها حديداً، فإنه لا يقدم على شيء ممّا فيها من الهوام) (٩٠).

٤٥. (في الحمية) ، عن العالم رحمته الله ، قال: (الحمية رأس الدواء، والمعدة بيت الداء، عَوَّدَ بدنًا ما تَعَوَّدَ)^(٩١).

٤٦. (في الحمية) ، عن أبي الحسن موسى رحمته الله قال: (ليس الحمية أن تدع الشيء أصلاً لا تأكله، ولكن الحمية أن تأكل من الشيء وتخفف)^(٩٢).

٤٧. (في الحمية) ، عن أبي الحسن رحمته الله: (ليس من دواءٍ إلّا ويهيج داءً، وليس شيءٌ في البدن أنفع من إمساك البدن إلّا عما يحتاج إليه)^(٩٣).

٤٨. (في الحمية) ، عن الكاظم رحمته الله قال: (ادفعوا معالجة الأطباء ما اندفع الداء عنكم، فإنّه بمنزلة البناء قليله يجرّ إلى كثير)^(٩٤).

٤٩. (في فضل التخلّل^(٩٥)) ، عن أبي الحسن رحمته الله قال: (قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لجعفر^(٩٦): تخلّل ، فإنّ الخلال يجلب الرزق)^(٩٧).

٥٠. (في فضل التخلّل) ، علي بن إبراهيم ، بسنده عن أبي الحسن رحمته الله قال: (لا تخلّلوا بعود الريحان ولا بقضيب الرمان فإنهما يهيجان عرق الجذام)^{(٩٨) - (٩٩)}.

٥١. (في الباذروج^(١٠٠)) ، عن أيوب بن نوح قال: (حدّثني من حضر أبا الحسن الأول رحمته الله معه على المائدة ، فدعا بالباذروج وقال: إني أحبّ أن أستفتح به الطعام، فإنه يفتح السدد ويشهي الطعام ويذهب بالسلّ ، وما أبالي إذا افتتحت به بما أكلت بعده من الطعام ، فإني لا أخاف داءً ولا غائلةً، قال: فلمّا فرغنا من الغذاء دعا به، فرأيتّه يتبّع ورقه من المائدة ويأكله ويناولني ويقول: اختم به طعامك، فإنه يمرئ ما قبله ويشهي ما بعده ويذهب بالثقل ويطيب الجشاء والنكهة)^(١٠١).

٥٢. (في فوائد الشعير) ، عن أبي الحسن رحمته الله قال: (فضل خبز الشعير على البر كفضلنا على الناس، ما من نبي إلا وقد دعا لأكل الشعير وبارك

عليه، وما دخل جوفاً إلا وأخرج كلّ داء فيه، وهو قوت الأنبياء عليهم السلام وطعام الأبرار، أبى الله أن يجعل قوت الأنبياء للأشقياء^(١٠٣).

٥٣. (في فوائد العدس)، عن موسى بن جعفر عن أبيه، عن جده عليه السلام، قال: (كان فيما أوصى به رسول الله ﷺ علياً عليه السلام، أن قال: يا علي، كل العدس فإنه مبارك مقدس، وهو يرق القلب، ويكثر الدمعة، وإنه بارك عليه سبعون نبياً)^(١٠٣).

٥٤. (في فوائد الكراث)، عن سلمة، قال: اشتكيت بالمدينة شكاة شديدة، فأتيت أبا الحسن عليه السلام، فقال لي: (أراك مصفراً؟)، قلت: نعم، قال: كل الكراث، فأكلته فبرئت^(١٠٤).

٥٥. (في فوائد الكراث)، عن موسى بن بكر، قال: (اشتكى غلام لأبي الحسن عليه السلام، فسأل عنه؟، ف قيل به طحال، فقال: أطعموه الكراث ثلاثة أيام، فأطعمناه فقعد الدم، ثم برئ)^(١٠٥).

٥٦. (في فوائد الدباء^(١٠٦))، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده عليه السلام، قال: «كان فيما أوصى به رسول الله ﷺ علياً عليه السلام أن قال: يا علي، عليك بالدباء فكله، فإنه يزيد في العقل والدماع»^(١٠٧).

٥٧. (في فوائد السفرجل)، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: (كسر رسول الله ﷺ سفرجلة وأطعم جعفر بن أبي طالب، وقال له: كُل فإنه يصفى اللون ويحسن الولد)^(١٠٨).

٥٨. (في فوائد السفرجل)، عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: (قال: رسول الله ﷺ لجعفر: يا جعفر كل السفرجل، فإنه يقوي القلب، ويشجع الجبان)^(١٠٩).

٥٩. (في فوائد الزيت)، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده عليه السلام، قال: (كان فيما أوصى به رسول الله ﷺ علياً عليه السلام، أن قال له:

يا علي كل الزيت وادهن به، فإنه من أكل الزيت وادهن به لم يقربه الشيطان أربعين يوماً^(١١٠).

٦٠. (في أكل البصل مع البيض)، قال أبو الحسن عليه السلام: (من أكل البيض والبصل والزيت زاد في جماعه، ومن أكل اللحم بالبيض، كبر عظم ولده)^(١١١).

٦١. (في فوائد الملح)، عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال: (لم يخبص خوان^(١١٢) لا ملح عليه، وأصح للبدن أن يبدأ به في الطعام)^(١١٣).

٦٢. (في فوائد الملح)، عن أبي الحسن بن موسى جعفر عليه السلام، عن أبيه، عن جده عليه السلام، قال: (كان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أن قال: يا علي افتتح طعامك بالملح، فإن فيه شفاء من سبعين داء، منها الجنون والجذام والبرص، ووجع الحلق والأضراس، ووجع البطن. وروى بعضهم «كل الملح إذا أكلت واختم به»^(١١٤).

٦٣. (في فوائد السكر) عن علي بن يقطين قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام، يقول: (من أخذ سكرتين عند النوم كانت له شفاء من كل داء إلا السام)^(١١٥).

٦٤. (في فوائد الصعتر = السعتر)، عن أبي الحسن الأول عليه السلام، قال: (كان دواء أمير المؤمنين عليه السلام الصعتر، وكان يقول: إنه يصير في المعدة خملاً كخمل القطيفة، وروى أن الصعتر يدبغ المعدة)^(١١٦).

٦٥. (في فوائد الخبز)، عن الفضل بن يونس، قال: تغدى عندي أبو الحسن عليه السلام فجئى بقصعة وتحتها خبز، فقال: (أكرموا الخبز أن يكون تحتها، وقال: مُر الغلام أن يُخرج الرغيف من تحت القصعة)^(١١٧).

٦٦. (في فوائد شرب الماء)، عن أبي طيفور المتطبّب قال: (دخلت على أبي الحسن الماضي عليه السلام، فنهيته عن شرب الماء، فقال: وأي بأس بالماء؟ وهو يذيب الطعام في المعدة ويذهب بالصفراء ويسكن الغضب ويزيد في اللب ويطفئ الحرارة)^(١١٨).

٦٧. (في شرب الماء من قيام) ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، في الرجل يشرب الماء وهو قائم؟ قال: (لا بأس بذلك) ^(١١٩).

٦٨. (في ذم آنية الفضة والذهب) ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، قال: (آنية الذهب والفضة متاع الذين لا يوقنون) ^(١٢٠).

٦٩. (في استعمال الأدوات من الفضة) ، علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام، قال: (سألت عن المرأة هل يصلح إمساكها إذا كان لها حلقة من فضة؟ قال: نعم، إنما كره استعمال ما يشرب. قال: وسألت عن السرج واللجام فيه الفضة أيركب به؟ قال: إن كان مموها لا يقدر على نزعها فلا بأس، وإلا فلا يُركب به) ^(١٢١).

المحور الثالث: في صحة النفوس والأرواح

لا شك أن دواء النفوس وصحة الأرواح، من لوازم سعادة الإنسان المؤمن السوي، وعوامل انتظام أموره في دنياه وآخرته، والتي تسعى به إلى صلاح القلب وراحة البال وهناءة العيش وحسن الحال، بما يضمن له طيب الحياة وزوال الهموم والكدورات، فجاء التأكيد من قبل الشريعة السمحاء على تقوية هذا الجانب الروحي المهم في الإنسان ليرتفع به من حضيض النفس البهيمية إلى ذروة المجد والراتب الكمالية، نلمسه جلياً في عدة آيات بينات من الكتاب العزيز، كقوله عز وجل: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ^(١٢٢)، والقلوب هنا هي النفوس، والذكر هنا هو ذكر الله تعالى وعبادته والتوجه إليه سبحانه، وليس المعصية التي تقود إلى الاضطراب وضعف النفس والبدن، وكقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ ^(١٢٣).

وفي ترقيق النفوس الغافلة والقلوب الحائرة وتوجيهها إلى الاستشفاء بالقرآن الكريم وآياته المباركات، قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٤﴾، وكقوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾، إلى غير ذلك من آيات القرآن العظيم، الذي أنزل هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، نوراً يتوقد مصباحه، وضياءً يتلألاً صباحه، ودليلاً لا يخمد برهانه، وحقاً لا تُحذل أعوانه، وحبلاً وثيقاً عروته، وجبلاً منيعاً ذروته، وشفاء للصدور ليس وراءه شفاء، ودواء للقلوب ليس مثله دواء ﴿١٢٦﴾.

ولما كانت العترة الهادية ﷺ عِذْلَ الكتاب العزيز ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة، فقد جاءت سُتَّتُهُمُ المطهرة ﷺ مؤكدةً لهذا المعنى الشريف حافلةً بجملة من الوصايا والإرشادات التي تسمو بروح الإنسان وقلبه إلى أعلى مراتب الإيمان واليقين وكمال العقل والدين، فمما يؤثر عن سابع الأوصياء، وشمس الأصفياء الأتقياء الإمام موسى بن جعفر الكاظم صلوات الله عليه في هذا الباب، ما روي عنه ﷺ، أنه قال:

٧٠. (في فضل الدعاء)، عن أبي الحسن موسى ﷺ، قال: (عليكم بالدعاء، فإنَّ الدعاء والطلب إلى الله عز وجل يرد البلاء وقد قُدِّرَ وقضي، فلم يبق إلا إمضاؤه، فإنه إذا دعا الله وسأله صرفَ البلاء صرفاً) ﴿١٢٧﴾.

٧١. (في فضل الدعاء)، وكان موسى بن جعفر ﷺ، يدعو كثيراً في سجوده ويكرره: (اللهم إني أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب) ﴿١٢٨﴾.

٧٢. (في فضل الدعاء)، روي عن العالم ﷺ، أنه قال: (لكل داء دواء، فسئل عن ذلك فقال: لكل داء دعاء، فإذا ألهم المريض الدعاء فقد أذن الله في شفائه، وقال أفضل الدعاء الصلاة على محمد وآل محمد صلى الله عليهم، ثم الدعاء للإخوان ثم الدعاء لنفسك فيما أحببت، وأقرب ما يكون العبد من الله سبحانه إذا سجد. وقال: الدعاء أفضل من قراءة القرآن، لأن الله

عز وجل يقول: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾ (١٢٩)، وإن الله عز وجل ليؤخر إجابة المؤمن شوقاً إلى دعائه، ويقول: صوت أحب أن أسمعه، ويعجل إجابة المنافق، ويقول: صوت أكره سماعه (١٣٠).

٧٣. (في الدعوة المستجابة)، وقال أبو الحسن (عليه السلام): (إذا مرض أحدكم فليأذن للناس أن يدخلوا، فليس من أحد إلا وله دعوة مستجابة) (١٣١).

٧٤. (في فضل القرآن)، عن أبي إبراهيم (عليه السلام)، أنه قال: (من استكفى بآية من القرآن من المشرق إلى المغرب، كُفي إذا كان بيقين) (١٣٢).

٧٥. (في فضل القرآن)، قال العالم (عليه السلام): (في القرآن شفاء من كل داء) (١٣٣).

٧٦. (في فضل البسملة)، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام)، قال: (ما من أحد دهمه أمر يغتمه أو كربته كربة فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال ثلاث مرات: «بسم الله الرحمن الرحيم» إلا فرّج الله كربته وأذهب غمّه إن شاء الله تعالى) (١٣٤).

٧٧. (في فضل سورة الحمد)، روي عن العالم (عليه السلام)، أنه قال: (من نالته علة فليقرأ عليها أم الكتاب سبع مرات، فإن سكنت وإلا فليقرأها سبعين مرة، فإنها تسكن) (١٣٥).

٧٨. (في فضل الخوطة)، قال أبو الحسن (عليه السلام): قول: (ولا حول ولا قوة إلا بالله، يدفع أنواع البلاء) (١٣٦).

٧٩. (في فضل الصدقة)، عن العالم (عليه السلام)، قال: (الصدقة تدفع القضاء المبرم من السماء) (١٣٧).

٨٠. (في الشفاء من الأوجاع بالدعاء)، عن مروان العبدي، قال: (كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام) أشكو إليه وجعاً بي، فكتب: قل: يا من لا يضام ولا يرام، يا من به تواصل الأرحام صل على محمد وآل محمد، وعافني من وجعي هذا) (١٣٨).

٨١. (في الشفاء من الحمى) ، عن يحيى بن أبي بكر، عن الحضرمي: (إنَّ أبا الحسن الأول عليه السلام، كتب له هذا، وكان ابنه حُمَّ حَمَّى الربع^(١٣٩)، فأمره أن يكتب على يده اليمنى: (بسم الله جبرئيل) وعلى يده اليسرى: (بسم الله ميكائيل) وعلى رجله اليمنى: (بسم الله إسرافيل) وعلى رجله اليسرى: (بسم الله لا يرون فيها شمسا ولا زمهيرا) وبين كتفيه: (بسم الله العزيز الجبار)، قال: ومن شك، لم ينفعه^(١٤٠).

٨٢. (في الشفاء من علة البطن) ، عن الحسن بن خالد قال: (كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أشكو إليه علة في بطني وأسأله الدعاء، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم يكتب أم القرآن والمعوذتين وقل هو الله أحد، ثم يكتب أسفل من ذلك أعوذ بوجه الله العظيم وعزته التي لا ترام وقدرته التي لا يمتنع منها شيء من شر هذا الوجع، وشر ما فيه وما أخطر. يَكْتُب ذلك في لوح أو كتف ثم يُغسل بماء السماء ثم تشربه على الريق وعند منامك ويكتب أسفل من ذلك جعله شفاء من كل داء)^(١٤١).

٨٣. (في علاج قراقر البطن) ، شكا رجل إلى أبي الحسن الأول عليه السلام، فقال: (إنَّ بي قرقرة لا تسكن أصلا، وأني لأستحي أن أكلّم الناس فيسمع من صوت تلك القرقرة فادع بالشفاء منها، فقال: إذا فرغت من صلاة الليل فقل: اللهم ما علمت من خير فهو منك لا حمدي فيه، وما علمت من سوء فقد حذرته فلا عذري فيه، اللهم إني أعوذ بك أن أتكل على ما لا حمدي عليه أو آمن ما لا عذري فيه)^(١٤٢).

٨٤. (في ثواب عيادة المريض) ، عن أبي إبراهيم عليه السلام، قال: (قال رسول الله ﷺ: للمريض أربع خصال، يرفع عنه القلم، ويأمر الله الملك يكتب له فضلا كان يعمل في صحته، ويتبع مرضه كل عضو في جسده فيستخرج ذنوبه منه، فإن مات مات مغفورا له، وإن عاش عاش مغفورا له)^(١٤٣).

٨٥. (في الزوجة الصالحة) ، روي عن العالم عليه السلام ، أنه قال: (ثلاثة لا يحاسب عليها المؤمن: طعام يأكله، وثوب يلبسه، وزوجة صالحة تعاونه ويحرز بها دينه) ^(١٤٤).

٨٦. (في التخوف من الجنون) ، عنه عليه السلام : (ثلاثة يُتَخَوَّفُ منها الجنون: التَّغَوُّطُ بين القبور، والمشي في خف واحد، والرجل ينام وحده) ^(١٤٥).
٨٧. (في سعة المنزل وكثرة الأحياء) ، عن سعيد بن جناح، عن غير واحد أن أبا الحسن عليه السلام ، سئل عن أفضل عيش الدنيا؟ فقال: (سعة المنزل وكثرة المحبِّين) ^(١٤٦).

٨٨. (في هناءة العيش) ، عن بشر، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام ، يقول: (العيش السعة في المنزل، والفضل في الخادم) ^(١٤٧).

٨٩. (في فضل الأذان) ، عن سليمان بن مقبل المدني قال: (قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : لأي علة يستحب للإنسان إذا سمع الأذان أن يقول كما يقول المؤذن، وإن كان على البول والغائط؟ قال: إنَّ ذلك يزيد في الرزق) ^(١٤٨).

٩٠. (في جلاء البصر) ، عن أبي الحسن عليه السلام قال: (ثلاثة يجلبون البصر، النظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن) ^(١٤٩).

٩١. (في الشكر وسؤال العافية) ، قال داود بن رزين: سمعت أبا الحسن الأول عليه السلام يقول: (اللهم إني أسألك العافية، وأسألك جميل العافية، وأسألك شكر العافية، وأسألك شكرَ شكرِ العافية) ^(١٥٠).

الخاتمة

لا يخفى ما حوته هذه الإطالة القصيرة من نفائس أحاديث أهل البيت (عليه السلام)، وجواهر كلماتهم الثمينة في صحة الأبدان والنفوس، وكيفية المحافظة عليها، وصيانتها من جميع الأمراض والآفات البدنية والنفسية، والتي جاءت منوطة بلسان سابع الأوصياء وقبله الأتقياء الإمام الهمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، والتي هي في حقيقتها نزر يسير من تراث أهل البيت الميامين (عليه السلام) وكنوز علومهم ومعارفهم الغنية الثرية في هذا الباب، وما شكلته وصاياه (عليه السلام) القيّمة وارشاداته النيّرة من نظرية حقيقية كاملة شاملة في معالجة سائر نواحي الحياة المادية والمعنوية، وإثرائها بدقائق الأفكار الناجعة لتأسيس منظومة الحياة الرغيدة الهانئة، المُطلّلة بأجواء الطهر والنظافة، ونقاوة الروح والجسد، لمن يتغيها ويتبنّى العمل بها كأساس متين رصين لبناء بيئة صحية سليمة ينعم بها الفرد والمجتمع على حد سواء، والحمد لله رب العالمين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْبَيْتُ الْمَيَامِينُ

- ١- كنز الفوائد: ٢٣٩، بحار الأنوار: ١/ ٢٢٠
- ٢- الكافي: ٦/ ٤٣٩، دعائم الإسلام: ١/ ١٢٣، وسائل الشيعة: ٥/ ٦
- ٣- الخصال: ٣٤، تحف العقول: ٣٦ بلفظ: (خلتان)، الدعوات: ١١٣ بلفظ: (مغبون)، روضة الواعظين: ٤٧٢
- ٤- عيون الحكم والمواعظ: ٢٣
- ٥- غرر الحكم: ٢٣٨
- ٦- غرر الحكم: ٢٢١
- ٧- اسم الكتاب الكامل: (قبس الإصباح في تلخيص المصباح)، وهو تلخيص كتاب (مصباح التهجد) لشيخه الشيخ الطوسي رحمته الله. ينظر: الذريعة: ١٧/ ٣٠.
- ٨- الدعوات: ١٩٢، بحار الأنوار: ٩١/ ٣٢، ٩٩/ ٢٤٩، وانظر: كشكول البحراي: ٧٢٩ (نقلًا عن كتاب قبس المصباح)، النجم الثاقب: ٢/ ٤٢١.
- ٩- مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٢٢.
- ١٠- ينظر: تاريخ بغداد: ١/ ١٣٣، المنتظم: ٩/ ٨٨، مرآة الزمان: ١٣/ ٥٧.
- ١١- ينظر: حياة الحيوان الكبرى للدميري: ١/ ١٨٩.
- ١٢- الفصول المهمة: ٢/ ٩٣٢.
- ١٣- أي إذا قيل: (أبو الحسن الماضي).
- ١٤- خاتمة المستدرک: ١/ ٢٨٦.
- ١٥- وسائل الشيعة: ٣٠/ ١٥٠، خاتمة المستدرک: ١/ ٢٨٦.
- ١٦- الكافي: ٣/ ١٦، دلائل الإمامة: ٢٢، تهذيب الأحكام: ١/ ٣٠، روضة الواعظين: ٣٩، عوالي اللآلي: ٢/ ١٨٦.
- ١٧- ينظر: الاحتجاج: ٢/ ١٥٩، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٢٩، متشابه القرآن لابن شهر آشوب: ١/ ١٢٠.
- ١٨- أي ارفع ثوبك، - من شال يشول شولاً الشيء - أي رفعه. ينظر: نهاية الأرب للنويري: ١/ ١٥٨، صبح الأعشى: ٢/ ٤٠٢.
- ١٩- تحف العقول: ٤١١.
- ٢٠- ينظر: اثبات الوصية: ١٩١
- ٢١- ينظر: الصحاح: ٦/ ٢٤٥٧، معجم مقاييس اللغة: ٤/ ٤٥٣، القاموس المحيط: ٤/ ٣٧٥.
- ٢٢- ينظر: غريب الحديث للحري: ٣/ ١١٥٥، الصحاح: ٣/ ١١٣٧، معجم مقاييس



- اللغة: ١٦٦/٣.
- ٢٣- تهذيب الأحكام: ٣٥٣/١.
- ٢٤- من لا يحضره الفقيه: ٥٥٧/٣.
- ٢٥- هداية الأمة: ٩١/١.
- ٢٦- معالم الدين وملاذ المجتهدين: ٨٣٠/٢.
- ٢٧- الكافي: ٢/٢٩٢، ٣/١٦، من لا يحضره الفقيه: ١/٢٥، الوافي: ٦/١٠٨.
- ٢٨- الفوائد المليّة: ٤٧.
- ٢٩- وسائل الشيعة: ٣٠٢/١.
- ٣٠- تهذيب الأحكام: ١/٣٥٢، منتهى المطلب: ١/٢٤٠، وكذا المحاسن: ١/٥٤ مسندا إلى النبي الأكرم ﷺ.
- ٣١- ينظر: ذكرى الشيعة: ١/١٦٢.
- ٣٢- الوافي: ٦/١٠٥.
- ٣٣- دعائم الإسلام: ١/١٠٤.
- ٣٤- الوافي: ٦/١١٥.
- ٣٥- الكافي: ٣/٨، الاستبصار: ١/٤٥.
- ٣٦- المبخر: البئر التي يشم منها الرائحة الكريمة.
- ٣٧- من لا يحضره الفقيه: ١/٢٢.
- ٣٨- مكارم الأخلاق: ٤٠.
- ٣٩- طمّ الشعر: جزّه أو قصّه. ينظر: مجمع البحرين: ٦/١٠٧.
- ٤٠- في بعض المصادر (والكسل)، وفي بعضها (والسل).
- ٤١- مستطرفات السرائر (موسوعة ابن ادریس الحلي): ١٠٩، وسائل الشيعة: ٢/١٠٧ باختصار، وفيه (والسل).
- ٤٢- تهذيب الأحكام: ٦/٧٥، روضة ألواعظين: ٤١٢، مكارم الأخلاق: ٤٩.
- ٤٣- من لا يحضره الفقيه: ١/١١٨، تهذيب الأحكام: ١/٣٧٤، مكارم الأخلاق: ٥٤.
- ٤٤- الكافي: ٦/٤٩٦، من لا يحضره الفقيه: ١/١١٧، مكارم الأخلاق: ٥٣.
- ٤٥- الخصال: ٣٩٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٢٥٢، مكارم الأخلاق: ٥٥.
- ٤٦- الكافي: ٦/٤٩١، مكارم الأخلاق: ٦٥، معالم الدين وملاذ المجتهدين: ٢/٩١٣.
- ٤٧- اسْتَجَمَرَ بِالْمَجْمَرِ إِذَا تَبَخَّرَ بِالْعُودِ. وَالْمَجْمَرُ وَالْمَجْمَرَةُ: التي يوضع فيها الجمر مع الدُّخْنِ، وقد اجْتَمَرَ بها، وَالْمَجْمَرُ قد تَوَنَّثَ، وهي التي تُدَخَّنُ بها الثياب. ينظر: لسان العرب: ٤/١٤٤، تاج العروس: ٦/٢١٣.

٤٨- الكافي: ٥١٨/٦، مكارم الأخلاق: ٤٣، الوافي: ٦/٧١٤.

٤٩- الكافي: ٤٩٩/٦، مكارم الأخلاق: ٥٧، بحار الأنوار: ٨١/٧٣.

٥٠- مكارم الأخلاق: ٥٨.

٥١- الكافي: ٥٠٤/٦، من لا يحضره الفقيه: ١/١٢٥، مكارم الأخلاق: ٦١.

٥٢- من لا يحضره الفقيه: ١/١٢٨، مكارم الأخلاق: ٧٠، بحار الأنوار: ١١٧/٧٣.

٥٣- الكافي: ٤٨٩/٦، مكارم الأخلاق: ٧٠.

٥٤- مكارم الأخلاق: ٧٢، وسائل الشيعة: ٢/١٢٥ بلفظ: (يمنخ)، والظاهر صوابه، لأنَّ مَنْخَ كلِّ شيءٍ: خالسه، وَمَنْخُ العود: ابتُلَّ وجري فيه الماء، وَمَنْخُ حبِّ الزرع: جرى فيه الدقيق. ينظر: لسان العرب: ٣/٥٢.

٥٥- مكارم الأخلاق: ٧٤، بحار الأنوار: ٣٦/٥٦، مستدرك الوسائل: ١٣/٨٤.

٥٦- مكارم الأخلاق: ٧٥، بحار الأنوار: ٥٦، مستدرك الوسائل: ١٣/٨٥.

٥٧- مكارم الأخلاق: ٧٥، وكذا: الكافي: ٨/١٩٢ باختلاف يسير، الوافي: ٢٦/٥٢٩.

٥٨- مكارم الأخلاق: ٧٦، بحار الأنوار: ٥٩/١٢٧.

٥٩- مكارم الأخلاق: ٧٣، بحار الأنوار: ٥٩/١٢٤، مستدرك الوسائل: ١٣/٨٣.

٦٠- الجَرْبُ: معروف، بَثْرٌ يَعْلُو أَبْدَانَ النَّاسِ وَالْإِبِلِ. ينظر: لسان العرب: ١/٢٥٩.

٦١- في بعض المصادر بلفظ: (بخار الكبد) والظاهر صوابه.

٦٢- الفصد: قطع العرق، والفصد: شَقُّ الْعِرْقِ؛ فَصْدُهُ يَفْصِدُهُ فَصْداً وَفْصَاداً، فهو مَفْصُودٌ وَفْصِيدٌ، وقد فصدت وافتصدت. وانفصد الشيء وتفصد: سال. ينظر:

الصحاح: ٢/٥١٩، لسان العرب: ٣/٣٣٦.

٦٣- ماء الكَشْكُ: ماء الشعير. ينظر: لسان العرب: ١٠/٤٨١، القاموس المحيط: ٣/٣١٧.

٦٤- الحيتان هنا بمعنى الأسماك.

٦٥- مكارم الأخلاق: ٧٧، بحار الأنوار: ٥٩/١٢٨.

٦٦- الكافي: ٦/٤٨١، مكارم الأخلاق: ٨١.

٦٧- مكارم الأخلاق: ٧٩، مجمع البحرين: ١/٤٨٤.

٦٨- قرب الإسناد: ٣٠٢، مكارم الأخلاق: ٨٣.

٦٩- مكارم الأخلاق: ١٦٢، بحار الأنوار: ٦٢/٢١٨.

٧٠- مكارم الأخلاق: ٨٥، هداية الأمة: ٢/١٣٦ بلفظ: (قَوْمُوا)، بحار الأنوار: ٤٧/١٠.

٧١- البجادي: منسوب إلى بجاد، اسم موضع. وقالوا: البجد: جمع بجاد وهو كساء مخطط، وقيل: ألومة واد لبني حرام من كنانة قرب حلي، وحلي: حد الحجاز من ناحية اليمن. ينظر: معجم ما استعجم: ١/١٨٨، معجم البلدان: ١/٢٤٧.

- ٧٢- مكارم الأخلاق: ٨٦.
- ٧٣- ثواب الأعمال: ١٧٥، مكارم الأخلاق: ٨٩، مستدرک الوسائل: ٣/ ٣٠٠.
- ٧٤- مكارم الأخلاق: ٩٧.
- ٧٥- مكارم الأخلاق: ١١٦، بحار الأنوار: ٧٦.
- ٧٦- المحاسن: ٣٧٣/ ٢، ثواب الأعمال: ١٨٧، من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٣٠١، مكارم الأخلاق: ١٢٠، ٢٤٥.
- ٧٧- القنسوة: من ملابس الرؤوس، وأعطيتها معروف، كالعائم، وغيرها. ينظر: لسان العرب: ٦/ ١٨١.
- ٧٨- مكارم الأخلاق: ١٢١، وسائل الشيعة: ٥/ ٦٠.
- ٧٩- مكارم الأخلاق: ١٢٣.
- ٨٠- مكارم الأخلاق: ١٢٨، بحار الأنوار: ٧٣/ ١٧٧.
- ٨١- المحاسن: ٤٢٨/ ٢، الكافي: ٦/ ٢٩١، تهذيب الأحكام: ٩/ ٩٨، مكارم الأخلاق: ١٤٠.
- ٨٢- مكارم الأخلاق: ١٤٩، المحجة البيضاء: ٣/ ٢٧، بحار الأنوار: ٦٣/ ٤٢٢.
- ٨٣- المحاسن: ٤٦٥/ ٢، الكافي: ٦/ ٣١١، مكارم الأخلاق: ١٥٩.
- ٨٤- القَبَج. طائر معروف، يعرف الذكر منه باسم الحجل أو حجلة، طائر على قدر اللحم، كالقفا أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البرّ، وهو صنفان: نجدي وتهامي. ينظر: حياة الحيوان الكبرى: ١/ ٣٢٤، ٢/ ٣٢٤.
- ٨٥- الكافي: ٦/ ٣١٢، مكارم الأخلاق: ١٦١، وسائل الشيعة: ٢٥/ ٤٩.
- ٨٦- الحُبَارَى، بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة: طائر معروف وهو اسم جنس يقع على الذكر والأنثى. واحده وجمعه سواء، وهو طائر طويل العنق رمادي اللون في منقاره بعض طول. ينظر: حياة الحيوان الكبرى: ١/ ٣٢١.
- ٨٧- مكارم الأخلاق: ١٦١، بحار الأنوار: ٦٣/ ٧٤.
- ٨٨- الكافي: ٦/ ٣٣٨، مكارم الأخلاق: ١٩٤، بحار الأنوار: ٦٣/ ١٠٣.
- ٨٩- مكارم الأخلاق: ١٩٥.
- ٩٠- من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٢٨١، مكارم الأخلاق: ٢٦٧، هداية الأمة: ٥/ ١٠٣.
- ٩١- طب الأئمة (ع) لابني بسطام: ٤، مكارم الأخلاق: ٣٦٢، بحار الأنوار: ٥٩/ ١٤٢.
- ٩٢- الكافي: ٨/ ٢٩١، الوافي: ٢٦/ ٥٣٧، بحار الأنوار: ٥٩/ ١٤٢.
- ٩٣- طب الأئمة (ع) لابني بسطام: ٤، الكافي: ٨/ ٢٧٣.
- ٩٤- طب الأئمة (ع): ٤، علل الشرائع: ٢/ ٤٦٥، بحار الأنوار: ٥٩/ ٦٣.

٩٥- الحِلَل: بقية الطعام بين الأسنان، واحدته خِلَّة، وقيل: خِلَّة؛ ويقال له أيضاً الحِلَال والحِلَالَة، وقد تَحَلَّلَه، الحِلَل ما دخل بين الأسنان من الطعام، والحِلَال ما أخرجته به، وفي الحديث: التَّحَلُّل من السُّنَّة، هو استعمال الحِلَال لإخراج ما بين الأسنان من الطعام. ينظر: لسان العرب: ١١ / ٢١٩ - ٢٢٠

٩٦- هو الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب (عليه السلام)، ابن عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشقيق أمير المؤمنين (عليه السلام)، وشهرته تغني عن التعريف.

٩٧- المحاسن: ٢ / ٥٦٤، وسائل الشيعة: ٢٤ / ٤٢٢، بحار الأنوار: ٦٣ / ٤٤١

٩٨- الجذام - والعياذ بالله - علّة رديئة يحدث من انتشار المرة السوداء في البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيئتها وشكلها وربما أفسد في آخره اتصالها حتى تتأكل الأعضاء وتسقط سقوطاً عن تقرح. ينظر: كتاب القانون لابن سينا: ٣ / ١٤٠

٩٩- المحاسن: ٢ / ٥٦٤، الكافي: ٦ / ٣٧٧، علل الشرائع: ٢ / ٥٣٣

١٠٠- نبتة الباذروج، وتعرف ببقلة الأنبياء، وتعرف أيضاً بالحوك، وقيل اسمها: البقلة الحُمْقاء، وهو نوع من الرياحين بري يقال له بالفارسية بادرنجويه. وهي نبتة مباركة، وقد ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، أنه قال: (أما إنَّ فيه ثنائي خصال، يمرئ، ويفتح السدد، ويطيبب الجشاء، ويطيبب النكهة، ويشهي الطعام ويسل الداء، وهو أمان من الجذام، إذا استقر في جوف الإنسان قمع الداء كله)، وعنه (عليه السلام) أيضاً: أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يعجبه الباذروج، وروي عن علي (عليه السلام) أنه قال: نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الباذروج، فقال: هذا الحوك كأني أنظر إلى منبته في الجنة.

ينظر: المحاسن: ٢ / ٥١٣، الصحاح: ٤ / ١٥٨٢، روضة المتقين: ٧ / ٥٦٢

١٠١- الكافي: ٦ / ٣٦٤، مكارم الأخلاق: ١٧٩، بحار الأنوار: ٦٣ / ٢١٥.

١٠٢- مكارم الأخلاق: ١٥٤، مستدرک الوسائل: ١٦ / ٣٣٤.

١٠٣- المحاسن: ٢ / ٥٠٤، بحار الأنوار: ٦٣ / ٢٥٨.

١٠٤- المحاسن: ٢ / ٥١١، مكارم الأخلاق: ١٧٨، بحار الأنوار: ٦٣.

١٠٥- المحاسن: ٢ / ٥١١، الكافي: ٦ / ٣٦٥.

١٠٦- الدباء: نبات القرع، والواحدة دبءاء. ينظر: العين: ٨ / ٨٢، لسان العرب: ١٤ / ٢٤٩.

١٠٧- المحاسن: ٢ / ٥٢١، الكافي: ٦ / ٣٧١، وسائل الشيعة: ٢٥ / ٢٠٣.

١٠٨- المحاسن: ٢ / ٥٤٩.

١٠٩- المحاسن: ٢ / ٥٤٩، وسائل الشيعة: ٢٥ / ١٦٥.

١١٠- المحاسن: ٢ / ٤٨٥، بحار الأنوار: ٦٣ / ١٨٣.



- ١١١- مكارم الأخلاق: ١٩٥، بحار الأنوار: ١٠١/٨٤.
- ١١٢- الخُثُوانُ والخِثْوَانُ: وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل، مَعَرَّبٌ، والجمع أخُونَة. ينظر: لسان العرب: ١٣/١٤٦.
- ١١٣- المحاسن: ٢/٥٩١، وسائل الشيعة: ٢٤/٤٠٤.
- ١١٤- المحاسن: ٢/٥٩٣، وسائل الشيعة: ٢٤/٤٠٦.
- ١١٥- مكارم الأخلاق: ١٦٨، بحار الأنوار: ٦٣/٣٠٠.
- ١١٦- المحاسن: ٢/٥٩٤، الكافي: ٦/٣٧٥ بلفظ: (سعتر).
- ١١٧- المحاسن: ٢/٥٨٩، الوافي: ١٩/٢٧٠.
- ١١٨- مكارم الأخلاق: ١٥٥.
- ١١٩- المحاسن: ٢/٥٨١، وسائل الشيعة: ٢٥/٢٤٤.
- ١٢٠- المحاسن: ٢/٥٨٢، الكافي: ٦/٢٦٨، تهذيب الأحكام: ٩/٩١.
- ١٢١- المحاسن: ٢/٥٨٣، مسائل علي بن جعفر: ٢٩٩، الكافي: ٦/٥٤١.
- ١٢٢- الرعد: ٢٨.
- ١٢٣- طه: ١٢٤.
- ١٢٤- الإسراء: ٨٢.
- ١٢٥- يونس: ٥٧.
- ١٢٦- ينظر: تفسير مجمع البيان: ١/٣١.
- ١٢٧- مكارم الأخلاق: ٢٧٠، ٣٨٨، بحار الأنوار: ٩٠/٢٩٥.
- ١٢٨- الدعوات: ١٧٩، الكافي: ٣/٣٢٣، الوافي: ٩/١٦٧٠.
- ١٢٩- الفرقان: ٧٧.
- ١٣٠- مكارم الأخلاق: ٣٨٩، بحار الأنوار: ٩٠/٢٩٦.
- ١٣١- الكافي: ٣/١١٧، مكارم الأخلاق: ٣٦١، الوافي: ٢٤/٢١٧.
- ١٣٢- الكافي: ٢/٦٢٣، مكارم الأخلاق: ٣٦٣.
- ١٣٣- فقه الرضا: ٣٤٢، مكارم الأخلاق: ٣٦٣.
- ١٣٤- مكارم الأخلاق: ٣٤٧، بحار الأنوار: ٩٢/١٥٩.
- ١٣٥- مكارم الأخلاق: ٣٦٣.
- ١٣٦- الدعوات للراوندي: ٨٣، بحار الأنوار: ٩٠/٢٧٤.
- ١٣٧- مكارم الأخلاق: ٣٨٨، بحار الأنوار: ٩٣/١٣٠.
- ١٣٨- الدعوات: ١٩٠، بحار الأنوار: ٩٢/١٨.
- ١٣٩- الرَّبُّعُ فِي الْحَمَى: إتيانها في اليوم الرابع، وذلك أَنْ يُحْمَ يوماً وَيُتْرَكَ يومين لَا يُحْمَ

ويُحَمَّ في اليوم الرابع، وهي حُمَّى رُبْع، وقد رُبِع الرجل فهو مَرْبُوع ومُرَبَّع، وأُرْبِعَ.
ينظر: لسان العرب: ٨/ ١٠٠.

١٤٠- طب الأئمة لابني بسطام: ٥١، الفصول المهمة: ٣/ ١٦١، مكارم الاخلاق: ٤٠٢.

١٤١- طب الأئمة لابني بسطام: ١٠٠.

١٤٢- طب الأئمة لابني بسطام: ١٠١، مكارم الأخلاق: ٤٠٨ في علاج الزحير.

١٤٣- ثواب الأعمال: ١٩٣، مكارم الأخلاق: ٣٥٨.

١٤٤- مكارم الأخلاق: ١٤٦، بحار الأنوار: ٦٣/ ٣١٧.

١٤٥- الكافي: ٦/ ٥٣٤، وسائل الشيعة: ١/ ٣٢٩.

١٤٦- المحاسن: ٢/ ٦١١، الكافي: ٦/ ٥٢٦، مكارم الأخلاق: ١٢٥.

١٤٧- المحاسن: ٢/ ٦١١، مكارم الأخلاق: ١٢٥، هداية الأمة: ٢/ ٢١٣.

١٤٨- علل الشرائع: ١/ ٢٨٥، جامع أحاديث الشيعة: ٢/ ٢٠٣.

١٤٩- المحاسن: ٢/ ٦٢٢، بحار الأنوار: ٧٦/ ٢٩١.

١٥٠- الدعوات للراوندي: ٨٤، بحار الأنوار: ٩٢/ ٣٦٢.





المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* أثبات الوصية، علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر، قم، ط ٣، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

* الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تعليق السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م.

* بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي: الشيخ محمد باقر بن محمد تقى (ت ١١١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

* تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي: محب الدين السيد محمد مرتضى الواسطي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ)، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

* تاريخ بغداد، الخطيب: أبو بكر أحمد بن علي البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

* تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، ابن شعبة: الحسن بن علي بن شعبة الحراني (ق ٤)، تقديم محمد الحسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٥، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

* تهذيب الأحكام، شيخ الطائفة

محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، بيروت، تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٤، ١٣٦٥هـ، ش.

* ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ الصدوق محمد بن علي ابن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تقديم: السيد محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٣٦٨هـ، ش.

* جامع أحاديث الشيعة، الامام آية الله العظمى الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي (ت ١٣٨٣هـ)، المطبعة العلمية، قم، ١٣٩٩هـ.

* جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والاسناد، محمد بن علي الغروي الأردبيلي الحائري (ت ١١٠١هـ)، نشر مكتبة المحمدي.

* حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين محمد بن موسى الدميري، الشافعي (ت ٨٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

* الخصال، الصدوق: محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٧١م.

* دعائم الاسلام، النعمان المغربي : القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت ٣٦٣هـ). تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.

*الدعوات أو سلوة الحزين، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم، ط ١، ١٤٠٧هـ

*دلائل الإمامة، الطبري: الشيخ محمد بن جرير الشيعي (ق ٤)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم، ط ١، ١٤١٣هـ.

*الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك: الشيخ محسن الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، مراجعة وتصحيح وتدقيق السيد رضا بن جعفر مرتضى العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ.

*ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، محمد بن مكي العاملي الشهيد الاول (ت ٧٨٦هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم، ط ١، ١٤١٩هـ.

*روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، المولى محمد تقى بن مقصود المجلسي الأول (ت ١٠٧٠هـ)، تحقيق السيد حسين الموسوي الكرماني والشيخ علي پناه الإشتهاردي، نشر بنياد فرهنگ اسلامي حاج محمد حسين كوشانپور.

*روضة الواعظين، ابن الفثال : محمد بن الحسن النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)، تقديم السيد محمد مهدي الخراسان، نشر منشورات الشريف الرضي، قم، ايران،

ط ٢، ١٣٧٥هـ.ش.

*صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي: أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

*الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري: إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م .

*طب الأئمة (عليهم السلام)، عبد الله بن سابور الزيات، والحسين ابني بسطام النيسابوريين، تقديم السيد محمد مهدي الخراسان، أوفست منشورات الشريف الرضي، قم، ط ٢، ١٤١١هـ، ١٣٧٠هـ ش

*علل الشرائع، الصدوق: محمد بن علي بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، نشر دار الفجر، بيروت، ط ١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

*عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الصدوق: محمد بن علي بن بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتذييل السيد مهدي الحسيني اللاجوردي، مطبعة دار العلم، قم، ١٣٧٧هـ.

*عيون الحكم والمواعظ، كافي الدين علي بن محمد الليثي الواسطي (ق ٦)، تحقيق الشيخ حسين الحسن البيرجندي، نشر دار الحديث، ط ١.

*غرر الحكم ودرر الكلم، ناصح الدين عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي (ت ٥٥٠هـ)، ترتيب وتدقيق عبد

الحسن دهيني، دار الهادي، بيروت، ط ١،
١٤١٣هـ، ١٩٩٢م

*غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: د.

سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم
القرى، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٥هـ
*غوالي الثالي العزيزية في الأحاديث

الدينية، محمد بن علي بن إبراهيم
الأحسائي المعروف بابن أبي جهور رحمته الله،
تقديم آية الله العظمى السيد شهاب الدين
النجفي المرعشي رحمته الله، تحقيق، الحاج آقا
مجتبى العراقي، مطبعة سيد الشهداء، قم
، إيران، ١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

*الفصول المهمة في معرفة أحوال
الأئمة (عليه السلام)، ابن الصباغ: الشيخ علي
بن محمد المالكي المكي (ت ٨٥٥هـ)،
تقديم الأستاذ توفيق الفكيكي
المحامي، دار الأضواء، بيروت، ط ٢،
١٤٠٩هـ ، ١٩٨٨م.

✽فقه الرضا (عليه السلام)، علي بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم المشرفة، نشر المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام)، مشهد المقدسة، ط ١، ١٤٠٦هـ.

*الفوائد الملية لشرح الرسالة
النفلية، الشهيد الثاني زين الدين بن
علي العاملي (ت ٩٦٥هـ)، تحقيق محمد
حسين مولوي، مركز النشر التابع لمكتب
الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٢٠هـ
*القاموس المحيط، الفيروز آبادي:

مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ)، إعداد وتقديم محمد بن عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٤٢٠، ٢٠٠٠ م.

*قرب الاسناد، الحميري : عبد الله بن جعفر (ق ٣)، تحقيق و نشر مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث ، قم ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ .

*الكافي، الكليني: الشيخ محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران.

*كتاب العين، الفراهيدي: الخليل بن أحمد الأزدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، نشر مؤسسة دار الهجرة، ط ٢، إيران، ١٤٠٩هـ.

*كتاب القانون، حسين بن عبد
الله بن سينا (ت ٤٢٨هـ)، دار صادر،
بيروت، لبنان.

*كتاب المحاسن، البرقي: أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤هـ)، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ.

*كشكول البحرائي أو أنيس
المسافر، الشيخ يوسف بن أحمد
البحرائي(ت ١١٨٦ هـ)، دار المرتضى
للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،
ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

*كنز الفوائد، أبي الفتح محمد بن

علي الكراجكي (ت ٤٤٩ هـ)، نشر مكتبة المصطفوي، قم، ط ٢، ١٣٦٩ ش.

*لسان العرب، ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، نشر أدب الحوزة، قم، إيران، ١٤٠٥ هـ.

*متشابه القرآن ومختلفه، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ)، طبع: چاپخانه شرکت سهامی طبع کتاب.

*مجمع البحرين ومطلع النيرين، الطريحي: الشيخ فخر الدين بن محمد علي النجفي (ت ١٠٨٥ هـ)، دار إنطباع المهدي دار السلطنة، الطبعة الحجرية، تبريز، إيران، ١٢٧٤ هـ.

*مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.

*المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري، دفتر انتشارات اسلامي وابسته به جامعه مدرسين حوزة علميه قم، ط ٢.

*مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي، المعروف بـ (سبط ابن الجوزي)، تحقيق الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط ١، لبنان.

*مسائل علي بن جعفر، ومستدركاها، علي بن جعفر الصادق (عليه السلام)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، نشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام)، مشهد المقدسة، ط ١، ١٤٠٩ هـ.

*مستدرک وسائل الشيعة، وخاتمه، النوري: الميرزا حسين الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم، إيران، ط ١، ١٤١٦ هـ.

*معالم الدين وملاذ المجتهدين، الشيخ حسن بن الشهيد الثاني العاملي (ت ١٠١١ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

*معجم البلدان، الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادی (ت ٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٥٧ م.

*معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكري: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ)، تحقيق وضبط مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.

*معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، إيران، ١٤٠٤ هـ.

*مكارم الاخلاق، الشيخ رضي الدين الحسن بن الفضل الطبرسي (ق ٦)، منشورات الشريف



الرضي، ط ٦، ١٣٩٢، ١٩٧٢ م.

*من لا يحضره الفقيه، الصدوق:

محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق وتعليق السيد حسن الموسوي الخرسان، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ط ٤، ١٣٧٨هـ.

*مناقب آل أبي طالب، ابن شهر

آشوب: محمد بن علي المازندراني

(ت ٥٨٨هـ)، دار المرتضى، بيروت، ط ١،

١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧ م.

*المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،

ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي (ت

٥٩٧هـ)، دراسة وتحقيق محمد ومصطفى

عبد القادر عطا، مراجعة وتصحيح نعيم

زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢،

١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

*منتهى المطلب في تحقيق المذهب،

جمال الدين الحسن بن يوسف ابن

المطهر، العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ)،

تحقيق قسم الفقه في مجمع البحوث

الإسلامية، مؤسسة الطبع والنشر في

الآستانة الرضوية المقدسة، مشهد،

ايران، ط ١، ١٤١٢هـ.

*موسوعة ابن إدريس الحلي: محمد

بن أحمد بن إدريس العجلي الحلي (ت

٥٩٨هـ)، (موسوعة ابن إدريس الحلي)،

مستطرفات السرائر، تحقيق وتقديم

السيد محمد مهدي الموسوي الخرسان،

نشر العتبة العلوية المقدسة، النجف

الأشرف، ط ١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨ م.

*النجم الثاقب في أحوال الإمام

الحجة الغائب (عج)، الميرزا حسين

النوري (ت ١٣٢٠هـ)، تعريب وتحقيق

السيد ياسين الموسوي، نشر: مسجد

جمكران المقدس، قم المقدسة، ط ١،

١٤٢٩هـ.

*نهاية الأرب في فنون الأدب،

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد

الوهاب البكري (ت ٧٣٣هـ)، نشر

وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة

المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة

والنشر، القاهرة، مصر.

*هداية الأمة إلى أحكام الأئمة،

الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي

(ت ١١٠٤هـ)، تحقيق قسم الحديث في

مجمع البحوث الإسلامية، مجمع البحوث

الإسلامية، مشهد، ايران، ط ١، ١٤١٢هـ.

*الوافي، الكاشاني: المولى محسن الملقب

بالفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق ضياء

الدين الحسيني الأصفهاني، منشورات

مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) العامة،

أصفهان، ط ١، ١٤٠٦هـ.

*وسائل الشيعة إلى تحصيل

مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن

الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)،

تحقيق عبد الرحيم الرباني، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ.

الدور التربوي والثقافي والتنوير العقلي

للإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

الدكتور علي أبو الخير

باحث اسلامي / مصر

الملخص

مع الكلمة الطيبة التي تنبع من القلب والعقل والوجدان، فتصوغ المشاعر والأفئدة حروفاً من نور الضمير، فيشرق في السرائر ويتألق في الضمائر، ويسكب في جوانح الحياة ندى الخير وفجر الأمل، وعنواناً لسلوك الخير بوعده الله، والخير الذي نقصده هو نبتة الروح المؤمنة، ويتمثل في رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وهؤلاء الرجال هم الأنبياء والمرسلون والأوصياء ليكونوا نبراساً للأمة وقادة للإيمان والفكر، وهم من يمثلون الإسلام المحمدي الرسالي الحقيقي، ومن أجل توضيح صورتهم، نحاول الكتابة عن أحدهم، نصعد بالحق فنجد الحقيقة.

والإمام الكاظم (عليه السلام) من هؤلاء الرجال الأوصياء من نسل محمدي فاطمي علوي، كان إماماً عادلاً معصوماً وحافظاً للعهد، ولقد اشتهر بكظم الغيظ وبه فصار الكاظم لقباً له، وعُرف الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) بكاظم الغيظ، وليس كظم الغيظ كما في هذه الدراسة مجرد كظم غيظه من جاريته التي أخطأت ولكن كما نرى هو كظم للغيظ السياسي والتربوي كما تميز بالدور القيادي للأمة في فترة مضطربة، هذا ما تصدّى له الإمام (عليه السلام) وما نكتب عنه وفيه.



المقدمة

هذه دراسة عن أحد الأئمة الأعلام من أئمة أهل البيت عليه السلام، بكل ما في الشخصية من أبعاد تربوية وثقافية وإنارات عقلية للأئمة، وتلك الأبعاد الثلاثة هي بعض إشراقات وأبعاد الشخصية الكاظمية موضوع البحث والدراسة. وعندما نكتب عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام فإننا نكتب عن الإسلام بما فيه من ثقافة إنسانية برؤية قرآنية، وهي ممتدة الجذور من رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم مع الأئمة المعصومين عليهم السلام بداية من أمير المؤمنين علي عليه السلام ثم ذريته المعصومة من الأئمة الذين يجرسون الدنيا من أجل وراثة المستضعفين للأرض، والذرية المعصومة سلسلة من الأنوار الإمامية، ومنهم الإمام الكاظم عليه السلام بما في سيرته من روحانية وإنسانية، وهي السيرة المملوءة بدماء الشهداء، وهم كما قال عنهم الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه (عبقريّة الإمام): (علي وبنوه يجري تاريخه وتاريخ أبنائه في سلسلة طويلة من مصارع الجهاد والهزيمة يتراءون للمتتبع من بعيد واحداً بعد واحد شيوخاً، جللهم وقار الشيب ثم جللهم السيف الذي لا يرحم، أو فتياناً عوجلوا وهم في نضرة العمر، يحال بينهم وبين متاع الحياة، بل يحال بينهم وبين الزاد والماء وهم على حياض المنية جياع ظمأ)١... وقد أصبح اسم علي وبنوه علماً على العدالة والفضيلة والأريحية ونبراساً لكل طالب حق ولكل مظلوم. ولكن عندما ندرس مأساة الأئمة الأوصياء عليهم السلام لا نبكي عليهم في داخل الذات فقط، وإن كانت الجوانب الإنسانية مما تُجري الدموع مدراراً، وإنما نبكي أيضاً على الإسلام وعلى الواقع الإسلامي الذي حكمه المستبدون الطغاة الذين ارتكبوا تلك المآسي التي يندى لها جبين الإنسانية، حيث إنهم قتلوا أولياء الله، واضطهدوا عباده الصالحين، الذين هم في مستوى القيادة للإسلام والمسلمين، فعندما نستذكر المآسي التي أصابت أئمة أهل

البيت عليه السلام، نستذكر مأساة الإسلام في الماضي والحاضر، وعندما نذكر مأساة الإسلام، فلا نجس نشاطنا و عطائنا في بوتقة ذلك الحزن العميق، بل علينا ان نأخذ منها العبر والقُدوة من النبي ﷺ والأوصياء عليه السلام.

لقد ورث الإمام الكاظم عليه السلام العلم الذي يمثل الإسلام الحقيقي، ولولا مواقف الأئمة الأطهار عليه السلام لضاعت كل قيم الإسلام بل حتى الأحكام الفقهية الصحيحة، ومن لطف الله بأمة محمد رسول الله ﷺ أن جعل الأئمة الإثني عشر عليه السلام إماما بعد إمام، من أولهم أمير المؤمنين عليه السلام حتى الإمام الحجة عليه السلام، يتوارثون العلم والإمامة وتمثيل الإسلام، ودفعوا الثمن من دمائهم الزكية طوال تاريخ المسلمين.

ولقد عاش الأئمة عليه السلام فترة الدولة الأموية حتى منتصف الدولة العباسية وكلها فترات ظلم و طغيان، ولم يقتصر الأمر على مقارعتهم الطغيان، بل تصدى الأئمة عليه السلام أيضا لحركات الإلحاد والزندقة، وأسسوا علوماً الدفاع عن الإسلام، كما قاموا بدور تربوي ثقافي في عصرهم، وهي الأدوار الباقية حتى اليوم.

إن الفترة التي عاشها الإمام الكاظم عليه السلام من أخطر الفترات التي عاشها المسلمون، فقد تسرب الإلحاد والزندقة، ونشأ الغلو، وكثرت الفرق الكلامية التي حملت آراء وأفكاراً اعتقادية شتى، وتعددت مذاهب الفقه، ودخلت علوم عديدة في استنباط الأحكام واستخراجها، كالمنطق والفلسفة والكلام وعلوم اللغة^٢.

هذا الإمام عليه السلام يربط الإنسان بالله سبحانه وتعالى، ويربط الإنسان بالإنسان، ويربط الإنسان بمسؤوليته في الحياة كلها، فلا يكون مجرد شخص يعيش في سجن ذاته، ولكنه يشعر بأنه لا بد من أن يعيش في حجم العالم كله، لينمي طاقاته بالمستوى الذي يستطيع أن يكون فيه عالمياً، لأن الله

تعالى أرادنا أن نفتدي برسول الله ﷺ بقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ

فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^٣.

ومن تلك النقطة نحاول الكتابة عن الإمام الكاظم (عليه السلام)، ونأمل أن نكون على مستوى هذا الإمام الرباني الرسالي العظيم. والبحث في ثلاثة محاور وخاتمة ..

المحور الأول: الظروف السياسية في عصر الإمام الكاظم (عليه السلام).

المحور الثاني: دور الإمام الكاظم (عليه السلام) التربوي والثقافي.

المحور الثالث: البعد المعرفي عند الإمام الكاظم (عليه السلام).

ثم خاتمة روحية وعقلية

المحور الأول

الظروف السياسية في عصر الإمام الكاظم (عليه السلام)

لا يستقيم الحديث عن الدور التربوي والثقافي والمعرفي العقلي عند الإمام الكاظم (عليه السلام) إلا بالتعرف على الظرف السياسي الذي عاش فيه، فلقد زحرت الفترة التي عاشها الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) بالحوادث والوقائع الخطيرة.

وكان ابرز ما فيها الثورات والسجون والملاحقات والقتل لآل علي، وهذه الفترة من حياة المجتمع الإسلامي تعتبر مظلمة من الناحية السياسية، حيث انتشر فيها الإرهاب، والقتل على الظنة، واستئثار بني العباس، ومن الالههم بالحكم والإدارة والقضاء، والاستهانة بكرامات الناس، حتى صار السجن والضرب والقتل أمرا عاديا



ظل الإمام الكاظم عليه السلام على فكر آبائه، وقد تصدى للاستبداد، فمثلاً.. حدث الإمام عليه السلام أحد شيعته (صفوان الجمال) الذي كان يؤجر جماله هارون الرشيد في الطريق من المدينة إلى مكة، وقال: "كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً... إكراؤك جمالك من هذا الرجل". فقال صفوان: «والله ما أكريته أشراً ولا بطراً، ولا لصيد ولا للهو، ولكنني أكريته لهذا الطريق - يعني طريق مكة - ولا أتولاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني». قال: "يا صفوان، أيقع كراؤك عليهم؟"، قلت: نعم، جعلت فداك. قال: فقال: "أحبّ بقاءهم حتى يخرج كراك؟ قلت: نعم، قال: "فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم"»

وهذا هو خطّ الوعي الذي انطلق منه أئمة أهل البيت عليه السلام في تعميق رفض الظلم في نفوس المسلمين، وهذا ما نستوحيه عندما نعيش في أجواء الظالمين - أيّاً كان الظالمون - فإن علينا أن نعيش البراءة منهم، البراءة في العقل بأن ترفضهم عقولنا المرتكزة على الحق، والبراءة في قلوبنا بأن ترفضهم لأنّها مملوءة بالعدل، والبراءة في حياتنا حتى لا نساعدهم في شيء، وذلك هو معنى أن تعمق الثورة في وجدان الناس، فالثورة ليست انفعالاً وليست صراخاً ولا مغامرة، وإنّما تنطلق فكرة، وتحرّك خطّة، وتفتح على الأهداف من موقع عقلائي، وهو كما نرى موقف ايجابي من الإمام الكاظم عليه السلام ضد الاستبداد، وينبع منه الدور التربوي للصالحين من الأمة، ولقد كان الإمام عليه السلام ينهى بعض أصحابه عن التعاون مع الظالم، ويؤكد على البعض الآخر أن يتوظّفوا عند السلطة الظالمة، لأنها كانت أمراً واقعاً، وكان المؤمنون يحتاجون إلى الكثير من الخدمات ودفع الضرر، ولذلك كان الإمام عليه السلام يزرع في كلّ المواقع أشخاصاً يوجّههم لخدمة المؤمنين وإنقاذهم والابتعاد بهم عن ظلم الظالم، وكانت سياسة الإمام الكاظم عليه السلام

واقعية، كانت مصلحة الإسلام والمسلمين هي الأساس عنده، فكان عليه السلام
كامن الحركة عندما تقتضي المصلحة الإسلامية السكون، وكان عليه السلام ظاهراً
حاضراً في الميدان عندما تقتضي هذه المصلحة الفعل.

منهج للإمام الكاظم عليه السلام

هذا ما سار عليه الأئمة اقتداءً بأبيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
عندما قال: "لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي
خاصة"، سواء كان المسلمون ممن يتمذهبون بمذهبه، أو ممن لا يتمذهبون به،
فنحن نعرف أن أغلب الناس في مرحلة ما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وقبل خلافة
علي عليه السلام لم يكونوا في خطِّ علي عليه السلام، بل كان بعضهم ممن أبعد علياً عليه السلام عن خطِّ
الخلافة، ومع ذلك، فإن علياً عليه السلام لم يكن ينظر إلى هذا الشخص كيف ظلمه،
وإلى ذاك كيف أبعده، بل كان ينظر إلى مصلحة الإسلام والمسلمين من خلال
واقع المجتمع الإسلامي، وهذا هو ما يجب أن نتعلَّمه في السَّاحات الإسلامية
كلِّها، فإذا حلَّت بالمسلمين، سواء كانوا من مذهبنا أو من غير مذهبنا، كارثة،
بحيث إنَّ الإسلام أضحى معرَّضاً لهجمة في أهله وأرضه واقتصاده وسياسته،
وجب علينا أن نقف مع المسلمين ونهدم الحواجز التي بيننا وبين أبناء الإسلام
من أجل مواجهة الخطر الداهم، وأن لا نفكر طائفيّاً وإنَّما إسلاميّاً. والمطالبة
بالوحدة الإسلامية لا يعني أن يكون السنِّي شيعيّاً، وأن يكون الشيعي سنِّيّاً
دون اقتناع، بل ليقب كلُّ منهم على مذهبه من وجهة نظر فكرية، ويجري الحوار
على أساس قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^٦؛
وذلك بأن لا يحمل المسلم عقدة ضدَّ أخيه المسلم. وهذا ما يجب أن نتعلَّمه
من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي تعلَّمه من كتاب الله ومن رسوله.



وهكذا كان الإمام الكاظم عليه السلام، كان يدرس الواقع، فينظر إلى مصلحة المسلمين في هذا الأمر أو ذاك، وهذا ما ينبغي لنا أن نتعلمه ونحن نعيش في واقع سياسي تهتز فيه الأرض من تحت أقدامنا، فالاستكبار العالمي في تحالفه مع الكفر العالمي، قد أعلن الحرب على الإسلام كله، وعلى الإسلام كله أن يبرز إلى الكفر والاستكبار كله، ولنتذكر كلمة النبي صلى الله عليه وآله في وقعة الخندق عندما قال: «برز الإيمان كله إلى الشرك كله»^٧. فلقد كانت قوة الإسلام مجتمعة في علي عليه السلام، وقوة الشرك مجتمعة في عمرو بن عبد ود، ولذلك كان انتصار أحدهما انتصاراً لخطئه، وعندما انتصر علي عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله: «لضربة عليٍّ لعمرو يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين»^٨، ونحن نعرف لو أن عمرو بن عبد ود في ذلك الوقت تغلب على علي عليه السلام لاندفع جيش الأحزاب الذي جاء من أجل أن يصفّي الإسلام في المدينة، بحيث لا يُبقي منه شيئاً، ولذلك فإن هذه الضربة التي تمثل انتصار الإسلام على الشرك، تعدل عبادة الثقلين، لأنه لولاها، لما انطلق الثقلان في عبادتهما لله رب العالمين.

الحكم العباسي وانتشار المجون والإلحاد

في فترة حكم بني العباس انتشر المجون واللهو والطرب، وغصت قصور الحكام والأمراء والوزراء والحواشي بالجواري الحسان، وبأدوات اللهو وبالمغنين والمطربين، وبالشعراء المتملقين العابدين للدرهم والدينار. واشتغل الحكام باقتناء الجواري والمجوهرات، ووسائل اللهو، وبنوا حياتهم على اللذة والترف وبناء القصور، فأنفقوا الأموال وضيعوها، ولم يلحظوا في ذلك أي قيمة لكيانهم الأسري، فأصبحوا أداة لقتل الناس ونهب أموالهم، واغتصاب حقوقهم، ومصادرة أموال المظلومين، والمطاردين، والمحكوم عليهم بالسجن والقتل.

هذا فضلا عن شيوع حركات الإلحاد والكفر، وشاع شعر المجون والتغني بالغلمان والجواري ، ووصل المجون إلى الحجاز المقدس، وكان ذاك هو الخطر الأكبر..

وفي هذه البيئة كان للإمام الكاظم عليه السلام دور عقائدي مهم، وهو أيضا دور تربوي عاش من أجله حتى استشهد كما استشهد الأئمة عليهم السلام من قبله ومن بعده..

المحور الثاني

دور الإمام الكاظم عليه السلام التربوي والثقافي

قام الإمام الكاظم عليه السلام بدوره ومسؤوليته الإلهية، رغم ظروفه السياسية الصعبة من الحصار والتضييق عليه بتربية جيل من العلماء والرواة للحديث، وساهم مساهمة فعالة في إيقاف الانحراف الذي حملته بعض التيارات الفلسفية والعقائدية والكلامية المتأثرة بالغزو الفكري والعقائدي الخارجي . روى المؤرخون أن بعض العلماء وبعض أصحابه وتلامذته كانوا يتصلون به سرا في السجن ، ويسألوه عن المسائل والقضايا والأحكام وكان يرأسهم ويحييهم .

في سنة (١٧٩ هجرية) حج هارون الرشيد وبدأ بالمدينة المنورة وأمر باعتقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فاعتقل وأرسل إلى البصرة عند واليها عيسى بن جعفر بن المنصور ، وبقي في السجن سنة ، ثم أرسل عليه السلام إلى بغداد ، حيث حبس عند الفضل بن ربيع وبقي عنده مدة طويلة ، ثم حبس عند السندي بن شاهك، ولكن السجن لم ينل من عزيمته، وظل يتواصل مع أصحابه، رغم أنه يعلم أنه سيستشهد في سجن الرشيد، فظل يمارس دوره التربوي، كما أحيى قيم المعرفة عندما تصدى في حواراته مع الملحدّين، وأيضا وصاياهم للمؤمنين^٩.

الدور التربوي لكظم الغيظ

لم يُلقب الإمام موسى عليه السلام بالكاظم لأنه اعتق جاريته التي أساءت دون قصد إليه، ولكنه أيضاً عاش رحابة الأفق في خلقه، فكان يحسن إلى من أساء إليه، ويعفو عمّن اعتدى عليه، ويتّسع صدره لهم، ليعلمهم كيف يحبّ الإنسان الإنسان، بقطع النظر عن التعقيدات التي يمكن أن تتحرك هنا وهناك. كان عليه السلام يواجه الغيظ من كلّ الذين لا يحترمون إنسانية الإنسان، ومن كلّ المستكبرين في الأرض، والذين يعيشون على أساس الحقد والعداوة والبغضاء، أولئك الذين لا يعرفون معنى الحبّ، ولذلك فهم يعملون على أساس أن ينقّسوا عن حقدهم ضدّ الطيبين، لكنّ الإمام عليه السلام كان يكظم غيظه، فلم يتحرّك برّد فعل سلبيّ، بل كان لديه فعل من نوع آخر، فلقد كان القوم سيئون إليه، وكان يحاول أن يعطيهم درساً في معنى الإحسان، ودرساً في معنى العفو، ولذلك سمّي كاظم الغيظ، وكان كتم الغيظ فلسفة إشرافية تربوية تعليمية.

شهادات على الدور الكاظمي الثقافي

تميز الإمام الكاظم عليه السلام بالروح الإيمانية العلمية، والإمام الكاظم عليه السلام كان أعلم أهل عصره، وأدراهم بجميع العلوم، أما علم الفقه والحديث فكان عليه السلام من أساطينه، وقد احتفّ به العلماء والرؤاة وهم يسجلون ما يفتي عليه السلام به وما يقوله من روائع الحكم والآداب، وقد شهد له الكثيرون في عصره وما بعد عصره.

وقد شهد الإمام الصادق عليه السلام رائد نهضة الأمة الفكرية بوفرة علم ولده الكاظم بقوله عليه السلام: (إنّ ابني هذا - وأشار إلى الإمام الكاظم عليه السلام - لو سألتَه عما بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم^{١٠})، وقال عليه السلام في فضله أيضاً: «وعنده علم الحكمة والفهم والسّخاء، والمعرفة بما يحتاج إليه الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم»^{١١}.

وقد روى العلماء عنه (عليه السلام) جميع أنواع العلوم مما امتلأت به الكتب، وقال الشيخ المفيد: «وقد روى الناس عن أبي الحسن (عليه السلام) فأكثرُوا، وكان أفقه أهل زمانه»^{١٢}.

ونقل عن أبي حنيفة النعمان أنه قال: «حججتُ في أيام أبي عبد الله الصادق، فلما أتيتُ المدينة دخلتُ دارَه، فجلستُ في الدهليز أنتظر إذنه، إذ خرج صبيٌّ فقلت: يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم؟» قال: على رَسْلِكَ، ثم جلس مستنداً إلى الحائط ثم قال: توقَّ شُطوط الأنهار، ومَسَاقط الثمار، وأفنية المساجد، وقارعة الطريق، وتوارَ خلف جدارٍ، وشلَّ ثوبك، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، وضع حيث شئتَ».

فأعجبني ما سمعت من الصبي، فقلت له: ما اسمك؟

فقال: «أنا موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب».

فقلت له: يا غلام، ما المعصية؟

فقال: (إن السيئات لا تخلو من إحدى ثلاث: إمّا أن تكون من الله وليست من العبد، فلا ينبغي للرب أن يعذّب العبد على ما لا يرتكب، وإمّا أن تكون منه ومن العبد، وليست كذلك، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الضعيف، وإمّا أن تكون من العبد وهي منه، فإن عفا فكرمه وجُوده، وإن عاقب فبذنب العبد وجريرتَه، «قال أبو حنيفة: فانصرفت ولم ألقَ أبا عبد الله، واستغنيتُ بها سمعتُ»^{١٣}).

الحوارات العلمية الثقافية للإمام الكاظم (عليه السلام)

أجرى الإمام الكاظم (عليه السلام) بعض الحوارات العلمية مع بعض الناس من الطرف الآخر الذي يتبنى مدرسة الخلفاء العباسيين، وهي حوارات علمية، ليس من أجل كبت الآخرين، ولكن من أجل إحقاق الحق، وإقامة البينات، ومنه ما يلي:-

روي عن أبي حنيفة انه قال: «أتيت الإمام الصادق لأسأله عن مسائل فقليل لي: انه نائم، فجلست انتظر انتباهه فرأيت غلاما خماسيا او سداسيا جميل المنظر ذا هيبة وحسن سمت فسألت عنه فقالوا: هذا موسى بن جعفر فسلمت عليه وقلت له: يا ابن رسول الله ما تقول في أفعال العباد ممن هي؟ فجلس ثم تربع وجعل كفه الأيمن على الأيسر وقال: يا نعمان قد سألت فاسمع وإذا سمعت فعه، وإذا وعيت فاعلم؛ إن أفعال العباد لا تعدو من ثلاث خصال: إما من الله على انفراده فيما باله سبحانه يعذب عبده على ما لم يفعله مع عدله ورحمته وحكمته، وإن كانت من الله والعبد شركة فما بال الشريك القوي يعذب شريكه على ما قد شركه فيه وأعانه عليه، قال: استحالة الوجهان يا نعمان؟

فقال: نعم، فقال له: فلم يبق إلا أن يكون من العبد على انفراده^{١٤} كانت حوارات الإمام الكاظم نوعا من التريية، الحوار القائم على الحق وعدم إخضاع المخالف في الرأي بالقوة أو القهر.

التصدي لتيار الإلحاد والزندقة

سار الإمام الكاظم عليه السلام على النهج الذي انتهجه أبوه الإمام جعفر الصادق عليه السلام واعتمده في التصدي للتيارات المنحرفة التي غزت العالم الإسلامي آنذاك، لاسيما الدعوة إلى الأفكار الإلحادية والغلو التي بدأت تنشط وتبث سمومها في نفوس الناشئة الإسلامية، وقد تبناها أعداء الإسلام والحاقدون على انتصاراته العظيمة في بناء العقل والروح.

ولما عجز الملحدون والغلاة وفشلوا في الوقوف بوجه الزحف الإسلامي المتنامي، وجدوا أن لا مناص من أن يندسوا بين المسلمين لبث أفكارهم السامة للنيل منهم وتفكيك أواصرهم المترابطة، في غزو عقولهم وأفكارهم وهم في عقر دارهم.

وقد كثر الملحدون في ذلك العصر، وأشاعوا مقولاتهم، كقولهم: إن الله تعالى
جسم كباقي الموجودات، وكان موقف الإمام الكاظم (عليه السلام) من هذه الدعوات
المحمومة موقف المتصدّي والناقد لها بالأدلة العلمية الثابتة والمنطق الحازم، وقد
بيّن فساد بعض الآراء والعقائد، وشرح المراد من الأحاديث التي قد يسيء البعض
فهمها فيرى من ظواهرها التجسيم أو التشبيه أو الحركة أو الانتقال، وأكد القول
إنه تعالى لا جسم ولا صورة ولا تحديد، وكل شيء سواه مخلوق، وإنما تكون
الأشياء بإرادته ومشئته من غير كلام ولا تردّد في نفس ولا نطق بلسان.^{١٥}

وقد وُجّهت المزيد من الأسئلة للإمام (عليه السلام) فيما يتعلّق بذات الله تعالى
وصفاته وعلمه وإرادته ومشئته، فأجاب عليه السّلام هو ومن بعده أصحابه
عن كثير من الأضاليل التي كانت شائعة بين الناس في تلك الأيام.^{١٦}

فعلى الرغم من المراقبة الشديدة والضغط السياسي، وتضييق الحكّام
على الإمام (عليه السلام)، إلا أنه (عليه السلام) لم يترك مسؤوليته العلمية، ولم يتخلّ عن تصحيح
المسار الإسلاميّ بكلّ ماحوى من علوم ومعارف واتّجاهات، فتصدّى هو
وتلامذته لتيّارات الإلحاد والزندقة، كما تصدّى أبوه الصادق وجده الباقر،
من قبل لتثبيت أركان التوحيد وتنقية مدارات العقيدة، وإيجاد رؤية
عقائدية أصيلة تشعّ بروح التوحيد وتثبت في أعماق النفس والعقل.

تصدى الإمام الكاظم (عليه السلام) لتيّارات الإلحاد والزندقة، كما هو حال
الإمامين الصادق والباقر، في التصدي لتثبيت أركان التوحيد، وتنقية
مدارس العقيدة من الشوائب الفكرية والعقائدية الضارة، وإيجاد رؤية
عقائدية أصيلة تشعّ بروح التوحيد، وتثبت في أعماق النفس والعقل،
بالإضافة إلى ذلك، فانه (عليه السلام) أغنى مدرسة الفقه بحديثه ورواياته وتفسيره.

المحور الثالث

التنوير العقلي المعرفي عند الإمام الكاظم عليه السلام

لقد تميز الإمام الكاظم عليه السلام في تربية الأتباع على إعمال العقل، والتصدي للمحاولات الجاهلة، التي تعمل على قلب الحقائق، ومنها تبييض وجوه الطغاة والظالمين من الخلفاء والسلاطين والأمراء والرؤساء، وهو ما نطلق عليه (العقل المعرفي والثقافي)، ونجد صدق هذا العقل المعرفي بما جاء في روايات عديدة، وهي عبارة عن رسائل كاظميه ووصايا إمامية، منها رسالة طويلة معبرة، تحوي العقل والمعرفة والثقافة، ما يلي :

وصية الإمام الكاظم عليه السلام في العقل

إِنَّ أُمَّةَ أَهْلِ الْبَيْتِ الْأَطْهَارِ عليهم السلام كَجَدَّهُمُ الرَّسُولَ الْأَعْظَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَحَدَّثُوا عَنِ الْعَقْلِ وَبَيَّنَّا لَنَا حَقِيقَتَهُ، وَفِي كِتَابِ الْكَافِي الشَّرِيفِ الْبَابُ الْأَوَّلُ عَنِ الْعَقْلِ، وَفِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ رَوَايَةً عَنِ الْعَقْلِ، وَلَكِنْ تَبَقَّى وَصِيَّةُ الْإِمَامِ مُوسَى الْكَاطِمِ عليه السلام لِهَشَامٍ فِي الْعَقْلِ هِيَ الْأَجْمَلُ وَالْأَكْمَلُ وَذَلِكَ لِمَا تَحْتَوِيهِ مِنْ بَيَانِ حَقِيقَةِ الْعَقْلِ وَتَوْضِيحِهَا بِآيَاتِ الْوَحْيِ الْقُرْآنِيَةِ الْكَرِيمَةِ، فَجَاءَتْ مُتَكَامِلَةً وَرَائِعَةً حَيْثُ يَسْتَفْتَحُ وَصِيَّتَهُ لِهَشَامٍ بِالْبَشَارَةِ الْقُرْآنِيَةِ لِأَهْلِ الْعَقْلِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: (يَا هِشَامُ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ)، فَكَمَالَ الْحُجَجِ عَلَى الْإِنْسَانِ هِيَ بِهَذَا الْعَقْلِ الَّذِي جَعَلَهُ الْمَشْرِعُ الْكَرِيمُ مِنْ مَصَادِرِ التَّشْرِيعِ، وَقَالَ فِي الْقَاعِدَةِ: (مَا حَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ حَكَمَ بِهِ الشَّرْعُ)؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ رَسُولُ اللَّهِ غَرَسَهُ اللَّهُ فِي دَاخِلِ الْإِنْسَانِ كَمَا الْفُطْرَةَ السَّلِيمَةَ، وَالضَّمِيرَ الْحَيَّ، وَالْوَجْدَانَ الْوَاعِي^{١٧}.

ثم ينقل الإمام الكاظم عليه السلام وصية لقمان الحكيم لابنه فيقول: (يَا هِشَامُ، إِنَّ لِقْمَانَ قَالَ لِابْنِهِ: تَوَاضَعْ لِلْحَقِّ تَكُنْ أَعْقَلَ النَّاسِ، وَإِنَّ الْكَيْسَ لَدَى الْحَقِّ يَسِيرٌ، يَا بُنَيَّ، إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ قَدْ غَرِقَ فِيهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ

فَلْتَكُنْ سَفِينَتَكَ فِيهَا تَقْوَى اللَّهِ، وَحَشْوُهَا الْإِيْمَانُ، وَشِرَاعُهَا التَّوَكُّلُ، وَقِيَمُهَا الْعَقْلُ، وَدَلِيلُهَا الْعِلْمُ، وَسُكَّانُهَا الصَّبْرُ يَا هِشَامُ إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلًا وَدَلِيلَ الْعَقْلِ التَّفَكُّرُ، وَدَلِيلَ التَّفَكُّرِ الصَّمْتُ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ وَمَطِيَّةُ الْعَقْلِ التَّوَاضُّعُ، وَكَفَى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَرْكَبَ مَا بُهِتَ عَنْهُ، كم هو جميل هذا الوصف، وكم هي عظيمة هذه الوصية، وكم هو واقعي هذا الوصف للدنيا وبأنها سفينة، وربانها وقبطانها وقيَمُها العقل؟^{١٨}

العقل والضمير

العقل ربما يقابله الهوى في الأدبيات الإسلامية والإيمانية على الخصوص، لأن الإنسان إما أن يقوده عقله إلى نجاته، ويرفعه في درجاته، أو يُرديه هواه في الهلاك، فالعقل هو ذلك القائد الحكيم، والموجه الخبير، والمراقب البصير على حركة الإنسان، وهذا ما بيّنه الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ببيان لم يسبقه إليه أحد، حيث قال: (يَا هِشَامُ مَا بَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلَهُ إِلَى عِبَادِهِ إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللَّهِ، فَأَحْسَنَهُمْ اسْتِجَابَةً أَحْسَنَهُمْ مَعْرِفَةً، وَأَعْلَمَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْسَنَهُمْ عَقْلًا، وَأَكْمَلَهُمْ عَقْلًا أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.. يَا هِشَامُ إِنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ: حُجَّةَ ظَاهِرَةٍ، وَحُجَّةَ بَاطِنَةٍ، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَيُّمَةُ (عليهم السلام)، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ)^{١٩}.

وفي كتاب (أصول الكافي)، هناك رسالة مطولة من الإمام الكاظم (عليه السلام) في وصية له لصاحبه هشام بن الحكم، يؤكد فيها دور العقل، ويستعرض فيها الآيات التي تحدّث الله سبحانه وتعالى فيها عن العقل، وكيف يربط بين العقل والعلم، وبين الطاعة لله والانفتاح عليه، ولعلّ هذه الرسالة هي من أكثر الرسائل تفصيلاً وتعظيماً لدور العقل في حياة الإنسان^{٢٠}، مثل: يا هشام، كيف يزكو عند الله عملك، وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك، فأنت تعيش وقلبك معلق بالدنيا وشهواتها وأطعمائها، فكيف

يزكو عملك؟ لأنَّ العمل إنَّما يزكو بالإخلاص والانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى والاعتماد عليه، وأطعت هواءك على غلبة عقلك^{٢١} وأتبعته هواءك حتى تغلب على عقلك فصرعه، وصار مقوداً بدلاً من أن يكون قائداً.

وعن يونس بن عبد الرحمن قال: (قلت لأبي الحسن الأول - الإمام الكاظم عليه السلام: بِمَ أَوْحَدَ اللهُ؟"، أي: ما هو الأسلوب وما هو المنهج الذي يمكن اعتماده في توحيد الله سبحانه وتعالى؟ لأنَّ التَّوحيد ليس مجرد فكرة في العقل، وإنَّما هو حركة في الواقع، بأن تتحرَّك مع الله سبحانه وتعالى في حياتك كُلِّها، ولا تتحرَّك مع غيره، ولذلك كانت دعوة كلِّ نبيٍّ من الأنبياء ﷺ: اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ^{٢٢} فهذا هو التَّوحيد، فقال: يا يونس، لا تكوننَّ مبتدعاً، أي تبتدع شريعةً في غير ما جاء بها كتاب الله وسنة نبيِّه، "من نظر برأيه هلك"، أي من استقلَّ برأيه مستغنياً عن القرآن وعن السنة، فهو هالك، لأنَّ رأيه مهما أحاط من علم، فإنَّه لا يقدر على معرفة عمق المصلحة والمفسدة، بل الله تعالى هو الذي يعلم ما يصلحك وما يفسدك ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^{٢٣}، "ومن ترك أهل بيت نبيِّه ضلَّ"، لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: "إني خلف فيكم الثقلين، ما إن تمسكتما بهما لن تضلُّوا؛ كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإني لئن يفرقا حتى يردا عليَّ الحوض^{٢٤} مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق^{٢٥}"، ومن ترك كتاب الله وقول نبيِّه كفر^{٢٦} لأنَّ كتاب الله وقول النبيِّ ﷺ واحد، ولأنَّ كلام النبيِّ هو وحي الله.

الخاتمة

كما كتبنا في البحث حول الظروف السياسية في عصر الإمام الكاظم عليه السلام، ودور الإمام الكاظم عليه السلام التربوي والثقافي، ثم دوره عليه السلام في تأسيس العقل المعرفي عند المسلمين، ونخلص في الخاتمة، أن خط أهل البيت عليه السلام هو النبراس العقلي والروحي والوجداني، يمثل هذا الخط قيم الإسلام، كما جاء على النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، ثم الذرية النبوية، وعلى رأسهم أوصياء الدين. لم يحدث من أحد منهم أنه خان الوسيلة من أجل النصر^(٢٧)، وقد قدموا أرواحهم ودماءهم فداء للإسلام وللأمة ولكل الإنسانية، ومنهم الإمام موسى بن جعفر بن محمد عليه السلام، الذي لم يكظم غيظه للأمة التي حررها، ولكنه وهو الأهم أنه كظم الغيظ، عندما واجه الجهل والنرجسية والطغيان والاستبداد.

ما أحوجنا في هذا العصر العلمي والتقني المتطور علمياً أن يعرفوا العقل ويميّزوا بينه وبين العلم وتقدمه من أجل ألا يقعوا في الخلط بين العلم التجريبي المادي، والعقل الروحاني النوراني الرباني، وهذا ما يجعلهم يسعدون في حياتهم ويعيشون مطمئنين متوافقين مع رسولهم الباطني، وشريعة رسول الله الخارجي، وهذا يضمن لهم السعادة في الدنيا والآخرة. السلام على الإمام الكاظم عليه السلام، وعلى آبائه وعلى أبنائه، والسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

الهوامش:

- ١- عباس محمود العقاد - عبقرية الإمام - مكتبة الأسرة - القاهرة - ١٩٩٦ - ص ٥
- ٢- السيد زكي الموسوي - الإمام الكاظم عليه السلام مدرسة متكاملة في دنيا الإنسان في العلم والمعرفة، <https://www.taghribnews.com/ar/article> منشور في ٢٠٢٠ / ٨ / ١٠
- ٣- سورة الأحزاب / ٢١
- ٤- محمد تقي المجلسي - روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه - مكتبة نور الالكترونية - ٢٠٢٠ - ج ٦، ص ٤٩٥.
- ٥- الإمام علي - نهج البلاغة، - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٩٦ - ج ١، ص ١٢٥
- ٦- سورة النساء / ٥٩
- ٧- محمد باقر المجلسي - بحار الأنوار، مطبوعات وزارة الإرشاد الإسلامي - طهران - ٢٠١٧ - ج ٢٠، ص ٢١٥
- ٨- المجلسي - بحار الأنوار، - مصدر سابق - ج ٢٠، ص ٢١٥
- ٩- المجلسي - بحار الأنوار، - مصدر سابق - ج ٢٠، ص ٢٧٥
- ١٠- بحار الأنوار، - مصدر سابق - ج ٢٠، ص ٢٣٣
- ١١- بحار الأنوار، - مصدر سابق - ج ٢٠، ص ٢٤٥
- ١٢- بحار الأنوار، - مصدر سابق - ج ٢٠، ص ٣٠٢
- ١٣- مقالة منشورة على موقع <https://shabab.imamhussain.org/wash/1726>، وهي من إعداد: مركز آل البيت العالمي للمعلومات- المصدر السابق
- ١٤- مقالة منشورة على موقع <https://shabab.imamhussain.org/wash/1726>، وهي من إعداد: مركز آل البيت العالمي للمعلومات- المصدر السابق
- ١٥- الشيخ الحسين أحمد كريمو - الإمام موسى بن جعفر الكاظم والعقل - مجلة الهدى - <https://al-hodaonline.com/article/50450>
- ١٦- الشيخ الحسين أحمد كريمو - الإمام موسى بن جعفر الكاظم والعقل - مجلة الهدى - <https://al-hodaonline.com/article/50450> / مصدر سابق
- ١٧- الشيخ الحسين أحمد كريمو - الإمام موسى بن جعفر الكاظم والعقل - مجلة الهدى - <https://al-hodaonline.com/article/50450> / مصدر سابق
- ١٨- حسين الشاكري - موسوعة المصطفى والعترة - مكتبة مؤلفات الحاج حسين الشاكري - <https://alhaydarion.ahlamontada.com/topicn-4> بتصرف من مجلدات الموسوعة خاصة مجلد الإمام الكاظم

- ١٩- محمد بن يعقوب الكليني - «أصول الكافي» - مكتبة نور الالكترونية -
ج ١ ص ١١٠/١.
- ٢٠- محمد بن يعقوب الكليني - «أصول الكافي» - المصدر السابق ج ١ ص ١١٨٧
- ٢١- محمد بن محسن الفيض الكاشاني - الكافي - نسخة من مكتبة نور الالكترونية g
ج ١، ص ٩٢.
- ٢٢- سورة النحل / ٣٦
- ٢٣- سورة الملك / ١٤
- ٢٤- الشريف المرتضى - الانتصار - مؤسسة النشر الإسلامي - المكتبة الشيعية --
١٤١٥ هـ - ص ٨٠.
- ٢٥- الوافي، - مصدر سابق - ج ٢٦، ص ١٨٦
- ٢٦- محمد الريشهري، أهل البيت في الكتاب والسنة، - المكتبة الشيعية العالمية - ص ٣٦٦.
- ٢٧- كما ذكرنا في كتابنا في رحاب كربلاء- مركز يافا للدراسات - القاهرة - ٢٠٠١،



المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* مصادر ورقية

* الإمام علي - نهج البلاغة، - دار

العلم للملايين - بيروت - ١٩٩٦

* الشريف المرتضى - الانتصار -

مؤسسة النشر الإسلامي - المكتبة

الشيعة - ١٤١٥

* الدكتور طه حسين - الفتنة

الكبرى .. علي وبنون - دار

المعارف - القاهرة - ١٩٩٩

* عباس محمود العقاد - عبقرية

الإمام - مكتبة الأسرة - القاهرة -

١٩٩٦

* د. علي أبو الخير - في رحاب

كربلاء- مركز يافا للدراسات -

القاهرة - ٢٠٠١

* محمد الريشهري، أهل البيت في

الكتاب والسنة - المكتبة الشيعية

العالمية

* محمد بن إدريس الحلي - مستطرفات

السرائر - مدرسة الإمام المهدي - قم

المقدسة - ١٩٨٧

* محمد باقر الحكيم - الوحدة

الإسلامية من منظور الثقلين - مركز

يافا للدراسات - القاهرة - ١٩٩٩

* محمد باقر المجلسي - بحار الأنوار،

مطبوعات وزارة الإرشاد الإسلامي -

طهران - ٢٠١٧

* محمد بن محسن الفيض الكاشاني

- الكافي - نسخة من مكتبة نور

الالكترونية

* محمد بن يعقوب الكليني - أصول

الكافي - مكتبة نور الالكترونية

* محمد تقي المجلسي - روضة المتقين

في شرح من لا يحضره الفقيه - مكتبة

نور الإلكترونية - ٢٠٢٠

مصادر إلكترونية

* الشيخ الحسين أحمد كريمو -

الإمام موسى بن جعفر الكاظم

والعقل - مجلة الهدى - [https://](https://al-hodaonline.com/article/50450)

[al-hodaonline.com/](https://al-hodaonline.com/article/50450)

[article/50450](https://al-hodaonline.com/article/50450)

* حسين الشاكري - موسوعة

المصطفى والعترة - مكتبة مؤلفات

الحاج حسين الشاكري - [https://](https://alhaydarion.ahlamontada.com/t34-topic)

[alhaydarion.ahlamontada.](https://alhaydarion.ahlamontada.com/t34-topic)

[com/t34-topic](https://alhaydarion.ahlamontada.com/t34-topic)

* السيد زكي الموسوي - الإمام

الكاظم عليه السلام مدرسة متكاملة في دنيا

الإنسان في العلم والمعرفة، [https://](https://www.taghribnews.com/ar/article)

[www.taghribnews.com/ar/](https://www.taghribnews.com/ar/article)

[article](https://www.taghribnews.com/ar/article) منشور في ١٠/٨/٢٠٢٠

* مقالة رحاب الإمام الكاظم عليه السلام

منشورة على موقع، وهي من إعداد:

مركز آل البيت العالمي للمعلومات /

قم المقدسة - www.shiaseach.com

com

العوامل الموضوعية والذاتية للتأصيل لإمامة موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، ودوره في هداية الأمة

أ.م.د. شاكر هوله سابط

جامعة العين العراقية

الملخص :

تعد الإمامة من المفاهيم الأساسية بشكل عام والشيعة على وجه الخصوص ، فالإمامة هي رئاسة وزعامة الهية لجميع المسلمين ، وتعد أصلاً ثابتاً من أصول الدين ، لا يكتمل إيمان مؤمن إلا بالاعتقاد بها ، وهي لطف الهي ، إذ لا بد أن يكون لكل عصر إمامٌ وهادٍ للناس ، وعليه فالملاحظ إن تصدي أي إمام من الأئمة الاثني عشر عليهم السلام لا يكون بالأمر اليسير ، بل توجد هناك الكثير من العوامل التي تتداخل فيما بينها لتحول دون تمكين الإمام عليه السلام من ممارسة مهامه الدينية والدينية بشكل طبيعي .

تحتم منهجية البحث لمناقشة ذلك بيان العوامل الموضوعية التي كانت سائدة آنذاك ؛ منها العوامل السياسية وما مرت به الأمة من تحوّل في هذا المجال حيث انتقلت الخلافة من الأمويين إلى العباسيين الذين رفعوا شعار نصره آل البيت وتمكينهم من الحكم ، إلا أن الأمر اختلف حال تسلمهم مقاليد الحكم ، هذا الواقع أثر بشكل كبير على مهمة الإمام عليه السلام في قيادة الأمة وأصبح الإمام عليه السلام المطلوب الأول من قبل السلطات العباسية ، وقد حورب أصحاب الحق الشرعي وطوردوا وبدأت السلطات تتابع كل صغيرة وكبيرة تخص حركات الأئمة عليهم السلام ، إضافة إلى بيان العوامل الذاتية التي تعبر عن القدرة والإمكانية التي يتمتع بها الإمام والتي تعد الأساس الحقيقي للقيادة العامة والعامل الأكبر لهداية الأمة .

الكلمات المفتاحية: الإمامة - الموضوعية - الذاتية - التأصيل - المجتمع الإسلامي

المقدمة:

لم تكن دراسة مفهوم الإمامة والتعمّق في مضامينه ، يمثل حالة ترف فكري عاشها متبنّوا فكرة الإمامة ، بل ان الإمامة اصل من الاصول العقديّة ، ومشروع سماوي هدفه تحصين الامة من الانحراف وضبط ايقاعها العام في مختلف جوانب الحياة ، وتطوير قابلياتها العقائدية والمعرفية والسلوكية ، لذلك كان من الواجب علينا ان نسلط الضوء على العوامل التي اريد لها ان تكون حجاباً لطمس معالم الإمامة ، وهذا الامر تجسد من خلال اجتهاد ائمة الجور ومحاولتهم طمس معالم امامة الإمام السابع الكاظم عليه السلام سالكين في ذلك مختلف السبل ومستخدمين كل الوسائل ، لكن ارادة الله هي التي بقيت وانقلب كل شي الى الضد ، فعوامل الطمس تحولت الى عوامل هداية الى الامة ، وكانت هي العوامل الموضوعية التي أصّلت امامة موسى بن جعفر عليه السلام ، لذلك وسمنا بحثنا بعنوان العوامل الموضوعية والذاتية في التأصيل لإمامة موسى بن جعفر عليه السلام ، وقد قسم البحث الى ثلاث مباحث بعد المقدمة ، تناولنا في الاول العوامل الموضوعية ودورها في التأصيل للإمامة المباركة وفي المبحث الثاني سلطنا الضوء على العوامل الذاتية واثرها في الهداية والإرشاد الى الإمامة المباركة لموسى بن جعفر عليه السلام ، اما المبحث الثالث فكان دور الإمام عليه السلام في هداية الامة ، ثم كانت خاتمة البحث وما تم التوصل اليه ... ومن الله نستمد العون والتوفيق.

التمهيد:

لابد من الإشارة الى ان الإمامة ، هي الشيء الذي ينبغي للإنسان الاقتداء به والائتمار به باعتباره اسوة وقدوة ومتبوعاً له، والقيمة الحقيقية للإمام (عليه السلام) تتجسد في كونه ذلك الانسان الملكوتي الكامل والمثالي الذي يقع في القمة وهو المحور الذي يأخذ بيد الامة الى الكمال والرفق في المجالات الفردية والاجتماعية ، والذي يجب على الأمة امتثال أوامره وتوجيهاته واعتباره اسوة وقدوة لها في اعماله وأفعاله وتقريراته^(١). وبهذا الوصف لابد ان تكون هناك عوامل ذاتية وموضوعية تسهم بشكل وبآخر في الاهتداء الى الإمامة الحقّة ، كلما اريد تغييبها عن إدارة المجتمع وحجب دورها من قبل أئمة الكفر في عملية بناء المجتمع الصالح .

ما نريد تسليط الضوء عليه في هذا البحث هو البيان الحقيقي للعوامل الذاتية والموضوعية التي تساهم في إزالة الحجب عن شخصية الإمام (عليه السلام) ، ولا بدّ أن نلقي نظرة تعريفية عن المصطلحين ، فالذاتية يقصد بها ما ينسب الى الذات، من نزعة ترد كل شيء الى الذات وعكسها الموضوعي، ومنها الاستقلال الشخصي الناتج عن التفكير الشخصي وغير متأثر بعوامل خارجية او حادث او ناشئ بلا سبب خارجي. وعليه فالذاتي نزعة ترمي الى ردّ كل شيء الى الذات ؛ أي بمعنى الاستقلال الشخصي النابع من تفكير الشخص في حكمه على الأشياء وتكوينها للإنطباقات والتصورات في عالم الأشياء والموضوعات^(٢)، اما الموضوعية: فهي تعني حكماً خالياً من أي تحيّز، وهو مسلك صوفي فلسفي يرى أن المعرفة ترجع الى حقيقة الذات المدركة، اي انه مجرد من غاية شخصية، وعكسها الذاتية، اذ هي مسلك نفسي يرى من خلاله الشخص الأشياء على ما هي عليه وتستند الحقائق الى العقل، أي النظر الى الأمور بطريقة مادية بحتة^(٣) .

المبحث الاول:

العوامل الموضوعية :

تشكل الإمامة المعصومة الركيزة الأساسية للإسلام ، وهي امتداد للنبوّة ، إلا ان النزاع حصل حول ماهية هذه الإمامة وتشخيص شخص الإمام عليه السلام، برز هذا الأمر بشكل جليّ في إمامة الإمام السابع من أئمة اهل البيت عليه السلام، وهو الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، وقد حصلت قيل امامته المباركة الكثير من الملابس والظروف الموضوعية التي سمحت بشكل وآخر في تجذير امامته المباركة، فقد أدت هذه الظروف الى ضرورة التمهيد والتدقيق في شخصية الإمام المتصدي وهذا الأمر يعطي بعداً عقائدياً أكثر وضوحاً وأبعد افقاً. عليه لا بد لنا من تسليط الضوء على تلك الأسباب لبيان الأهمية الكبرى لها وتبريز دورها في التأصيل لإمامة موسى بن جعفر عليه السلام

بروز فرقة الإسماعيلية التي تبنت القول بإمامة إسماعيل الأب البكر للإمام الصادق عليه السلام الذي توفي زمن أبيه^(٤)، وقد احتاط الإمام الصادق عليه السلام في أمر بيان وإعلان وفاة إسماعيل حيث طلب من حاكم المدينة آنذاك الشهادة على وفاته، إلا ان هناك فريقاً يعتقد بعدم وفاة إسماعيل، وأنه اختار الغيبة، وسوف يظهر ثانياً وهو المهدي الموعود. ويتضح ان شهادة الإمام السادس عليه السلام على وفاة ولده كان عن علم وعمد^(٥)، وقد لقبوا الإسماعيلية بسبعة القاب، منها على سبيل المثال الباطنية لقولهم بباطن القرآن دون ظاهره، والقرامطة لان الذي دعا الناس الى مذهبهم رجل يقال له حمدان بن قرمط، والحرمية لإباحتهم المحرمات والمحارم^(٦)، والسبعية لزعمهم أن الناطق بالشرائع سبعة وبين كل اثنين منهم سبعة من الأئمة^(٧)، والباوية او المحمرة للبسهم الحمرة^(٨).

أي - الإمامة - ركن المصالح العامة التي لا تفوض الى الامة ، وتمكين الإمام باختيارهم بل « هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه الى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر ... » ^(١٣) فالقضية في هذا المورد لا تخضع الى الاجتهادات الشخصية اطلاقاً، وعليه فان الخلاف الذي حصل، وذهاب البعض الى إمامة إسماعيل ابن الإمام الصادق هو بعيد عن الواقع الشرعي ولا يتواءم مع المعطيات الشرعية التي تقول بها الإمامية، هذا الامر يستدعي البحث عن الإمام الحق .

ظهور الواقفية وهي فرقة برزت بعد موت الإمام جعفر الصادق عليه السلام مباشرة وهم اتباع عبد الله بن ناووس ^(١٤) ، وأعلنوا ان الإمام الصادق عليه السلام لم يمت ولن يموت حتى يظهر، فيظهر امره وهو القائم المهدي، وقد عرف هؤلاء باسم النواسية ^(١٥)، حيث زعم هؤلاء ان الإمام الصادق هو الإمام المنتظر وأنه حي لا يموت، حتى يملأ الأرض عدلاً وقسطاً وقد بادت هذه الفرقة ولا يوجد لها أي اثر بالوقت الحاضر ^(١٦) . لكن بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام اتضح بطلان هذه الفكرة وبطلان عقيدتهم ^(١٧) ، لأن الامر الذي قالوا به يتعارض مع الثابت من الروايات التي تقول بإمامة الأئمة الاثني عشر عليه السلام ^(١٨) . مما يؤدي الى التأصيل والتجذير لإمامة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، فقد ورد عن سلمان المحمدي قال ((دخلت على النبي ﷺ ، واذا الحسين عليه السلام على تخته، وهو يقبل عينيه ويلثم فاه، وهو يقول أنت سيد ابن سيد، وأخو سيد، أبو السادة، انت امام ابن الإمام، اخو الإمام، أبو الأئمة ، انت حجة بن حجة، اخو حجة، أبو حجج تسع من صلبك ، تاسعهم قائمهم)) ^(١٩) ، الامر هذا يعطي بعداً معرفياً أكثر على أن الإمامة ممتدة بعد الصادق عليه السلام الى ولده الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

وبالنص وهذا يضعف كل الادعاءات التي أرادت ان تؤسس الى امامة جديدة خلاف النصوص الواردة، وعليه فإن الإمامة الحق له لموسى بن جعفر عليه السلام أصبحت واضحة وجليه لمن يريد ان يثبت من الحقيقة، وحتى فكرة المهدي التي تبنتها النافوسية فهي فكرة قابلة للنقد ولا تصمد كثيراً امام الكم الهائل من الاحاديث النبوية الشريفة التي تؤيد وجود القائم بالامر وهو الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن المهدي عليه السلام، فقد ورد عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: قال رسول الله ﷺ « المهدي من ولدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه بي خلقاً وخلقاً، تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً »^(٢٠)، الحديث الشريف ينسف متبني النافوسية بالكامل لعدم تطابق الوصف الذي بينه الرسول الكريم ﷺ للمهدي الموعود مع مواصفات الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي قالت النافوسية بغيبته.

بروز فرقة أخرى عرفت باسم (الطحية) وهم الذين نادوا بإمامة عبد الله الالفطح أسنّ أولاد الإمام الصادق عليه السلام، ونقلوا عن الإمام الصادق عليه السلام أن الإمامة في أكبر أولاده^(٢١)، إلا ان عبد الله الالفطح قد تعرض الى الاختبار بعد وفاة أبيه الصادق مباشرة من قبل خواص الشيعة لغرض الاستدلال على امامته فقد قام زرار بن عيين بزيارته وتوجيه بعض المسائل الفقهية له، فوجده جاهلاً فرجع عن القول بإمامته^(٢٢)، وقد حذا حذو زرار بقية مشايخ الشيعة آنذاك وفقهاءهم فعرفوا نتيجة الاختبارات التي وجهت اليه أنه لم يكن مؤهل لمنصب الإمامة، إضافة الى موته بعد فترة وجيزة ولم يترك عقباً، أدى الى التراجع الكبير عن القول بإمامته والتوجه الى القول بإمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام^(٢٣)، وهذا سبب موضوعي أدى بالملكفين الى البحث بشكل دقيق على من هو الإمام بعد الإمام الصادق عليه السلام.

الرقابة الشديدة من قبل الحكام العباسيين للإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) والتضييق الشديد عليه وعلى مرتاديه، وقد اتخذ هو وأصحابه التدابير والاحتياطات حتى لا يتعرض هو وشيعته للقتل والحبس والتشريد ومع ذلك فقد تعرض العديد من شيعته وأصحابه الى القتل والتشريد، ويبدو من تتبّع السنوات العشر التي قضاها بعد وفاة أبيه مع المنصور العباسي مميزة بالتورية والاختفاء عن اعين السلطات العباسية آنذاك، وقدر المستطاع فقد ورد ولما تلقى المنصور نبأ وفاة الإمام الصادق كتب الى عامله على المدينة يأمره بقتل من أوصى اليه، فكتب اليه جواباً «أوصى الى خمسة واحدهم أبو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى وحيدة»^(٢٤)، فقال المنصور ليس الى قتل هؤلاء من سبيل^(٢٥)، فالملحوظ النية المبيتة من قبل المنصور للقضاء على الإمامة الحقّة المتمثلة بموسى بن جعفر (عليه السلام) لكن احتياط الإمام الصادق (عليه السلام) للأمر حال دون ان ينفذ المنصور ما يريد ويبقى على الإمام الحق المنصوص على امامته، وبالمقابل ان الإمام (عليه السلام) انكمش في بيته حتى عن شيعته وأصحابه ولم يظهر إلا للخواص منهم في ضمن حدود معينة، واستمر حال الإمام (عليه السلام) على هذه الشاكلة طيلة فترة خلافة المنصور، حيث اكتفى المنصور العباسي بهذه الأساليب مكتفياً بها عن حبسه والتنكيل به، وحينما اشتهر امره، ورجع اليه اكثر المنحرفين عنه والتف حوله العلماء والرواة وأصبح حديث العدو والصديق في عهد المهدي العباسي استدعاه الى بغداد اكثر من مرة بقصد التنكيل به^(٢٦)، إلا ان المهدي لم يكتف بذلك فاستدعاه مرة أخرى الى بغداد وحبسه، وقد ذكر الخطيب البغدادي عن الفضل بن ربيع ((لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى في بعض الليالي علي بن أبي طالب في نومه فقال له: يا محمد فهل عسيتم أن توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم، قال الربيع:



فأرسل الى المهدي ليلاً فراعني ذلك فجئته واذا هو يقرأ الآية وكان احسن الناس صوتاً، فقال لي: علي بموسى بن جعفر، فلما جئت به قام اليه وعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت الساعة أمير المؤمنين وهو يقرأ علي هذه الآية أفتؤمنني ان لا تخرج علي ولا على احد من ولدي، فقال والله ما فعلت ذلك ابداً ولا هو من شيمتي، فقال صدقت، ثم قال: يا ربيع اعطه ثلاث الاف دينار ورده الى اهله...) (٢٧). ما يمكن ايضاحه من خلال الرواية أعلاه الاستهداف الواضح من قبل السلطات العباسية في زمن المهدي للإمام الحق يعني هناك بعد موضوعي يدل على ان الإمامة الشرعية تجسدت بشخصية موسى بن جعفر عليه السلام فلذلك اعتقد المهدي العباسي وقبلة المنصور ان الإمام يمثل خطراً حقيقياً على سلطانهم على اعتبار انه صاحب الولاية على جميع المسلمين، وهو صاحب المنصب الإلهي الحق الذي تقع على عاتقه مسؤولية قيادة الامة، وبذلك ارادوا التخلص منه لكن مشيئة الله اقتضت ان يبقى الإمام يمارس دوره الرسالي ويتصل بطريقة وأخرى بشيعته ليكون حافظاً وحامياً وشارحاً لأحكام الدين، وبقي الإمام الكاظم عليه السلام طيلة حكم المهدي وولده الهادي تحت الرقابة الشديدة، والاستدعاءات المتكررة له الى بغداد، لغرض أخذ العهود والمواثيق عليه، ولكن اختلف الوضع تماماً في عهد الرشيد العباسي (١٧٠-١٩٣ هـ)، فكانت اسوء ما مر عليه في حياته فقد سخر كل اجهزته لمراقبته، فقد ورد عن عبد الله بن مالك الخزاعي وكان على شرطة الرشيد ((أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاء فيه قط فأفزعني من موضعي ومنعني من تغير ثيابي فراعني ذلك، فلما صرت الى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فأذن لي بالدخول ووجدته قاعداً على فراشه فسلمت عليه فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف جزعي، ثم قال لي: يا عبد الله أتدري لم طلبتك في هذا الوقت، قلت: لا

والله يا -أمير المؤمنين- ، قال : أني رأيت الساعة في منامي كأن جنياً قد أتاني ومعه حربة فقال أن لم تحل عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحركك بهذه الحربة، فأذهب واخل عنه))^(٢٨) وتم اطلاق سراحه وهذا بين أن الإمام عليه السلام اعتقل من قبل هارون العباسي اكثر من مرة وهذه المرة الأولى، إلا ان الجدير بالملاحظة هنا أن تتبع الحكام العباسيين للإمام الكاظم عليه السلام ومراقبته مراقبة شديدة واعتقاله وحبسه عدة مرات يعني أنهم على علم تام بانه الإمام مفترض الطاعة، ويعطي بعداً حقيقياً بين أن موسى بن جعفر هو الإمام الحق بعد أبيه الصادق عليه السلام ويكون واحداً من اهم العوامل الموضوعية التي أسهمت بشكل وبآخر في تبريز الحقيقة التي كانت غائبة عن العامة في بدايات التصدي للإمام موسى بن جعفر عليه السلام وبالتالي بيان جلي وواضح على التأصيل لإمامته المباركة، ثم اصبح الأمر اكثر وضوحاً وأعلى بياناً من خلال اعتراف الرشيد شخصياً بإمامة الإمام موسى بن جعفر صراحة وأمام جمع كبير من عامة الناس فقد ورد أن الرشيد العباسي أراد احراج الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أمام جمع من الناس قال له: ((كيف قلت أنا ذرية النبي والنبي لم يعقب، إنما العقب للذكر لا للأُنثى ، وأنتم ولد الأبنة ولا يكون ولدها عقباً له، فقلت - الحديث للإمام عليه السلام - أسألك بحق القبر ومن فيه الا اعفيتني من هذه المسألة فقال : لا او تخبرني بحجتكم يا ولد علي! وأنت يا موسى يعسوبهم، وإمام زمانهم، كذا انتهى الي، ولست اعفيك في كل ما اسألك عنه حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله ... فقلت :.. من ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين * من أبو عيسى؟ فقال: ليس لعيسى أب فقلت: إنما الحقناه بذراري الأنبياء عليهم السلام عن طريق مريم عليها السلام، وكذلك ألحقنا بذراري النبي صلى الله عليه وآله من قبل امنا فاطمة))^(٢٩) ما يعيننا من

الرواية هو الاعتراف الصريح من هارون بإمامة موسى بن جعفر (عليه السلام). وبذلك يمكن ان نعد ما ذكرنا أعلاه من العوامل الموضوعية وكان لها الأثر الواضح في تبرز وتأصيل إمامة موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) على الواقع، وهذا ليس بالأمر الكافي فقد كانت العوامل الذاتية مبررات حقيقية أخرى لتبرز إمامة الكاظم (عليه السلام) واتجاه خواص وعوام الامة للتمسك بإمامته المباركة.

المبحث الثاني

العوامل الذاتية :

لم تكن العوامل الموضوعية وحدها كافية للتأصيل لإمامة موسى بن جعفر (عليه السلام) بل كانت هناك عوامل ذاتية ساهمت بشكل كبير في عملية التجذير لإمامته المباركة منها:

١- نبوغه المبكر وقدرته على مجاراة العلماء وحل المسائل الفقهية الصعبة جداً ولعل خير مصداق لذلك ما جرى بينه وبين امام المذهب الحنفي أبي حنيفة النعمان فقد ورد عن أبي حنيفة ((حججت في أيام ابي عبد الله الصادق (عليه السلام) فلما اتيت المدينة دخلت داره وجلست في الدهليز انتظر اذنه اذ خرج صبي فقلت اين يحدث الغريب ان أراد ذلك؟ فنظر اليه ثم قال: يتوارى خلف الجدار ويتوقى أعين الجار وشطوط الأنهار ومساقط الثمار وأقنية الدور والطرق النافذة والمساجد ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ويرفع ثوبه ويضع بعد ذلك حيث شاء، ومضى أبو حنيفة يقول: فلما سمعت منه ذلك نبُل في عيني وعظم في قلبي، فقلت له جعلت فداك فممن المعصية؟ فنظر اليه وقال اجلس حتى اخبرك فجلست مصغياً اليه، فقال: ان المعصية لا بد ان تكون من العبد او من ربه او منهما جميعاً، فإن كانت من الله فهو أعدل وأنصف من أن



يظلم عبده ويأخذه بما لم يفعله، وأن كانت منه ومن العبد وهو أقوى الشريكين، والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف والعفو عنه، وإن كانت من العبد وحده وهو كذلك فعليه وقع الامر واليه توجه النهي، فإن عفى عنه فبكرمه وجوده، وإن عاقبه فبذنبه وجريته...))^(٣٠) اذا ما ورد عن أبي حنيفة بين القدرة والمكانة العلمية السامية التي امتاز بها الإمام عليه السلام وهو في سن مبكرة حيث ناقش مسألة غاية في الخطورة والتعقيد وهي من المسائل الكلامية المعقدة وقد اختلفت الامة كثيراً في امرها بل هناك مدارس كلامية كل مدرسة تتبنى فكرة حولها مغايرة للأخرى مع العلم أن أبا حنيفة النعمان من غير المدرسة التي ينتمي اليها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لكنه اقتنع بالفكرة، وعلى الرغم من صغر سن الإمام إلا أنه استطاع أن يعطي درساً واضح المعالم لا يوجد به أي تكلف الى السائل وأن يقنع السائل رغم الاختلاف فيما بينهم وقد ورد أيضاً عن الإمام الكاظم عليه السلام لما سأله رجل عن الجواد ((فقال: ان كنت تسأل عن المخلوقين فإن الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عليه، والبخيل من بخل بما افترض الله، وان كنت تعني الخالق فهو الجواد ان اعطى وهو الجواد ان منع لأنه ان أعطاك أعطاك ما ليس لك وان منعك منعك ما ليس لك))^(٣١).

٢- كرمه وسخاؤه: فقد كان يصرف مائتي دينار الى ثلاثمائة دينار ويخرج ليلاً يوزعها على بيوت المحتاجين وكان يضرب المثل بصراة^(٣٢)، وقد ورد أيضاً في مساعدته للمديونين وعطفه عليهم وقضاء حوائجهم ومحدثنا الخطيب البغدادي في تاريخه ان هناك الكثير من القاصدين اليه لغرض سداد ديونهم منهم على سبيل المثال محمد بن عبد الله البكري الذي قدم الى المدينة قاصداً الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لغرض مساعدته في سداد دينه وشكاله امره فما كان من الإمام عليه السلام إلا ان دخل الى بيته ((فلم يقم إلا

يسيراً حتى خرج اليه فقال لغلامه اذهب. فمد يده الي فدفع الي صرة فيها ثلاثمائة دينار)) (٣٣) والشواهد كثيرة على كرم الإمام وسخائه (٣٤).

٣- قدرته العلمية على تثبيت حقائق الأشياء وجعل الناس ترجع الى واقعها بعد ان كثرت الآراء وبرزت الفرق المذهبية والكلامية، وكل فرقة توظف المفاهيم الى مصالحها الخاصة فقد كان للإمام الدور البارز في التأسيس للتيار المعتدل وإنقاذ الامة من الضلالة والتيه والحيرة ففي صفات الله ووحدانيته كان له الكلام الفصل واستطاع ان يقعد مبادئ التوحيد وفق مباني وقواعد القرآن الكريم، من بين الكثير من الأمور التي عالجها ووضع لها الحلول المقنعة وكان مصداقاً للآية الكريمة المباركة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٣٥)، فمنها ما أورده يعقوب بن جعفر الجعفري من أن قوماً زعموا أن الله تبارك وتعالى ينزل الى السماء الدنيا، فقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ((أن الله لا ينزل ولا يحتاج ان ينزل، لم يبعد منه بعيد، ولم يقرب منه قريب، ويحتاج اليه كل شيء وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم، أما قول الواصفين له أنه ينزل تبارك وتعالى فإنه قول من ينسب اليه النقص أو الزيادة، وكل متحرك محتاج الى من يحركه او يتحرك به، فمن ظن بالله الظنون هلك، فأحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حدٍّ تحدونه بنقص او زيادة، أو تحريك او تحرك، أو زوال او استئزال، أو نهوض أو قعود، فإن الله عز وجل عن صفه الواصفين، ونعت الناعتين وتوهم المتوهمين...)) (٣٦)، من خلال أقواله في التوحيد والصفات أراد ان يبين للامة خطأ التيارات الفكرية التي كانت نشطة في عصره وتستمد قوتها من الواقع الجاهل، لكن الإمام عليه السلام انبرى بكل ثقة للرد على الزنادقة والملحدين ومنهم عبد الكريم بن أبي العوجاء عندما كان يحاوره في قدرة الله ووجوده فقد ورد في بعض محاوراته

((ذكرت الله فأحلت على غائب، قال: ويلك كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد، واليهم اقرب من جبل الوريد، يسمع كلامهم، ويرى اشخاصهم، ويعلم اسرارهم؟ فقال ابن أبي العوجاء، اهو في كل مكان أليس اذا كان في السماء كيف يكون في الأرض؟ واذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟ فقال - الإمام - : إنما وصفت المخلوق الذي اذا انتقل من مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان، فلا يدري في المكان الذي صار اليه ما يحدث في المكان الذي كان فيه، فأما الله العظيم الشأن الملك الديان فلا يخلو منه مكان))^(٣٧).

وقد شهد عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) الكثير من التيارات كما قلنا وهدف اغلبها لم يكن البحث عن الحقيقة بل من أجل طمس الحقيقة وكان كل ذلك بتشجيع من النظام السياسي السائد آنذاك هدفه ابعاد القواعد العامة عن القيادة الحقبة المتمثلة بالإمام الكاظم (عليه السلام)، لكن الإمام انبرى بكل امكانياته العلمية الى تضييف هؤلاء ورد حججهم الواهية بالدليل المقتنع والحجة البالغة واستشعرت الأمة ان هناك قائداً يتحمل المسؤولية بكل صدق وأمانه وهو يدافع عن بيضة الإسلام ولم يناظره احد إلا ورده خاسراً، فقد ورد أنه سأل رجل يقال له عبد الغفار عن قوله تعالى ﴿ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ ((وقال أرى هاهنا خروجاً من حجب وتديلاً الى الأرض، وأرى ان محمد رأى بقلبه ونسب الى بصره فكيف هذا؟ فقال أبو إبراهيم : دنا فتدلى فإنه لم يزل عن موضع ولم يتدل ببدن، فقال عبد الغفار: أصفه بما وصف به نفسه حيث قال: دنا فتدلى، فلم يتدل عن مجلسه إلا وقد زال عنه ولولا ذلك لم يصف بذلك نفسه فقال أبو إبراهيم: ان هذه لغة قريش اذا أراد رجل منهم أن يقول: قد سمعت يقول: قد تدليت انما التدلي هو الفهم))^(٣٨)، فلذلك نستطيع القول أن القدرة العلميّة التي

يمتلكها الإمام عليه السلام حفظت مباني وأسس الشريعة الإسلامية ، واستطاع
 ان ينقي بها الأجواء من الانحرافات الفكرية وهذا الامر يعد واحداً
 من العوامل الذاتية المهمة للتأصيل لإمامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .
 ٤- الوصايا القيمة التي اعتمدها الإمام الكاظم عليه السلام الى الخاصة من أبنائه
 وطلابه والى العامة لغرض الثبات على طريق الحق والتمسك بالشريعة
 السمحاء، فمن وصيته الى ولده قال ((يا بني إياك ان يراك الله في معصية
 نهاك الله عنها وإياك أن يفقدك عند طاعة أمرك بها ولا تخرجن نفسك من
 التقصير في عبادة الله وطاعته، فإن الله لا يعبد حق عبادته، وإياك والمزاح
 فإنه يذهب بنور إيمانك ويستخف بمروءتك ، وإياك والكسل والضجر
 فإنهما يمنعانك حظ الدنيا والآخرة)) (٣٩) على الرغم من قصر هذه الوصية
 وقلة كلماتها إلا أنها تمثل إبعاداً كبيرة ومهمة فهي تنهى عن المعصية لان
 المعصية الابتعاد عن طريق الله تعالى ، وتحث على الطاعة، والبعد الآخر هو
 البعد الأخلاقي في النهي عن المزاح وأجتنابه، وغيرها الكثير من الوصايا
 التي تحث على الخلق الرفيق والتمسك بشرع الله سبحانه وتعالى فقد روي
 عنه عليه السلام لما رأى الإمام قبراً يحضر فقال ((إن شيئاً هذا آخره، لحقيق أن يزهّد
 في اوله وان شيئاً هذا اوله لحقيق ان يخاف آخره)) (٤٠) .

ومن خلال هذا الاستعراض الموجز للعوامل الذاتية يتبين لنا وبشكل
 جلي أن للإمامة مقاماً مرموقاً حيث أولاهها مفكرو الشيعة أهمية كبرى،
 فقد عدّوها منصباً ومقاماً إلهياً لا بد لصاحبه أن ينصب من قبل الله تعالى
 لهذا المنصب، وعليه يستحيل على أي انسان مهما كان أن يصل الى هذا
 المقام السامي وهذه المرتبة العليا وإن ملاك الإمامة امره حقيقي وواقعي
 في الإمام عليه السلام ، كما أن النبوة حقيقة في النبي ﷺ ، وكذلك النبوغ فإنه
 حقيقة واقعية في النابغة، وعلى هذا الأساس لا بد من السعي لمعرفة النبي

او الإمام او النابغة لا تعيينهم^(٤١)، والامر ينطبق على امامة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فالأمة مطالبة بالبحث عن امام زمانها ولكن لا بد من دلائل واقعية ترشد الباحث الى المبحوث عنه وهذه الدلائل تتجسد في جملة من العوامل وبالتالي ان دراسة هذه العوامل والاهتداء بها يجعل الأمة على الطريق الصحيح لمعرفة شخصية الإمام وهذا ما حصل بالنسبة لإمامة موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام فقد اهدت الأمة من خلال علمائها الى شخص الإمام عليه السلام بعد أن تجسدت فيه كل مقومات الإمامة المطلوبة، وعليه إن المهام الأساسية للإمام تتجسد في :

١ . حفظ الحياة الانسانية، لما ورد في شأن أهل البيت عليهم السلام بأنهم أمان لأهل الأرض.

٢ . قيادة الأمة الإسلامية لما فيه الخير والصلاح والإصلاح.

٣ . تكون الإمامة هي المرجعية الدينية والفكرية للمسلمين.

٤ . المحافظة على الشريعة الإسلامية، وبقاء هذه الرسالة محفوظة ومنزهة من التحريف والتزوير.

٥ . المحافظة على وجود الأمة الإسلامية ووحدتها وحيويتها.

٦ . بناء الجماعة الصالحة، ولذلك فإن موضوع بناء الجماعة الصالحة

يكون احد الأدوار والاهداف التي استهدفها اهل البيت عليهم السلام في الحياة الإسلامية^(٤٢).



المبحث الثالث:

دور الإمام (عليه السلام) في هداية الامة:

لم تكن فكرة الإمامة وليدة الضرورة الاجتماعية ومن بنات أفكار الانسان ، بل كانت لطفاً ربانياً ((الإمام (عليه السلام) يحل حلال الله ، ويحرم حرامه ، ويقيم حدود الله ، ويذب عن دين الله ، ويدعو الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة ... الإمام امين الله في خلقه ، وحجته على عباده وخليفته في بلاده ، الداعي الى الله والذاب عن حرم الله ... عالم بالسياسة ، مفروض الطاعة ، قائم بأمر الله عز وجل ، ناصح لعباده ، حافظ لدين الله))^(٤٣).

وعليه فالإمامة استمرار لمهمة النبوة في التبليغ والتشريع والحفظ، والشرح، والتفسير. وهذه الحقيقة هي التي تحدد المهمة ذات الأولوية للإمام المعصوم. اما الجانب السلطوي التنظيمي السياسي - فهو مهمة ثانوية للإمام المعصوم (عليه السلام) - لذلك منصب الإمام لا يكون بالضرورة منصباً سياسياً اذا لم تسمح الظروف بذلك، لان كونه المهمة في الحكم السياسي ناشئ من حمله لهذه المهمة الأساس على مستوى التشريع، وليس ناشئاً من اعتبار آخر غيرها، لذلك يمكن القول ان الإمامة أصل من أصول الدين الاعتقادية، لا من فروعها الاجتماعية، وكونها تتقوم بالعصمة التي تتضمن اعتبار الأفضلية، وكونها - نتيجة لذلك - لا تثبت إلا بالنص .

ولذلك فلا بد من وجود الإمام المعصوم (عليه السلام) في جميع حالات الجماعة، حتى في حالة الفوضى وانعدام النظام، او حالة عيش الجماعة المسلمة في ظل وضع تنظيمي، سياسي، إسلامي ، غير شرعي ، او غير إسلامي على الاطلاق^(٤٤). وبالتالي إمامة موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) هي واجبة الوجود كالإمامة السابقة لها واللاحقة، لكن الفوضى السياسية والفكرية

التي عاشتها الامة بعد وفاة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) أدت الى الارتباك والضبابية في تشخيص الإمام، وقد أسهمت العوامل الموضوعية والذاتية الى كشف حقيقة الإمامة الحقّة المتمثلة بالإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) وقد اتجهت كل الأنظار اليه وبدأ ممارسة مهامه بشكل واضح وغير قابل للبس، وعلى العموم لا بد ان يكون الإمام (عليه السلام) اعلم اهل زمانه وأفضلهم ولقد كان لإمامة الكاظم (عليه السلام) الدور البارز والمميز في شغل الموقع وبمختلف الجوانب وقد نقل عنه الرواة من التفسير والفقه والمواظم والوصايا الكثير مما يوحى بالنشاط الكبير في إغناء المجتمع الإسلامي بالفكر والتربية، والتفقه وقد نجد المؤرخين يتحدثون عن سعة نشاطه العلمي فقد ورد في المناقب انه اخذ عنه العلماء ما لا يحصى كثرة؛ وذكر عنه الخطيب في تاريخ بغداد والسمعاني في الرسالة القوامية وأبو صالح احمد المؤذن في الأربعين، وأبو عبد الله بن بطّة في الابانة، والثعلبي في الكشف والبيان، وكان احمد بن حنبل اذا روى عنه قال: حدثني موسى بن جعفر قال: حدثني أبي جعفر بن محمد قال حدثني أبي محمد بن علي قال: حدثني أبي علي بن الحسين قال حدثني ابي الحسين بن علي قال حدثني أي علي بن أبي طالب: قال حدثني رسول الله ﷺ ثم قال احمد هذا اسناد لو قرئ على المجنون لافاق (٤٥).

وروى ابن طاووس ان جماعة من أصحاب الإمام وخواصه كانوا يحضرون مجلسه ومعهم الواح ابنوس لطاف وأميال فإذا نطق بكلمة او افتى في نازلة بادروا الى تسجيل ذلك (٤٦).

ولعل وصيته لتلميذه هشام بن الحكم الذي كان تلميذاً لأبيه خير دليل على مكانة الإمامة العلمية وممارسة دوره بشتى الوسائل ومختلف الطرق فقد دار الحديث فيها حول العقل وأهميته من خلال

الاستشهادات القرآنية الدالة على دور العقل كحجة الله على عباده فيما هي مسألة الايمان والكفر والضلال والهدى، وقد أثار من خلال وصيته عن السليبات والايجابيات في سلوك الانسان من خلال تحريك العقل او تجسيده، فالعقل حسب الوصية هو قاعدة الوعي التفصيلي الذي يحدد من الانسان مواقع الحكمة في حياته حيث يضع الأشياء في مواضعها فقد يدرس كل الأمور التي تواجهه بالطريقة الواعية التي تحسب كل شيء بحسابات دقيقة تحيط بها من كل جانب، وبذلك يكون العقل هو الحجة على الانسان، وقد ذكر عن العلم ومصاحبتة للعقل، ثم انطلقت الوصية لتربط الخوف من الله والعمل للآخرة والتوازن في السلوك الاجتماعي، والانزال في الكلام بالعقل ... مما يجعل هذه الوصية وثيقة إسلامية للمنهج القرآني في تقسيم العقل وفي مسؤولية تحريكه، وهذه إشارة جداً مهمة من قبل الإمام (عليه السلام) بضرورة تنمية العقل وتطوير قدراته وقابلياته، وقد اتجه الى أسلوب الوصايا كواحد من الأساليب التعليمية التي تضمن ممارسة دور الإمام بالشكل الذي يزيد في المرحلة التي يطلبها^(٤٧).

ومن وصاياه الأخرى في هذا المجال أي الحث على عمل الخير وطلب العلم قوله الى الفضل بن يونس قال ((ابلغ خيراً وقل خيراً ولا تكن إمعه قال: ما الإمعة؟ قال لا تقل: أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس، ان رسول الله ﷺ قال: أيها الناس إنما هما نجدان نجد خير ونجد شر فلا يكن نجد الشر احب اليكم من نجد الخير))^(٤٨)، فلا ينبغي للإنسان بل لا يجوز له ان يكون في موقفه خاضعاً الى الجو العام من حوله ليكون مجرد صدى للآخرين فيما يقولون او فيما يتخذونه من موقف، لأن في ذلك انتقاصاً من كرامة عقله، وخطأً من منزل انسانيته، وكأنها هناك إشارة

منه عليه السلام على عدم الانجرار وراء الأشخاص الذين لا يملكون العصمة في فكرهم من دون أن يعرف الأساس في هذا القرار أو الموقف ليكون على بينة من أمره عندما يكون على بينة من الاسس الفكرية لذلك الامر، فقد كان هدف القيادة العليا للمجتمع المتمثلة به عليه السلام بناء امة، لا جاهل فيها، إلا من كان في طريقه الى التعلم ، وفي ضوء ذلك لا يتحقق هدف القيادة الإسلامية مالم يقطع دابر الجهل بالمجتمع، وهذا الهدف في غاية الرفع، تواكبه المهمة العليا للقادة الربانيين ومنهم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام^(٤٩).

ومن جانب آخر فإن الله يريد للإنسان أن يري عقله كما يري جسمه، حتى يستطيع بعقله أن يتحرك في المواقع القيادية للحياة، ليمنح الساحة ابداعاته، وليفتح بها أبواب التقدم والتطور فيما يمكن أن ينتجه فكرة^(٥٠)، إذن الفكرة الأساسية من وصايا الإمام عليه السلام هي صناعة الانسان لأنه مادة المجتمع ولا يمكن لأي مجتمع أن يتقدم ويتطور مالم يكن ابناءؤه على درجة عالية من الثقافة والتعلم و الإيمان للوقوف بوجه الجهل والتخلف والانحراف، وقد خط لنا القرآن المنهج القويم للقيادة بالمشاورة وإبداء الرأي ويتجسد ذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ وشاورهم في الامر فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾^(٥١) ، نعم هناك اساسات لقيادة المجتمع الأول منها الوعي وهذا ما أراده الإمام موسى بن جعفر عليه السلام باعتباره القائد الأعلى الى الامة، فقد أراد للامة التفكير وفق المعطيات الصحيحة وقد تكون النتائج من عملية بناء الانسان نتائج إيجابية تتسم بشكل وبآخر في عملية بناء الذات الإنسانية والتمسك بالرأي السليم وعدم الحياد عن جادة الحق وهذا ما أكده يونس بن عبد الرحمن ((قال: قال العبد الصالح والمراد به موسى بن جعفر عليه السلام)) : يا يونس ارفق بهم فإن كلامك يدق عليهم قال: قلت : أنهم يقولون لي زنديق، قال لي ما يضرك أن يكون في

يدك لؤلؤة فيقول الناس هي حصاة، وما ينفعك أن تكون في يدك حصاة فيقول الناس إنها لؤلؤة))^(٥٢) وكأنه يشير من خلال وصيته هذه الى مسألة مهمة جداً وهي عدم الذهاب مع العقل الجمعي المبني على أسس غير علمية وبعيد عن الواقع والامر هذا ينطبق حتى على أمور العقيدة او الحياة الأخرى فيتخيل اليهم أن الانسان البعيد عن توجهات الرأي العام انه منحرف او زنديق او ضال، لأنهم لما يأخذوا بالجذور العميقة للعقيدة، لذلك الإمام عليه السلام أراد ان يشير الى هذا الامر وان يطمئن العلماء الى ان طريق الحق واضح المعالم سالك السبل لا داعي من الخوف ما زالت القاعدة الأساسية في التفكير هي العقل السليم.

موقفه من القياس :

من المسائل الفقهية التي حصل فيها جدلٌ كبيرٌ في فترة تصديه للإمام عليه السلام مسألة القياس ، وكانت حاضرة كمسألة خلافية بين الفقهاء بشكل كبير وواضح لذلك اتجه اليه العلماء لغرض البحث عن مخرج لهذه الجدلية فعن أبي المعز ((قال: سألته فقلت : ان اناساً من اصحابنا قد لقوا اباك وجدك وسمعوا منهما الحديث فربما كان شيء يبتلى به بعض اصحابنا ، وليس في ذلك عندهم شيء يفتيه، وعندهم ما يشبهه، يسعهم أن يأخذوا بالقياس؟ فقال لا، إنما هلك من كان قبلكم بالقياس، فقلت : له لم لا يقبل ذلك ؟، فقال: لأنه ليس من شيء إلا جاء في الكتاب والسنة))^(٥٣) .

موقفه من الشاؤم :

تشكل بعض المفاهيم البعيدة عن الواقع المعرفي أساساً واضحاً يعتمد عليه المجتمع الذي تنقصه المعرفة ويسوده الجهل والتخلف، لذلك نرى أنَّ الخرافات دائماً ما تصنع من الانسان كائناً يؤمن بالماورائيات

غير الحقيقية والتي لا تستند الى أي دليل او برهان ومنها التشاؤم، وهذا ما كان سائداً في المجتمع الذي عاش به الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) وبشكل واضح فلذلك حرص الإمام على بيان دافعية هذا المفهوم وعلاقته بالعقيدة فقد ورد عنه (عليه السلام) قال: ((الشؤم للمسافر في طريقه في خمسة: الغراب الناقع عن يمينه، والكلب الناصر لذنبه، الذئب العاوي الذي يسوي في وجه الرجل وهو وقع على ذنبه، ثم يعوي، ثم يرتفع ثم ينخفض ثلاثاً، والطبي السائح عن يمين الى شمال والبومة الصارخة، والمرأة الشمطاء تلقي فرجها، والأتان العضباء يعني الجدعاء، فمن اوجس في نفسه منهن شيئاً فليقل: اعتصمت بك يا رب من شر ما اجد في نفسي فاعصمني من ذلك، فيعصمهم من ذلك)) (٥٤).

بيان معرفة الله عز وجل:

بيان معرفة الله عز وجل: ورد بالحديث عن الإمام الصادق عن الإمام موسى بن جعفر قوله ((وجدت علم الناس في أربع، أولها: ان تعرف ربك، والثانية أن تعرف ماذا صنع بك، والثالثة: ان تعرف ما أراد منك، والرابعة: أن تعرف ما يخرجك من دينك)) (٥٥).

يحاول هذا الحديث ان يلخص مواقع الثقافة الدينية التي تعمق للمسلم معرفته العقدية، وتوسع لديه آفاقها، وتحقق المناعة الفكرية ضد الانحراف فلا بد في النقطة الأولى من معرفة الله في آفاق عظمتة، وفي حقائق الالوهية في عمقها الفكري، أما النقطة الثانية، فإنها معرفة ما صنع بك من النعم التي يتعين عليك لأجلها الشكر والعبادة، الثالثة: ان تعرف ما أراد منك وفيما اوجه عليك وندبك الى فعله لتفعله على الحد الذي أراد منك فتستحق بذلك الثواب، والرابعة أن تعرف الشيء الذي يخرجك من طاعة الله فيتجنبه ما يريده الإمام من خلال ايضاحه لمفهوم التوحيد

من خلال الحديث أعلاه هو التسلسل في المعرفة ، لأنه أول ما يجب على العبد معرفة رب عز وجل ، فإذا علم أنه له رب خالق قادر على كل شيء ، وجب ان يعرف صنعه اليه ، فإذا عرف صنعه اليه عرف به نعمته ، وبعد معرفة النعمة لابد من الشكر للخالق ، فإذا أراد تأدية شكره ، وجب عليه معرفة ما يريد خالقه ليطيعه بأفعاله ، وإذا وجب عليه طاعته ، وجب عليه معرفة ما يخرج من دينه ليجتنبه فتخلص له طاعة ربه وشكر انعامه^(٥٦) ، ولعل الجوهر الأساس للحديث الشريف هو لابد ان تكون هناك تربية إسلامية حقيقية لاستكمال العناصر الأربعة التي هي المنهج الحقيقي لتربية الأجيال ، وتجنبهم من الاهتزازات العقيدية التي تحصل ، إضافة الى الانحراف الفكري الذي يدخل الى المجتمع نتيجة للابتعاد عن الخط الرسالي الأصيل لان الانحراف الفكري هو الخط الفاصل بين الحق والباطل من جهة ، والابتعاد بالإنسان في وعيه لله عن وعيه لعلاقة حياته في مفرداتها التفصيلية بالله او محدودية معرفته بالإسلام وشريعته ، او في فقدانه لها بالكامل^(٥٧) .

الختامة:

وفي الختام لابد من الاشارة الى ما تمّ التوصل اليه:

١- هناك عوامل موضوعية ساهمت بشكل كبير في توجيه الامة والاهتداء الى امام زمانها بعد ما جتهد اعداء الاسلام في طمس حقيقة الإمامة وتوجيه فكرتها الاساسية الى ان الإمامة تتمثل بمن يقود الامة سياسياً ، ولاشأن للعناية الالهيه في تحديد شخصية الإمام المباركة ، الا ان ما سعى له اعداء الحقيقة ، انقلب الى عوامل موضوعية ادت الى تأصيل للإمامة المباركة لموسى بن جعفر عليه السلام.

٢- العلم والقدرة والامكانيات العصومية التي يتمتع بها الإمام عليه السلام وقدرته على التعامل مع حقائق الاشياء بقدر عال من المسؤولية وبيان الغواض الى الامة، وتكفله في ازاحة الحجب عن حقائق الامور ، جعل الانظار تتجه اليه؛ والامة تتمسك بأمامته المباركة ، فكانت تلك عوامل ذاتية.

٣- وجوده المبارك في الواقع العلمي والعملية وممارساته الاجتماعية، ودوره في المعالجات للمسائل الشائكة في عصره وايجاد الحلول لها، اضافة الى وقوفه بوجه الزنادقة والملحدين وتصحيح الانحرافات الفكرية انذاك، كان علامة فارقة وحجة قوية للتأصيل لامامته المباركة .



- ١- السبحاني، الفكر الخالد، ج ١، ص ٣٦٨.
- ٢- صليبيّا، المعجم الفلسفي، ج ٢، ص ٤٤٨.
- ٣- زيادة، الموسوعة الفلسفية، ج ١، ص ٨٠٢.
- ٤- الاريلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٩٥؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ١٦٨؛
الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٩، ص ٦٢.
- ٥- الطباطبائي، الشيعة في الإسلام، ص ٥٣.
- ٦- البروجردي، طرائف المقال، ج ٢، ص ٢٣٤.
- ٧- الايجي، المواقف، ج ٣، ص ٦٧٥.
- ٨- البروجردي، طرائف المقال، ج ٢، ص ٢٣٤.
- ٩- المجلسي، بحار الانوار، ج ٦، ص ١١٠.
- ١٠- الكليني، الكافي، ج ٧، ص ٤٠٦.
- ١١- الصدوق، الامالي، ص ٧٧٥.
- ١٢- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤٣٨ - ٤٤١.
- ١٣- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ١٩٧.
- ١٤- عبد الله بن ناووس: رئيس فرقة النواوسية الذين قالوا بأن الامام الصادق (عليه السلام) حي لم يموت، من اهل البصرة، الشاهرودي، مستدركات علم الرجال، ج ٥، ص ١٢١.
- ١٥- الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١٦٦.
- ١٦- مغنية، الشيعة في الميزان، ص ٣٣.
- ١٧- الايرواني، الامام المهدي (عليه السلام)، ص ٣٩.
- ١٨- محمد بن طلحة الشافعي، مطالب السؤول، ص ٣٢.
- ١٩- الصدوق، الخصال، ص ٤٧٥؛ المفيد، الاختصاص، ص ٢٠٧؛ المجلسي، بحار
الانوار، ج ٣٦، ص ٢٤١.
- ٢٠- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٣٨.
- ٢١- الشهرستاني، الملل والنحل، ج ٢، ص ١٦٧.
- ٢٢- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٤، ص ١١٥.
- ٢٣- السبحاني، كليات علم الرجال، ص ٤١١.
- ٢٤- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣١٠.
- ٢٥- الطوسي، الغيبة، ص ١٩٨.
- ٢٦- الحسيني، سيرة الأئمة الاثنى عشر، ج ٢، ص ٣٢٦.
- ٢٧- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٢؛ ينظر، المزي، تهذيب الكمال،
ج ٢٩، ص ٤٩؛ الذهبي، سيرة اعلام النبلاء، ج ٦، ص ٢٧٢.

- ٢٨- ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٥، ص ٣٠٩.
- ٢٩- الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ١٦٤؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٨، ١٢٨؛ محسن الامين، اعيان الشيعة، ج ٢، ص ٨.
- ٣٠- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤١١؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ١٠، ص ٢٤٧.
- ٣١- الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٣٨؛ ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤٠٨.
- ٣٢- أبو الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٣٢.
- ٣٣- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٣٠.
- ٣٤- للتفاصيل اكثر ينظر، الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ٢١٥.
- ٣٥- الكليني، الكافي، ص ١٢٣.
- ٣٦- الصدوق، الامالي، ص ٧١٥.
- ٣٧- الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٧٥.
- ٣٨- الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ١٥٧.
- ٣٩- الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٠٨.
- ٤٠- الصدوق، معاني الاخبار، ص ٣٤٣.
- ٤١- السبحاني، الفكر الخالد في بيان العقائد، ج ١، ص ٢٧٣.
- ٤٢- محمد باقر الحكيم، اهل البيت في الحياة الإسلامية، ص ١٥.
- ٤٣- الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٠٠.
- ٤٤- شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ص ٣٥٨.
- ٤٥- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٤٣١؛ المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٨، ص ١٠٦؛ محسن الأمين، اعيان الشيعة، ج ٢، ص ٩.
- ٤٦- عباس القمي، الانوار البهية، ص ١٨٦.
- ٤٧- الوصيلى كامل، ينظر: الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٣.
- ٤٨- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤٠٨.
- ٤٩- الريشهري، القيادة في الاسلام، ص ٣٧٥.
- ٥٠- فضل الله، تأملات في آفاق الامام موسى بن جعفر عليه السلام، ص ٣٥.
- ٥١- الشورى، آية ٣٨.
- ٥٢- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٣٨٦.
- ٥٣- المفيد، الاختصاص، ص ٢٨٢.
- ٥٤- الكليني، الكافي، ج ٨، ص ٣٤٤.
- ٥٥- الاربي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٩٢.
- ٥٦- المفيد، الارشاد، ج ٢، ص ٢٠٣.
- ٥٧- فضل الله، تأملات في آفاق موسى الكاظم عليه السلام.

* الخصال، تحقيق، علي اكبر غفاري،
(مؤسسة النشر الإسلامي - قم ،
١٤٠٣هـ).

* عيون أخبار الرضا، تصحيح وتعليق،
حسين الاعلمي (مؤسسة الاعلمي -
بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

* من لا يحضره الفقيه ، تصحيح ،
علي اكبر الغفاري ، (مؤسسة النشر
الاسلامي - قم، د.ت)
الشافعي ، محمد بن طلحة
(ت ٦٥٢هـ -) :

* مطالب السؤول في مناقب ال
الرسول (ع)، تحقيق، ماجد بن احمد
العطية ، (د.م.ط).

* الطبرسي، أبو منصور احمد بن علي
(من اعلام القرن السادس الهجري):

* الاحتجاج، تحقيق، محمد باقر
الخرسان، (دار النعمان - النجف
الاشرف، ١٨٣٦هـ - ١٩٦٦م).

* الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير،
(ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م):

* تاريخ الأمم والملوك، (دار احياء
التراث العربي - بيروت، ٢٠٠٨م).
الطوسي، محمد بن الحسن، (ت ٤٦٠هـ -
١٠٦٧م):

* الغيبة، تحقيق ، علي احمد ناصح ،
(مؤسسة المعارف الاسلامية - قم،
١٤١١هـ)

* اختيار معرفة الرجال ، تحقيق ،
مهدي الرجائي ، (مؤسسة اهل

البيت لاحياء التراث ، د.ت)
الفتال النيسابوري، ابو علي محمد بن
الحسن (ت ٥٠٨هـ):

* روضة الواعظين ، تقديم ، محمد
مهدي الخрсان ، (منشورات
الشریف الرضي - قم ، د.ت).

أبو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسن
بن محمد احمد (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م):
* مقاتل الطالبين، تحقيق، كاظم المظفر،
(ط ٢، مؤسسة دار الكتاب للطباعة
والنشر - قم، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م).

الكليني، ابو جعفر محمد بن يعقوب
بن اسحاق (ت ٣٢٩هـ / ٩٤١م):

* الكافي، تحقيق، علي اكبر الغفاري
(ط ٣، دار الكتب الاسلامية -
طهران ، ١٣٦٧ش)
المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ /
١٧٠٠م):

* بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار
الأئمة الاطهار، (ط ٢، مؤسسة
الوفا - بيروت، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م).

المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف،
(ت ٧٤٢هـ - ١٣٤٢م):

* تهذيب الكمال في أسماء الرجال،
تحقيق، بشار عواد معروف، (مؤسسة
الرسالة - بيروت، ١٩٩٢م).

المفيد ، ابي عبد الله محمد بن محمد
بن النعمان العكبري، (ت ٤١٣هـ /
١٠٢٢م):

* الاختصاص، تحقيق، علي اكبر الغفاري

ومحمود الزرندي، (جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم، د.ت).

* الارشاد ، تحقيق، مؤسسة اهل البيت لتحقيق التراث، (ط ٢، دار المفيد للطباعة والنشر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

المراجع:

الامين، محسن:

* اعيان الشيعة ، تحقيق ، حسن الامين ، (دار التعارف للمطبوعات - بيروت ، د.ت).

الايرواني، محمد باقر:

* الامام المهدي (عليه السلام) بين التوتر وحساب الاحتمال، (مركز الابحاث العقائدية - قم ، ١٤٢٠هـ).

البروجردي، طرائف المقال :

* طرائف المقال ، تحقيق ، مهدي الرجائي ، (مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي - ١٤١٠هـ).

الحسني، هاشم معروف :

* سيرة الائمة الاثنى عشر (عليهم السلام)، (ط ٢، روح الأمين - قم ، ١٤٣٠م).

الحكيم، محمد باقر:

* اهل البيت في الحياة الاسلامية، (د.م.ط).

السبحاني، جعفر:

* كليات في علم الرجال ، (ط ٣، مؤسسة النشر الاسلامي - قم، ١٤١٤هـ).

* الفكر الخالد في بيان العقائد، اعداد اللجنة العلمية في مؤسسة الامام

الصادق (عليه السلام) ، تعريب، خضر ذو الغفاري ، (قم ، ١٤٢٥هـ - ١٣٨٣ش).

الشهرودي ، علي النازي:

* مستدركات علم الرجال، (حيدري - طهران، ١٤١٥هـ).

شمس الدين ، محمد مهدي:

* نظام الحكم والإدارة في الإسلام ، (ط ٣، دار الثقافة للطباعة والنشر - ايران ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

صليبا، جميل:

* المعجم الفلسفي ، (دار الكتاب - بيروت ، ١٩٩٢م).

زيادة، معن :

* الموسوعة الفلسفية العربية، (معهد الانشاء العربي، ١٩٨٦م).

الطباطبائي، محمد حسين:

* الشيعة في الاسلام (د.م.ط، ١٤٠٢).

فضل الله ، محمد حسين:

* تأملات في آفاق الامام موسى الكاظم (عليه السلام)، (دار التعارف للمطبوعات، د.ت).

القمي، عباس:

* الأنوار البهية ، (مؤسسة النشر الاسلامي - قم ، ١٤١٧هـ).

مغنية ، محمد جواد:

* الشيعة في الميزان (ط ٤، دار التعارف للمطبوعات - بيروت ، ١٩٧٩م).

الميناجي، الاحدي :

* مكاتيب الرسول ، (دار الحديث ، ١٩٩٨م).

الكلمة ودورها الرباني والرسالي عند الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام)

الشيخ منير صادق الكاظمي
العتبة الكاظمية المقدسة

ملخص البحث :

لا يخفى على أهل الذوق والبلاغة ما للكلمة ذلك «القلب اللفظي» من آثار معنوية من حيث التأثير والتغيير بميادين الجدل الكلامي ، وما لها من دور رسالي في الميدان الاجتماعي ، ومن أثر وتأثير في صنع الشخصية والانتقال بها من نحو الى نحو في الميدان التربوي ، وفي هذه الدراسة نقف على موارد كلمات الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) ومنابع فيضها ، وبيان دورها وما أحدثته كلماته (عليه السلام) من تأثير وتغيير - في مختلف ميادين الحياة ، من خلال ملاحم ومشاهد نقلتها اصول تاريخية معتبرة ، وقد خرجت الدراسة بعد العنوان اعلاه بمقدمة ثم تمهيد استعرضنا فيه مقامات الكلمة في البعد القرآني ومتون الحديث وأسفار التاريخ ، ثم مبحثين ، كان الحديث في المبحث الاول عن المنابع الروحية والمعنوية للكلمة عند الامام الكاظم (عليه السلام) وبعدها الرباني ، وفي المبحث الثاني بيان الآثار الرسالية للكلمة عند الامام الكاظم (عليه السلام) في مقام التبليغ والحجّة .

المقدمة

لا يخفى على أهل الذوق والبلاغة ما للكلمة - ذلك «ال قالب اللفظي» - من آثار معنوية من حيث التأثير والتغيير في ميادين الجدل الكلامي، وذلك بإثبات الحق ودحض الباطل، وما لها من دور رسالي في الميدان الاجتماعي، ومن أثر وتأثير في صنع الشخصية من حيث البناء والهدم والانتقال بها من نحوٍ الى نحو في الميدان التربوي، وكم كان للكلمة من حضور فاعل صنعت من خلاله ملاحم من التاريخ الرفيع صاغت طليعة فذة من المنظومة الانسانية هم صفوة الافاضل، وهم في حلهم وترحالهم امثلة الفضائل، وفي هذه الدراسة نقف على واحد من هؤلاء الطليعة وخلاصة النخبة ممن اصطفاهم الله لعمارة البلاد وصلاح العباد، امامنا السابع موسى بن جعفر عليه السلام لنقتدي بعبير كلماته والوقوف على منابع فيضها والسر وراء قوتها وسطوتها، وبيان دورها وما أحدثته هذه الكلمات من هذا الامام من تأثير وتغيير من قبيل فعل الفاعل في القابل في مختلف ميادين الحياة، مهما كان شأن هذا القابل، من خلال ملاحم ومشاهد نقلتها أصول تاريخية معتبرة، وقد خرجت الدراسة بعد العنوان أعلاه بمقدمة ثم تمهيد استعرضنا فيه مقامات الكلمة في البعد القرآني ومتون الحديث وأسفار التاريخ ثم مبحثين.

المبحث الاول: منابع الروحية والمعنوية للكلمة عند الامام الكاظم عليه السلام وبعدها الرباني.

المبحث الثاني: الآثار الرسالية للكلمة عند الامام الكاظم عليه السلام في مقام التبليغ والحجّة.

التمهيد: (الكلمة ودورها في الميدان الاجتماعي والتاريخي).

لقد كان للكلمة - ذلك القالب اللفظي - ظهور وتمثلات عبر مفاصل الحياة ببعديها الزمني والمكاني، بلغت بها المراتب والمناقب، ولها الدور الفاعل في مسرح أحداث هذا العالم، حتى إن دوائر الوحي القرآني جعلتها أول الوافدين على الله ثم بعدها العمل الصالح قال تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١)، وللکلمة في تاريخنا الاسلامي دور من حيث احقاق الحق وابطال الباطل في ميدان المواجهة، ومن حيث فرض الارادات وإمضاءها قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)، وقد عدت الكلمة واحدة من أهم آليات الجهاد واذا انحصر الامر بها كانت الجهاد كله، فقد ورد في الاثر عن سيد البشر قوله: ((أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر))^(٣)، وقد تتابعت الآثار وتوالت الاخبار في ذلك مستفيضة في بيان الكلمة ودورها وعمقها في شتى ميادين الحياة، وما صنعتها من تأثير وتغيير فقد ورد في قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((رب قول أنفذ من صول، ورب كلام كالحسام، ورب كلام ككلام، ورب كلام أنفذ من سهام))^(٤)، وفي هذا المعنى وهذا المقام كان للكلمة حضور واسع في المجال الادبي قال حسان مادحا الكلمة وأثرها:

لساني وسيفي صارمان كلاهما ... ويبلغ ما لا يبلغ السيف مذودي^(٥).

وقد افرد السيد المرتضى بابا في كتابه الأمالي بعنوان (الجوابات المستحسنة) كشف من خلاله عن بعض اللمحات التاريخية في قصص وأحداث دللت على ما للكلمة من حسم وعزم، وموقف حق فاضل، ودحض للباطل واسكات وخرس وطمس، وابلاغ حجة، وهكذا^(٦)...

وعندما سئل الامام زين العابدين (عليه السلام) في المفاضلة بين دور الكلام ودور السكوت قال علي بن الحسين السجاد (عليه السلام): ((لكل واحد منهما آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، قيل: كيف ذلك يا ابن رسول الله ﷺ؟ قال: لان الله عز وجل ما بعث الانبياء والاصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحققت الجنة بالسكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، ما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت))^(٧).

وقد ورد نظير هذا في ثلاثيات الكافي الشريف عن الباقر (عليه السلام) قوله: ((إعلم أن الله عز وجل لم يبعث رسله حيث بعثها ومعها ذهب ولا فضة، ولكن بعثها بالكلام، وإنما عرف الله جل وعز نفسه إلى خلقه بالكلام والدلالات عليه والاعلام))^(٨).

وقد نقلت كتب الفنون والادب ما يتعلق بالكلمة واثارها سلبا وإيجابا، وكيف ينبغي ان نلازم الحذر قبل اطلاقها حتى اشفق منها ملوك اقاليم العالم كما ينقل (بيدبا الحكيم) في مقدمة كتاب (كَلِيلَة وَدَمْنَة)^(٩).

المبحث الاول: المنابع الروحية والمعنوية للكلمة عند الامام الكاظم (عليه السلام) وبعدها الرباني.

الامام موسى بن جعفر ذلك العظيم الذي كان (القضية الحبيسة)^(١٠)، بين جدران السجن العباسي، وبين حواجز المؤرخ، تلك القضية التي اريد لها الاخفاء والتكتيم في زوايا الجدران المظلمة، إلا أن كلماته التي انتظمها عقوداً من العبارات وترانيم العبادات على وقعات رنات القيود من الحديد، ارسلت هدير صوتها عبر اسوار السجون ومن افواه المطامير، طالما اقلقت الطغاة والفاستدين.

وفي هذه الشواهد الخيرية، ما يدلّل من قريب وبعيد عن سلامة الاسناد الروائي لعلوم الامام عليه السلام في محضر مدرسة أبيه الصادق عليه السلام .

ثانيا: العلم الإلهامي (اللذني) وهو العمق المعرفي الثاني لمصادر الكلمة عند الامام موسى بن جعفر عليه السلام، وهو ما يتلقاه من دوائر الإحياءات الالهية والفيوض الالهية، وفي ذلك وردت عجائب الاخبار ونوادر الآثار، وما افصحت وصرحت بها مصادر من متون الحديث وأسفار التاريخ، والتي تكشف عن المقام العلمي والإلهامي لهذا الامام عليه السلام، وهذا العلم صورة من صور اللطف الالهي فوق الكسب والتعلم التقليدي، وحقيقته نابعة مما أتى الله عباده المقربين، وقد وقف القرآن على مثل هؤلاء العباد في حادثة الخضر عليه السلام مع نبي الله موسى عليه السلام في سورة الكهف، وقد ورد في هذا الكثير من الروايات منها ما ورد بحقه وحق أمه من شهادة أبيه الصادق عليه السلام لهما بالقول: حميدة مصفاة من الأدناس كسيكة الذهب، ما زالت الأملاك تحرسها حتى أهدت اليّ كرامة من الله لي والحجة من بعدي، وحلفت حميدة أنّها رأت في منامها أنّها نظرت إلى القمر وقع في حجرها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّها تلد مولوداً ((ليس بينه وبين الله حجاب))^(١٣).

ومثل هذا الحديث يحكي لنا عن قرب الامام عليه السلام الالهي وهو يستشرف ندى الرحمة وفيض الملكوت، وفي الوقت نفسه يكشف لنا الامام الصادق عليه السلام عن السر المودع بولده الامام الكاظم عليه السلام المغموس بنفحات الروح وبركات القرب الالهي.

وفي الشأن نفسه - والحديث يدور - ما وصلنا عن مصادر علم الامام الإلهامي الفطري، من الاخبار التي تحكي عن مرتبة العلم اللذني للإمام الكاظم عليه السلام وعلاقته بالكلام والكلمة، فقد ورد عن زكريا بن آدم قال سمعت الرضا عليه السلام يقول: ((كان أبي ممن تكلم في المهد))^(١٤).

وتعزيدها لما سبق من توثيق علاقة الامام عليه السلام بالكلام والتكلم بالمهد
وسلطان سيل كلامه المؤثر؛ فقد ذكر الطبرسي: ((عن يعقوب السراج قال:
دخلت على أبي عبد الله الصادق وهو واقف على رأس أبي الحسن وهو في
المهد، فجعل يساره طويلاً، فجلست حتى فرغ فقمته إليه فقال لي: «ادن
إلى مولاك فسلم عليه» .

فدنوت فسَلِّمت عليه، فردَّ عليَّ بلسان فصيح، ثم قال لي: «إذهب فغيِّر اسم ابتك التي سمَّيتها أُمس، فإنَّه اسم يغيضه الله عزَّ وجلَّ».

...، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ((انته إلى أمره ترشد)) فغُيِّرَت اسمها))^(١٥)، ومن روائع هذا الباب ما جاء عن الامام الرضا (عليه السلام) وفي حوار سأله به زكريا ابن ادم فيما يخص الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) فنرى الامام الرضا (عليه السلام) يضع مقام الامام الكاظم (عليه السلام) كمقام ابيه الصادق (عليه السلام)، فقد اورد صاحب البحار العلامة المجلسي ما نصه: ((فقام إليه - أي للإمام الرضا (عليه السلام) - نصر بن مزاحم. فقال: يا بن رسول الله، ما تقول في جعفر بن محمد -، - قال: ((ما أقول في إمام شهدت أمة محمد قاطبة بانه كان أعلم أهل زمانه.

قال: فما تقول في موسى بن جعفر عليه السلام؟ قال: كان مثله.

قال: فان الناس قد تحيروا في أمره ، قال: إن موسى بن جعفر - ، عمّـر
برهة من الزمان، فكان يكلم الأنباط بلسانهم، ويكلم أهل خراسان
بالدرية، وأهل الروم بالرومية، ويكلم العجم بالسستهم، وكان يرد عليه من
الآفاق علماء اليهود والنصارى فيحاجّهم بكتبهم وألسنتهم)) (١٦).

وانت تلاحظ عند قراءتك لهذا الخبر ما يتمتع به الامام عليه السلام من فصيح اللسان وجميل البيان وتعدد الالوان في كلماته وعباراته بعد هذه الاشارات التي تناقلتها متون الاخبار مفعمة بالشهادات بحق هذا الامام عليه السلام لبيان عمقه الزماني في الكلمة والتكلم وفيض المعارف ولمحات التأصيل في العلوم

و اللطائف، وقد عُدَّ إعدادا الهيا رساليا، فكانت شخصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام ذات الثقافة التكاملية، تبرز مثل صورة مشرقة تحمل بين سماتها ألوان الأصالة والإبداع، وكانت كلماته تصنع الصنيع والاثر البديع، فتترك من التأثير والتغيير، وتلقي على المقابل الحجة، وتخرس كل متغطرس، وسيأتي في المبحث الثاني ما يبين ذلك والله الامر من قبل ومن بعد.

المبحث الثاني: الآثار الرسالية للكلمة عند الامام الكاظم عليه السلام في مقام التبليغ والحجّة.

وهنا وقبل الخوض في هذا المبحث لابد من مقدمة ضرورية تتعلق في هذا الشأن، وهي أن المجتمعات التي كان شكلها الثقافي سواء الجاهلي منها ام الاسلامي، متى فقدت مقوماتها الدينية والانسانية والاجتماعية والاخلاقية، وغرقت المنظومة الانسانية فيها بلهو الدنيا وغرورها، وسحقت الكرامة وساد تسلط القوي على الضعيف، وارتفعت شعارات الانحلال، وخيم الجو الخالك على سمائها، عندها وأمام هذا الميل المجتمعي عن جادة الصواب والسقوط الحضاري والاممي، فلا بد من دور رسالي يتمثل بطليعة فذة من السادة والقادة واهل الريادة، فيرفعون شعار التبليغ والدعوة ليأخذوا بيد المنظومة الانسانية ويرتفعوا بها من المنحدرات الى القمم، فتصدق الستهم بقول منتظم من الكلمات ذات العافية والقوة في المعنى والمبنى والعبارات والخطابات، قال علي عليه السلام في احدى روائعه مبينا الحركة الحضارية للأنبياء من نسل آدم عليه السلام: ((وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَنْ عَهْدِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَاجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءُ

لَيْسَتْ أَدْوَاهُ مِثَاقَ فِطْرَتِهِ وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْبِئِي نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ
وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرَوِّهُمُ الْآيَاتِ الْمَقْدَرَةَ مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ
مَرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَمَعَائِشَ تُحْيِيهِمْ وَأَجَالٍ تُفْنِيهِمْ وَأَوْصَابٍ
تُهْرِمُهُمْ وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ))^(١٧).

وقد مدحهم الرب بمحكم التنزيل فقال: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ
اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(١٨).

وفي النص ما يشير الى عناصر القوة في التبليغ الرسالي، نعم هم أهل
دائرة الاجتباء وعين الاصطفاء، في غرس محامد الافعال ومكارم الخصال.
ولقد صرّحت وأفصحت الأخبار واستفاضت فيما ورد من الاثر عن
سيد البشر في بيان هذه الطليعة الفذة وتنبيه الناس لها كمرجعين من بعده
تمثلا بقوله عليه السلام: ((اني قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا بعدي
الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جل ممدود من السماء إلى الأرض
وعترتي أهل بيتي الا وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض))^(١٩)، نعم قام
بهذا الدور الالهي عترة الهادي عليه السلام العدل الثاني للكتاب، فكانوا ماجداً من
ماجد رفعوا راية التبليغ يداً بيد واباً عن جدّ وهم عظماء العالم.

وواحد من هؤلاء مولانا الامام موسى بن جعفر عليه السلام السابع من
الاولياء الهادين، بمواقفه الشريفة في هذا المجال، وكم كانت له صولة
وجولة مازال وقع صداها ومداهها الى يومنا هذا وما احدثته كلماته من
تأثير وتغيير على المستوى الاجتماعي والتربوي والاخلاقي والسياسي،
ونسستعرض في هذه الاسطر بعضاً منها.

وأول هذه المواقف يتجلى بها دور الكلمة، ما ذكره العلامة الحلي في
كتابه منهاج الكرامة متحدثاً عن واحدة من الحركات الرسالية الاجتماعية
للإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالقول:

((وعلى يده عليه السلام تاب بشر الحافي ، لأنه عليه السلام اجتاز على داره ببغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جارية ويدها قمامة البقل، فرمت بها في الدرب، فقال لها: يا جارية صاحب هذه الدار حرٌّ أم عبد؟ فقالت: بل حر فقال: صدقت، لو كان عبدا خاف من مولاه. فلما دخلت قال مولاهما وهو على مائدة السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدثني رجل بكذا وكذا، فخرج حافيا حتى لقي مولانا الكاظم عليه السلام فتاب على يده))^(٢٠).

قال المحقق للكتاب ما نصّه مترجماً لبشر هذا: ((هو بشر بن الحارث الحافي، أورد أبو نعيم الأصبهاني ترجمته في «حلية الأولياء» وقال عنه: ومنهم من حباه الحق بجزيل الفواتح، وحماه عن وبيل الفوادر، أبو نصر بشر بن الحارث الحافي، المكتفي بكفاية الكافي، أكتفي فأشتفي))^(٢١).

وذكره الخواجة عبد الله الأنصاري في طبقات الصوفية: والقاضي نور الله الشوشتری في مجالس المؤمنين، ونقل عن ابن خلكان أن جده الخامس عبد الله أسلم على يد أمير المؤمنين علي عليه السلام. ثم ذكر صاحب المجالس أنه تاب على يد الإمام الهمام موسى الكاظم عليه السلام، ثم نقل قصة توبته من منهاج الكرامة، ثم ذكر أن تاريخ وفاته كان يوم عاشوراء من محرم الحرام سنة سبع وعشرين ومائتين، كما ذكره معصوم علي شاه في طرائق الحقائق ونقل قصة توبته عن منهاج الكرامة^(٢٢).

واستفاضت كتب التراجم في (بشر الحافي) هذا بالمدح والثناء، فقد ذكر الحافظ المزي قول ابراهيم الحربي فيه: قال إبراهيم الحربي: ((ما أخرجت بغداد أتم عقلا من بشر، ولا أحفظ للسانه، كان في كل شعرة منه عقل))^(٢٣). أقول: بعد هذا العرض من ترجمة بشر الحافي وكلمات الثناء عليه هذه، وقد علمنا ان حال الرجل على ما نقله العلامة الحلي قبل ذلك لم يكن على



استقامة وسلامة في السلوك لكننا كان هذا التحول والتبدل من الظلمات الى النور بفعل كلمة صدرت من ساحة الامام موسى بن جعفر عليه السلام، فغيّرت احواله وبدلت مآله، والسؤال من أي فيض صدرت هذه العبارة واي سطوة وسلطان كان لها إذ اثرت في الرجل هذا التأثير (صدقت، لو كان عبدا خاف من مولاه).

ومن محاسن التوافقات ما ذكره صاحب وفيات الاعيان عندما ساق نسب بشر الحافي ان اسلام احد اجداه كان على يد امير المؤمنين عليه السلام بقوله: (أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، وكان اسم عبد الله (بعبور)، وأسلم على يد علي أبي طالب عليه السلام) (٢٤). نعم وجاء دور الامام الكاظم عليه السلام ليقوم بنفس دور جده بهداية الحفيد (بشر الحافي) وقد كشفت هذه الرواية عن مجموعة من الدلالات والإشارات منها على سبيل المثال، مدى سطوة وسلطان الكلمة التي اسدى وارسل بها الامام عليه السلام الى (بشر الحافي) وما أحدثته من تأثير وتغيير وانقلابات وتبدلات في السلوك بالأقوال والافعال من السلب الى الايجاب عند المتلقي ونقلته من الظلمات الى النور، وامر آخر هو الدور الريادي والرسالي كمنظومة من الاصلاح للإمام عليه السلام على المستوى الاجتماعي.

ومن روائع ما يروى في هذا الباب، ما يتعلق بخطابه العبادي وأثره في اسماع السامع انى تكون عناصره النفسية، وميولاته العقدية، ومراتبه الاجتماعية، ان عبادة الامام وصلاته وتهجده، اصبحت صوتا هادرا له من الصدى والمدى وسيل عباراته وترانيم دعواته آناء الليل وأطراف الصباح أخذت مجالها بكل مفاصل الحياة سواء كان في معتقلات السجون أم في باحة المساجد يردد قائلًا: ((قبح الذنب من عبدك فليحسن العفو والتجاوز من عندك).

اللهم انني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك اللهم وقد فعلت فلك الحمد. وكان عليه السلام يقول في سجوده: قبح الذنب من عبدك فليحسن العفو والتجاوز من عندك))^(٢٥).

وقد ازدهت النقول التاريخية في مثل هذا الشأن والتي تحكي عن تأثير الكثير ممن في السلطة بالسلوك العبادي للإمام عليه السلام الذي وصل به الحد أن يمتنعوا ويتمردوا على أوامر هارون العباسي القاضية بقتل الامام عليه السلام، وفي هذا ينقل الشيخ المفيد عن احوال الامام عليه السلام في سجن عيسى بن جعفر عامل الرشيد على البصرة عندما طلب الرشيد منه قتل الامام، فكتب اليه ما نصه: ((وكتب اليه الرشيد في دمه، فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خاصته وثقاته، فاستشارهم فيما كتب اليه الرشيد، فأشاروا اليه بالتوقف عن ذلك والاستعفاء منه فكتب عيسى بن جعفر إلى الرشيد يقول له: لقد طال امر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي، وقد اختبرت حاله ووضعت عليه العيون طول هذه المدة، فما وجدته يفر عن العباد، ووضعت من يسمع منه ما يقول في دعائه، فما دعا عليك ولا علي ولا ذكرنا بسوء وما يدعو لنفسه الا بالمغفرة والرحمة، فان أنت انفذت إلى من يتسلمه مني وإلا خليت سبيله فإني متخرج من حبسه. وروى ان بعض عيون عيسى بن جعفر رفع اليه انه يسمعه كثيرا يقول في دعائه وهو محبوس عنده: ((اللهم انك تعلم أني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت، فلك الحمد))^(٢٦).

وكان لمثل هذا الموقف موقف مشابه للفضل بن الربيع وزير هارون العباسي في بغداد، عندما طلب منه هارون تصفية الامام عليه السلام فظاهر امتناعا ورفضاً صريحاً، حتى لو وصل الامر الى قتله^(٢٧).



حكى الخطيب البغدادي قريب من هذا عن مدى تأثر اخت السندي بن شاهك في عبادة الامام عليه السلام بقوله: ((أخبرنا الحسن بن أبي بكر أخبرنا الحسن بن محمد العلوي حدثني جدي حدثني عمار بن أبان قال حبس أبو الحسن موسى بن جعفر عند السندي فسألته أخته أن تتولى حبسه وكانت تتدين ففعل فكانت تلي خدمته فحكى لنا أنها قالت كان إذا صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه فلم يزل كذلك حتى يزول الليل فإذا زال الليل قام يصلي حتى يصلي الصبح ثم يذكر قليلا حتى تطلع الشمس ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى ثم يتهيا ويأكل ثم يرقد إلى قبل الزوال ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة فكان هذا دأبه ، فكانت أخت السندي إذا نظرت إليه قالت خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل وكان عبدا صالحا))^(٢٨).
ومرة اخرى تتجلى قوة الكلمات التي يصوغها الامام عليه السلام في نصوص دعواته الشريفة وما لها من تأثير بلغ في نفوس رجال السلطة بل في عائلة سجان الامام (السندي).

وروى الشريف الأجل المرتضى قدس الله روحه عن أبي عبيد الله المرزباني، مرفوعاً إلى أيوب بن الحسين الهاشمي قال: ((كان نفيح رجلاً من الأنصار حضر باب الرشيد وكان عريضاً^(٢٩) وحضر معه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز، وحضر موسى بن جعفر عليه السلام على حمار له، فتلقاه الحاجب بالبشر والإكرام، وأعظمه من كان هناك، وعجل له الإذن، فقال نفيح لعبد العزيز: ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم، يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير، أما لئن خرج لأسوءه، قال له عبد العزيز: لا تفعل، فإن هؤلاء أهل بيت قلّ من تعرّض لهم في خطاب إلاّ وسموه في الجواب سمةً يبقى عارها عليه مدى الدهر. قال: وخرج موسى عليه السلام فقام إليه نفيح الأنصاري فأخذا بلجام حماره، ثم قال: من أنت؟

فقال: « يا هذا، إن كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله ابن اسماعيل ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله، وإن كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله عز وجل على المسلمين وعليك إن كنت منهم الحج إليه، وإن كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركو قومي مسلمي قومك أكفاء لهم حتى قالوا: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، وإن كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا في الصلوات المفروضة بقول: (اللهم صل على محمد وآل محمد) فنحن آل محمد، خلّ عن الحمار» فخلّى عنه ويده ترعد، وانصرف بخزي، فقال له عبدالعزيز: ألم أقل لك)) (٣٠).

والملاحظ في هذا الخبر ما أحدثته كلمة الامام عليه السلام على ايجازها من رعب في (نفيح)

وفي ما ورد من كلماته التي تضمنت بعض إخباراته بالآجال، ما اورده صاحب البحار قوله: ((روي أن إسحاق بن عمار قال: لما حبس هارون أبا الحسن موسى دخل عليه أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة فقال أحدهما للآخر: نحن على أحد الامرين إما أن نساويه أو نشكله فجلسا بين يديه، فجاء رجل كان موكلا من قبل السندي بن شاهك فقال: إن نوبتي قد انقضت وأنا على الانصراف فإن كان لك حاجة أمرتني حتى آتيك بها في الوقت الذي تخلفني النوبة؟ فقال: مالي حاجة، فلما أن خرج قال لابي يوسف: ما أعجب هذا يسألني أن اكلفه حاجة من حوائجي ليرجع وهو ميت في هذه الليلة، فقاما فقال أحدهما للآخر: إنا جئنا لسأله عن الفرض والسنة وهو الان جاء بشيء آخر كأنه من علم الغيب. ثم بعثا برجل مع الرجل فقالا: اذهب حتى تلزمه وتنظر ما يكون من أمره في هذه الليلة وتأتينا بخبره من الغد، فمضى الرجل فنام في مسجد في باب داره فلما أصبح سمع الواعية ورأى

الناس يدخلون داره فقال: ما هذا؟ قالوا: قد مات فلان في هذه الليلة فجأة من غير علة، فانصرف إلى أبي يوسف ومحمد وأخبرهما الخبر فأتيا أبا الحسن عليه السلام فقالا: قد علمنا أنك أدركت العلم في الحلال والحرام فمن أين أدركت أمر هذا الرجل الموكل بك أنه يموت في هذه الليلة؟ قال: من الباب الذي أخبر بعلمه رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما رد عليهما هذا بقيا لا يحيران جوابا)) (٣١).

ومع الخبر ما يشير الى مجموعة من الدلالات والاشارات والايحاءات منها:
أولاً: وضوح العلم الالهامي للإمام الكاظم عليه السلام الذي يُعد من مختصات الائمة عليه السلام والذي أخبر به الامام الصادق عليه السلام مخاطباً عبد الله بن النجاشي بالقول: ((والله إن فينا من يُنكت في قلبه ويُقر في أذنه و تصافحه الملائكة فقلت اليوم أو كان قبل اليوم فقال اليوم والله يا ابن النجاشي)) (٣٢).

ثانياً: ان الامام عليه السلام في سره ما ينطوي على حقائق ودقائق، لا يعيها من امثال هذين ابي يوسف ومحمد بن الحسن الذين أُشرب العجل في قلوبهم، فشربوا كأس الغرور، وفي هذه الخطوة من الامام بهذا الاخبار المعجز تجاه هذين، أوضح لهما ان الموعدة لا تنفعهم دونما تصعقهم حجة بالغة تكون بها البينة عليهما ليكونا شهداء على واحدة من مناقب هذا الامام عليه السلام التي تثبت حجتيه انه الوصي والحجة الاوحد في زمانه.

ثالثاً: لقد أدرك هذان بعد ذلك انها إن لم يدعنا لأحقية المراتب والمناقب التي اختارها الله لهذا الامام بعد هذا الاثبات اليقيني والالزام الدامغ، فانهما بعد ذلك سيكونان ممن زاحمتهم الأهواء اغترارا فآثروها على الحق.

رابعاً: لقد تبدد كل ما صوّرت لهم احلامهم الواهية، حيث صرّحت الرواية بأنهما يزعمان انها يساوونه ويقاربونه بمرتبته وعلمه أو انها يستطيعان ان يشكلا عليه بما افاض الله عليه من علوم ومعارف واسرار، لكنه سقط



بأيديهما ما كانوا يبيتونه من التنكر والالغاء وعدم التسليم له ﷺ، ويحق الله الحق بكلماته، اقول كل ذلك انما حصل بإخبار واحد من بعض كلماته الشريفة التي أفصحت عن معارفه ﷺ .

هذه بعض الاخبار التي دلت على عظيم مكنون كلمات الامام وهو يعالج الاحداث عبر هذه المرويات التاريخية التي بقي صداها ومداه الى يومنا هذا.

الخاتمة :

اختتم هذه الدراسة للإمام ﷺ فيما يخص مجموع كلماته ولطيف عباراته بما لها من سطوة وقوة وما أحدثته من تأثير وتغيير بنقاط أهمها :

أولا : إن كلمات الامام ﷺ في اظهار مغيباته التي ارتضاها الله بها، لم تقتصر على اظهار شأنه وبيان مقامه فقط بل كان ﷺ يدير بها شؤون رعيته وشيعته فكانت توجيهاته طبقا لما اصطفاه الله به من اخبار، اذ كان المرشد لهم والمسدد والمؤيد من عاديات الزمن والفتن وسدا يقيهم من ملاحظات الظالم، وكفى بالله حافظا وحسيبا.

ثانيا : لقد كشفت كلمات الامام ﷺ في مختلف ألوان الحياة عن قابلية تأثيرها في الميادين الاجتماعية ظهرت من خلال التبدلات في المواقف والسلوك لكل من التقى به ، مهما كان اتجاهه وميله .

ثالثا : ما زالت كلمات الامام ﷺ تشكل سبلا هادرا له من الصدى والمدى الذي لم تستطع محاولات السلطة بسجونها وقيودها التي فرضتها عليه ان

- ١- سورة فاطر: الآية ١٠.
٢- سورة التوبة: الآية ٤٠.
٣- الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين (تح: مصطفى عبد القادر عطا، النشر والطبع: دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ، ج ٤، ص ٥٥١).
٤- الريشهري: محمد، ميزان الحكمة، الناشر: دار الحديث، ١٤٢٢هـ، قم، مط: اعتماد، معج التاسع، ص ٢٦٢٣، باب الكلمة.
٥- الانصاري: حسان بن ثابت، شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري (تصحیح وضبط: عبد الرحمن البرقوقي)، طبع ونشر: دار الاندلس - بيروت - ١٩٨٠م، ص ١٨٣.
٦- ينظر: المرتضى: علي بن الحسين، امالي المرتضى - غرر الفوائد ودرر القلائد (تح: محمد ابو الفضل ابراهيم)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط الثانية، ١٩٦٧م، ق الاول ص ٢٧٣.
٧- المجلسي: محمد باقر، بحار الانوار، النشر والطبع: مؤسسة الوفا - بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ، ج ٦٨، ص ٢٧٤.
٨- العاملي: امين ترمس، ثلاثيات الكليني وقرب الاسناد، الناشر والطبع: مؤسسة دار الحديث، قم، ط الاولى، ١٤١٧هـ، ج ١، ص ٢٧٣.
٩- ينظر: بيدبا الحكيم، كلیلة ودمنة (ترجمة: عبد الله بن المقفع)، الناشر: مكتبة الهلال - مصر، مط: المطبعة التجارية الحديثة، ص ٢٠ (مقدمة الكتاب).
١٠- (القضية الحیسة) ينظر: الحلو: السيد محمد علي، الشهيد الممتحن الامام موسى بن جعفر (عليه السلام)، الناشر: الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية، مط: الرافدين - بيروت، ٢٠١٤م، ص ٧. هذا العنوان قد وضعه المؤلف تغمده الله بواسع رحمته في المقدمة.
١١- المفید: محمد بن محمد بن النعمان، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد (تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحیاء التراث)، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفید، مط: مهر، قم، ط الاولى: ١٤١٣هـ، ج ٢، ص ١٨٦.
١٢- ابن شهر اشوب، مناقب آل ابي طالب (تح: مجموعة من أساتذة النجف)، الطبع والنشر: المطبعة الحيدرية لصاحبها محمد كاظم الكتبي، النجف الاشرف، ١٩٥٦م، ج ٤، ص ١٥.
١٣- المازندراني: الشيخ محمد مهدي، نور الأبصار في أحوال الأئمة التسعة الأبرار، الناشر: انتشارات الشريف الرضي، قم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٨، ١٤٢٠هـ، مط: امير، ج ١٣٥، ص ١؛ ينظر ايضا امين الاسلام الطبرسي، إعلام الوری بأعلام الهدی (تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، مط ستارة، قم، ط الاولى، ١٤١٧هـ، ج ٢، ص ٣٢.
١٤- الأربلي: علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة (تح: علي الفاضلي)، الناشر:

- المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام)، مط: ليلي، قم، ط الاولى، ١٤٣٦هـ، ج ٣، ص ٣٠٥.
- ١٥- الطبرسي: الفضل بن الحسن، اعلام الوري باعلام الهدى، تح: ونشر مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لاحياء التراث قم، مط: ستارة، ج ٢، ص ١٤.
- ١٦- المجلسي، بحار الانوار، ج ٤٩، ص ٨٠.
- ١٧- الشريف الرضي، نهج البلاغة (تح: السيد هاشم الميلاني) الناشر: العتبة العلوية، مط: التعارف، سنة الطبع، ١٤٣١هـ، ص ٦٧.
- ١٨- سورة الاحزاب: الاية ٣٩.
- ١٩- أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل (بأحكام شعيب الأرناؤوط)، الناشر: مؤسسة قرطبة - القاهرة، ج ٣، ص ٥٩.
- ٢٠- العلامة الحلي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة (تح: الأستاذ عبد الرحيم مبارك)، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية، ج ٦، ص ٢.
- ٢١- المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢، الهامش رقم (١).
- ٢٢- المصدر نفسه والصفحة - هامش رقم ١.
- ٢٣- الحافظ المزي: يوسف بن الزكي عبدالرحمن، تهذيب الكمال (تح: د. بشار عواد معروف)، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، لطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ج ٤، ص ١٠٦.
- ٢٤- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الاعيان (تح: إحسان عباس)، الناشر: دار صادر - بيروت، ج ١، ص ٢٧٦، رقم الترجمة ١١٤.
- ٢٥- مناقب آل ابي طالب، ج ٤، ص ١٦.
- ٢٦- الارشاد، ج ٢، ص ٢٣٩.
- ٢٧- بحار الانوار، ج ٤٨، ص ٢١١.
- ٢٨- الخطيب البغدادي: احمد بن علي، تاريخ بغداد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ج ١٣، ص ٣١؛ ينظر ايضا الذهبي: شمس الدين محمد بن احمد، سير اعلام النبلاء (تح: شعيب الأرناؤوط - حسين الاسد)، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ط التاسعة - ١٩٩٣م، ج ٦، ص ٢٧٣.
- ٢٩- ورجل عريض يتعرض للناس بالشر. ينظر: الفراهيدي: الخليل بن احمد، كتاب العين (تح: مهدي المخزومي - ابراهيم السامرائي)، النشر والطبع: انتشارات اسوة - قم، ط الثانية - ١٤٢٥هـ، ج ٢، ص ١١٧٦.
- ٣٠- المرتضى: علي بن الحسين، امالي المرتضى - غرر الفوائد ودرر القلائد (تح: محمد ابو الفضل ابراهيم)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط الثانية، ١٩٦٧م، ق الاول ص ٢٧٤ - ٢٧٥.
- ٣١- بحار الانوار، ج ٤٨، ص ٦٤.
- ٣٢- كشف الغمة، ج ٣، ص ٢١١.

ثلاثيات الكليني وقرب الاسناد، الناشر والطبع: مؤسسة دار الحديث - قم، ط الأولى - ١٤١٧هـ.

* العلامة الحلي: الحسن بن يوسف (ت ٧٢٦هـ)

منهاج الكرامة في معرفة الإمامة (تح: الأستاذ عبد الرحيم مبارك)، الناشر: مركز الأبحاث العقائدية.

* الفراهيدي: الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ).

كتاب العين (تح: مهدي المخزومي - ابراهيم السامرائي)، النشر والطبع: انتشارات اسوة - قم، ط الثانية - ١٤٢٥هـ

* المازندراني: الشيخ محمد مهدي (ت ١٣٨٤هـ)

نور الأبصار في أحوال الأئمة التسعة الأبرار، الناشر: انتشارات الشريف

الرضي، قم، مط: امير، الطبعة الأولى، ١٣٧٨ - ١٤٢٠ هـ.

* المجلسي: محمد باقر (ت ١١١١هـ)

بحار الانوار، النشر والطبع: مؤسسة الوفا - بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ.

* المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ)

الارشاد في معرفة حجج الله على العباد

(تح: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء

التراث)، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مط: مهر - قم، ط الأولى ١٤١٣هـ.

* المرتضى: علي بن الحسين (ت ٤٣٦هـ) أمالي المرتضى - غرر الفوائد ودرر القلائد

(تح: محمد أبو الفضل إبراهيم)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط الثانية - ١٩٦٧م.



المناجاة نصاً ثقافياً

مقاربة نقدية في مناجاة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) المعروفة بـ (الجوشن الصغير)

أ.د. علي مجيد البديري

جامعة البصرة / كلية الآداب / قسم اللغة العربية

ملخص البحث

تعدُّ المناجاة نصّاً يشتمل على أنماط تعبيرية عديدة، ترتبط بمنظومة من العقائد والأخلاق تمثل ذاكرة المؤمن ومرجعه الذي يستنير به وينعش بصيرته في مواقف الحياة وأحوالها المختلفة. وفي ضوء ذلك كان سعي هذا البحث إلى مقارنة نص مهم من نصوص المناجاة، عرف بـ (الجوشن الصغير) مروى عن الإمام الكاظم (عليه السلام)، مفيداً قدر المستطاع من قوة التنويع التي يحملها النص في كونه مناجاة خاصة لله تعالى، ارتبطت بسياق معين خاص في ظاهره بحياة الإمام (عليه السلام)، وانفتاح هذه الخصوصية صوب المؤمن المتلقي عبر حوارية ثقافية فاعلة، لتنظم حياته بوصفها أنموذجاً إرشادياً في الوعي والمعرفة والسلوك، وليصبح نص المناجاة في حقيقته نصّاً ثقافياً يندرج ضمن منظومة النصوص الإلهية التي تنظم علاقة الإنسان بربه أولاً، وبأخوته في الفضاء الإنساني الرحب ثانياً، وليس مجرد ممارسة عبادية تتلى في وقت معين وفي حال خاص.



مقدمة

تؤسس الأدعية والمناجيات لمبدأ التوكل على الله والتسليم لقضائه والإيمان بقوته وحوله وقدرته التي تتصاغر بل تنعدم كل القوى والقدرات الزائفة دونها، وهو ما يعني قيام فعل الدعاء على المعرفة واليقين بهذه المكاسب، وتفعيلها في الحياة والسلوك. ومن هنا لم تكن المناجاة محض عبارات وسياق ومعنى ومقصد، فهي تمتلك روحاً ومضامين عميقة لا يمكن إدراكها إلا حينما يحقق القارئ تفاعلاً مع ظاهر هذه العبارات وسياقها، وإدراكاً ووعياً بعمق دلالاتها وجوهرها.

ومن بين الوظائف التي تؤديها المناجاة في حياة الفرد المؤمن أنها تملأ تفاصيل حياته بسبل التواصل مع السماء، بطرائق لا حصر لها ولا تقيدها قيود وكيفيات، الأمر الذي جعل من تراكم الأدعية والمناجيات الواردة عن النبي وآله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، يشكل في النهاية مكوناً مهماً وفاعلاً من مكونات المنظومة الثقافية والروحية والعبادية للفرد. وخصوصية هذه النصوص تتأتى من كونها أيضاً فضاءً رحباً للتعبير عن خلجات الذات وشكواها من حالات ضعف النفس إزاء التحديات والغوايات الشيطانية التي يكابدها، فضلاً عن محمولات هذه النصوص المعرفية والإرشادية وحتى النفسية، وقدرتها الهائلة والكبيرة على تمثّل حالات المؤمن وحوائجه المختلفة.

إن اختصاص المعاناة اللحظية لدى الإنسان والمفتوحة على المعاناة البعيدة التي لا تحدّها حدود، أي انشغالات الإنسان بالأسئلة الكونية الكبرى عن الخلاص وعن مصيره وعن الأبدية هذه كلها تتركس الشعور بالحاجة إلى الله تبارك وتعالى وتخرجه من الحاجة اللحظية المغلقة إلى حاجة مفتوحة على فضاءات شاسعة وكبيرة وأكثر أهمية من الحاجة الأولى، فتتجاوز المناجاة صورة

الشكوى الفردية وعرض الشأن الشخصي، إلى أن تحمل مسؤولية جماعية، هي جزء من ثقافة، أو جزء من مسؤولية كبرى تتعلق بالإسلام، وكيف يدافع الإنسان المؤمن عن ثقافته، ويوسع من مجال انتشار هذه الثقافة، وكيف يسعى إلى تعريف العالم بها، وأن يسعى إلى تصدير قيمها ونشرها، والتأثير في الآخر المختلف وتصحيح تصورات المضطربة فيما يتعلق بالحياة، وهو ما يجعل من المناجاة في النهاية نصاً ثقافياً بامتياز، يفتح على الخارج والمتحول بنفس المقدار الذي يكون صوب الداخل وترسيخ قيمه وثوابته.

حاول البحث تقديم مقارنته على وفق المحطات الآتية: الجوشن الصغير: انفتاح السياق الثقافي، أنساق النص المعرفية، امتدادات النص وتمثلاته في الحياة.

الجوشن الصغير: انفتاح السياق الثقافي.

من المعروف أن الوارد عن أهل البيت عليه السلام دعاءان عرفا بالجوشن؛ الدعاء الأول هو: (الجوشن الكبير) المروي عن الإمام السجاد عليه السلام، والدعاء الثاني هو هذا (الجوشن الصغير)^١ المروي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

والجوشن - كما تحدده كتب المعاجم^٢ - درعٌ حديديّ يرتديه المحارب، ليتقي به طعنات السيوف والرماح يتحمّله على الرغم من ثقله، فهو من عدة الحرب الضرورية، ومن الواضح ارتباط هذا المعنى بما يؤديه الدعاء والمناجاة من دور في وقاية الداعي من المخاطر والبلاءات الدنيوية والأخروية المختلفة، ذلك أنه بمثابة الدرع الحصينة، والملاذ الآمن، فالحراسة بعين الله والحياض حياضه.

لقد عاش الإمام الكاظم (عليه السلام) في سنوات امتازت بالتشدد والتضييق على نشاط الإمام (عليه السلام) وعلى العلويين بشكل عام ، فقد عاصر سلام الله عليه عشر سنوات من حكم المنصور ثم تلاه مثلها تقريباً أو أكثر بقليل من حكم المهدي الذي استاء من نشاط الإمام وأوجس منه خيفة ومن ثم ولده الهادي الذي عدَّ الإمام (عليه السلام) المسؤول عن ثورة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأصحابه المعروفة بوقعة فخ، وكان يقول: والله ما خرج الحسين إلا عن أمره، أي بأمر الإمام الكاظم، ولا اتَّبَعَ إلا محبته لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت قتلني الله إن أبقيت عليه، فسارع علي بن يقطين إلى إخبار الإمام الكاظم (عليه السلام) بذلك، فجمع الإمام شيعته وأهل بيته وأطلعهم على ما ورد في خبر علي بن يقطين، وقال: ما تشيرون؟ قالوا: نشير عليك ونحن معك أن تباعد شخصك عن هذا الجبار، وتغيَّب شخصك دونه. فتبسم الإمام (عليه السلام) وتمثل بيت كعب بن مالك:

زعمت سخيَّة أن ستغلب ربها فليُغلبَنَّ مغالب الغلاب

وأقبل نحو القبلة، ودعا بدعاء الجوشن الصغير، ثم قال: قد مات في يومه هذا والله ((إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون))، قال الراوي: ثم قمنا إلى الصلاة وتفرَّق القوم، فما اجتمعوا إلا لقراءة الكتاب الوارد بموت الهادي والبيعة للرشييد.^٣

وامتدَّت سياسة التضييق بعد ذلك مع حكم الرشييد، فمارس الإمام الكاظم (عليه السلام) دوره الفكري والعقدي بسرية تامة، بعيداً عن رقابة السلطات الحاكمة وقمعها، وتوارى عن أنظار السلطة والناس معاً، وعلى الرغم من هذا كله ، فقد كان (عليه السلام) قريباً جداً من مواليه، يضيء بكلماته وهديه سبل التعامل مع الوقائع والسلطات، من ذلك قوله (عليه السلام) موصياً أصحابه: ((إياكم وأبواب السلطان وحواشيها، وأبعدكم من الله تعالى من أثر

سلطاناً على الله تعالى، ومن أثر سلطاناً على الله تعالى جعل الله في قلبه الإثم ظاهره وباطنه، وأذهب عنه الورع، وجعله حيران^٤. وكان الرشيد يدرك مدى تأثير الإمام ومكانته العلمية بين الناس مما دفعه في نهاية الأمر إلى سجنه لسنوات ومن ثم قتله في سجن السندي بن شاهك.

وعلى الرغم من خصوصية ملامح هذا السياق الثقافي الذي نقلته لنا الرواية التاريخية، والحافّ بنصّ (الجوشن الصغير) إلا أن دواعي نشوئه ومناسبة تلاوته ممكنة التحقق، ويمكن أن تتكرّر مع سلسلة الداعين المستمرة والمتجددة، فما تعرض له الإمام عليه السلام من تهديد لحياته ووجوده يمكن في بعض وجوهه أن يتعرّض له أيّ إنسان آخر وفي أي زمان آخر، ولذلك تقتضي قراءة الدعاء أن يفيد الداعي من معطيات التاريخ أو السياق التاريخي الذي أنتج النص في تحقيق الانغمار في المعاني التي تجسّد الالتجاء إلى الله، وهو فعل عابر للأزمنة وعابر للأمكنة ولا يرتبط بحدث أو موقف معين، فتباعد الزمان والمكان ما بين سياق تشكّل النصّ وسياقات تلقيه لا يعني الانفصال التام؛ لأن النصّ يؤكد على قضايا وقيم جوهرية عابرة للأزمنة والأمكنة مما يجعل من إمكانية التفاعل بين الداعي وبين الأدعية والمناجيات بشكل عام ممكنة ومستمرة دوماً، وهنا يتهاهى التلقي لنصّ المناجاة بوصفه وارداً عن الإمام الكاظم عليه السلام، بإعادة إنتاجه من قبل الداعي وهو يتلوه ويعيد إنتاجه في سياق يتماثل في بعض ملامحه أو أغلبها مع سياق التشكّل الأول. ويخلق استحضار هذا المعنى مساحة واسعة للمتلقي / الداعي في أن يستشعر وجود هذا التماثل النسبي، وأن هناك لغةً مشتركةً ترتكز إلى ثقافة مشتركة، ويكون حينذاك للخصوصية معنى آخر يتشكّل من مديات التعلّق بالله، ومديات إدراك جوهر الدلالات التي يتضمّن نصّ المناجاة، ويمكن لكل قراءة أن تحقّق كتابة جديدة لها، وهذا النصّ الجديد سيكون قريباً من

الأصل أو بعيداً عنه بمقدار توجه الداعي (الكاتب الجديد لنص المناجاة) إلى الله ﷻ، وبمقدار فهمه ووعيه بمضامين النص.

تشتغل المناجاة على البعد الوجداني بقدر اشتغالها على البعد العقلي فهي تمنح معرفة إلى جانب حرصها على إثارة الحالات الانفعالية التي تقود الداعي إلى الانتقال صوب عوالم ملكوتية يتحقق فيها الانجذاب والتوجه الحقيقي إلى الله تبارك وتعالى: ((إِلَهِي وَكَمْ مِنْ ظَنٍّ حَسَنٍ حَقَّقْتُ، وَمِنْ كَسْرِ إِمْلَاقٍ جَبَرْتُ، وَمِنْ مَسْكَنَةٍ فَادِحَةٍ حَوَّلْتُ، وَمِنْ صَرَعَةٍ مُهْلِكَةٍ نَعَشْتُ، وَمِنْ مَشَقَّةٍ أَرَحْتُ، لَا تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، وَلَا يَنْقُصُكَ مَا أَنْفَقْتُ، وَلَقَدْ سُئِلْتُ فَأَعْطَيْتُ، وَلَمْ تُسْأَلْ فَأَبْتَدَأْتُ، وَاسْتُمِيعَ بَابُ فَضْلِكَ فَمَا أَكْذَيْتُ، أَبَيْتُ إِلَّا إِنْعَاماً وَامْتِنَاناً، وَإِلَّا تَطَوَّلَ يَا رَبِّ وَإِحْسَاناً))^٥ إن هذه المعارف وهذا الانفعال الذي حققته المناجاة سينتقل إلى دائرة

الفعل والسلوك، ولعل من تجليات ذلك ما رواه العلامة المجلسي من فضائل جمّة، كبيرة وعظيمة، لهذا الدعاء^٦. ومن هنا نجد أن مضامين المناجاة لا ترتفع بزمان ومكان محددين على الرغم من أنها نتاج سياق معين، وأن المضامين والقيم والمعارف التي تتضمنها ترتبط بالنفس المؤمنة، وتفتح على الأزمنة؛ لأنها تقدم معارف خالصة ومفاهيم مجردة، بوصفها جزءاً من ثقافة إسلامية ومنهجاً للسلوك في الحياة، وتندرج ضمن النسق القيمي الذي تتنظم فيه مجموعه القيم الإسلامية.

أنساق النص المعرفية

يمكن الحديث عن الحمولة الثقافية الهائلة لنص المناجاة من باب أنها لا تعد غريبة أو بعيدة عن النسيج الثقافي الذي ينتمي إليه الإنسان المؤمن، فهي تجسد روابط اليقين والإيمان والطاعة والحب لله تبارك وتعالى، وهي الوسيلة التي ينقل بها وعبرها الداعي أفكاره وقيمه وحاجاته ويصف فيها

حاله، ومن ثم تجسد ثقافته بعيداً عن عوالم المادة وتشعباتها. ومن المحال أن نجد نصاً بشرياً يتحدث عن ثقافة مديدة كهذه النصوص، وهي فضلاً عن ذلك تؤدي دوراً في اكتساب المعرفة الصائبة اليقينية، وتجنب الإنسان من الوقوع في الأخطاء في الفهم والسلوك على حد سواء. وتندرج بعض المعارف في هذه المناجاة ضمن منظومة المعارف الإسلامية الكثيرة التي بثها الإمام الكاظم (عليه السلام) في أقواله ووصاياه وأدعيته ومواقفه مع شيعة، ومن ذلك ما روي عنه قوله: ((إن الله خلق قلوب المؤمنين مطويةً مبهمة على الإيمان، فإذا أراد استنارة ما فيها نصّحها بالحكمة وزرعها بالعلم، وزرعها والقيّم عليها رب العالمين)).^٧

وبقدر ما تمنح المناجاة لقارئها من معارف وفيوضات روحية فإنها تتطلب منه عدة مقدمات، يمكن أن تحدد على شكل أسئلة من مثل: هل يستطيع الإنسان أن يحدد المسافة بينه وبين المناجاة، بين التوجه الذاتي لديه وبين الإقبال على الله؟ هل إن مرّد هذا الأمر إلى طبيعة المناجاة نفسها، أم إلى طبيعة المعاناة التي يشعر بها الإنسان بالحاجة إلى الله تبارك وتعالى؟ هل يستطيع إدراك المسافة التي تفصل بينه وبين التوجه القلبي؟ وهل يكون الإنسان أكثر قرباً من الله تبارك وتعالى عندما يناجيه؟ هل سبب هذا القرب التوجه القلبي فقط، بمعنى أن ألفاظ المناجاة نفسها ليس لها دور في ذلك؟. هذه أسئلة يمكن أن تكشف عن دور العلاقات الفعلية المباشرة وغير المباشرة التي تربط بين حاجة الإنسان وتوجهه من جهة، وبين ألفاظ المناجاة ومضامينها من جهة أخرى.

يتضمن (الجوشن الصغير) معارف كثيرة، تهدف إلى تنظيم حياة الإنسان وإثرائها، ومن المؤكد أن استيعاب هذه المعارف له انعكاسه على سلوك المؤمن، وتجليه في أدق تفاصيله في الملبس والمأكل وغيرها من الممارسات الحياتية

الاعتيادية. ولذلك نجد أن للدعاء حضوراً مركزياً كبيراً في الثقافة الإسلامية، وعُدَّ من أهم الفعاليات العبادية التي استعان بها الأنبياء والأئمة عليهم السلام في تقوية النفوس معرفياً وروحياً، وتوطيد المشاعر على الثبات في العلاقة مع الله تبارك وتعالى، والتمسك بالهداية القيومية في القول والعمل.

من جانب آخر، قد تشكل الثقافة التي يجسدها نص المناجاة بمضامينه وقيمه الإنسانية والإسلامية الكبيرة اختلافاً مع ثقافات أخرى لها أصولها ومرجعياتها وأنساقها المختلفة، غير أن هذه العقبات الثقافية لا يمكن أن تصمد أزاء انفتاح فضاء المناجاة وقيمتها على مشتركات إنسانية مختلفة، ومن شأن هذا الانفتاح أن يذلل هذه الصعوبات ويزيلها ويمنح فرصة جديدة لفضاء التشارك أن يمتد إلى مديات أوسع، ذلك أن المناجاة كما مرّ بنا ليست طلباً محضاً يجسد واقع الداعي ويستهدف طلب الحاجة من الله فحسب، بل هي إعادة صياغة لثقافة الداعي وترسيخ لقيمه التي يؤمن بها، ولذلك فهناك ما يمكن أن نسميه بالأنساق المتوارية خلف سياق الطلب الظاهر في النص؛ هناك قيم حقيقية تتعلق بمنهج الداعي وثقافته، وهي التي يعول عليها في تأسيس تراكم ثقافي يشكّل منهجاً مميزاً، ونسقاً إسلامياً له خصوصيته وتأثيره. وبمقدار ما تخلق المناجاة فضاءً واسعاً وتشاركياً فإنها تسهم أيضاً في تشكيل فضاء داخلي خاص، وهو ما يجسد حاجة الإنسان إلى هذا الفضاء كحاجته إلى الفضاء الأول، ففي هذه اللحظة التي يعيش فيها الإنسان في فضاءه الداخلي يلتقي بذاته ويحاورها ويفهمها ويقرب منها بطريقة تضمن له صفاء الوعي ووضوحه، والانعزال عن ضغوطات الحياة العامة وعن الآخرين، والاختلاء بالله تبارك وتعالى ومناجاته، وبذلك يسهم هذا الفضاء الداخلي بشكل فاعل وكبير في تربية الإنسان الروحية.

لعل من أكبر أنساق المعرفة التي يتضمنها (الجوشن الصغير) نسقي التوحيد والعبودية، ولا نجد تمثيلاً مستوعباً لهما أجلى مما ورد في هذا المقطع من المناجاة:

((اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامُ عَبْدٍ ذَلِيلٍ، اعْتَرَفَ لَكَ بِالتَّوْحِيدِ، وَأَقَرَّ عَلَى نَفْسِهِ بِالتَّقْصِيرِ فِي آدَاءِ حَقِّكَ، وَشَهِدَ لَكَ بِسُبُوحِ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِ، وَجَمِيلِ عَادَتِكَ عِنْدَهُ، وَإِحْسَانِكَ إِلَيْهِ، فَهَبْ لِي يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي مِنْ فَضْلِكَ مَا أُرِيدُهُ إِلَى رَحْمَتِكَ، وَأَتَّخِذْهُ سُلْماً أَعْرِجُ فِيهِ إِلَى مَرْضَاتِكَ، وَأَمْنُ بِهِ مِنْ سَخَطِكَ، بِعِزَّتِكَ وَطَوْلِكَ وَبِحَقِّ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ))^٨

لا يمكن فصل التوحيد عن وجود الإنسان، عن عقله وفهمه وتفكيره، فهو يتغلغل بشكل كبير وبدرجة عميقة في تفاصيل وجوده كلها، وتفاصيل حياته الدنيوية والأخروية، ويتجلى التوحيد بشكل متقن ورفيع في هذه التفاصيل حتى أن الإنسان - سواء وعى هذا الأمر أم لم يعه - يجسد التوحيد في كل دقائق حياته تجسداً حياً وواقعياً، ولباب مستوى هذا التجسيد يكمن في وضوح النعم التي أغدقها الرحمن عليه، فكل نعمة تؤول إلى نموذج أعلى يمثل التوحيد.

ويمكن القول إن للتوحيد ثلاث حلقات هي: (توحيد السيادة والسلطان لله في الكون)، ونفي أي سلطان وسيادة لغير الله تعالى في الكون، في عرض سلطان الله، و(توحيد الولاية والسيادة التشريعية لله تعالى على حياة الإنسان)، بدليل ولايته تعالى وسيادته التكوينية على الكون، فإن الذي يحكم الكون كله، بما في ذلك الإنسان، يحكم لا محالة حياة الإنسان، وحركته ونظام حياته وعلاقاته، أي المساحة الشريعية من حياته، ومن ثم (توحيد الطاعة من الإنسان لله)، فلا طاعة لغير الله على الإنسان، وليس في هذا الكون من يستحق ذلك سواء إلا أن يكون لأمر منه سبحانه.^٩

وفي بعد نفسي عميق تشكّل المناجاة انفتاحاً للنفس على خالقها بشفافية كبيرة وبخصوصيه نقية وفريدة لا تتحقق إلا في هذا النوع من التواصل (المناجاة والدعاء)؛ فيها يتجلى استشعار العبودية المطلقة لله تعالى والتسليم والرضا لإرادته، واستمداد العون والحول منه، على خلاف ما أنتجته ثقافة الآخر المادية من إنسان مدجّن، عبر فتح فضاءات افتراضية متعددة له، وأوهمته بوجود مطمئن فيها، الأمر الذي التفتت إليه بعض الأقلام في الفلسفات المادية المعاصرة مبيّنةً على أن الإنسان اليوم قد أصبح حيواناً للاعتراف؛ لأن كل أنشطته الاجتماعية والحياتية المختلفة خاضعة للمراقبة والتتبّع الدقيق، وتنتج وجوداً بلا خصوصية محترمة. ولا شك أن لهذه الأمور التي تطرحها الفلسفة والرؤية الاجتماعية المعاصرة إسهاماً كبيراً في جعل معظم أنشطة الإنسان مشتتة وفاقدة للوضوح بل وتدفعه نحو التشابه والتكرار، وهو ما يمثل في النهاية شكلاً من أشكال فقدان جوهر التوحيد، ومعناه العميق في الفكر والسلوك.

وفيد النص من الوفرة في إمكانات تشكيل الضعف الإنساني، وانعدام الحول والقوة، فيقدم تمثيلاً بالغ الدقة والتفصيل لهذا الحال:

((إِلَهِي، كَمْ مِنْ عَدُوٍّ انْتَضَى عَلَيَّ سَيْفَ عَدَاوَتِهِ، وَشَحَذَ لِي ظُبَّةَ مَدْيَتِهِ، وَأَرْهَفَ لِي شَبَا حَدِّهِ، وَدَافَ لِي قَوَاتِلَ سُؤْمُوهِ، وَسَدَّدَ إِلَيَّ صَوَائِبَ سِهَامِهِ، وَلَمْ تَنْمِ عَنِّي حِرَاسَتِهِ، وَأَضْمَرَ أَنْ يَسُومَنِي الْمَكْرُوهُ، وَيُجَرِّعَنِي ذُعَافَ مَرَارَتِهِ، فَظَنَرْتُ إِلَى ضَعْفِي عَنْ أَحْتِمَالِ الْقَوَادِحِ، وَعَجَزِي عَنِ الْاِتِّصَارِ بِمَنْ قَصَدَنِي بِمُحَارَبَتِهِ، وَوَحَدَتِي فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ نَاوَأَنِي، وَأَرَصَدَ لِي فِيمَا لَمْ أَعْمَلْ فِكْرِي فِي الْإِرْصَادِ لَهُمْ بِمِثْلِهِ، فَأَيَّدَتْنِي بِقُوَّتِكَ، وَشَدَدَتْ أَرْزِي بِنُصْرَتِكَ، وَفَلَّلَتْ لِي حَدَّهُ، وَخَذَلَتْهُ بَعْدَ جَمْعِ عَدِيدِهِ وَحَشْدِهِ، وَأَعْلَيْتَ كَعْبِي عَلَيْهِ، وَوَجَّهْتَ مَا سَدَّدَ إِلَيَّ مِنْ مَكَائِدِهِ إِلَيْهِ، وَرَدَدْتُهُ عَلَيْهِ))^{١١}

إنَّ هذا الوعي بضعف النفس المشفوع بالخوف من التعرض لسخط الله يحقق ارتكازاً لحياة العقل النظري عند العبد على (المعرفة الصائبة) بحقائق النفس والوجود، بينما تركز حياة العقل العملي على (المحبة الصادقة) لله سبحانه وتعالى، وتجلي هذه المحبة في سلوك العبد وعلاقته بالله تعالى وبالأخرة في مختلف أشكاله وحالاته، وبذا تصبح روح المؤمن السالك المزكاة، التي يجتمع في وحدتها كل القوى المتحققة عن طريق المعرفة والمحبة قريبةً من أن تنال الحياة السعيدة، عبر نيلها للحياتين المذكورتين في أعلاه، فهما بمثابة جناحي حمامة جنة الملكوت بتعبير أحد العلماء العارفين.^{١٤} وهكذا، فحضور المناجي حضوراً ناقصاً، فهو الفازع والهالع والطامع والضارع ولا يشكّل له ذلك حضوراً حقيقياً، فسرعان ما يغيب وجوده أمام وجود الله تعالى في كل مكان، المطلق الذي لا يُدرك ولا يُحدّد، ولا يمكن لعقول عاجزة أن تحيط به تعالى، وهي أعجز ما تكون أمام إدراك صفة دابة ضعيفة من دوابّ الأرض أو معرفة حقائق أجرام هائلة في كون متسع، فكيف والحال هذه يمكن لها أن تقترب من إدراك كنه الذات الإلهية المقدسة.

ومن تجلّيات المعطى المعرفي للمناجاة أنها دليلٌ تشغيلٍ عملي لسلوكيات وقيم وأخلاقيات في مختلف مناحي الحياة، تمنحه المعرفة التي موجبات اكتمالها أن تتحقق على ساحة الفعل. ومن هنا كان التحميد لله تعالى مظهراً من مظاهر العبادة، له حضور مركزي في ثقافة المؤمن وسلوكه، ويمثل برنامجاً سلوكياً يرتبط بالأفعال قبل الأقوال. فضلاً عن وقوع نص (الجوشن الصغير) ضمن مرويّات كثيرة، تشترك جميعها في تحديد معالم هوية الجماعة الصالحة المؤمنة، وملامحها الخاصة في عالم يسعى إلى تذويب الثقافات المختلفة في ثقافة واحدة، وتفتيت الهويّات المتعدّدة وصهرها في

هوية هجينة واحدة، غير متجانسة. فركيزة هذه الهوية الانتفاء العميق لأهل البيت عليه السلام والولاء لهم سياسياً وفكرياً وسلوكياً، وتحمل مسؤولية هذا الانتفاء وآلامه ومصاعبه الكثيرة، ولهذا البعد في الهوية أهمية خاصة في منح الشخصية المؤمنة القدرة على التكيف مع المجتمع الإنساني بكل شرائحه المختلفة والتعايش معه، والقدرة على مقاومة العزلة والحصار والتضييق التي تفرضها الظروف السياسية والاجتماعية والنفسية.^{١٥}

وتوفر هيمنة خطاب الحمد في المناجاة للداعي قوة ولذة روحية خاصة، تحفزه على الحياة وتملؤها بالإقبال عليها والتوسع في آفاقها، وإنعاشها بفكرة أن الحياة تستحق أن تعاش كما يريد الله تبارك وتعالى للإنسان مزرعة للأخرة:

((مَوْلَايَ بِكَ اسْتَعَنْتَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَعْنِي، وَبِكَ اسْتَجَرْتُ فَأَجِرْنِي، وَأَعْنِنِي بِطَاعَتِكَ عَنْ طَاعَةِ عِبَادِكَ، وَبِمَسْأَلَتِكَ عَنْ مَسْأَلَةِ خَلْقِكَ، وَانْقُلْنِي مِنْ ذُلِّ الْفَقْرِ إِلَى عِزِّ الْغِنَى، وَمِنْ ذُلِّ الْمَعَاصِي إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ، فَقَدْ فَضَّلْتَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ جُوداً مِنْكَ وَكَرَمًا، لَا بِاسْتِحْقَاقٍ مِنِّي. إِلَهِي فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ))^{١٦}

هنا يؤكد النص على أن تعدد النعم وسعة فيوضاتها، ليس نتيجة استحقاق من العبد، بل هو تفضل وجود وكرم من الله جلت آلاؤه، ولهذا كانت هذه العبارة: ((فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أُنَاةٍ لَا يَعْجَلُ))^{١٧} ختام كل إقرار بنعمة، وكأن موضعه في بناء مقاطع المناجاة، يماثل ما يجب أن تكون عليه خواتيم أعمال المؤمن في أبعاد حياته المختلفة، وأحواله المتعددة، المتغيرة، فهي الثابتة في المتغيرات، وهي بمثابة الشعار الذي يرفع، ويترجم في السلوك كل حين.

وفي الواقع إن جوهر (الحمد) هو المفتاح للمعارف الاعتقادية، وهو الأساس القوي للنظرة إلى الكون والحياة نظرة عميقة وواعية من خلال التوحيد الخالص والصافي. ولا يستطيع أحد أن يحمّد الله بصدق ووعي من دون أن يملك هذه النظرة، فكلمة الحمد كبيرة جداً بحجم هذا الكون، بل هي أكبر من الكون ومن الإنسان، إنها بحجم الفيوضات الإلهية على كل الموجودات والمخلوقات، وبحجم العقيدة التوحيدية، بل بحجم كل الصفات الإلهية الجلالية منها أو الجمالية. والحمد هو البداية التي تفتح بالفيوضات الإلهية لأصل الخلق والوجود وكل النعم في الحياة الدنيا، وتستمر هذه الألفاظ إلى الآخرة أيضاً التي هي الحياة الحقيقية.^{١٨}

ويطرح (الجوشن الصغير) هنا فهماً استثنائياً لكيفية محاربة العدو ودفعه، عبر خطاب الحمد الذي يكرّسه؛ فهو يسعى إلى تغيير تصور الإنسان عن العدو الذي يهدّد وجوده ويقلقه، ويحاول أن يستنبت في داخله وفي فهمه صورة جديدة للتعامل مع هذا العدو، وهو أن يكون السلاح بحمد النعم، عبر استشعار وجود المنعم وألطفه سبحانه، فيكفي في إعداد التدابير لمحاربة العدو ومجاوبته استحضر قوة المنعم وحوله ورحمته في تدبيره، وفي الوقت نفسه الوقوف على حقيقة قلة حيلة الإنسان واستشعار ضعف قوته، فالعدو متعدّد في مصاديقه، وأشدّه على الإنسان (النفس)، التي يقول عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) ((لَا عَدُوَّ أَعْدَى عَلَى الْمَرْءِ مِنْ نَفْسِهِ))^{١٩}، ثم الشيطان، والجهل والظالم المتربّص، وكل واحد من هؤلاء يضمّر المكائد والشرور، ويحيك خططاً ويحتال ويمكر بطريقه تفضح عجز الإنسان وخواء قدرته أمام هذه الأنواع من الشرور، ولهذا ليست هناك طريقة لمجابهة العدو أنجح من استشعار وجود الله وقوته، وتجسيد ذلك بشكل عملي؛ بحيث يكون تفكير الإنسان وسلوكه مجسّداً

لشعار يرفعه مفاده (لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم)، ويحمد
النعم التي مَنَّ الله تعالى بها عليه.

امتدادات المناجاة وتمثلاتها في الحياة

صار من الواضح محورية الدعاء في حياة الإنسان المؤمن، بما يؤديه من
وظيفة ثقافية ومعرفية وأخلاقية تنعكس على الإنسان المؤمن في بعدين
الأول: في علاقته مع الله تبارك وتعالى والثاني في علاقته مع الوجود بأسره،
فسلوكه متعلق بوعيه وفهمه لمحيطه، وكيفيه التعاطي معه واتخاذ المواقف
إزاء المشكلات الإنسانية المختلفة، وقد حثَّ الإمام عليه السلام أصحابه على أن
يكون لهم دورٌ وحضورٌ فاعلٌ في الحياة، من ذلك قوله لهشام بن الحكم: ((يا
هشام: إنَّ المسيح عليه السلام قال للحواريين: يا عبيد السوء يهولكم طول النخلة،
وتذكرون شوكها ومؤونة مراقبيها، وتنسون طيب ثمرها ومرافقها، كذلك
تذكرون مؤونة عمل الآخرة، فيطول عليكم أمدّه، وتنسون ما تفضون إليه
من نعيمها ونورها وثمرها. يا عبيد السوء نقّوا القمح وطيّبوه، وأدقّوا طحنه
تجدوا طعمه ويهتكم أكله، كذلك فأخلصوا الإيمان وأكملوه، تجدوا حلاوته
وينفعكم غبه.))^{٢٠}، ومن هنا كانت المناجاة وسيطاً وفضاءً يتحقّق فيه ومن
خلاله البعد الروحي والمنهج التربوي والتعليمي والمعرفي الحياتي، هي لا
يشبع العواطف والانفعالات، ولا تلبي حاجة الإنسان في الفزع والتوجه
إلى الله تبارك وتعالى فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى الارتباط بحياته وسلوكه
وعلاقته مع الآخرين، وتعاطيه مع الأحداث والوقائع في محيطه:

((نَادَيْتُكَ يَا رَبَّ مُسْتَحِيرًا بِكَ، وَاثِقًا بِسُرْعَةِ إِجَابَتِكَ، مُتَوَكِّلًا عَلَى مَا لَمْ
أَزَلْ أَتَعَرَّفُهُ مِنْ حُسْنِ دِفَاعِكَ، عَالِمًا أَنَّهُ لَا يُضْطَهَدُ مَنْ أَوَى إِلَى ظِلِّ كَنْفِكَ،
وَلَنْ تَقْرَعَ الْحَوَادِثُ مَنْ لَجَأَ إِلَى مَعْقِلِ الْإِنْتِصَارِ بِكَ، فَحَصَّصْتَنِي مِنْ بَأْسِهِ
بِقُدْرَتِكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبَّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أُنَاةٍ لَا يَعْجَلُ))^{٢١}

لم تقدّم مناجاة (الجوشن الصغير) خطابات جامدة لتوجّه المؤمن لله سبحانه وتعالى، بل سعت إلى أن تجعل من المناجاة نصّاً مفتوحاً يحقق المغزى الإلهي، ويؤسس في الداعي أخلاقيات الحديث مع الله جل وعلا، وآداب التوجه إليه، ومن جانب آخر بسطت له كيفية التعاطي مع عبادة المناجاة والتفاعل مع ما يرد فيها من مضامين، ومن هنا كان انفتاح النص يتجسد في مديات هذا التفاعل، فكلما كان التفاعل كبيراً كلما كان النص مؤثراً في النفوس ونافعاً للقلوب، وهي تشرع بأبسط الأعمال الحياتية، وكذلك حينما تحوض في أقسى المواقف وأشدّها تعقيداً.

ولعل ما يجعل من حضور هذا الفهم وتمثله ضرورة في حياة الإنسان الراهن، هو ما تقوم به التقانة الحديثة في الراهن الثقافي والحياتي بشتى أنواعها وأدواتها من تأثير في علاقات الإنسان بمحيطه وثقافته، فهي تؤثر فيه تأثيراً بالغاً وتحيط به أينما توجّه، وصارت قوة مهيمنة لها تأثيرها في تشكل القيم وفي تنظيم الوعي وتوجيهه، فضلاً عن توجيه الأفعال والأفكار وإعادة تنظيم المقاصد المجتمعية وتوجيهها. وبهذا صارت التقانة موجهاً كبيراً وجزءاً لا يتجزأ من الثقافة، ومفردة حياتية مهمة وضرورية يستعملها الإنسان يومياً في تفاصيل حياته.

ويبدو لي أن ذلك يندرج بشكل مباشر أو غير مباشر في سعي عالم اليوم إلى شغل الفراغ الذي يشعر به الإنسان المعاصر، فهو لا يعترف بأن إنسان اليوم شقيّ من دون إله، ويحاول أن يشغل هذا الفراغ بهذه التقانات، وخلق فضاءات افتراضية له، موهماً إياه بأن هذا الفضاء سيحقق له انسجاماً مع عالمه، وسكينة في خضم الوجود، وطمأنينة روحية لا محدودة. وقد أدى ذلك إلى نتيجة نكوصية؛ فمحاولة إضفاء المعنى على الوجود بعيداً عن الدين ورؤيته جاء بنتائج سلبية على العالم، الذي امتلأ بالشرور

والاستغلال والظلم، ولم تعد هناك حياة آمنة في البقاع التي تشكلت فيها هذه الثقافات، والأخرى التي سَوَّقت إليها.

من جانب آخر، أدرك إنسان اليوم المخاطر والكوارث التي أنتجتها هذه التقنيات، وكيف أنها خلَّفت آثاراً سلبية في المجتمعات ككل، وولدت أزمات ومخاطر وكوارث كثيرة على البيئة الاجتماعية، وصار الحديث من بعضهم عن أنهم لا يملكون الآليات المؤسَّساتية المناسبة في العالم، التي يمكن عن طريقها مراقبة هذه المخاطر واتخاذ القرارات المناسبة حيالها. وقد أدى اكتشاف إخفاق هذه الوسائل في تحقيق تواصل حقيقي وتذويب هموم الإنسان وأزماته النفسية، إلى تأثير ارتدادي أدركت فيه مجتمعاتهم أنهم يعيشون واقعاً متناقضاً تكون فيه حلقات الوصل أو قنوات التواصل مساحة للافتراق لا مساحة للالتقاء والتكافؤ، وأن الأزمات العالمية التي مرت بها البلدان المختلفة على أرض المعمورة مثلت صدمة حقيقية لمسلماتٍ وركائز كان يحسب الإنسان المعاصر أنها قوية وثابتة، وأنها كفيلة بضمان حياة مرفهة ومستقرة ومطمئنة له. إلا أنها كشفت عن أنه يعيش هزيمة حقيقية في هذا الجانب. وفي قبالة ذلك نقرأ في المناجاة طمأنينة غامرة، تنعش قلب الداعي وروحه على الرغم من أن المكارِه تحيط به، وتضيق عليه قبضة الظالم الخناق:

((إِلَهِی وَكَم مِّنْ عَبْدٍ أُمِّسِ وَأَصْبَحَ خَائِفاً مَّرْعُوباً، مُشْفِقاً وَجِلًّا، هَارِباً طَرِيداً، مُنْجَحِراً فِي مَضِیقٍ، وَخَبَاءَةٍ مِنَ الْمَخَابِئِ، قَدْ ضَاقتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا، لَا يَجِدُ حِيلَةً، وَلَا مَنَاجِيَّ وَلَا مَأْوَى، وَأَنَا فِي أَمْنٍ وَطَمَئِنَّةٍ وَعَافِيَةٍ مِّنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِّنْ مُّقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أُنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَتِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.))^{٢٢}



إن الشعور بالحاجة إلى الله تبارك وتعالى واستشعار انعدام الحول والقوة لدى الإنسان يدفعه إلى اليقين بجمال هذه الحاجة، وسينجم عنها سعادة خاصة تتعلق بجمال هذه الحاجة، فهي لا تجعل من الإنسان وضعياً أو موضع شفقة، بل هي كبيرة لأنها تجعل الإنسان المؤمن يكبر، ولو لم تكن هناك حاجة لما كان هناك إقبال وتوجه، ولو لم يكن هناك إيمان واستيعاب لـ (لا حول ولا قوة إلا بالله) لما حصل بالنتيجة إقبال على صاحب الحول والقوة جلّ وعلا، ولذلك كان الإقبال على المناجاة يمثل جوهر حاجة الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى، فهي أقوى سبب يمكن أن تدفع الإنسان إلى التعلق بالخالق، والإفادة من دروس الأدعية والمناجيات. ويؤكد الإلحاح في المناجاة على استشعار العبودية والنقص ويحسد وعياً بطبيعة النفس الإنسانية، ويكون الهدف من ذلك كله هو تصفيته من الداخل لكي تتحرك بشكل ناجع ومؤثر مع الخارج، فكان عمل الإمام الكاظم عليه السلام في هذه المناجاة كما في سيرته وما روي عنه؛ يسعى إلى ممارسة هذه التربية للمؤمنين لكي يجعل من الإنسان بعيداً عن الصراع النفسي ومقتدياً بالأنموذج والقدوة، ويستطيع أن يؤدي دوره الفاعل في بناء مجتمع مليء بالتناقضات الاجتماعية، ويحصن نفسه.^{٢٣}

في ضوء ذلك، تتأكد أهمية خاصة، مضاعفة وجديدة، لنصوص المناجاة الواردة عن أهل البيت عليه السلام وعن هذا النص الخاص بالإمام الكاظم عليه السلام على نحو أخص، في الحياة الراهنة، يمكن للمؤمن فيها أن يتخذها سلاحاً أمام تحديات كبيرة وكثيرة، لها تبعات أخلاقية سلبية مختلفة ولها معطيات تهدد خصوصيته وهويته. فكلما ضاقت الحياة في الإنسان أتاحت له المناجاة فضاءً حرّاً ومتسعاً، فخطابها يصنع الرضا والطمأنينة والسكينة على خلاف ما سعت إليه التكنولوجيا الحديثة في تعدّد التواصل بين أفراد المجتمع وخلق

فضاءات مشتركة كبيرة، يشترك فيها الجميع بتبادل الأفكار والحوار، في محاولة تشبيك المختلفين بحالة شعورية متقاربة، وجعلته يشعر بأنه مركز العالم، فهو يقضي وقتاً طويلاً جداً في العناية بنفسه والنظر إليها والسعي إلى جعلها مركزاً لكل الأنشطة، فعلى العكس مما يرتجى من هذه الوسائل المختلفة فإنها تسببت في خلق حالة من الوهن النفسي، نتيجة أنها تقدم تفسيرات مختلفة لأحداث حياتية مختلفة كابد فيها الإنسان عدم اليقين وعدم الشعور بالرضا، ومن ثم كانت سبباً لانكفاء الناس إلى عزلة واقعية، بعد أن عاشوها على شكل عزلة مقنعة.

إن ما فعلته التكنولوجيا الحديثة في اختصار وسائل التواصل عبر التقنيات الحديثة لها، وتحييد عنصري المكان والزمان لجعل منظومة الحياة متسارعة، فعله خطاب الدعاء والمناجاة من قبل في ألفة الشعور بالقرب من الخالق تعالى، ومحاورته واستمداد العون منه، فكل ما تتسم به الحياة الحديثة من سعة ظاهرية لفضاءاتها الافتراضية المتعددة تفعله المناجاة على نحو أكبر وعميق وواقعي، فهي موجهة إلى خالق الإنسان، العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور، فحولت مسار عناية الإنسان من انكفائها حول الذات، إلى إقبال على الحياة، وعروج روحي دائم نحو السماء.

الخاتمة

تشير قراءة الأدعية والمناجاة على الدوام سؤالاً عن جدوى إخراجها من إطارها الضيق الذي اعتادت القراءات السريعة أن تضعها فيه، فهي للتمجيد وطلب الحاجة، إلى فضاء واسع يمكن فيه تأمل النص بتأن وتفكر، عبر النظر إليها على أنها نصوص ذات حمولات معرفية وتربوية وروحية وعقدية متعددة، غير مرتبطة بحال من دون آخر، هي مفتحة على الحياة، وهي حوار ممكن دائماً وفي كل الأحوال مع الله سبحانه وتعالى مثلما هي تلاوة القرآن الكريم.

إن فهماً كهذا يمكن أن يكشف عن أبعاد مختلفة وتفاصيل عميقة في نصوص المناجيات والأدعية، ويبقى السؤال منوطاً بالقارئ أو الداعي في مديات إمكانية الكشف عن هذه المعارف واستنطاق النصوص خارج إطارها الضيق ومعناها الظاهري، فلا تكفي القراءة السريعة للنص في تحقيق ذلك، ولا بد من تأمل معانيه ودراستها بشكل متأن، كي لا يخسر الإنسان المؤمن ما في هذه النصوص من كنوز معرفية.

لقد اتضح بعد الفراغ من كتابة هذا البحث أهمية قراءة نصوص الأدعية والمناجيات بوصفها (نصوصاً ثقافية)، عبر الإفادة من طروحات المناهج النقدية الحديثة التي تربط النص بسياقاته الثقافية الخافية به، وتستنتقه، وتكشف عن أنساقه ومضامينه في ضوء هذا السياق.

لم يكن سياق تشكّل نصّ المناجاة منفصلاً عن سياقه التاريخي والروحي الخاص، ولكنه في الوقت نفسه عابر للأزمنة والأمكنة، فتحققه من جديد بتلاوة الداعي له عبارة عن إعادة تشكيل لسياق مماثل لسياقه الأول مع الخصوصية النسبية في ذلك بلاشك، فما أحاط بالإمام الكاظم (عليه السلام) من ظروف سياسية ورقابة وتضييق من قبل



السلطات العباسية أمر خاص به ﷺ، وبزمنه، بوصفه إماماً، وبوصف بني العباس حكومة بطشت بالعلويين. أما الداعي فحينما يواجه ظلماً من سلطة ما، أو من شخص معيّن، فإن السياق سيتماثل نسبياً، وكذلك الحالة الشعورية نوعاً ما أيضاً، فيما لو حقّق الداعي انفعالاً واتصالاً حقيقياً بالحالة الشعورية التي تجسّدها ألفاظ المناجاة ودلالاتها.

لقد أسّس انفتاح نصّ (الجوشن الصغير) على الحياة لطرح استثنائي في طريقة تعامل الإنسان المؤمن مع مشاكل الحياة، والمكاره التي تعترضه في شتى الأبعاد والمواقف، فكان معنى أن يجعل المؤمن من (الحمد) سلاحاً له في درء العدو بكل أشكاله (النفس، الشيطان، الظالم..)، وقد تجاوز مفهوم الحمد معنى الشكر الصرف إلى تضمن (التوحيد)، توحيد الله المنعم وحضوره، وحضور قوّته وحوله إزاء انعدام الحول والقوة لدى الداعي. ولذلك كان هناك اتصال كبير بين نسقي التوحيد والعبودية في نص المناجاة، فليست هناك استقلالية للفرد حتى وإن كانت ظاهرية، فهو مرتبط بمنظومة باللغة الدقّة تضمّ الوجود بأسره، ومن ثم فهي ترتبط بالمنشئ الخالق جلّ وعلا.

ويدفع نصّ المناجاة الإنسان المؤمن إلى أن يكون ذا حضور فاعل في الحياة، عبر توظيف معطيات الأنساق المعرفية التي تضمّنها النص في السلوك والمواقف المختلفة، وقد منحت هذه الأنساق الفرد ملامح خاصة وهوية مميزة، يستطيع من خلالها أن يخوض غمار الحياة بكل ما فيها من مكاره، بخطوة آمنة. وليست مرجعية هذه الأنساق المعرفية فردية بل هي مرجعية جمعية تنتمي إلى الجماعة الصالحة التي حرص الإمام ﷺ على إثراء وجودها، والحفاظ عليها، وإرشادها، على الرغم من أنه كان يعيش ظروفاً استثنائية، قاهرة وقاسية.

ملحق

دعاء الجوشن الصغير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِلَهِي، كَمْ مِنْ عَدُوٍّ انْتَصَى عَلَيَّ سَيْفَ عَدَاوَتِهِ، وَشَحَذَ لِي ظُبَّةَ مَدْيَتِهِ،
وَأَرْهَفَ لِي شَبَابَ حَدِّهِ، وَدَافَ لِي قَوَاتِلَ سُؤْمُوهِ، وَسَدَّدَ إِلَيَّ صَوَائِبَ سِهَامِهِ،
وَلَمْ تَنْمَ عَنِّي عَيْنُ حِرَاسَتِهِ، وَأَضْمَرَ أَنْ يَسُومَنِي الْمَكْرُوهُ، وَيُجِرَّ عَنِّي ذُعَافَ
مَرَارَتِهِ، فَظَنَرْتُ إِلَى ضَعْفِي عَنْ احْتِمَالِ الْفَوَاحِشِ، وَعَجَزِي عَنِ الْإِنْتِصَارِ
مِمَّنْ قَصَدَنِي بِمُحَارَبَتِهِ، وَوَحَدَتِي فِي كَثِيرٍ مِمَّنْ نَاوَأَنِي، وَأَرَصَدَ لِي فِيهَا لَمْ أَعْمَلْ
فِكْرِي فِي الْإِرْصَادِ هُمْ بِمِثْلِهِ، فَأَيَّدَتْنِي بِقُوَّتِكَ، وَشَدَّدْتَ أَزْرِي بِنَصْرَتِكَ،
وَفَلَّلْتَ لِي حَدَّهُ، وَخَذَلْتَهُ بَعْدَ جَمْعِ عَدِيدِهِ وَحَشْدِهِ، وَأَعْلَيْتَ كَعْبِي عَلَيْهِ،
وَوَجَّهْتَ مَا سَدَّدَ إِلَيَّ مِنْ مَكَائِدِهِ إِلَيْهِ، وَرَدَدْتَهُ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَشْفِ غَلِيلَهُ، وَلَمْ
تَبْرُدْ حَزَازَاتُ غَيْظِهِ، وَقَدْ عَصَّ عَلَى أَنَامِلِهِ، وَأَذْبَرَ مُؤَلِّيًّا قَدْ أَخْفَقَتْ سَرَايَاهُ،
فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبَّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَالِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ. إِلَهِي
وَكَمْ مِنْ بَاغٍ بَغَانِي بِمَكَائِدِهِ، وَنَصَبَ لِي أَشْرَاكَ مَصَائِدِهِ، وَوَكَّلَ بِي تَفَقُّدَ
رِعَايَتِهِ، وَأَضْبَأَ إِلَيَّ إِضْبَاءَ السَّعِّ لَطْرِيدَتِهِ، أَنْتَظَارًا لَا تُنْهَازُ فُرْصَتِهِ، وَهُوَ
يُظْهِرُ بِشَاشَةِ الْمَلِكِ، وَيَبْسُطُ وَجْهًا غَيْرَ طَلِقٍ، فَلَمَّا رَأَيْتَ دَغَلَ سَرِيرَتِهِ، وَفُتِحَ
مَا انْطَوَى عَلَيْهِ لِشَرِيكِهِ فِي مِلَّتِهِ، وَأَصْبَحَ مُجْلِبًا لِي فِي بَغِيهِ، أَرْكَسْتَهُ لَأُمِّ
رَأْسِهِ، وَأَتَيْتَ بُيَانَهُ مِنْ أَسَاسِهِ، فَصَرَعْتَهُ فِي زُبَيْتِهِ، وَرَدَيْتَهُ فِي مَهْوَى حُفْرَتِهِ،
وَجَعَلْتَ خَدَّهُ طَبَقًا لِثَرَابِ رِجْلِهِ، وَشَغَلْتَهُ فِي بَدَنِهِ وَرِزْقِهِ، وَرَمَيْتَهُ بِحَجَرِهِ،
وَخَقَنْتَهُ بِوَتَرِهِ، وَذَكَيْتَهُ بِمَشَاقِصِهِ، وَكَبَيْتَهُ لِمُنْخَرِهِ، وَرَدَدْتَ كَيْدَهُ فِي نَحْرِهِ،
وَرَبَقْتَهُ بِنَدَامَتِهِ، وَفَسَّاتَهُ بِحَسَرَتِهِ، فَاسْتَخَذَا وَتَضَاعَلَ بَعْدَ نَخْوَتِهِ، وَأَنْقَمَعَ
بَعْدَ اسْتِطْلَاقِهِ، ذَلِيلًا مَأْسُورًا فِي رَبْقِ حَبَالَتِهِ، الَّتِي كَانَ يُؤْمَلُ أَنْ يَرَانِي فِيهَا



يَوْمَ سَطَوْتِهِ، وَقَدْ كِدْتُ يَا رَبِّ لَوْلَا رَحْمَتُكَ، أَنْ يُحْلِيَ بِي مَا حَلَّ بِسَاحَتِي،
فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَالِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لِأَنَّكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ. إِلَهِي
وَكَمْ مِنْ حَاسِدٍ شَرِقَ بِحَسْرَتِهِ، وَعَدُوٌّ شَجِيَ بِغَيْظِهِ، وَسَلَقَنِي بِحَدِّ لِسَانِهِ،
وَوَخَزَنِي بِمُوقِ عَيْنِهِ، وَجَعَلَنِي غَرَضًا لِرَأْمِهِ، وَقَلَّدَنِي خِلَالًا لَمْ تَزَلْ فِيهِ،
نَادَيْتُكَ يَا رَبِّ مُسْتَجِيرًا بِكَ، وَاثِقًا بِسُرْعَةِ إِجَابَتِكَ، مُتَوَكِّلًا عَلَى مَا لَمْ أَزَلْ
أَتَعَرَّفُهُ مِنْ حُسْنِ دِفَاعِكَ، عَالِمًا أَنَّهُ لَا يُضْطَهُدُّ مَنْ أَوَى إِلَى ظِلِّ كَنَفِكَ،
وَلَنْ تَقْرَعَ الْحَوَادِثُ مَنْ لَجَأَ إِلَى مَعْقِلِ الْإِنْتِصَارِ بِكَ، فَحَصَصْتَنِي مِنْ بَاسِهِ
بِقُدْرَتِكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لِأَنَّكَ مِنَ
الذَّاكِرِينَ. إِلَهِي وَكَمْ مِنْ سَحَائِبٍ مَكْرُوهٍ جَلَّتْهَا، وَسَمَاءٍ نِعْمَةٍ مَطَرَتْهَا،
وَجَدَاوِلٍ كَرَامَةٍ أَجْرَيْتَهَا، وَأَعْيُنٍ أَحْدَاثٍ طَمَسَتْهَا، وَنَاشِئَةٍ رَحْمَةٍ نَشَرَتْهَا،
وَجُنَّةٍ عَافِيَةٍ أَلْبَسَتْهَا، وَغَوَامِرٍ كُرْبَاتٍ كَشَفَتْهَا، وَأُمُورٍ جَارِيَةٍ قَدَّرَتْهَا، لَمْ
تُعْجِزْكَ إِذْ طَلَبْتُهَا، وَلَمْ تَمْنَعْ مِنْكَ إِذْ أَرَدْتُهَا، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ
لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَالِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ
مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لِأَنَّكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ. إِلَهِي وَكَمْ مِنْ ظَنٍّ حَسَنٍ حَقَّقْتَ،
وَمِنْ كَسْرِ إِمْلَاقٍ جَبَرْتَ، وَمِنْ مَسْكَنَةٍ فَادِحَةٍ حَوَّلْتَ، وَمِنْ صَرَعَةٍ مُهْلِكَةٍ
نَعَشْتَ، وَمِنْ مَشَقَّةٍ أَرَحْتَ، لَا تُسْأَلُ عَمَّا تَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، وَلَا يَنْقُصُكَ
مَا أَنْفَقْتَ، وَلَقَدْ سُئِلْتَ فَأَعْطِيتَ، وَلَمْ تُسْأَلْ فَابْتَدَأْتَ، وَاسْتُمِيعَ بَابُ
فَضْلِكَ فَمَا أَكْدَيْتَ، أَبَيْتَ إِلَّا إِنْْعَامًا وَامْتِنَانًا، وَإِلَّا تَطَوَّلًا يَا رَبِّ وَإِحْسَانًا،
وَأَبَيْتُ إِلَّا أَنْتَهَاكَ لِحُرْمَاتِكَ، وَاجْتِرَاءً عَلَى مَعَاصِيكَ، وَتَعَدِيًّا لِحُدُودِكَ،
وَغَفْلَةً عَنِ وَعِيدِكَ، وَطَاعَةً لِعِدْوِي وَعَدُوِّكَ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ يَا إِلَهِي وَنَاصِرِي
إِخْلَالِي بِالشُّكْرِ عَنْ إِتْمَامِ إِحْسَانِكَ، وَلَا حَاجَ زَنِي ذَلِكَ عَنْ ارْتِكَابِ

مَسَاخِطِكَ. اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامُ عَبْدٍ ذَلِيلٍ، اعْتَرَفَ لَكَ بِالتَّوْحِيدِ، وَأَقَرَّ عَلَى
نَفْسِهِ بِالتَّقْصِيرِ فِي آدَاءِ حَقِّكَ، وَشَهِدَ لَكَ بِسُبُوحِ نِعْمَتِكَ عَلَيْهِ، وَجَمِيلِ
عَادَتِكَ عِنْدَهُ، وَإِحْسَانِكَ إِلَيْهِ، فَهَبْ لِي يَا إِلَهِي وَسَيِّدِي مِنْ فَضْلِكَ مَا
أُرِيدُهُ إِلَى رَحْمَتِكَ، وَأَتَّخِذْهُ سُلْماً أَعْرِجُ فِيهِ إِلَى مَرْضَاتِكَ، وَأَمْنُ بِهِ مِنْ
سَخَطِكَ، بِعِزَّتِكَ وَطَوْلِكَ وَبِحَقِّ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَلَكَ
الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ
مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لِأَنْتِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ. إِلَهِي وَكَمِ
مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ فِي كَرْبِ الْمَوْتِ، وَحَشَرَجَةِ الصَّدْرِ، وَالنَّظَرِ إِلَى مَا
تَقْشَعُرُّ مِنْهُ الْجُلُودُ، وَتَفْزَعُ لَهُ الْقُلُوبُ، وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَكَ
الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ
مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لِأَنْتِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ. إِلَهِي وَكَمِ
مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ سَقِيماً مُوجِعاً، فِي أَنْتِهِ وَعَوِيلٍ، يَتَقَلَّبُ فِي غَمِّهِ، لَا
يَجِدُ مَحِيصاً، وَلَا يُسَبِّغُ طَعَاماً وَلَا شَرَاباً، وَأَنَا فِي صِحَّةٍ مِنَ الْبَدَنِ، وَسَلَامَةٍ
مِنَ الْعَيْشِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي
أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ،
وَلَا لِأَنْتِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ. إِلَهِي وَكَمِ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ خَائِفاً مَرْعوباً،
مُشْفِقاً وَجِلاً، هَارِباً طَرِيداً، مُنْجَجِراً فِي مَضِيقٍ، وَخُبَاءَةً مِنَ الْمَخَابِي، قَدْ
ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا، لَا يَجِدُ حِيلَةً، وَلَا مَنَاجِيَ وَلَا مَأْوَى، وَأَنَا فِي
أَمْنٍ وَطَمَآنِينَةٍ وَعَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا
يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ
مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لِأَنْتِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ. إِلَهِي وَسَيِّدِي وَكَمِ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى
وَأَصْبَحَ مَغْلُوباً مُكْبَلّاً فِي الْحَدِيدِ، بِأَيْدِي الْعُدَاةِ لَا يَرْحَمُونَهُ، فَقِيداً مِنْ أَهْلِهِ
وَوَلَدِهِ، مُنْقَطِعاً عَنْ إِخْوَانِهِ وَبَلَدِهِ، يَتَوَقَّعُ كُلَّ سَاعَةٍ بَأْيٍ قَتْلَةٍ يُقْتَلُ، وَبَأْيٍ



مُثْلَةٍ يُمَثِّلُ بِهِ، وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ. إلهي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ يُقَاسِي الحَرْبَ، وَمُبَاشَرَةَ القِتَالِ بِنَفْسِهِ، قَدْ غَشِيَتْهُ الأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِالسُّيُوفِ، وَالرَّمَاكِ، وَآلَةِ الحَرْبِ، يَتَقَعَّقُ فِي الحَدِيدِ، قَدْ بَلَغَ جَهْدُهُ، لَا يَعْرِفُ حِيلَةً، وَلَا يَجِدُ مَهْرَبًا، قَدْ أُذِنَفَ بِالْجِرَاحَاتِ، أَوْ مُتَشَحَّطًا بِدَمِهِ تَحْتَ السِّنَابِكِ وَالْأَرْجُلِ، يَتَمَنَّى شُرْبَةَ مِنْ مَاءٍ، أَوْ نَظْرَةَ إِلَى أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا، وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ. إلهي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ فِي ظُلُمَاتِ البِحَارِ، وَعَوَاصِفِ الرِّيَّاحِ، وَالْأَهْوَالِ وَالْأُمُوجِ، يَتَوَقَّعُ الغَرَقَ وَالهَلَكَ، لَا يَقْدِرُ عَلَى حِيلَةٍ، أَوْ مُبْتَلًى بِصَاعِقَةٍ، أَوْ هَدْمٍ أَوْ حَرَقٍ أَوْ شَرَقٍ، أَوْ خَسْفٍ أَوْ مَسْخٍ أَوْ قَذْفٍ، وَأَنَا فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ. إلهي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ مُسَافِرًا شَاخِصًا عَنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، مُتَحَيِّرًا فِي الْمَفَاوِزِ، تَائِهًا مَعَ الْوُحُوشِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، وَحِيدًا فَرِيدًا، لَا يَعْرِفُ حِيلَةً، وَلَا يَهْتَدِي سَبِيلًا، أَوْ مُتَأَذِيًا بِبَرْدٍ أَوْ حَرٍّ، أَوْ جُوعٍ أَوْ عُرْيٍ، أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الشَّدَائِدِ، مِمَّا أَنَا مِنْهُ خَلُوفِي عَافِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ. إلهي وَسَيِّدِي وَكَمْ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ فَقِيرًا عَائِلًا، عَارِيًا مُمْلِقًا، مُحْفَقًا مَهْجُورًا، جَائِعًا ظِمَانًا، يَنْتَظِرُ مَنْ يَعُودُ عَلَيْهِ بِفَضْلٍ، أَوْ عَبْدٍ وَجِيهِ عِنْدَكَ هُوَ أَوْ جَهْ مِنِّْي عِنْدَكَ، وَأَشَدُّ عِبَادَةً

لَكَ، مَغْلُولًا مَقْهُورًا، قَدْ حَمَلَ ثِقْلًا مِنْ تَعَبِ الْعَنَاءِ، وَشِدَّةِ الْعُبُودِيَّةِ، وَكُلْفَةِ الرَّقِّ، وَثِقَلِ الضَّرِيَّةِ، أَوْ مُبْتَلًى بِبَلَاءٍ شَدِيدٍ لَا قِبَلَ لَهُ إِلَّا بِمَنْكَ عَلَيْهِ، وَأَنَا الْمَخْدُومُ الْمُنْعَمُ، الْمُعَافَى الْمَكْرَمُ فِي عَافِيَةٍ مِمَّا هُوَ فِيهِ، فَلَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ. إِلَهِي وَسَيِّدِي وَكَمِّ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ عَلِيًّا، مَرِيضًا سَقِيمًا، مُدْنِفًا عَلَى فُرْشِ الْعِلَّةِ، وَفِي لِبَاسِهَا يَتَقَلَّبُ يَمِينًا وَشِمَالًا، لَا يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ لَذَّةِ الطَّعَامِ، وَلَا مِنْ لَذَّةِ الشَّرَابِ، يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ حَسْرَةً، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَأَنَا خَلَوُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لَكَ مِنَ الْعَابِدِينَ، وَلِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ، وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَكَمِّ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ وَقَدْ دَنَا يَوْمُهُ مِنْ حَتْفِهِ، وَأَحْدَقَ بِهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فِي أَعْوَانِهِ، يُعَالِجُ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ وَحِيَاضَهُ، تَدُورُ عَيْنَاهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، يَنْظُرُ إِلَى أَحْبَائِهِ وَأَوْدَائِهِ وَأَخْلَائِهِ، قَدْ مُنِعَ مِنَ الْكَلَامِ، وَحُجِبَ عَنِ الْخِطَابِ، يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ حَسْرَةً، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَأَنَا خَلَوُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ، وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَكَمِّ مِنْ عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ فِي مَضَائِقِ الْحُبُوسِ وَالسُّجُونِ، وَكُرْبِهَا وَذُهَا وَحَدِيدِهَا، يَتَدَاوُلُهُ أَعْوَانُهَا وَزَبَانِيَّتُهَا، فَلَا يَدْرِي أَيَّ حَالٍ يُفْعَلُ بِهِ، وَأَيُّ مَثَلَةٍ يُمَثَّلُ بِهِ، فَهُوَ فِي ضَرٍّ مِنَ الْعَيْشِ، وَضَنْكٍ مِنَ الْحَيَاةِ، يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ حَسْرَةً، لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَأَنَا خَلَوُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ

مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ،
 وَاجْعَلْنِي لَكَ مِنَ الْعَابِدِينَ، وَلِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ
 الذَّاكِرِينَ، وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَكَمِّ مِنْ
 عَبْدٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ قَدْ اسْتَمَرَّ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ، وَأَحْدَقَ بِهِ الْبَلَاءُ، وَفَارَقَ
 أَوْدَاءَهُ وَأَحْبَاءَهُ وَأَخْلَاءَهُ، وَأَمْسَى أَسِيرًا حَقِيرًا، ذَلِيلًا فِي أَيْدِي الْكُفَّارِ
 وَالْأَعْدَاءِ، يَتَدَاوُلُونَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، قَدْ حُصِرَ فِي الْمَطَامِيرِ، وَثَقُلَ بِالْحَدِيدِ، لَا
 يَرَى شَيْئًا مِنْ ضِيَاءِ الدُّنْيَا وَلَا مِنْ رَوْحِهَا، يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ حَسْرَةً، لَا يَسْتَطِيعُ
 لَهَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَأَنَا خَلَوْتُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
 سُبْحَانَكَ مِنْ مُقْتَدِرٍ لَا يُغْلَبُ، وَذِي أَنَاةٍ لَا يَعْجَلُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ
 مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لَكَ مِنَ الْعَابِدِينَ، وَلِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ
 الذَّاكِرِينَ، وَارْحَمْنِي بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. وَعِزَّتِكَ يَا كَرِيمُ، لَا تُطْبِنَنَّ
 بِمَا لَدَيْكَ، وَلَا لِحَنِّ عَلَيْكَ، وَلَا مُدَّنَ يَدَيَّ نَحْوَكَ مَعَ جُرْمِهَا إِلَيْكَ يَا رَبِّ،
 فِيمَنْ أَعُوذُ، وَبِمَنْ أَلُوذُ، لَا أَحْدَ لِي إِلَّا أَنْتَ، أَفْتَرُدُّنِي وَأَنْتَ مُعَوَّلِي وَعَلَيْكَ
 مُتَكَلِّي، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى السَّمَاءِ فَاسْتَقَلَّتْ، وَعَلَى الْأَرْضِ
 فَاسْتَقَرَّتْ، وَعَلَى الْجِبَالِ فَرَسَتْ، وَعَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ، وَعَلَى النَّهَارِ فَاسْتَنَارَ، أَنْ
 تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَقْضِيَ لِي حَوَائِجِي كُلِّهَا، وَتَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي
 كُلِّهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، وَتَوْسِعَ عَلَيَّ مِنَ الرِّزْقِ مَا تُبَلِّغُنِي بِهِ شَرَفَ الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. مَوْلَايَ بِكَ اسْتَعَنْتُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ
 مُحَمَّدٍ وَأَعِنِّي، وَبِكَ اسْتَجَرْتُ فَأَجِرْنِي، وَأَغْنِنِي بِطَاعَتِكَ عَنْ طَاعَةِ عِبَادِكَ،
 وَبِمَسْأَلَتِكَ عَنْ مَسْأَلَةِ خَلْقِكَ، وَانْقُلْنِي مِنْ ذُلِّ الْفَقْرِ إِلَى عِزِّ الْغِنَى، وَمِنْ
 ذُلِّ الْمَعَاصِي إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ، فَقَدْ فَضَّلْتَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ جُودًا مِنْكَ
 وَكَرَمًا، لَا بِاسْتِحْقَاقٍ مِنِّي. إِلَهِي فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ
 وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاجْعَلْنِي لِنِعْمَائِكَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَلَا لَائِكَ مِنَ الذَّاكِرِينَ.

ثم اسجد وقل: [سَجَدَ وَجْهِي لِلذَّلِيلِ لَوْجْهِكَ الْعَزِيزُ الْجَلِيلِ، سَجَدَ وَجْهِي الْبَالِي الْفَانِي لَوْجْهِكَ الدَّائِمِ الْبَاقِي، سَجَدَ وَجْهِي الْفَقِيرُ لَوْجْهِكَ الْغَنِيِّ الْكَبِيرِ، سَجَدَ وَجْهِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي، وَلَحْمِي وَدَمِي وَجِلْدِي وَعَظْمِي، وَمَا أَقَلَّتِ الْأَرْضُ مِنِّي اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ عُدْ عَلَيَّ جَهْلِي بِحِلْمِكَ، وَعَلَيَّ فَقْرِي بِغِنَاكَ، وَعَلَيَّ ذُلِّي بِعِزِّكَ وَسُلْطَانِكَ، وَعَلَيَّ ضَعْفِي بِقُوَّتِكَ، وَعَلَيَّ خَوْفِي بِأَمْنِكَ وَعَلَيَّ ذُنُوبِي وَخَطَايَايَ بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ، يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَذْرَأُ بِكَ فِي نَحْرِ (فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ)، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، فَكَفِّنِيهِ بِمَا كَفَيْتَ بِهِ أَنْبِيَائَكَ، وَأَوْلِيَاءَكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَالِحِي عِبَادِكَ، مِنْ فِرَاعِنَةِ خَلْقِكَ، وَطُعَاةِ عُدَاتِكَ، وَشَرِّ جَمِيعِ خَلْقِكَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



- ١- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة المجلسي، المكتبة الإسلامية، طهران، ج ٩١ : ٣١٩
- ٢- ينظر منها على سبيل المثال: لسان العرب: ابن منظور، دار صادر/ بيروت، مادة (جشن).
- ٣- ينظر: بحار الأنوار: ج ٩١ : ٣١٩
- ٤- ميزان الحكمة: محمد الري شهري، تحقيق: دار الحديث، قم المقدسة، ط ١ المنقحة، ١٤١٦ هـ، ج ٤: ٣٣٢
- ٥- نفسه: ج ٩١: ٣٢٢
- ٦- نفسه: ج ٩١: ٣١٩
- ٧- الأصول من الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، صححه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، ونهض بمشروعه الشيخ: محمد الأخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨ هـ، ج ٢: ٤٢١
- ٨- نفسه: ج ٩١: ٣٢٣
- ٩- ينظر: مع ذي النون في رحلة العودة إلى الله: الشيخ محمد مهدي الآصفي، الغدير، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٨: ٨-٩
- ١٠- بحار الأنوار: ج ٩١: ٣٢٠
- ١١- ينظر: عقيدة الدعاء وأبعادها المكنونة دعاء الجوشن الصغير للإمام الكاظم (عليه السلام) مثلاً: د. زينب كامل كريم الويسي، وقائع المؤتمر السنوي الثالث الدولي، الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، دار المرتضى/ بيروت، ٢٠١٣، ج ١: ٧٥٦
- ١٢- ينظر: مع ذي النون في رحلة العودة إلى الله: ٩
- ١٣- بحار الأنوار: ج ٩١: ٣٢٣
- ١٤- ينظر: الحياة العرفانية للإمام علي (عليه السلام): العلامة الشيخ عبد الله الجواد الطبري الأملي، ترجمة: منصف حامد، دار الإسراء للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ٢٠١١: ٧٤
- ١٥- دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: شهيد المحراب آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم - النجف الأشرف، ط ٤، ٢٠٠٧: ٢٤٠، ٢٤١
- ١٦- بحار الأنوار: ج ٩١: ٣٢٦ - ٣٢٧
- ١٧- بحار الأنوار: مواضع مختلفة من الصفحات ٣٢٠ - ٣٢٧
- ١٨- تفسير سوره الحمد: العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي، نشر الهادي،

قم/ إيران دار السيرة، بيروت/ لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ: ٤٤

١٩- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: خاتمة المحدثين الحاج ميرزا حسين النوري

الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، ج ١١: ١٤٠

٢٠- تحف العقول عن آل الرسول: الشيخ أبو محمد الحسن ابن شعبة البحراني، عني بتصحیحه والتعليق عليه: علي أكبر الغفاري، مطبوعات رابطة أهل البيت الإسلامية،

لندن: ٣٩١

٢١- بحار الأنوار: ج ٩١: ٣٢١

٢٢- نفسه: ج ٩١: ٣٢٣

٢٣- ينظر: الفكر الإصلاحي للإمام موسى بن جعفر: محمد سعيد الأجد، المركز

الإسلامي المعاصر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣: ٦٨



المصادر والمراجع:

- * الأصول من الكافي: أبو جعفر محمد ابن يعقوب الكليني الرازي، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، ونهض بمشروعه الشيخ: محمد الأخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨ هـ، ج ٢: ٤٢١
- * بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: العلامة المجلسي، المكتبة الإسلامية، طهران.
- * تحف العقول عن آل الرسول: الشيخ أبو محمد الحسن ابن شعبة البحراني، عني بتصحيحه والتعليق عليه: علي أكبر الغفاري، مطبوعات رابطة أهل البيت الإسلامية، لندن.
- * تفسير سوره الحمد: العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي، نشر الهادي، قم/ إيران دار السيرة، بيروت/ لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ.
- * الحياة العرفانية للإمام علي عليه السلام: العلامة الشيخ عبد الله الجواد الطبري الأملي، ترجمة: منصف حامد، دار الإسراء للطباعة والنشر، بيروت، ط ٢، ٢٠١١.
- * دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة: شهيد المحراب آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم - النجف الأشرف، ط ٤، ٢٠٠٧.
- * الفكر الإصلاحية للإمام موسى ابن جعفر: محمد سعيد الأجدد، المركز الإسلامي المعاصر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣
- * لسان العرب: ابن منظور، دار صادر/ بيروت.
- * مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: خاتمة المحدثين الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.
- * مع ذي النون في رحلة العودة إلى الله: الشيخ محمد مهدي الآصفي، الغدير، بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٨.
- * ميزان الحكمة: محمد الري شهري، تحقيق: دار الحديث، قم المقدسة، ط ١ المنقحة، ١٤١٦ هـ.
- * وقائع المؤتمر السنوي الثالث الدولي، الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، دار المرتضى/ بيروت، ٢٠١٣.

التربية الدينية في بناء الشخصية في وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم في العقل - قراءة قرآنية عقدية موجزة -

د. الشيخ عماد الكاظمي
العتبة الكاظمية المقدسة

الملخص :

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي الهادي الأمين، وعلى آله الأئمة
الهداة المعصومين..

إنَّ المتبَّع لتعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة يرى بوضوح مدى اعتنائها
بتربية الإنسان بصورة عامة، والمؤمن بصورة خاصة، فالقرآن الكريم قد
تضمَّن آيات متعددة خاصة بالتربية القائمة على الفرد والمجتمع، والسنة
الشريفة كذلك، وبناء الشخصية الإنسانية والإسلامية، وفي ذلك أعظم
رسالة تربية للبشرية، وفيها مصداق لقوله تعالى مخاطباً نبيه الأكرم
محمد ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ، وقد واصل الأئمة عليهم السلام
هذه الرسالة الإلهية القائمة على الرحمة الربانية.

وتعدُّ وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم في العقل إحدى
روافد التراث الإسلامي المبارك؛ وسيتم اختياراً توصية واحدة من تلك
الوصايا الكاظمية الخالدة وبيان آثارها في التربية الدينية لبناء الشخصية
الإسلامية وصلاحيها، وما يتعلَّق بذلك في جوانبها المختلفة على وفق
قراءة قرآنية عقدية موجزة، وهو قول الإمام الكاظم عليه السلام: ((يا هشام،

مَا بَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ إِلَى عِبَادِهِ إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللَّهِ، فَأَحْسَنُهُمْ اسْتِجَابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً لِلَّهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ عَقْلاً، وَأَعْقَلُهُمْ أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)).

تم تقسيم البحث على مقدمة وتمهيد ومطالب خمسة فخاتمة. وهذه المطالب الخمسة هي كالآتي:

- الأول: العلاقة بين الخالق والرسول والمخلوق.

- الثاني: علة بعثة الأنبياء.

- الثالث: آثار المعرفة الإلهية.

- الرابع: العلاقة بين العلم والعقل.

- الخامس: العقل والعاقبة.

أرجو للسادة القائمين على المؤتمر دوام التوفيق والنجاح لخدمة المجتمع بهذه المؤتمرات واللقاءات العلمية، وأسأله تعالى التسديد بهذه المشاركة المتواضعة لبيان جزء من هذا الإرث المحمدي المبارك، والعمل على إحياء أمرهم صلوات الله عليهم أجمعين.



مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي الهادي الأمين، وعلى آله الأئمة الهداة المعصومين..

إنَّ المتتبع لتعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة يرى بوضوح مدى اعتنائها بتربية الإنسان بصورة عامّة، والمؤمن بصورة خاصة، فالقرآن الكريم قد تضمّن آيات متعددة خاصة بالتربية القائمة على الفرد والمجتمع، والسنة الشريفة كذلك، وبناء الشخصية الإنسانية والإسلامية، وفي ذلك أعظم رسالة تربويّة للبشرية، وفيها مصداق لقوله تعالى مخاطباً نبيّه الأكرم محمد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، وقد واصل الأئمة عليهم السلام هذه الرسالة الإلهية القائمة على الرحمة الربانية.

وتعدُّ وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم في العقل إحدى روافد التراث الإسلامي المبارك من حيث اشتغالها على فقرات كثيرة تؤكد مقام الإنسان وفضله، وأهميّة تخلّقه بأخلاق معيّنة، وما في ذلك من آثار في بناء شخصيته، وهذه محاولة بحثية أخرى مع هذه الوصية العظيمة، والتي تحتاج إلى دراسات متعدّدة في جوانبها المختلفة.

وفي هذه الصفحات أحاول اختيار فقرة محدّدة من تلك الوصية الكاظمية الخالدة وبيان آثارها في التربية الدينية لبناء الشخصية الإسلامية، وما يتعلق بذلك في جوانبها المختلفة على وفق قراءة قرآنية عقديّة موجزة، وسيتم تقسيم البحث على مقدّمة وتمهيد ومطالب خمسة فخاتمة.

أرجو للسادة القائمين على المؤتمر دوام التوفيق والنجاح لخدمة المجتمع بهذه المؤتمرات واللقاءات العلمية، وأسأله تعالى التسديد بهذه المشاركة المتواضعة لبيان جزء من هذا الإرث المحمّدي المبارك، والعمل على إحياء أمرهم صلوات الله عليهم أجمعين.



تمهيد: تعريف بوصية الإمام الكاظم (عليه السلام) إلى هشام في العقل.

إنَّ العقل من أعظم نعم الله تعالى التي أنعمها على عباده، وهذه مسألة واضحة لا تحتاج إلى أيِّ بيانٍ أو استدلال، فالإنسان بعقله يستطيع أن يصل إلى السعادة، والابتعاد عن الشقاء، وقد حثَّت الشريعة المقدسة على عظمة هذه النعمة، وبيان أثرها، وما يترتب عليها، وما يحافظ عليها، ويؤدي إلى كمالاتها، من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة، وهذا يؤكِّد مدى عناية النظام الإسلامي بالمعرفة في بناء الإنسان وتكامله، فالإسلام لا يدعو إلى مفارقة العلم والعقل في أحكامه، بل هو كاشف لحقيقة الأمور التي توصلنا إلى المعرفة التامة، وأول آيات الوحي المبارك قد أكدت ذلك، قال تعالى مخاطباً نبيه الأكرم محمداً (صلى الله عليه وآله): ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٢).

وللعقل مكانة كبيرة في النصوص الحديثية عن المعصومين لا التي تناولت بيان مقام العقل وآثاره وحقيقته في طاعة الله تعالى وأثرها على الإنسان، وآتت سبب الوصول إلى رضوانه، فقد روي عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: ((لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلَ اسْتَنْطَقَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَقْبِلْ، فَأَقْبَلَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَدْبِرْ، فَأَدْبَرَ. ثُمَّ قَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ، وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أَحَبُّ، أَمَا إِنِّي إِيَّاكَ أَمُرُّ، وَإِيَّاكَ أَنْهَى، وَإِيَّاكَ أَعَاقِبُ، وَإِيَّاكَ أُثَبِّتُ)) (٣). فهذا الحديث المشهور يؤكِّد تلك المنزلة الكبيرة للعقل والآثار المترتبة عليه في التكليف والتشريع والثواب، وإن تبويب شيخنا الكليني «قدس سره» (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م) كتابه الشهير (الكافي) بجعل هذا أول حديث فيه دلالة مهمة على بيان أن الله قد شرف الإنسان بالعقل، وما في ذلك من آثار كبيرة على هذا التشريف.

ومن تراثنا الخالد في هذا الباب ما ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) في وصيته الشهيرة لتلميذه هشام بن الحكم^(٤) في العقل والتي تم توثيقها في المصادر الحديثية المتعددة^(٥)، فضلاً عن بعض الكتابات عنها في بحوث ودراسات علمية، ونحاول إن شاء الله تعالى أن نسلط الضوء على هذه الوصية التي ابتدأها الإمام (عليه السلام) ببيان بشارة الله تعالى لأهل العقل وبيان آثار العقل في المعرفة الإلهية بقوله: ((إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَشَّرَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَكْبَابِ﴾^(٦)، يا هشام بن الحكم: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ، وَأَفْضَى إِلَيْهِمْ بِالْبَيَانِ، وَدَهَّمَهُ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بِالْأَدْلَاءِ، فَقَالَ: ﴿وَالْهَكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضَرِّبُ الرِّيحُ الرِّيحَ وَالسَّحَابُ الْمُسَخَّرَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(٧)-(٨).

وإن هذه الوصية الخالدة قد تناولت مواضيع كثيرة لها أثر عظيم في تربية الإنسان تربية صالحة، من خلال ما ورد فيه مما له علاقة بالفطرة الإنسانية السليمة عما يلوّثها ويُطْفِئُ نورَ فطرتها^(٩)، ومنها الإشارة إلى بيان عظمة نعمة العقل التي أنعم الله بها على عباده، وما لها من آثار تترتب عليها، من خلال التفكير في الخالق وعظمة مخلوقاته السماوية والأرضية، ووحدانيته، الدعوة إلى استثمار هذه النعمة (العقل) بما فيها من طاقات للوصول إلى حقائق الأمور، من دون الاغترار بها، والركون إلى الظلم والمعصية، وإنكار المنعم الخالق، وبيان العلاقة بين بعثة الأنبياء والمرسلين والعقل، من خلال تلاقيح واستجابة كُلِّ من هاتين الحُجَّتَيْنِ للأخرى، فجعل الأنبياء

حجة ظاهرة لله على خلقه، والعقل حجة باطنة، وبيان أهمية معرفة الحجة الظاهرة عن طريق العقل^(١٠).

وسوف أذكر في هذه الصفحات الموجزة كما تقدّم فقرة واحدة من هذه الوصية وأبين أهم تلك العلاقات العقدية القائمة للعقل؛ لمعرفة مدى أهمية هذه الوصية في منهج التربية الإسلامية وبناء الشخصية وصلاحها، وهذه الفقرة هي قول الإمام الكاظم عليه السلام: ((مَا بَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ إِلَى عِبَادِهِ إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللَّهِ، فَأَحْسَنُهُمْ اسْتِجَابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً لِلَّهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ عَقْلاً، وَأَعْقَلُهُمْ أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))^(١١).
فإن بناء الشخصية العقدية والتربية الدينية للمؤمن في هذا المقطع من الوصية الكاظمية المباركة يؤكد على مطالب خمسة مهمة، يمكن بيانها إجمالاً بما يأتي:

- الأول: العلاقة بين الخالق والرسول والمخلوق.

- الثاني: علة بعثة الأنبياء.

- الثالث: آثار المعرفة الإلهية.

- الرابع: العلاقة بين العلم والعقل.

- الخامس: العقل والعاقبة.

- المطلب الأول: العلاقة بين الخالق والرسول والمخلوق.

إن الوصية تبين بوضوح أن هناك أمراً مهماً يجب الالتفات إليه وعدم الغفلة عنه، وهو ما يتعلق بالعقيدة الراسخة تجاه الله تعالى (الخالق)، ودور الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى إلى عباده (المخلوقين)، وهذا أمر مهم يجب أن يكون الإنسان على بينة منه، وكما هو مقرر في علم العقيدة أن الله تعالى خلق الخلق وأوجب عليهم طاعته وحذر مخالفته فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

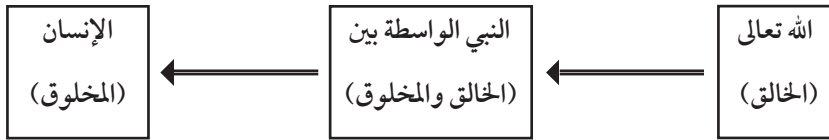


الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿١٢﴾، بل صرَّح بعبادته فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿١٣﴾. ولأجل أن يؤدِّي العبد الطاعة والعبادة ويمثل لأوامر الله تعالى نواهيه وجب على الله أن يعرف العباد مضمون طاعته أو سُبُل عباداته وما يريده منهم، ولما لم يكن بالإمكان أن يتعرَّف كلُّ إنسان على ذلك من الله تعالى، أو أن يوحى الله إلى كلِّ واحدٍ من الناس، فكان المنهج الأمثل أن يرسل رسولاً يعرف الناس ذلك، وهذا ما اتخذهُ الله سبيلاً مع عباده حتى يؤدوا حق طاعته، قال تعالى مبيناً ذلك في بعثة نبينا الأكرم محمد ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٤﴾ فكان التبليغ والتعليم والتطهير من موجبات بعثة النبي للأمة؛ ليكون العباد على معرفة بتعاليم الله تعالى من جهة، ويؤدوا تكاليفهم المختلفة من جهة أخرى.

ولأجل أن تتحقَّق تلك البعثة أو ذلك الاختيار الإلهي لأنبيائه بأن يكونوا مبلِّغين عنه، ومبعوثين إلى عباده، عرَّفهم الله تعالى هذه الغاية وأوجب عليهم الامتثال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ﴿١٥﴾، ثم أمرهم بطاعة رسوله وأوصيائه لتتحقق تلك الغاية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ﴿١٦﴾

إن هذه العلاقة الثلاثية الترتيبية من الأعلى فالأدنى قد أشارت إليها التوصية المباركة من الإمام الكاظم عليه السلام إلى هشام، وأنَّ العقل يؤكِّدها على وفق فطرته الطبيعية، إذ يجب عقلاً إذا أراد الأمر شيئاً من المأمورين القيام به فلا بُدَّ من تعريفهم إيَّاه، وهذا أمر عقلي فطري طبيعي لا ينكره العقلاء، ولا يمكنهم إنكاره في تحقيقه لأمر الأمر، فكذلك الأمر فإن المولى (الله) إذا أراد من (العبد) طاعته، وجب عليه عقلاً أن يعرفه كيفية طاعته،

وليس له أن يتركه ليختار ما يشاء، فأرسل رسولا ليعرّفهم تلك الكيفية وما يتعلق بها من جميع جوانبها، وهذا التأكيد في (المعرفة العقلية) يعني إمكانية العقل التعرّف على وجود الخالق لهذه الكون، أو لهذا الإنسان، والعلاقة بينهما، وأنّ هذا يستوجب التأمل والتفكير بهذا الوجود كله.



وإنّ ما ورد في الوصية المباركة من تأكيد على العقل وبيان آثاره في تلك العلاقات، إنما هي عقيدتنا المؤمنين الراسخة تجاه الله تعالى (الخالق)، وقد أكدته الآيات والروايات وكلمات الأعلام.

فقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى مقام العقل في القرآن الكريم وأهميّة الاعتناء به، ومن ذلك:

١- قال تعالى في إثارة العقول للتأمل في آيات خلقه المتعدّدة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضَرِّيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٧).

وفي بيان جعل جميع هذه المخلوقات التي سخرها الله تعالى آياتٍ للعقلاء من دون غيرهم يقول السيد الطباطبائي (رحمه الله) (ت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م) بعد إظهار ما يتعلق بالآية من براهين: ((العقل وَهُوَ مُصَدِّرُ عَقْلٍ يَعْقِلُ إِدْرَاكَ الشَّيْءِ وَفَهْمُهُ التَّامُّ، وَمِنْهُ الْعَقْلُ اسْمٌ لِمَا يُمَيِّزُ بِهِ الْإِنْسَانَ بَيْنَ الصَّلَاحِ وَالْفَسَادِ، وَيَبَيِّنُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، وَالصِّدْقَ وَالْكَذِبَ، وَهُوَ نَفْسُ الْإِنْسَانِ الْمُدْرِكُ)) (١٨).

فالعقل لما كان باستطاعته التمييز والإدراك بدقّة كانت هذه الأنعم الإلهية آيةً له في إدراك وجود الخالق وعظمته.

٢- قال تعالى في ضرورة التأمل بهذا المخلوق العظيم (الإنسان) وما ركب فيه من جوارح تعجز المخلوقات عن الإتيان بمثله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (١٩).

٣- قال تعالى في ضرورة التأمل بما أنعم الله على عباده من نعم مختلفة: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ * وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٠).

وفي اختصاص العبرة للعقلاء من دون سواهم فيما بين تعالى من الآيات، يقول الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م): ((أَنَّ مَنْ كَانَ عَاقِلًا، عَلِمَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَيَحْتَاجُ بِحُصُولِهَا عَلَى وُجُودِ إِلَهِ الْقَادِرِ الْحَكِيمِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ)) (٢١).

فإنّ هذا العلم بالضرورة كما أشار إليه إنّما يكون لأجل أنّ العقل وظيفته الإدراك، وإنّ التأمل في هذه الآيات المتعددة الدقيقة في صنعها وإتقانها تدل على وجود خالقٍ أعظم منها، وقد أبدع وجودها وعطاها وهو الخالق لها الله عز وجل .

٤- قال تعالى للتأكيد بما لا يخفى على أي إنسان عاقل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢٢).

وإنّ تأكيد الله تعالى على أنّ هذه الآيات المباركة الدالة على إبداع صنعه وقدرته هي ذكري لأولي الألباب؛ لأنّهم الذين هداهم الله، وأنّهم على نورٍ من ربهم يبصرون هذه الحقائق، ويتأمّلون بها، فتتفعّلهم هذه الذكري في الإذعان إلى أمر الله تعالى.

ومما ورد من الروايات الواردة في ذلك ما رُوي أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٢٣) فقال النبي ﷺ: ((وَيْلٌ لِمَنْ لَا كَهَا بَيْنَ فَكَيْهِ، وَلَمْ يَتَأَمَّلْ مَا فِيهَا)) (٢٤)، وورد عن الإمام الكاظم (عليه السلام) في إحدى فقرات الوصية المباركة: ((يا هشام: إِنَّ اللَّهَ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ: حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ، وَحُجَّةٌ بَاطِنَةٌ، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَئِمَّةُ، وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ)) (٢٥).

وما ذكره الأعلام في مؤلفاتهم كثيرٌ جداً في بابه، فقد ذكروا أدلة عقلية متعددة في وجوب الاستدلال على وجود الله وتوحيده، وما يتعلق به، وعدم الركون إلى التقليد في ذلك، قال العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م): ((أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ كَافَّةً عَلَى وَجُوبِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَصِفَاتِهِ الثُّبُوتِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ، وَمَا يَصُحُّ عَلَيْهِ، وَمَا يُمْتَنَعُ عَنْهُ، وَالنُّبُوَّةَ، وَالْإِمَامَةَ، وَالْمَعَادَ، بِالذَّلِيلِ لَا بِالتَّقْلِيدِ)) وقد ذكروا أدلة عقلية متعددة، فمن بدهة العقل وجوب دفع الخوف عن النفس، والخوف هو ألم نفسي، وكذلك وجوب شكر المنعم المتوقف على معرفته، ومخالفة أوامر الله تعالى توجب الخوف من عقابه، ونعمه المتوالية التي لا تعد ولا تحصى توجب شكره (٢٦).

وقال الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م): ((عَقِيدَتُنَا فِي النَّظَرِ وَالْمَعْرِفَةِ: نَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا مَنَحَنَا قُوَّةَ التَّفَكِيرِ، وَوَهَبَ لَنَا الْعَقْلَ، أَمَرَنَا أَنْ نَتَفَكَّرَ فِي خَلْقِهِ، وَنَنْظُرَ بِالتَّأَمُّلِ فِي أَثَارِ صُنْعِهِ، وَنَتَدَبَّرَ فِي حِكْمَتِهِ وَإِتْقَانِ تَدْبِيرِهِ فِي آيَاتِهِ فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِنَا وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ الَّذِي نَعْتَقِدُهُ أَنَّ عُقُولَنَا هِيَ الَّتِي فَرَضَتْ عَلَيْنَا النَّظَرَ فِي الْخَلْقِ وَمَعْرِفَةَ خَالِقِ الْكَوْنِ، كَمَا فَرَضَتْ عَلَيْنَا النَّظَرَ فِي دَعْوَى مَنْ يَدْعِي النُّبُوَّةَ وَفِي مُعْجَزَتِهِ، وَلَا يَصِحُّ عِنْدَهَا تَقْلِيدُ الْغَيْرِ فِي ذَلِكَ مَهْمَا كَانَ ذَلِكَ الْغَيْرُ مَنْزِلَةً وَخَطَرًا، وَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنَ الْحَثِّ عَلَى التَّفَكِيرِ وَاتِّبَاعِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ فَإِنَّهَا جَاءَ مُقَرَّرًا

وَعَصَاكَ بِالنَّارِ، وَدَاعِيَا أَيْ وَبَعَثْنَاكَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ وَالْإِقْرَارِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا يَتَدَيُّ بِكَ فِي الدِّينِ، كَمَا يَتَدَيُّ بِالسَّرَاجِ، وَالْمُنِيرُ الَّذِي يُصْدِرُ النُّورَ مِنْ جِهَتِهِ، إِمَّا بِفِعْلِهِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُ سَبَبٌ لَهُ^(٢٩).

٢- أداء الرسالة السماوية في الدعوة إلى الله. قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾^(٣٠).
٣- تعليم الأُمَّة وتطهيرها. قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣١).

إن هذه الوظائف المذكورة في الآية المباركة هي من أولى وظائف النبي ﷺ وأعظمها في تهذيب الأُمَّة، وقد بذل النبي قصارى جهوده من أجل إخراج الناس من ذلك الضلال المبين، قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره لبيان هدف بعثة الأنبياء: ((بَعْدَ أَنْ يُطْلَبَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ مِنَ اللَّهِ ظُهُورَ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ، يَذْكُرَانِ ثَلَاثَةَ أَهْدَافٍ لِبَعَثَتِهِ: الْأَوَّلُ: تِلَاوَةُ آيَاتِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ. أَيْ إِقَاطُ الْأَفْكَارِ وَالْأَرْوَاحِ فِي ظِلِّ الْآيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ الْمُبَشِّرَةِ وَالْمُنْذِرَةِ. الثَّانِي: تَعْلِيمُ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ. وَلَا تَتَحَقَّقُ التَّرْبِيَةُ إِلَّا بِالتَّعْلِيمِ. الثَّالِثُ: التَّرْكِيبَةُ. وَهُوَ الْهَدَفُ الْأَخِيرُ. وَبِذَلِكَ يَتَلَخَّصُ الْهَدَفُ النَّهَائِيُّ مِنْ بَعَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي دَفْعِ الْإِنْسَانِ عَلَى مَسِيرَةِ التَّكَامُلِ الْعِلْمِيِّ وَالْعَمَلِيِّ. يَنْبَغِي التَّأَكُّدُ هُنَا عَلَى أَنَّ عُلُومَ الْبَشَرِ مُحْدُوْدَةٌ مَقْرُونَةٌ بِآلَافِ الْفَجَوَاتِ الْمُبْهَمَةِ، وَالْأَخْطَاءِ الْكَبِيرَةِ، وَالْإِنْسَانُ أَيْضًا لَا يَطْمَئِنُّ بِدَقَّةٍ إِلَى مَعْلُومَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ شَاهِدٌ أَخْطَاؤُهُ وَأَخْطَاءَ الْآخَرِينَ، مِنْ هُنَا كَانَ مِنَ الصَّرُورِيِّ حِجْيُ الْأَنْبِيَاءِ بِعُلُومِهِمُ الْحَقَّةِ، الْحَالِيَةِ مِنَ الْأَخْطَاءِ الْمُسْتَمَدَّةِ مِنْ مَبْدَأِ الْوَحْيِ إِلَى النَّاسِ؛ لِيُزِيلُوا أَخْطَاءَهُمْ، وَيَمْلُؤُوا فَرَغَاتِ جَهْلِهِمْ، وَيَبْعَثُوا فِيهِمْ أَطْمَئِنَّا بِعِلْمِهِمْ^(٣٢))).



٤ - هداية الأمة وإنقاذها بنور النبوة من الظلمات: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (٣٣)، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٤). وغيرها من غايات أخرى تؤكد بها الرسالة الإلهية للأمة.

وإن القرآن الكريم ذكر وظيفة الناس تجاه النبي ﷺ وبين محاورها في آيات متعددة، ومنها بإيجاز:

١ - الطاعة المطلقة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٣٥).

٢ - الامتثال لأوامره ونواهيه. قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٣٦).

٣ - الإيمان به ونصرته ومؤازرته. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٣٧).

٤ - التمسك بالقرآن الكريم. قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٣٨) ﴿(٣٩)﴾.

إن جميع هذه الآيات المباركة وغيرها تؤكد على تلك الوظيفة العظيمة للأمة تجاه الأنبياء، والقائمة على الامتثال والطاعة؛ لأجل تحقيق الغرض من بعثتهم، فضلاً عن نصرتهم ومؤازرتهم والعمل على نشر دعوتهم.

وإن هذه المسؤولية للناس في الامتثال إلى تعاليم الأنبياء هي مسؤولية عقدية مهمة وأساسية يتم من خلالها معرفة موارد العقيدة والتشريع،

قال الشيخ المازندراني (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م) في شرح الحديث: ((أَيَّ لِيَعْرِفَ الْعِبَادُ وَيَعْلَمُوا بِتَعْلِيمِ الرُّسُلِ، وَتَفْهِيمِهِمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، أَوْ لِيُؤَدِّيَ الرُّسُلُ عَنْهُ مَا لَزِمَهُ مِنْ هِدَايَةِ عِبَادِهِ، وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى دِينِ الْحَقِّ)) (٤٠).



من خلال ما تقدم من هذه الآيات المباركة تتأكد وصية الإمام الكاظم عليه السلام في بيان أن العاقل هو الذي يفيد من بعثة الأنبياء أكثر من غيره (إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللَّهِ)، فيجب على العاقل أن يكون واعياً لتعاليم الله تعالى التي جاء بها الأنبياء في بعثتهم.

- المطلب الثالث: آثار المعرفة الإلهية.

إن هذه الفقرة من الوصية المباركة ((فَأَحْسَنُهُمْ اسْتِجَابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً لِلَّهِ)) تبين بوضوح أن هناك علاقة عقلية وثيقة بين المعرفة الإلهية والإدعان لله تعالى، وهذه العلاقة يقرُّ بها العقلاء، حيث أن ما يقوم به الإنسان العاقل إنما يكون على أساس معرفته، ووصية الإمام الكاظم عليه السلام تشير إلى هذه الملكات النفسية، وتدعو إلى استثمارها والتأمل في آثارها، فالعقلاء عليهم أن يتأملوا في حقيقة هذا الوجود والوجودات؛ ليتعرفوا على عظمة الخالق وقد حث القرآن الكريم على المعرفة والتأمل للوصول إلى آثارها المباركة المختلفة التي تحقق للإنسان مقاماً رفيعاً، فمثلاً:

١- التقرب إلى الله تعالى والإدعان إليه. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ

يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ
مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا
مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٤١﴾.

إنَّ الشَّاءَ الإلهيَّ على أصحاب العقول فيه دلالةٌ على مقامهم في المعرفة
وتمسُّكهم على أساس ذلك بتعاليم الشريعة المقدسة، وقد ذكر القرآن
الكريم (أولوا الألباب) في موارد متعددة تدل على مقامهم، قال السيد
الطباطبائي رحمه الله: ((وَالْأَلْبَابُ جَمْعُ لُبٍّ، وَهُوَ الْعَقْلُ الزَّكِيُّ الْخَالِصُ مِنْ
الشَّوَابِ، وَقَدْ مَدَحَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَدْحًا جَمِيلًا فِي مَوَارِدٍ مِنْ كَلَامِهِ، وَعَرَفَهُمْ
بِأَتَمِّ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَاتِّبَاعِ أَحْسَنِ الْقَوْلِ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ
بِأَتَمِّهِمْ عَلَى ذِكْرِ مَنْ رَبَّهُمْ دَائِمًا، فَأَعْقَبَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَهْلُ التَّذَكُّرِ، أَيِ الْإِتِّقَالِ
إِلَى الْمَعَارِفِ الْحَقَّةِ بِالذَّلِيلِ، وَأَهْلُ الْحِكْمَةِ وَالْمَعْرِفَةِ)) (٤٢).

٢- الالتزام بتعاليم الشريعة المقدسة. قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا
نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ *
وَامْنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرَوْا بِيَائِي
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ * أَتَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٣).

إنَّ الخطاب الإلهي في بيان تعاليم الشريعة المقدسة والحث على التقُّل
فيه تركيز على الدعوة القرآنية في إدراك أسرار الشريعة وحقيقتها، والتمسُّك
بتعاليمها، وكُلُّ ذلك قائم على المعرفة الإلهية، وفي الآيات مواعظ متعددة

تدعو إليها الشريعة المقدسة، وتدعو إلى استنكار الدعوة وعدم التزامهم أنفسهم بها حيث لا يعقلون ذلك، فالعقل على وفق معرفته يفرض أن يكونوا هم أول المتمسكين بتلك التعاليم.

٣- التأمل في سيرة الأنبياء والأمم الماضية. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤٤). فإن هذا التأمل في سيرة الأنبياء والأولياء والصالحين وغيرهم يؤدي إلى الاستفادة من تجارب تلك الأمم ومواعظها، وهذا هو المنهج القرآني في عرضه لسيرة الأنبياء مع أمهم، ففي ذلك من الآثار الكبيرة التي يمكننا من خلالها معرفة المناهج المختلفة المتبعة في التعامل مع الآخرين.

٤- الاستعداد للآخرة. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٥). إن الله تعالى يؤكد أن مقام الآخرة هو مقام عظيم، وعلى الإنسان أن يجاهد نفسه والوصول إلى التقوى لينال ذلك المقام، ويحثهم على أن يدركوا هذه الحقيقة، فالمؤمن العاقل هو أولى الناس بإدراكه ذلك، والعمل لأجله، وقال السيد الطباطبائي رحمه الله في تفسيره: ((فَالنَّبِيُّ ﷺ لَا يَدْعُوهُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ يَدْعُوهُمْ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلِهِ، وَلَيْسَ يَدْعُوهُمْ إِلَّا إِلَى مَا فِيهِ خَيْرُهُمْ وَصَلَاحُ حَالِهِمْ، وَهُوَ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ فَيُفْلِحُوا وَيَفُوزُوا بِسَعَادَةٍ خَالِدَةٍ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ فِي دَارٍ بَاقِيَةٍ.... وقوله: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بَيَانُ النَّصْحِ، وَأَنْ مَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ التَّقْوَى لَيْسَ وَرَاءَهُ إِلَّا مَا فِيهِ كُلُّ خَيْرِهِمْ، وَجَمَاعُ سَعَادَتِهِمْ)) (٤٦).



إنَّ هذه الآثار للمعرفة العقلية تؤكد مدى التأثير في النفس الإنسانية نحو العمل الصالح القائم على العقيدة، فضلاً عن البناء التربوي للشخصية الإسلامية، وهي دعوة ظاهرة إلى ضرورة العلم والمعرفة التي تدعو إليهما الشريعة المقدسة كثيرة، وتنوير العقل بهما للوصول إلى غايات عظيمة لا يمكن أن يتم إدراكها من قبل.

- المطلب الرابع: العلاقة بين العلم والعقل.

إنَّ هذه الفقرة من الوصية المباركة ((وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ عَقْلاً)) تبين بوضوح أنَّ هناك علاقة عقلية وثيقة بين العلم والعقل، وما في ذلك من آثار مهمّة في بناء شخصية الإنسان، فضلاً عن آثارها في المجتمع. وإنَّ هذا الأمر قد أكد عليه القرآن الكريم كما تقدم في الآيات المباركة التي بيّنت منزلة العقل وآثاره، وكذلك الروايات الشريفة المتعدّدة. ومن تلك الآيات التي تدل على أنَّ العلم والتفكير والتأمل فيها يدل على عظمة الخالق ووجوب الإيمان به، والإذعان إلى تعاليم الشريعة المقدسة، قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٤٧) فالعقل في تدبره لهذه الآيات الكونية في الخلق (الاحياء والإماتة، والليل والنهار) والتأمل فيها بما يجري كلّ يوم، يؤدي بصاحبه إلى معرفة أمر الله تعالى وما يتعلّق به من حيث وجوده وخالقيته وتوحيده وشريعته وغير ذلك.

وقوله تعالى كذلك في إشارته إلى الحقيقة الثابتة التي لا شبهة فيها، حيث لا يمكن لعاقل أن ينكرها: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٤٨)، إن تأمل الإنسان في هذه المراحل السبع التي تمر عليه تؤكد عظمة الخالق ووجوب التفكر في ذلك، وما فيه من آثار في الواقع على وجوب اللجوء إلى الخالق، ومما ذكره الفخر الرازي في تفسيره حول دلائل هذه الآيات: ((وَاعْلَمَ أَنَّا قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الدَّلَائِلَ عَلَى قِسْمَيْنِ دَلَائِلُ الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ، أَمَّا دَلَائِلُ الْآفَاقِ فَكَثِيرَةٌ وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي: وَهُوَ كَيْفِيَّةُ تَكُونِ هَذَا الْبَدَنِ مِنْ ابْتِدَاءِ كَوْنِهِ نُطْفَةً وَجَنِينًا إِلَى آخِرِ الشَّيْخُوخَةِ وَالْمَوْتِ فَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وَاعْلَمَ أَنَّهُ تَعَالَى رَتَّبَ عُمَرَ الْإِنْسَانِ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ أَوَّلُهَا: كَوْنُهُ طِفْلاً. وَثَانِيهَا: أَنْ يَبْلُغَ أَشَدَّهُ. وَثَالِثُهَا: الشَّيْخُوخَةُ. وَهَذَا تَرْتِيبٌ صَحِيحٌ مُطَابِقٌ لِلْعَقْلِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي أَوَّلِ عُمَرِهِ يَكُونُ فِي التَّرَايُدِ وَالنُّشُوءِ وَالنَّمَاءِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالطُّفُولِيَّةِ. وَالْمُرْتَبَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنْ يَبْلُغَ إِلَى كَمَالِ النُّشُوءِ وَإِلَى أَشَدِّ السِّنِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ فِيهِ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الضَّعْفِ، وَهَذِهِ الْمُرْتَبَةُ هِيَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾. وَالْمُرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَتَرَاوَعَ وَيُظْهَرَ فِيهِ أَثَرٌ مِنَ آثَارِ الضَّعْفِ وَالنَّقْصِ، وَهَذِهِ الْمُرْتَبَةُ هِيَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا﴾. وَإِذَا عَرَفْتَ هَذَا التَّقْسِيمَ عَرَفْتَ أَنَّ مَرَاتِبَ الْعُمَرِ بِحَسَبِ هَذَا التَّقْسِيمِ لَا تَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ مَا فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الْعَجِيبَةِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَرِ، وَأَقْسَامِ الدَّلَائِلِ)) (٤٩).

وقال السيد الطباطبائي رحمه الله: ((الْمُرَادُ بِخَلْقِهِمْ مِنْ تُرَابٍ أَيُّ تَدْرِكُونَ الْحَقَّ بِالتَّعْقِلِ الْمُغْرُوزِ فِيكُمْ، وَهَذَا غَايَةُ خَلْقَةِ الْإِنْسَانِ بِحَسَبِ حَيَاتِهِ الْمُعْنَوِيَّةِ، كَمَا أَنَّ بُلُوغَ الْأَجْلِ الْمُسَمًّى غَايَةُ حَيَاتِهِ الدُّنْيَا الصُّورِيَّةِ)) (٥٠).

ومن الروايات الشريفة الواردة في ذلك، قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((الْعَقْلُ غَرِيزَةٌ تَزِيدُ بِالْعِلْمِ وَالتَّجَارِبِ))^(٥١)، وقال عليه السلام: ((أَعُونَ الْأَشْيَاءَ عَلَى تَرْكِيبَةِ الْعَقْلِ التَّعْلِيمِ))^(٥٢)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: ((كَثْرَةُ النَّظَرِ فِي الْعِلْمِ يَفْتَحُ الْعَقْلَ))^(٥٣)، فهذه الروايات إجمالاً تدل أن العلم له أثرٌ في إدراك العقل وتمييزه للحقائق، ولا بُدَّ للإنسان أن يكون على حظٍّ من العلم، وهذا يبيِّن أسباب تأكيد الشريعة الإسلامية المقدَّسة على العلم ومنزلة العلماء وفضلهم.

وقد أشار الإمام الكاظم عليه السلام إلى بيان هذه العلاقة بين العلم والعقل في فقرات أخرى من الوصية، فقال: ((يَا هِشَامُ: ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الْعَقْلَ مَعَ الْعِلْمِ فَقَالَ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٥٤)))^(٥٥)، وإنَّ التدبُّر في جميع الأمثال القرآنية تتأكد هذه الحقيقة في العلاقة بين العقل والعلم والوصول إلى حقائق متعددة، ومنها المعرفة الإلهية بالخالق، قال السيد الطباطبائي رحمته الله في الآية المباركة: ((يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْأَمْثَالَ الْمَضْرُوبَةَ فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَنَّهَا عَامَّةٌ تَقْرَعُ أَسْمَاعَ عَامَّةِ النَّاسِ، لَكِنَّ الْإِشْرَافَ عَلَى حَقِيقَةِ مَعَانِيهَا وَلُبِّ مَقَاصِدِهَا خَاصَّةٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ مِمَّنْ يَعْقِلُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ، وَلَا يَنْجَمِدُ عَلَى ظَوَاهِرِهَا، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ دُونَ أَنْ يَقُولَ: وَمَا يُؤْمِنُ بِهَا أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ، فَإِلَّا مَثَالَ الْمَضْرُوبَةِ فِي كَلَامِهِ تَعَالَى يَخْتَلِفُ النَّاسُ فِي تَلْقِيهِهَا بِاخْتِلَافِ أَفْهَامِهِمْ، فَمَنْ سَامِعٍ لَا حَظَّ لَهُ مِنْهَا إِلَّا تَلَقَّى أَلْفَظِهَا، وَتَصَوَّرَ مَفَاهِيمَهَا السَّادِجَةَ، مِنْ غَيْرِ تَعَمُّقٍ فِيهَا، وَسَبَرٍ لِأَغْوَارِهَا، وَمَنْ سَامِعٍ يَتَلَقَّى بِسَمْعِهِ مَا يَسْمَعُهُ هَؤُلَاءِ، ثُمَّ يَغُورُ فِي مَقَاصِدِهَا الْعَمِيقَةِ، وَيَعْقِلُ حَقَائِقَهَا الْإِنِّيَّةَ))^(٥٦).

ثم ذكر الإمام الكاظم عليه السلام في جانب آخر من هذه الوصية بيان هذه العلاقة وأهميتها في التقرب إلى الله تعالى، فقال: ((يَا هِشَامُ نُصِبَ الْخَلْقُ لِبَطَاعَةِ اللَّهِ، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ، وَالطَّاعَةُ بِالْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالتَّعَلُّمُ

بِالْعَقْلِ يُعْتَقَدُ، وَلَا عِلْمَ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ رَبَّانِيٍّ، وَمَعْرِفَةُ الْعَالَمِ بِالْعَقْلِ))^(٥٧)،
فلنتأمل العلاقة الوثيقة بين العلم والعقل (وَالْتَعْلُمُ بِالْعَقْلِ يُعْتَقَدُ)، وآثار
ذلك على طاعة الله تعالى والنجاة من معصيته.

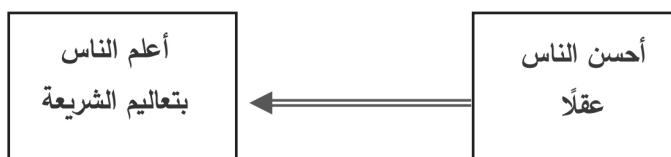
ومن عظيم ما ورد عن الشيخ المازندراني في بيانه مقام العقل في
المعرفة الإلهية وآثاره في طاعة الله تعالى، وعلاقته بالعلم في الوقت نفسه:
((الْعَقْلُ جَوْهَرٌ قَلْبِيٌّ قَابِلٌ لِمَعْرِفَةِ الصَّانِعِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، أَيْ مَعْرِفَةِ الْآخِرَةِ
وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، وَهُوَ مَبْدَأُ التَّقْوَى، وَبِهِ ضَبْطُهَا وَحِفْظُهَا وَسَيْرُهَا، وَنَقْلُ
صَاحِبِهَا إِلَى سَاحَةِ حَضْرَةِ الْقُدْسِ، وَقُرْبِ الْحَقِّ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ قِيَمِ السَّفِينَةِ
وَرَبَّانِيهَا فِي إِصْلَاحِهَا وَضَبْطِهَا وَحِفْظِهَا مِنَ الْمَفَاسِدِ، وَالْحَلَلِ الْوَارِدَةِ عَلَيْهَا،
فَكَمَا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْسَّفِينَةِ قِيَمٌ لَفَسَدَتْ أُمُورُهَا، وَبَطَلَتْ أَوْضَاعُهَا،
وَتَعَطَّلَتْ أَحْوَالُهَا، بِحَيْثُ لَا تَصْلُحُ لِقَطْعِ الْبَحْرِ الزَّاحِرِ، وَيَصِيرُ أَهْلُهَا
مُشْرِفًا بِأَهْلَآكِ، كَذَلِكَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْمُتَّقِي عَقْلٌ يَنْهَدِمُ أَسَاسُ تَقْوَاهُ؛ إِذْ لَمْ
يَتَمَيَّزْ عِنْدَهُ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالصَّحِيحُ مِنَ الْفَاسِدِ، وَمُخَاطَرَاتُ الشَّيْطَانِ
مِنْ إِهْلَامَاتِ الرَّحْمَنِ بَلِ النَّسَبَةُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ أَكْثَرُ مِنَ النَّسَبَةِ بَيْنَ
الْكَوَاكِبِ وَالْقِيَمِ؛ إِذِ الْعَقْلُ لَا يَنْفَكُ عَنِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ نِسْبَتَهُ كِنِسْبَةِ النُّورِ إِلَى
السَّرَاجِ، وَنِسْبَةُ الرُّؤْيَةِ إِلَى الْبَصَرِ))^(٥٨).

المطلب الخامس: العقل والعاقبة.

إنَّ هذه الفقرة من الوصية المباركة ((وَأَعْقَلُهُمْ أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ)) تظهر آثار هذه العلاقة المباركة العقل والاستعداد للآخرة ونيل
الدرجات الرفيعة، وهذه من الموضوعات المهمة التي يجب أن يتأمل فيها
الإنسان العاقل عمومًا، والمؤمن خصوصًا؛ إذا لا يمكن لعاقل أن ينكر
حقيقة الموت التي تجرى على الخلائق كلهم، فالعاقل المؤمن الذي يتمي

النَّاسِ عَبْدٌ عَرَفَ رَبَّهُ فَأَطَاعَهُ، وَعَرَفَ عَدُوَّهُ فَعَصَاهُ، وَعَرَفَ دَارَ إِقَامَتِهِ فَأَصْلَحَهَا، وَعَرَفَ سُرْعَةَ رَحِيلِهِ فَتَزَوَّدَ لَهَا))^(٦٤)، وروي عن الإمام علي عليه السلام: ((أَفْضَلُ النَّاسِ عَقْلاً أَحْسَنُهُمْ تَقْدِيرًا لِمَعَاشِهِ، وَأَشَدُّهُمْ اهْتِمَامًا فِي إِصْلَاحِ مَعَادِهِ))^(٦٥)، وروي عنه عليه السلام: ((مَا الْعَاقِلُ إِلَّا مَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ، وَعَمَلَ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ))^(٦٦)، وروي عن الإمام الحسن عليه السلام: ((بِالْعَقْلِ تُدْرَكُ الدَّارَانِ جَمِيعًا، وَمَنْ حُرِمَ مِنَ الْعَقْلِ حُرِمَتْهُمَا جَمِيعًا))^(٦٧).

إنَّ هذه الروايات واضحة التأكيد في بيان آثار العقل للعمل على الاستعداد للآخرة، والفوز برضوانه، فبالعقل تحصل المعرفة الإلهية الحقيقية والتي نراها في مدى طاعة الله والإذعان إلى تعاليمه، بالإقبال على الطاعات والابتعاد عن المعاصي، وتربية النفس وتهذيبها عمّا يلوثها، والعمل الجاد بما يحقق لها ما تبتغيه، وغير ذلك من الغايات الكبيرة في التكامل الإنساني على مستوى الفرد والمجتمع، والدنيا والآخرة، والسعادة المادية والمعنوية.



وقد أكّد الإمام الكاظم عليه السلام حقيقة العقل والسعي نحو التكامل والتزوّد إلى الآخرة في فقرات أخرى من وصيّته المباركة، مما يثبت أهميّة وعظمة ذلك، وفي استقراء للوصية حول سعي العاقل لتهذيب نفسه، والتزوّد لآخرته، حيث ورد الآتي:

١ - قال عليه السلام: ((يَا هِشَامُ: إِنَّ الْعُقَلَاءَ تَرَكُوا فُضُولَ الدُّنْيَا، فَكَيْفَ الذُّنُوبُ، وَتَرَكُوا الدُّنْيَا مِنَ الْفُضْلِ، وَتَرَكُوا الذُّنُوبَ مِنَ الْفُرْضِ))^(٦٨).

فلا يخفى آثار الانشغال والتلهي بفضول الدنيا وظهور المعاصي من الإنسان، والابتعاد عن المسارعة في الطاعات، والعامل المؤمن له قدرة على التمييز تلك الفضول والفرائض، حيث الابتعاد عن الأول، والتنافس في الآخر.

٢- قال (عليه السلام): ((يَا هِشَامُ: إِنَّ الْعُقَلَاءَ زَهَدُوا فِي الدُّنْيَا، وَرَغِبُوا فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا طَالِيَةٌ وَمَطْلُوبَةٌ، وَالْآخِرَةُ طَالِيَةٌ وَمَطْلُوبَةٌ، فَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ، وَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَتْهُ الْآخِرَةُ فَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ فَيُفْسِدَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ)) (٦٩).

إن الزهد وعدم الاغترار بلذات الدنيا وشهواتها الفانية دليل على المعرفة الحقيقية للدنيا والآخرة، وأن العاقل عليه أن يستثمر تلك المعرفة لئلا يقع في غرور الدنيا الفانية، بل العمل والصبر على الطاعات من أجل السعادة السرمدية في الآخرة، فما عند الله خير له وأبقى.

٣- قال (عليه السلام): ((يَا هِشَامُ: مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا ذَهَبَ خَوْفُ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِهِ، وَمَا أُوتِيَ عَبْدٌ عَبْدًا عِلْمًا فَازْدَادَ لِلدُّنْيَا حُبًّا إِلَّا أَزْدَادَ مِنْ اللَّهِ بَعْدًا، وَازْدَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبًا)) (٧٠).

إن حب الدنيا والتعلق بها من حيث أنها تحقق للإنسان شهواته ولذاته هو من الغرور بها، بل هو من الوقوع في حبالها، وأول آثار ذلك الاغترار هو الابتعاد عن الله تعالى والتمسك بتعاليمه، وهذا في الواقع هو الخسران المبين، وقد تجنّب المؤمن العاقل ذلك من خلال معرفته حقيقة الدنيا والآخرة، وحقيقة جبهها.

٤- قال (عليه السلام): ((يَا هِشَامُ: مَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِثَلَاثٍ فَقَدْ لُطِفَ لَهُ: عَقْلٌ يَكْفِيهِ مَوْوَنَةُ هَوَاهُ، وَعِلْمٌ يَكْفِيهِ مَوْوَنَةُ جَهْلِهِ، وَغَنَى يَكْفِيهِ مَخَافَةُ الْفَقْرِ)) (٧١).

إن المؤمن العاقل هو في رحاب العناية الإلهية، وأن هذه العناية المباركة لها آثار كبيرة في جهاد النفس الأمّارة، وعدم التسليم لها، وهذا في الواقع

هو لطف من الله تعالى لعبد يستحق عنايته، وهذا لا يكون إلا على قدر استعداد الإنسان له، والعاقل هو أهل لهذا العطاء الإلهي.

إنَّ هذه الفقرة الأخيرة من هذه الوصية المباركة تعدُّ من أهم ما يجب علينا أن نتأمل بها، والعمل على تحقيق مقدماتها لما فيها من نتائج كبيرة في الدنيا والآخرة، قال الشيخ المازندراني في بيان ذلك: ((وَهَذَا الْحَدِيثُ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ بَابِ الْقِيَاسِ الْمَفْصُولِ النَّتَائِجِ، يَنْتِجُ أَنَّ أَحْسَنَهُمْ اسْتِجَابَةً أَرْفَعَهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَفِيهِ مَدْحٌ عَظِيمٌ لِلْعَقْلِ؛ حَيْثُ جَعَلَهُ أَصْلًا لِّجَمِيعِ الْخَيْرَاتِ، وَمَبْدَأً لِلتَّفَاضُلِ فِي الدَّرَجَاتِ، كَمَا يَظْهَرُ ذَلِكَ بِالتَّأَمُّلِ الصَّادِقِ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ كَمَالَ الدَّرَجَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الاسْتِجَابَةَ كَمَا يَقْتَضِيهِ مَضْمُونُ النَّبِيَّةِ، وَجَعَلَ كَمَالَ الاسْتِجَابَةِ تَابِعًا لِكَمَالِ الْمَعْرِفَةِ، وَكَمَالَ الْمَعْرِفَةِ تَابِعًا لِكَمَالِ الْعَقْلِ، فَيَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْعَقْلَ أَصْلٌ لِّجَمِيعِ الْكَمَالَاتِ، وَمَبْدَأٌ لِلتَّفَاضُلِ فِي الدَّرَجَاتِ))^(٧٢).



فالمؤمن العاقل يمكنه أن يحقق هذه الغايات المباركة والتزوّد لآخرته، والجهاد من أجل الانتصار على عدوّه، الذي يحاول أن يغويه دائماً.

إنَّ هذه الكمالات النفسية الخمسة الواردة في الوصية، والتي حاولتُ بيانها بإيجاز على وفق قراءة موازنة قرآنية عقديّة تؤكد مدى عظمة هذه الوصية المباركة في العقل من جهة، وما تضمّنته من مفردات عظيمة توجب التأمل والتفكير فيها لآثارها التربوية من جهة ثانية، وآثارها في البناء العقدي للفرد والمجتمع من جهة ثالثة، والصالح والإصلاح الذي يجب أن يعمل المؤمن العاقل من أجل تحقيقها من جهة رابعة، والآثار الكبيرة في الآخرة من جهة خامسة.

أسأله تعالى أن أكون قد وُفِّقت في هذا البيان الموجز لتسليط الضوء على إحدى النفحات الكاظمية العقديّة، والتي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث والبيان، وأن يجعل هذه الكلمات ذخراً عند مولاي الإمام الكاظم صلوات الله عليه.

خاتمة وتوصيات:

١- إن وصايا النبي والأئمة عليهم السلام تُعدّ من عيون تراثنا الإسلامي المتضمّن تعاليم الثقل الثاني الذي هو أمانٌ من كلّ ضلال أو انحراف في المجالات الحياتية كلّها، ولا بد من إحيائه ونشره وبيان أهمّيته من خلال الدراسات التخصصية والمقارنة والموازنة.

٢- إن هذه الوصية المباركة للإمام الكاظم عليه السلام قد تناولت مواضيع كثيرة في الجانبين العقدي والتربوي وبيان آثارهما الكبيرة على الإنسان بصورة عامة، وعلى المسلم بصورة خاصة؛ حيث عقيدته القائمة على الإيمان بالله تعالى.

٣- لقد حاول الباحث أن يجعل من نصوص هذه الوصية مادة علمية مقارنة للآيات القرآنية الواردة في المواضيع نفسها؛ لبيان وحدة منهج الثقلين (القرآن والعترّة) وما في ذلك من أهميّة كبيرة في البحوث الموازنة أو المقارنة، فضلاً عن معرفة مدى التطابق بين المنهجين المباركين.

٤- إن بحوث العقيدة الإسلامية من أهم البحوث التي يجب أن تخضع للدراسات الفكرية؛ لما لها من أثر كبير في البناء العقدي للشخصية الإسلامية، والتربية القائمة على ذلك، وقد حاول البحث تسليط الضوء على بعض جوانب العقيدة المباركة القائمة على النبوة ووظيفتها في الأئمة.

٥- إن تأكيد الإمام الكاظم عليه السلام في تربية تلامذته بهذا المنهج يؤكد عظمة مدرسة أهل البيت عليهم السلام في بناء جيلٍ من الرواة والعلماء والمفكرين في التراث الإسلامي، وأهميّة ذلك في نشر علومهم بين الناس، وأداء رسالتهم.

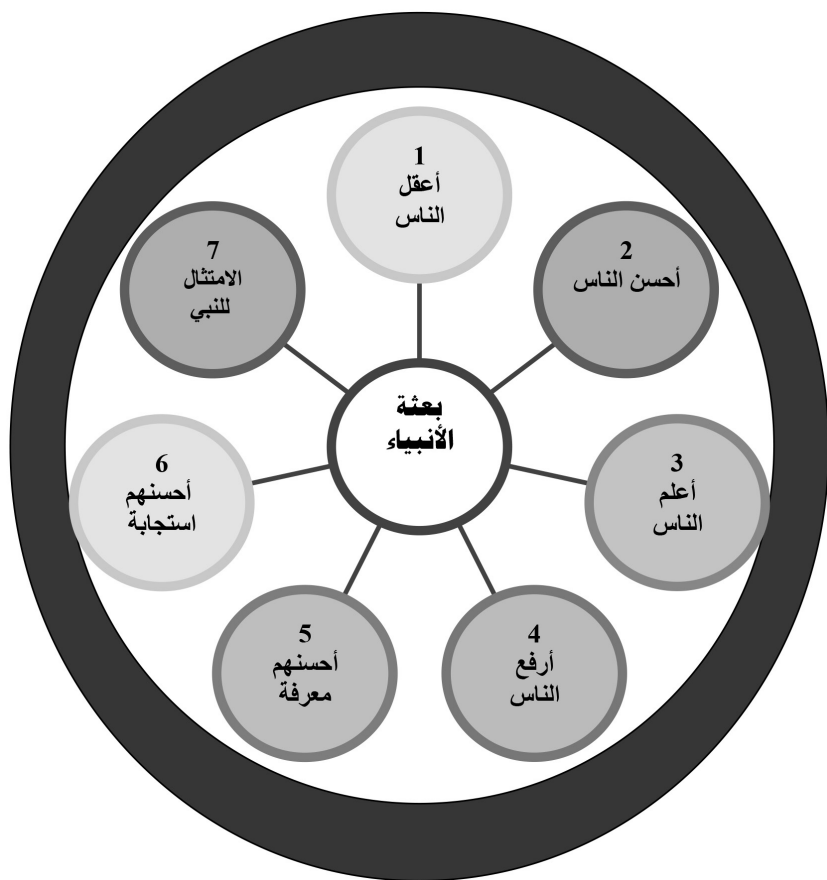
٦- لأهمية هذه الوصية الكاظمية الخالدة يوصي الباحث أن يقام مؤتمرٌ خاصٌ بها يتناول الباحثون مواضيعها الكثيرة في جوانبها المختلفة ، أ ندوة كبيرة موسّعة ، و دعوة الباحثين المختصّين في العلوم الكلاميّة والتربويّة والنفسيّة والاجتماعيّة .

٧- يوصي الباحث ضرورة ترجمة هذه الوصيّة إلى اللغات الأجنبية الحيّة، وتوزيعها على المراكز والمكتبات العالمية؛ لإطلاعهم على مدى عناية الشريعة الإسلامية بالعلم والعقل، والحثّ على الإفادة منها في الحياة العامة.

٨- يوصي الباحث بوجوب أن تتضمّن المناهج الدراسيّة في مراحلها المختلفة هذا التراث الإنساني العظيم؛ لأجل بناء المجتمع بناءً تربويًا قائمًا على العقيدة والأخلاق.



مخطط توضيحي لوظيفة النبي تجاه الامة والامة تجاهه



الهوامش:

سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

٢- سورة العلق: الآيات ١-٥

٣- الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح: علي أكبر الغفاري، (الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨ هـ، د.مط) ج ١ ص ١٠ كتاب (العقل والجهل) الحديث ١.

٤- أبو محمد هشام بن الحكم مولى كندة، سكن البصرة، كَلَّمَ النَّاسَ، وحكي عنه مجالس كثيرة، روى عن الإمامين الصادق والكاظم (عليه السلام)، وكان ثقةً في الروايات، حسن التحقيق بهذا الأمر، ورويت مدائح فيه جليّة، وكان ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذّب المذهب بالنظر، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب. ينظر: فهرست أسماء مصنفى الشيعة (رجال النجاشي)، أحمد بن علي النجاشي، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط ٥، ١٤١٦ هـ) ص ١٣٦، خلاصة الأقوال في معرفة الرجال،

الحسن بن يوسف العلامة الحلي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، (مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ١، ١٤١٧ هـ) ص ٢٨٨.

٥- ينظر مثلاً: الكافي ج ١ ص ١٣-٢٣ كتاب (العقل والجهل) الحديث ١٢، تحف العقول عن آل الرسول (عليه السلام)، الشيخ الحسن بن علي بن شعبة الحراني، تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٧، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م) ص ٢٨١-٢٩٥، وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، (مط مهر، قم، ط ٢، ١٤١٤ هـ) ج ١٥ ص ٢٠٦-٢٠٧، ج ١٥ ص ٣٥٥.

٦- سورة الزمر: الآيتان ١٧-١٨

٧- سورة البقرة: الآيتان ١٦٣-١٦٤

٨- يراجع نص الوصية كاملة تحف العقول ص ٢٨١-٢٩٥.

٩- وهذه هي المشاركة البحثية الثانية-ولله الحمد- في هذه الوصية المباركة، حيث تمت المشاركة الأولى في أسبوع الإمامة العلمي الدولي الأول تحت عنوان (الصادق والكاظم، صادق آل محمد (عليه السلام)) بتاريخ ٢٠ ذو الحجة الحرام ١٤٤٤ هـ الموافق ٩ تموز ٢٠٢٣ م، وكان البحث بعنوان (إشراقات تربوية في وصية الإمام الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم في العقل).

١٠- للتفصيل ينظر: إشراقات تربوية في وصية الإمام الكاظم (عليه السلام) إلى هشام بن الحكم، عماد الكاظمي، (مط دار المجيب، الكاظمية المقدسة، ط ١، ١٤٤٥ هـ ٢٠٢٣ م) ص ١٠-١١.

- ١١- تحف العقول ص ٢٨٣.
١٢- سورة محمد: الآية ٣٣.
١٣- سورة الذاريات: الآية ٥٦.
١٤- سورة الجمعة: الآية ٢.
١٥- سورة النساء: الآية ٦٤.
١٦- سورة النساء: الآية ٥٩.
١٧- سورة البقرة: الآية ١٦٤.
١٨- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م) ج ١ ص ٤٠٤.
١٩- سورة فصلت: الآية ٥٣.
٢٠- سورة النحل: الآيتان ٦٦-٦٧.
٢١- التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين، تصحيح: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م) ج ٢٠ ص ٢٣٥.
٢٢- سورة الزمر: الآية ٢١.
٢٣- سورة آل عمران: الآية ١٩٠.
٢٤- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م) ج ٢ ص ٤٧٠.
٢٥- تحف العقول ص ٢٨٤.
إنَّ هذا المقطع من الوصية يؤكد على موارد ثلاثة مهمة في بناء الشخصية العقدية قائمة أولاً: على العلاقة بين الخالق وخلقه. وثانياً: على العلاقة بين حجج الله والعباد. وثالثاً: بيان آثار العقل في المعرفة الإلهية.
٢٦- للتفصيل ينظر: النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، الشيخ مقداد بن عبد الله السيوري، تحقيق وتقديم: الدكتور مهدي محقق، (مؤسسة جاب، مشهد، ١٣٧٤ش، د.ط) ص ١٧-١٩.
٢٧- عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر، تحقيق: عبد الكريم الكرمانى، (مؤسسة الرافد، بغداد، ٢٠١١م، د.ط) ص ٣٣.
٢٨- سورة الأحزاب: الآيتان ٤٥-٤٦.
٢٩- مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٨ ص ١٦٨.
٣٠- سورة الرعد: الآية ٣٠.

- ٣١- سورة آل عمران: الآية ١٦٤.
- ٣٢- الأمثال في تفسير كتاب الله المنزل، (مط دار إحياء التراث، بيروت، ط ٢، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م) ج ١ ص ٢٧٤.
- ٣٣- سورة الطلاق: الآيتان ١٠-١١.
- ٣٤- سورة المائدة: الآيتان ١٥-١٦.
- ٣٥- سورة النساء: الآية ٦٤.
- ٣٦- سورة الحشر: الآية ٧.
- ٣٧- سورة الفتح: الآية ٩.
- ٣٨- سورة ص: الآية ٢٩.
- ٣٩- سورة الفتح: الآيتان ٨-٩.
- ٤٠- شرح أصول الكافي، الشيخ محمد صالح، تحقيق وتعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م) ج ١ ص ١٥٢.
- ٤١- سورة آل عمران: الآيات ١٩٠-١٩٤.
- ٤٢- الميزان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٣٤.
- ٤٣- سورة البقرة: الآيات ٤٠-٤٤.
- ٤٤- سورة يوسف: الآية ١١١.
- ٤٥- سورة يوسف: الآية ١٠٩.
- ٤٦- الميزان في تفسير القرآن ج ١١ ص ٢٨٠.
- ٤٧- سورة المؤمنون: الآية ٨٠.
- ٤٨- سورة غافر: الآية ٦٧.
- ٤٩- التفسير الكبير ج ٢٧ ص ٥٣٠-٥٣١.
- ٥٠- الميزان في تفسير القرآن ج ١٧ ص ٣٤٧.
- ٥١- غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد التميمي الآمدي، تحقيق: السيد مهدي ألرجائي، (مط ستار، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م) ص ٥٢.
- ٥٢- المصدر نفسه ص ١١٢.
- ٥٣- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، (مط دار الحديث، تحقيق: دار الحديث، قم، ط ٢، ١٤١٦ هـ) ج ٥ ص ٢٠٥٠، باب (العقل) الحديث ١٣٥٢١.
- ٥٤- سورة العنكبوت: الآية ٤٣.
- ٥٥- تحف العقول ص ٢٨٢.
- ٥٦- الميزان في تفسير القرآن ج ١٦ ص ١٣٦.

- ٥٧- تحف العقول ص ٢٨٤.
- ٥٨- شرح أصول الكافي ج ١ ص ١٤٨-١٤٩.
- ٥٩- سورة العنكبوت: الآية ٦٤.
- ٦٠- سورة الأعراف: الآية ١٦٩.
- ٦١- سورة القصص: الآية ٦٠.
- ٦٢- سورة الأنعام: الآية ٣٢.
- ٦٣- سورة يوسف: الآية ١٠٩.
- ٦٤- أعلام الدين في صفات المؤمنين، الشيخ الحسن بن أبي الحسن الديلمي، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث (الناشر: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، بيروت، ط ٣، ١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م) ص ٣٣٧.
- ٦٥- غرر الحكم ودرر الكلم ص ١١٦.
- ٦٦- تحف العقول ص ٧٢.
- ٦٧- كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن عيسى الإربلي، تحقيق: علي آل كوثر، (الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، دار التعارف، بيروت، ١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م، د. ط) ج ٢ ص ٣٩٤.
- ٦٨- تحف العقول ص ٢٨٥.
- ٦٩- المصدر نفسه ص ٢٨٥.
- ٧٠- المصدر نفسه ص ٢٩٣.
- ٧١- المصدر نفسه ص ٢٩٤.
- ٧٢- شرح أصول الكافي ج ١ ص ١٥٢.



المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

* إشراقات تربويّة في وصية الإمام الكاظم (عليه السلام) إلى هشام في العقل، عماد الكاظمي، (مط دار المجيب، الكاظمية المقدسة، ط ١، ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م).

* أعلام الدين في صفات المؤمنين، الشيخ الحسن بن أبي الحسن الديلمي (ق ٨٨ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث (الناشر: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، بيروت، ط ٣، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م).

* الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (مط دار إحياء التراث، بيروت، ط ٢، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م).

* تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني (ق ٤ هـ)، تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، (ط ٧، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م).

* التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م)، تصحيح: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م).

* خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة الحلي) (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م)، تحقيق:

الشيخ جواد القيومي، (مط مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط ١، ١٤١٧ هـ).

* شرح أصول الكافي، الشيخ محمد صالح المازندراني (ت ١٠٨١ هـ / ١٦٧٠ م)، تحقيق وتعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م).

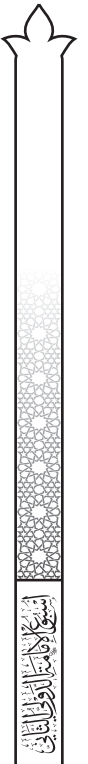
* عقائد الإماميّة، الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م)، تحقيق: عبد الكريم الكرماني، (مؤسسة الرافد، بغداد، ٢٠١١ م، د.ط).

* غرر الحكم ودرر الكلم، القاضي عبد الواحد التميمي الآمدي (ت ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، (مط ستار، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).

* فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد النجاشي (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م)، تحقيق: السيد موسى الشيرازي أزنجان، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط ١، ١٤٠٧ هـ).

* ألكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤١ م)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (حيدري، طهران، ط ٥، ١٣٦٣ ش).

* كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٣ هـ / ٩٤١ م)، تحقيق: علي آل كوثر، (الناشر: المجمع العالمي



الموسم الثاني
الدراسات والبحوث

لأهل البيت عليه السلام، دار التعارف، بيروت، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، د.ط).

* مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، تقديم: السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

* ميزان الحكمة، محمد الريشهري (ت ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)، مط دار الحديث، تحقيق: دار الحديث، قم، ط ٢، ١٤١٦هـ).

* الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م):

تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م).

* النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، الشيخ مقداد بن عبد الله السيوري (ت ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م)، تحقيق وتقديم: الدكتور مهدي محقق، مؤسسة جاب، مشهد، ١٣٧٤ش، د.ط).

* وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ / ١٦٩٣م)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، (ط ٢، مط مهر، قم، ١٤١٤هـ).

دلالة الروايات التفسيرية للإمام الكاظم (عليه السلام) ودورها التربوي في بناء الفرد والمجتمع

م.د. أكسم احمد فياض
جامعة وارث الانبياء

الملخص:

تُعَدُّ سيرُ الأئمة مرجعاً غنياً يعطي العبرة للناس جميعاً على امتداد العصور والأزمان، بوصفهم حاملين الدور المقدس ليقدموا أبلغ الحجج في القول والفعل؛ لصيانة تعاليم الوحي والتوجيه نحو الفهم العميق الصحيح لآيات الذكر الحكيم وتفسيرها بأجل الوجوه التي تحافظ على بياضة الإسلام نقيّة خالصة من البدع والأوهام، وكان لكلّ منهم مهمّة نورانية كبرى أنيطت به تميّزت في معاجزها ومثُلها المتفرّدة التي تقدّم العبر والدروس للناس جميعاً.

وقد اخترنا في بحثنا دراسة نماذج من الروايات التفسيرية التي وردت عن الإمام موسى بن جعفر «الكاظم» (عليه السلام) بوصفها إحدى المرتكزات الأساسية لسلم البناء العقدي والفكري والاجتماعي الذي أقرّه الإسلام منهجاً لتقويم العقيدة وتنظيم السلوك، والسير قدماً باتجاه حركة التكامل الإنساني المطلوب على صعيد الفرد والمجتمع. ذلك أنّ ما خُصّ به الأئمة من فضلٍ عظيمٍ ومكانةٍ متميّزة في تاريخ الإسلام، يدفعنا نحو استجلاء معالم تلك السيرة العطرة، والتي تحدّد الرؤية الأسلم والصيغة الأكمل لفهم الإسلام وتجسيده بأصوله وأركانه وفروعه وعلى المستويات كافة. وقد حاولنا وضع مقارنة تحدّد جوانب الدراسة على وفق الآتي:

يبدأ البحث بمقدمة تبين اصطفاء الله سبحانه وتعالى للأنبياء والأئمة (عليهم السلام) (ذرية بعضها من بعض)، يلي المقدمة مبحثان: أولهما الإطار النظري: وفيه يتم التعريف بعلمي الدلالة والتفسير في اللغة والاصطلاح، والمكانة العظيمة للإمامة، أمّا المبحث الثاني فيتناول التعريف ببعض الروايات التفسيرية التي قال بها الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، من حيث بلاغاته وتفسيراته لآيات الذكر الحكيم وفقا لما جاءت في مسند الإمام الكاظم (عليه السلام)، والتعرّف على دلالتها، ودورها التربوي في بناء الفرد والمجتمع، ومناقشة ما جاء حول هذه الروايات في بعض من كتب التفسير.

كلمات مفتاحية: موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، مسند الإمام الكاظم (عليه السلام)، المضامين التربوية، علم الدلالة، التفسير.



مقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَدْرُكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي مَنْ عَلَيْنَا بِأَنْوَارِ الْأُئِمَّةِ غِيثاً وَسْتِراً وَنَجَاةً، وَصَلَّ اللَّهُمَّ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ..

استخلص الله سبحانه وتعالى صنفاً من عباده المخلصين، لهم ملكات وكمالات وميّزات يختلفون بها عن بقيّة البشر، وهؤلاء صنفٌ من بني آدم ﷺ اختارهم الله تعالى ليكونوا حَمَلَةَ رسالته إلى بني الإنسان، وصرّح تبارك وتعالى في اصطفائهم واختيارهم في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ آل عمران الآية ٣٣، وأودع سبحانه وتعالى فيهم من أسرار الملكوت والمعجز ما يؤيدون به المهام الموكلة إليهم في تسيير الأكوان على وفق السنن الربانيّة التي تتحقّق فيها المشيئة وعداً إلهياً لا حياد عنه بين عالم الأنوار في الذرّ الأعلى وبين عالم الصورة الأرضي، وهكذا كان الأنبياء والأئمّة موكلين بدور الهداية والتبليغ عبر العصور والأزمان، من عهد آدم ﷺ إلى نبينا محمد ﷺ، ليتابع الأئمّة من نسل فاطمة ؓ الدور المقدّس مقدّمين أبلغ الحجج في القول والفعل لصيانة تعاليم الوحي والحفاظ على بيضة الإسلام، وكان لكلّ منهم مهمة نورانية كبرى أنيطت به تميّزت في معجزاتها ومثّلها المتفرّدة التي تقدّم العبر والدروس للناس جميعاً، متحمّلين أقسى أنواع الظلم في سبيل حفظ الوديعة الإلهيّة لمقامي النبوة والإمامة.

انتقلت الإمامة من إمامٍ إلى إمام لتصل إلى إمامنا الكاظم ﷺ، الذي فاض إليه العلم النوراني منذ أن كان طفلاً صغيراً، فتحفل سيرته المشرفة بأرقى البلاغات الفقهية والتفسيرات لآيات الذكر الحكيم والمعجز المرتبطة بعوالم الغيب والشهادة، فيسجّلها التاريخ بوصفها من الإثباتات المهمة في

علوم الفقه والتفسير في مسارات التاريخ الإسلامي، والتي تعزز مسؤولية الإمام المعصوم عليه السلام عبر ولايته التكوينية والتشريعية في قيادة الأمة والعالم بأسره، إذ مُنِحَ الرؤية الواضحة في المعرفة يقيناً وفي الإيمان رسوخاً. أهمية البحث: إن ارتباط الدراسة بالنص القرآني له فضل و قدسيّة، ذلك أن التلازم النورانيّ الشامل بين القرآن والعترة الطاهرة - بوصفهما صنوان لا يفترقان - يعدُّ موردًا خصباً للدراسات بغية الكشف عن دلالة الروايات التفسيرية للإمام الكاظم عليه السلام، والتعرّف على دورها التربوي في بناء الفرد والمجتمع.

إشكالية البحث: حاول العلماء المفسرون في عدد من المصنفات وضع توجيهات للمسلمين تمّدهم بالوسائل الفقهية التي يستنبطون الأحكام من خلالها، معتمدين على أحاديث متواترة مستمدة من القرآن والسنة النبويّة الشريفة وبعض من اجتهاداتهم. ومن هنا تكمن إشكاليّة البحث من خلال محاولة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

هل تشكّل كتب التفسير لو حدها منهاجاً وافياً يستوفي مختلف دقائق الأحكام والمعاني؟

وهل تمكّنت مرويات الإمام الكاظم التفسيرية من تقديم حلول ناجعة لكثير من المعضلات الفقهية والحدود في كثير من الأبواب؟ وما هو الدور التربوي والأخلاقي الذي توجّهنا إليه المرويات التفسيرية للإمام الكاظم عليه السلام. أهداف البحث: يسعى البحث إلى بيان أهمّ الدلالات التي وردت في بعض المرويات التفسيرية عند الإمام الكاظم عليه السلام وفوائدها العملية في التوجيه التربويّ الأخلاقيّ للفرد والمجتمع، والاطلاع على ما ورد في عدد كتب التفسير حولها.

منهجية الدراسة: ولعلَّ المنهجَ الوصفيَّ المشفوعَ بالتحليل يكون الأمثل في مقارنة المرويَّات التفسيرية للإمام الكاظم (عليه السلام) ومقابلتها بما ورد في عدد كتب التفاسير.

عينُ الدراسة: اختار بحثنا دراسةَ جزءٍ من المرويَّات التفسيرية للإمام موسى بن جعفر «الكاظم» (عليه السلام) بوصفها إحدى المرتكزات الأساسية لسلم البناء العقائدي والفكري والسياسي والاجتماعي الذي أقرَّه الإسلام كمنهج لتقويم العقيدة وتنظيم السلوك، والسير قدماً باتجاه حركة التكامل الإنساني المطلوب على صعيد الفرد والمجتمع. ومقابلة الدلالة في رواياته التفسيرية مع عدد من مؤلفات التفسير، وهي تفسير الطبري وتفسير الطبرسي وتفسير العياشي وكتاب التفسير الكبير للرازي، ذلك أنَّ ما خُصَّ به الأئمة من فضلٍ عظيم ومكانة متميزة في تاريخ الإسلام، يدفعنا نحو استجلاء معالم تلك السيرة العطرة، والتي تحدَّد الرؤية الأسلم والصيغة الأكمل لفهم الإسلام وتجسيده بأصوله وأركانه وفروعه وعلى المستويات كافةً.

فما هو علم الدلالة وما هو التفسير؟ وما خصوصية التفسير القرآني الذي ورد في مرويَّات الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)؟ وما دلالة الروايات التفسيرية للإمام الكاظم وما هو دورها التربوي على صعيد الفرد والمجتمع؟

المبحث الأول: الإطار النظري:

أولاً: الدلالة:

الدلالة في اللغة والاصطلاح: تعدُّ دراسة المعنى والدلالة من أهمِّ مظاهر اللغة، ويُعدُّ علم الدلالة أحد فروع علم اللغة العام، وهو علم يبحث في معاني الكلمات والجمل، أي في معنى اللغة، ولذلك لا بدَّ من التعرُّف إليه في اللغة والاصطلاح.

لغة: من الجذر «دل»، وله أصلان بحسب ما جاء به ابن فارس في معجمه، أحدهما إبانة الشيء بأمانة تتعلّمها، والآخر اضطراب في الشيء، كأن نقول: دللت فلاناً على الطريق، والدليل الأمانة في الشيء، وهو بين الدلالة. والأصل الآخر قولهم: تدلّدت الشيء إذا اضطرب^١.

اصطلاحاً: نال مصطلح الدلالة اهتماماً كبيراً بين العلماء، ونجد منهم أبا هلال العسكري، يقول: ((فهو ما يمكن أن يُستدلّ عليه بخلاف الاستدلال، لأنّه طلب الشيء من جهة غيره، فالاستدلال فعل المستدلّ))^٢. جاء في التعريفات للجرجاني: ((الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأوّل هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النصّ، وإشارة النصّ، ودلالة النصّ، واقتضاء النصّ. ووجه ضبطه أنّ الحكم المستفاد من النظم إمّا يكون ثابتاً بنفس النظم، أو لا... فدلالة النصّ عبارة عمّا ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهداً))^٣.

ويُتّضح من خلال ما تقدّم أنّ المعنى الاصطلاحي للدلالة مرتبط بالمعنى اللغوي، من حيث كون العلم بشيء ما موصولاً إلى العلم بشيء آخر. وقد قسّم علماء اللغة الدلالة بحسب مصدرها أربعة أنواع، هي على الترتيب: الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية والدلالة النحوية والدلالة المعجمية فضلاً عن الدلالة السياقية^٤.

والدلالة: هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به - بعد العلم بتلك الحالة - علمٌ بشيءٍ آخر، فالأوّل دالٌّ والثاني مدلولٌ، والحالة التي بينهما أساس لازمهما، فإن كانت هذه الحالة ضعفاً للدلالة وضعيفة، وإن كانت طبعاً للدلالة طبعية، وإن كانت عقلاً للدلالة عقلية^٥. والدلالة المعنوية في علم أصول الفقه هي الدلالة اللفظية الوضعية للنصوص الشرعية

والقانونية وأدلة الأحكام، وبقية الدلالات مطلوبة حين تطبيق النصوص وتكييف الواقع. ((ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الإطلاق، بل لا بد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة، وبها تستفاد الأحكام بحسب ما أصَّل أهل الشرع وجهابذة العلم من ذلك، وجعلوه قوانين لهذه الاستفادة))^٦.

ثانياً: التفسير: مرَّ علم التفسير بأطوار كثيرة إلى أن وصل إلى الصورة التي نراه فيها الآن في العشرات من الكتب والتصانيف المخطوطة والمطبوعة، ((ولقد نشأ التفسير مبكراً في عصر النبي ﷺ الذي كان أوَّل شارح لكتاب الله يبيِّن للناس ما نزل على قلبه))^٧، فعلم التفسير من أجل العلوم وأسمى المعارف، بوصفه أحد العلوم الشرعية الثلاثة التي أوجبها الشارع الحكيم على جماعة المسلمين، وجعل تعلّمها من فروض الكفاية، والسعي إليها من السنن المندوبات حين تتوفر الأهلية في الجماعة. فما هو التفسير في اللغة والاصطلاح؟

التفسير لغة: ورد في لسان العرب مادة «فسر»: الفَسَّرَ: البيان. فَسَّرَ الشيءَ يَفْسِرُهُ، بالكسر، وتَفْسَرُهُ، بالضم، فَسَرًا وفَسْرَةً: أبانه، والتَّفْسِيرُ مثله. ابن الأعرابي: التَّفْسِيرُ والتَّوِيلُ والمعنى واحد. وقوله عز وجل: وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا؛ الفَسْرُ: كشف المغطى، والتَّفْسِيرُ كشف المراد عن اللفظ المُشْكِل، والتَّوِيلُ: ردُّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر^٨. والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير هو بيان المراد باللفظ، والتأويل هو بيان المراد بالمعنى. وقد اختصت كلمة التفسير عند الإطلاق ببيان آيات القرآن، وكلمة التأويل بتوجيه الفهم إلى العمل وأدائه في الفعل على الوجه المقصود شرعاً. قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان ٣٣، والتفسير هو التفصيل بالمثال وما

يقرب المعنى إلى الأذهان؛ بإظهار المعنى المعقول على قصد مراد الشارع بما يزيل الإيهام الذي ربّما علق في أذهانهم عندما سمعوا الخطاب^٩.

التفسير في الاصطلاح: في الشرع: توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصّتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدلُّ عليه دلالة ظاهرة^{١٠}. وتفسير القرآن الكريم هو توضيح معانيه، وبيان وجوه البلاغة والإعجاز فيه، وشرح ما انطوت عليه آياته من أسباب نزول وعقائد وحكم وأحكام^{١١}، ((واصلحوا على أن التفسير هو إزاحة الإيهام عن اللفظ المشكل، أي المشكل في إفادة المعنى المقصود))^{١٢}.

وعرفه بعضهم: بأنه علم نزول الآيات، وشؤونها وأفاصيلها والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيّها ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسّرها، وحلالها وحرامها، ووعداها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها... فهو علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقّف عليه فهم المعنى وبيان المراد^{١٣}. فالتفسير هو بيان المعنى بحسب مقتضى اللغة ودلالة اللسان بمعهود العرب حين إدراكهم للخطاب ووحيهم به، أي بما تدركه العرب وتفهمه على عهد رسول الله ﷺ. والتأويل: هو بيان هذا المعنى على وجه يفيد العمل بمقتضى هذا المعهود من لسان العرب ومعهودهم وبمقتضى ما جاء من السنّة المطهّرة في بيانه^{١٤}. ويرتبط التفسير بتكوين المعنى في الذهن بما يخدم في فهم النصّ ووحيه له. والتأويل هو ردّ الشيء إلى الغاية المرادة منه علما كان أو عملا؛ أي إرجاعه إلى أصله.

ثالثاً: الإمامة مكانة عظيمة مؤيّدة بالحكمة الإلهية:

اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون الشجرة النبوية صنفاً مفرداً، ونوعاً واحداً واقعاً بين الإنسان وبين الملك، ومشاركاً لكل واحد منها على وجهه، وجعل الله النبوة في ولد إبراهيم ومن قبله في نوح، كما نبّه عليه بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ...﴾ سورة الحديد الآية ٢٦، وقال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة آل عمران الآية ٣٤، فهم ﷺ مؤيدون بعناية إلهية وقوة نورانية، خصّهم الله بها، كما قال تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...﴾ سورة البقرة الآية ٨٧، وقال في محمد: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ سورة الشعراء الآية ١٩٣-١٩٤،^{١٠} وهؤلاء ((قلوبهم ﷺ أوعية مشيئة الله سبحانه، كما أن الله ينبت لكل محلّ إنباته الأرض أو الرحم، كما قال: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ سورة آل عمران (٣٧))^{١١}، وهنا نبتت السيدة الزهراء ﷺ منبتاً طاهراً، ونبت الأئمة الأطهار من نسلها المقدّس، لتنتقل ودائع النبوة والإمامة من إمام إلى إمام لتصل إلى إمامنا موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، الذي فاض إليه العلم النوراني منذ أن كان طفلاً صغيراً، فتحفل سيرته المشرفة بأرقى البلاغات الفقهية والمعجز المرتبطة بعوالم الغيب والشهادة.

وقد أعطانا الله سبحانه وتعالى أسوة حسنة في سيرة الأنبياء السابقين ليدلنا على عظمة مقامي الإمامة والنبوة، وهذه سيرة إبراهيم عليه السلام بعد أن أتمّ الكلمات، ونجح في الاختبار رفعه الله ﷻ إلى مقام الإمامة، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ سورة البقرة ١٢٤. وانطلاقاً من أن القرآن الكريم قد أعظم مقام الإمامة، وأن نبينا محمد ﷺ من خلال

حديث الثقلين جعل التمسك بكتاب الله والعروة المقدسة لآل البيت (عليه السلام) - مترابطين لا انفصالان - طريق الهداية والنجاة، فيقول (عليه السلام): (أَمَّا بَعْدُ أَلَا أُنَبِّئُكُم بِأَمْرٍ أَهَمُّ مِنْ نَفْسِكُمْ وَأَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْ رَبِّي فَأُجِيبُوا، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ، فَحُثُّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَبٌ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلُ بَيْتِي أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي...)^{١٧}، ولذلك يجب على الإنسان الدخول من باب التسليم الإيماني، وأن يعتمل قلبه ويتمسك بنهج الولاية للإمامة والنبوة لدى الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ الأنبياء ٧٣. فهم الهداة يفسرون أنوار القرآن الكريم ويوجهون أحكامه ويحيون عن مختلف المسائل التي تعترض الأمة على مر العصور والأزمان، وتشكل منهاجاً ودليلاً يوجهنا نحو الحق، ويأخذ بيدنا إلى جادة الصواب.

المبحث الثاني «القسم التحليلي»:

دلالة الروايات التفسيرية للإمام الكاظم (عليه السلام) ودورها التربوي في بناء الفرد والمجتمع:

تمهيد: الشخصية التفسيرية للإمام الكاظم (عليه السلام):

وتتمثل بأهليته لبيان مراد الله تعالى في الخطاب القرآني، من إيضاح معنى لغوي عام، أو تفصيل إجمال أو توسيع دلالة حكم، أو بيان مبهم، أو تخصيص عام، أو تجلية مصداق، أو استنباط حكم شرعي فرعي، أو إرشادي أو تنزيهي، وغير ذلك مما ينتظمه تفسير النص القرآني.



كان النبي الأكرم ﷺ المفسر الأول للقرآن الكريم، كما عهد إليه الله ﷻ، بقوله: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» سورة النحل ٤٤. ونهض من بعده أئمة أهل البيت ﷺ، فهم الراسخون في العلم كله، وهم عدل القرآن الذي أكد عليه النبي ﷺ في مواقف عديدة. يقول أمير المؤمنين ﷺ: (ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه: ألا إن فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم...) ١٨.

فإمامنا الكاظم ﷺ تكونت معرفته من خلال التربية النبوية الكريمة التي انتقلت إليه ودائعها إماماً بعد إمام؛ لتحمل أعباء الوصية الكبرى للولاية التشريعية العامة، بدءاً من أمير المؤمنين ﷺ الذي جعله الله تعالى الأذن الواعية للقرآن الكريم، وصار سيّد الراسخين في العلم، وخصّه الرسول الأكرم ﷺ بعلوم القرآن بما فيها من أسس تفسيرية كعلم الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والخاص والعام، وغيرها، وبما ألهمه الله تعالى من علوم أخرى فوق كونه من أفصح أهل اللسان الذي أنزل به القرآن الكريم، لتفيض تلك المعرفة في نسغ شجرة الإمامة، ونجد العلوم التفسيرية وشواهدا التطبيقية ماثورة في أمهات كتب التفسير والمجاميع الحديثية وغيرها من الكتب التاريخية الإسلامية، فكان أولى بنا أن نتبّع بعضاً من تلك الشواهد التفسيرية في مسند الإمام الكاظم ﷺ الذي اشتمل الجَمَّ من مختلف العلوم التي يجب الرجوع إليها والإفادة منها. وهنا سنسلط الضوء على أربعة مطالب ناقش فيها دلالة الروايات التفسيرية للإمام الكاظم ﷺ ودورها التربوي في بناء الفرد والمجتمع، وذلك على وفق الآتي:

أولاً: التوسيع الدلالي: وهو اتساع معنى اللفظ الواحد في التعبير عن المراد وإضفاء عمق أكبر على المعاني بفعل الكلام والسياق غير ما هو له بحسب الوضع، ونجد مثالها في رواية تحرير رقبة:

جاء في القرآن الكريم: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ المائدة ٨٩، وقوله تعالى: ﴿فَكَ رَقَبَةٍ﴾ البلد ١٣.

ومن المعاني التي حددها اللغويون في معنى الرقبة: بأنه المملوك، وأَعْتَقَ رَقَبَةً أَي نَسَمَةً. وَفَكَ رَقَبَةً: أَطْلَقَ أَسِيرًا، سُمِّيَتِ الْجُمْلَةُ بِاسْمِ الْعُضْوِ لَشَرَفِهَا ... فَإِذَا قَالَ: أَعْتَقَ رَقَبَةً، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَعْتَقَ عَبْدًا أَوْ أَمَةً. وفي حديث ابن سيرين: لَنَا رِقَابُ الْأَرْضِ، أَي نَفْسُ الْأَرْضِ، يعني ما كان من أرض الحِجَاجِ فهو للمسلمين، ليس لأصحابه الذين كانوا فيه قَبْلَ الْإِسْلَامِ شَيْءٌ، لِأَنَّهَا فُتِحَتْ عَنْوَةً. وفي حديث بلال: وَالرَّكَائِبُ الْمُنَاخَةُ، لِكَ رِقَابَهُنَّ وَمَا عَلَيْهِنَّ أَيْ ذَوَاتُهُنَّ وَأَحْمَاهُنَّ^{١٩}.

ولكن الإمام الكاظم عليه السلام يوسّع في معنى تحرير الرقبة لتشمل ليس فقط الرقبة المملوكة تحت اليد، وإنما المملوك الأبق: فقد ورد في مسند الإمام الكاظم عليه السلام في (باب الإباق):

محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي هاشم الجعفري، قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن رجل قد أبق^{٢٠} منه مملوكه يجوز أن يعتقه في كفارة الظهار؟ قال: لا بأس به ما لم يعرف منه موتاً. قال أبو هاشم عليه السلام: وكان سألتني نصر بن عامر القمي أن أسأله عن ذلك.

عنه، عن محمد بن يحيى، عن العمركي بن علي، عن علي بن جعفر، عن أخيه أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألته عن جعل الأبق والضالة، قال: لا بأس به. الصدوق: روي عن أحمد بن هلال قال: كتبت إلى أبي الحسن (عليه السلام) كان عليّ عتق رقبة فهرب لي مملوك لست أعلم أين هو، أيجزني عتقه؟ فكتب (عليه السلام): نعم. عنه، قال: روي عن أبي هاشم الجعفري قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن رجل مملوك قد أبق منه يجوز أن يعتقه في كفارة الظهر؟ قال: لا بأس به ما لم يعرف منه موتاً»^{٢١}.

وبناء على الحكم الشرعي الذي أصدره الإمام نرى التوجيه التربوي والرحمة في عتق الرقبة ومنح الحرية للعبد الأبق بدل أن يعيش في الخفاء هارباً من سيده لا يأمن أوقاته القادمة، وخفف على الناس الذين يحتاجون تطبيق حكم كفارة فك الرقبة، ولم تعد تحت يدهم، بأن منحهم حق عتقها، وهنا تبرز الأخلاق الإسلامية التي تنبذ العبودية، وتيسر الأحكام المتعلقة بتحرير الرقاب، وأداء الشريعة حقها.

وإذا بحثنا في اجتهادات المفسرين الذين بذلوا الجهود الكبيرة لتقديم تفسيرات لآيات الذكر الحكيم وأحكامه نجد أن بعضهم قد ناقش هذا التوسيع الدلالي، ولعل بعضهم حاول الوصول إلى هذه المعرفة التي توجّهنا إليها مرويات الإمام الكاظم (عليه السلام)، ومن هؤلاء المفسرين الطبري، يقول: القول في تأويل قوله: «أو تحرير رقبة» المائدة ٨٩، قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: أو فك عبد من أسر العبودة وذلك. وأصل «التحرير» الفك من الأسر... فإن قال قائل: أفكّل الرقاب معنيّ بذلك أو بعضه؟ قيل: بل معنيّ بذلك كلّ رقبة كانت سليمة من الإقعاد، والعمى والخرس، وقطع اليدين أو شللها والجنون المطبق، ونظائر ذلك. فإن كان به ذلك أو شيء منه من الرقاب، فلا خلاف بين الجميع من



الحجة أنه لا يجزئ في كفارة اليمين. فكان معلومًا بذلك أن الله تعالى ذكره لم يعنه بالتحريم في هذه الآية. فأما الصغير والكبير والمسلم والكافر، فإنهم معنيون به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل العلم^{٢٢}.

وينقل الطبري روايات متعددة يحصر فيها الرواة صفات الرقبة المحررة، وهي: إذا أنقذها من عمل أجزأته، ولا يجوز عتق من لا يعمل. فأما الذي يعمل، كالأعور ونحوه. وأما الذي لا يعمل فلا يجزئ، الأعمى والمقعد. وكذلك كان يكره عتق المخبل في شيء من الكفارات. ولا يرى عتق المغلوب على عقله يجزئ في شيء من الكفارات. وأنه لا يجزئ في الكفارة من الرقاب إلا صحيح، ويجزئ الصغير فيها. وما كان في القرآن من "رقبة مؤمنة"، فلا يجزئ إلا ما صام وصلى. وما كان ليس بمؤمنة، فالصبي يجزئ. وأنهم حددوا فيما يتعلق بالصغار على وفق الآتي: إذا ولد الصبي فهو نسمة، وإذا انقلب ظهرًا لبطن فهو رقبة، وإذا صلى فهو مؤمنة.

وكذلك بحسب ما جاء به الطبري فإن الله تعالى عمّ بذكر "الرقبة" كل رقبة، فأَيُّ رقبة حرّرها المكفر يمينه في كفارته، فقد أدّى ما كُلف، إلا ما ذكرنا أن الحجة مجمعة على أن الله تعالى ذكره، لم يعنه بالتحريم، فذلك خارج من حكم الآية، وما عدا ذلك فجائز تحريره في الكفارة بظاهر التنزيل^{٢٣}.

وأما العياشي عندما نطلع على ما جاء في تفسيره حول موضوع تحرير الرقبة، فنجده يوجز في موضوع تحرير الرقبة، فيقول: ... والرقبة يعتق من المستضعفين في الذي يجب عليك فيه رقبة^{٢٤}، ولم يحدد ماهيتها ولا وضعها. وكذلك نرى الطبرسي يشرح معنى تحرير رقبة بقوله: ((عبد أو أمة وهذه الثلاثة واجبة على التأخير))^{٢٥}. ونراه في مجمع البيان يفسّر معنى تحرير رقبة فيقول: ((معناه عتق رقبة عبد، أو أمة. والرقبة يعبر بها عن جملة الشخص، وهو كل رقبة سليمة من العاهات، صغيرة كانت أو كبيرة،

مؤمنة كانت أو كافرة؛ لأنَّ اللفظة مطلقة مبهمة، إلا أنَّ المؤمن أفضل، وهذه الثلاثة واجبة على التخيير، وقيل إنَّ الواجب منها واحد لا بعينه))^{٢٦}.

ونجد معنى ذلك لدى الفخر الرازي في مصنّفه التفسير الكبير يقول في مسألة تحرير الرقبة يوافق ما جاء لدى الطبري: ((المراد بالرقبة الجملة، وقيل الأصل في هذا المجاز أنَّ الأسير في العرب كان يُجمع يداه إلى رقبته بحبل، فإذا أطلق حُلَّ ذلك الحبل، فسُمِّي الإطلاق من الرقبة فكَّ رقبة، ثمَّ جرى ذلك على العتق، ومذهب أهل الظاهر أنَّ جميع الرقبات تجزيه، وقال الشافعي...: الرقبة المجزية في الكفارة كل رقبة سليمة من عيب يمنع من العمل، صغيرة كانت أو كبيرة، ذكراً أو أنثى، بعد أن تكون مؤمنة، ولا يجوز إعتاق الكافرة في شيء من الكفارات، ولا إعتاق المكاتب، ولا شراء القريب، وهذه المسائل قد ذكرناها في آية الظهار))^{٢٧}. فيها توضيح دلالي الرقبة عنده بشروط العيب لمانع من العمل، وإذا كان العبد أبقاً كان العيب أعلى بحسب الشافعي الذي اعتمد عليه المفسر.

وفي سورة المجادلة قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَم تَوْعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المجادلة ٣، يقول الرازي في الرقبة: ((... قال الشافعي: لا بدَّ وأن تكون مؤمنة، ودليله وجهان، الأوَّل: أنَّ المشرك نجس، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ التوبة ٢٨، وكل نجس خبيث بإجماع الأمة، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتِمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ البقرة ٢٦٧، الثاني: أجمعنا على أنَّ الرقبة في كفارة القتل مقيّدة بالإيمان، فكذا ههنا، والجامع أنَّ الإعتاق إنعام، فتقييده بالإيمان يقتضي صرف هذا الإنعام إلى أولياء الله وحرمان أعداء الله، وعدم التقييد بالإيمان قد يفضي إلى حرمان أولياء الله، فوجب أن يتقيّد بالإيمان تحصيلاً لهذه المصلحة))^{٢٨}.

وفي السياق نفسه يورد الرازي: ((...إعتاق المكاتب لا يجزئ عند الشافعي...، وقال أبو حنيفة...: إن أعتقه قبل أن يؤدي شيئاً جاز عن الكفارة، وإذا أعتقه بعد أن يؤدي شيئاً، فظاهر الرواية أنه لا يجزئ، وروى الحسن عن أبي حنيفة أنه يجزئ، وحجة أبي حنيفة أن المكاتب رقبة؛ لقوله تعالى: ﴿وفي الرقاب﴾ البقرة ١٧٧، والرقبة مجزئة لقوله تعالى: ﴿فتحرير رقبة﴾، حجة الشافعي أن المقتضى لبقاء التكليف بإعتاق الرقبة قائم، بعد إعتاق المكاتب، وما لأجله ترك العمل به في محل الرقاب غير موجود ههنا، فوجب أن يبقى على الأصل، بيان المقتضى أن الأصل في الثابت البقاء على ما كان بيان الفارق أن المكاتب كالزائل عن ملك المولى، وإن لم يزل عن ملكه، لكنه يمكن نقصان في رقه، بدليل أنه صار أحق بمكاسبه، ويمتنع عن المولى التصرفات فيه، ولو أتلفه المولى يضمن قيمته، ولو وطئ مكاتبته يغرم المهر، ومن المعلوم أن إزالة الملك الخالص عن شوائب الضعف أشق على المالك من إزالة الملك الضعيف، ولا يلزم خروج الرجل عن العهدة بإعتاق العبد القنّ خروجه عن العهدة بإعتاق المكاتب، والوجه الثاني: أجمعنا على أنه لو أعتقه الوارث بعد موته لا يجزئ عن الكفارة، فكيف إذا أعتقه المورث والجامع كون الملك ضعيفاً))^{٢٩}.

وبناء على ذلك ومع اجتهاد المفسرين في تفسير نوعية الرقبة المراد استخدامها في الكفارة نلحظ في كتب التفسير الأربعة التي تناولناها بقاء التخصيص لدى المفسرين في فهم معنى تحرير الرقبة من حيث الصحة الجسدية والعقلية والإيمان... وكان توجيه إمامنا الكاظم (عليه السلام) أكثر شمولاً ووضوحاً.

ثانياً: التوجيه الدلالي بذكر المصاديق:

وفيه يتم توضيح متعلقات لفظة وردت في القرآن الكريم والمصاديق التي تتمثلها، ومثالها معنى «المسخ» في القرآن الكريم والمصاديق المتأتية عنها: قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ يس ٦٧.

من المعاني التي حددها اللغويون في معنى المسخ: ما جاء في القاموس المحيط مادة «مسخ»: مسخه، كمنعه: حوّل صورته إلى أخرى أقبح. ومسخه الله قرداً، فهو مسخٌ ومسيخٌ، والناقة: هزلها وأدبرها إتعاباً. والمسيخ المشوّه الخلق، ومن لا ملاحه له، ولحمٌ أو فاكهة لا طعم له، والضعيف الأحمق. والماسخيّ: القوَّاس، والماسخية: الأقواس، نسبة إلى ماسخة: قوَّاس أزدي

وفرس ممسوخ: قليل لحم الكفل. وامرأة ممسوخة العجز: رسخاء... ٣٠. ظهرت رواية الإمام الكاظم (عليه السلام) لتشرح لنا وتوضح ماهية هذه المسوخيات وحليّة لحومها وحدد المصاديق التي تتوارد فيها المسوخيات وموجبات المسخ على وفق الذنوب، وقد وردت في المسند في «باب لحوم الأماسخ» على وفق الآتي:

((الصدوق قال: حدثنا أبي (عليه السلام) قال: حدثنا علي بن إبراهيم عن أبيه عن إسماعيل بن مهران عن محمد بن الحسن [بن] زعلان، قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) عن المسوخ، فقال: اثنا عشر صنفاً، ولها عللٌ، فأما الفيل فإنه مسخٌ؛ لأنّه كان ملكاً زناً لوطياً، ومسخ الدبّ لأنّه كان أعرايياً ديوثاً، ومسخت الأرنب لأنها كانت امرأة تخون زوجها، ولا تغتسل من حيض، ولا جنباً، ومسخ الوطواط، لأنّه كان يسرق تمور الناس، ومسخ سهيل؛ لأنّه كان عشائراً باليمن. ومسخت الزهرة لأنها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت، وأما

القردة والخنازير، فإتَّهم فوم من بني إسرائيل اعتدوا في السبت، وأمَّا الجري والضبُّ ففرقة من بني إسرائيل حين نزلت المائدة على عيسى لم يؤمنوا به، فتأهوا فوقعت فرقة في البحر وفرقة في البرِّ، وأمَّا العقرب، فإنَّه كان رجلاً نَمَاماً، وأمَّا الزنبور، فكان [رجلاً] لحاماً يسرق في الميزان))^{٣١}.

ثُمَّ توجَّهت تربوية وأخلاقية تحيلنا إليها رواية الإمام الكاظم (عليه السلام)، ففي مسوخيَّة الفيل تحذير للناس من الزنا واللواط، وفي مسوخيَّة الدب توجيه تربويٍّ أخلاقيٍّ لصيانة الأسرة والحفاظ على الأعراض، وفي مسوخيَّة الأرنب توجيه تربويٍّ أخلاقيٍّ للنساء بالحفاظ على عَفَّتِهِنَّ وشرفهِنَّ والحفاظ على النظافة والطهارة، وفي مسوخيَّة الوطواط توجيه تربويٍّ للابتعاد عن السرقة، وفي مسوخيَّة العقرب توجيه تربويٍّ أخلاقيٍّ لترك النيمة، وفي الزنبور توجيه تربويٍّ أخلاقيٍّ للوزن بالعدل وعدم هضم حقوق الناس. إنَّ دلالة هذه المرويَّات تحفر في ذاكرة الإنسان لتشكِّل مثيراً عاطفياً يتمُّ استدعاؤه من الذاكرة أمام أيِّ من الأفعال السابقة التي جاء حكم المسخ وفقها، فهي تثير نوعاً من الاستجابة المعرفية العقلانية في طبقات اللاوعي، والتي تذكَّر بالعاقبة والمصير، إنها التربية بالعقاب التي تشكل رادعاً ووازعاً أخلاقياً يسهم في بناء الإنسان والمجتمع على وفق أرقى الضوابط الأخلاقية.

حاول المفسرون توضيح هذا المعنى، ومنهم الطبري: ... وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم، ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾، يقول: فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا أن يرجعوا وراءهم. وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك: ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال:

ثنا يزيد، ثنا سعيد عن قتادة ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ أي: لأقعدناهم على أرجلهم، ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ فلم يستطيعوا أن يتقدموا ولا يتأخروا. وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولو نشاء لأهلكناهم في منازلهم.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ يقول: ولو نشاء أهلكناهم في مساكنهم، والمكانة والمكان بمعنى واحد^{٣٢}. وهنا جعل الطبري المسخ بمعنى الهلاك وعدم القدرة على الحركة.

وأما العياشي في تفسيره، فلم يتطرق إلى معنى المسخ. وكذلك ما جاء به الطبرسي في مجمع البيان: ((﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي على مكانهم الذي هم فيه قعود، والمعنى لو نشاء لعذبناهم بنوع آخر من العذاب، فأقعدناهم في منازلهم ممسوخين قردة وخنازير، والمكانة والمكان واحد، وقيل: معناه ولو شئنا لمسخناهم حجارة في منازلهم ليس فيهم أرواحهم، ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيء، ولو فعلنا ذلك بهم، وقيل معناه فما استطاعوا مضياً من العذاب، ولا رجوعاً إلى الخلقة الأولى بعد المسخ، وهذا كله تهديد هددهم الله به))^{٣٣}. وهنا نجدُ اجتهاد الطبرسي في توضيح ماهية المسخ بين صور حيوانية تحتفظ بأرواحها، وجمادات «حجارة» خلت منها الروح. ولكنه لم يتطرق إلى ربط الذنب المستوجب لصورة المسوخية كما وضّحها الإمام الكاظم (عليه السلام).

ونجد الرازي في تفسيره يناقش معنى المسخ فيقول: ((... كما أنه لو شاء لطمس على أعينهم المبصرة، وسلب القوة العقلية باختياره ومشئته، كما أن سلب القوة الجسميّة بمشيئته، حتى لو شاء لمسخ المكلف على مكانته، وأقامه بحيث لا يتحرك يمنة ولا يسرة، ولا يقدر على المضي والرجوع... وأنه لو شاء سلب قوة أجسامهم ومسحهم لما قدروا على تقدم ولا تأخر... فلو مسحهم وسلب قوتهم بالكلية لا يهتدون إلى الصراط المستقيم بوجه من الوجوه))^{٣٤}. وبناء على ذلك نلاحظ أن المفسر لم يوضح لنا أي معنى أو شرح يتعلّق بالمسخ سوى سلب القوة بالكلية وعدم القدرة على الحركة، وهنا تظهر الحاجة إلى علم الأئمة ومروياتهم لشرح الآيات وتفصيل الأحكام ووضعها في سياقها الصحيح.

ثالثاً: تفصيل الحكم المجمل على سبيل التوجيه التربوي الأخلاقي:

ومثالها ما جاء حول عدم كتمان الشهادة، والتفصيل بموضوع شهادة المرأة.

ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ البقرة ١٤٠، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ البقرة ٢٨٣. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِئَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا

فَتَدَّكَرَ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى وَلَا يَأْبُ الشُّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿البقرة ٢٨٢﴾.

الشهادة في المعاجم: خبرٌ قاطع. تقول منه شَهِدَ الرجلُ على كذا، وربَّما قالوا: شَهِدَ الرجلُ بسكون الهاء، للتخفيف، عن الأَخفش، وقوله: اشهد بكذا، أي احلف. والمشاهدة: المعاينة، وشَهِدَهُ شهودًا، أي حضره. فهو شاهد... واستشهدت فلانًا: سألته أن يشهد^{٣٥}.

يوضح الإمام الكاظم (عليه السلام) ويشرح ماهية الشهادة، وضرورة تلبية النداء من أجل الشهادة، تقول الرواية في كتاب القضاء والشهادة:

أ. باب إظهار الشهادة^{٣٦}:

١. محمد بن يعقوب عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهْدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾، فقال: إذا دعاك الرجل لتشهد له على دين أو حقٍّ لم ينبغ لك أن تقاعس عنه.

٢. قال الصدوق: روي عن محمد الفضيل قال: قال العبد الصالح (عليه السلام): لا ينبغي للذي يُدعى إلى شهادة أن يتقاعس عنها.

٣. الطوسي بإسناده عن سهل بن زياد، عن إسماعيل بن مهران، عن محمد بن منصور الخزاعي، عن علي بن سويد السائي عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: كتب أبي في رسالته إليَّ وسألته عن الشهادات لهم قال: فأقم الشهادة لله عزَّ وجلَّ، ولو على نفسك، أو الوالدين أو الأقربين فيما بينك وبينهم، فإن خفت على أخيك ضيمًا فلا.

ومن هنا نلاحظ التوجيه التربويّ الأخلاقيّ الذي أرادَه الإمام الكاظم (عليه السلام)، من حيث وجوب القيام بالشهادة لأنَّ فيها حفظاً للحقوق، وفيها توجيهاً نحو التكافل والتعاقد بين أفراد المجتمع.

ب. قول الإمام الكاظم (عليه السلام) في ما يتعلّق بالشهادة للمخالفين: لم يكتف الإمام (عليه السلام) بتوجيه الأمة حول أداء الشهادة، وتفاصيل موضوع شهادة المرأة، بل بيّن في موضوع الشهادة للمخالفين، وذلك في (باب الشهادة لأهل الدين):

١. محمد بن يعقوب، عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن خالد، عن سعد بن سعد، عن محمد بن القاسم بن الفضيل، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سألتَه قلت له: رجل من مواليك عليه دين لرجل مخالف يريد أن يعسره، ويحبسه، وقد علم أنَّه ليس عنده، ولا يقدر عليه، وليس لغريمه بيّنة، هل يجوز له أن يحلف له ليدفعه عن نفسه حتّى ييسّر الله له، وإن كان عليه الشهود من مواليك قد عرفوا أنَّه لا يقدر. هل يجوز أن يشهدوا عليه؟ قال: لا يجوز أن يشهدوا عليه، ولا ينوي ظلمه.

٢. الصدوق: وروي عن علي بن سويد قال: قلت لأبي الحسن الماضي (عليه السلام): يشهدني هؤلاء على إخواني؟ قال: نعم، أقم الشهادة لهم، وإن خفت على أخيك ضرراً^(٣٧).

وهنا نرى رقيّ التوجيهات التربوية التي تضمنتها مرويات الإمام الكاظم (عليه السلام)، والتي تحفظ حقوق جميع الناس سواء أكانوا إخواناً أم مخالفين، وتطلب ضرورة إقامة الشهادة ولو كانت على الإخوان، أو يمكن أن تسبّب ضرراً لهم. إنها تعويد النفس على قول الحقّ وحماية الحقوق. وإذا نظرنا في بعض كتب التفسير التي اجتهدت في موضوع الشهادة، نجد الآتي:

جاء في تفسير الطبري: ((القول في تأويل قوله: ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء﴾ قال أبو جعفر فإن لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان على الشهادة، ورفع «الرجل والمرأتان»، بالرد على «الكون». وإن شئت فإن لم يكونا رجلين فهو رجل وامرأتان يشهدون عليه، وإن قلت: فإن لم يكونا رجلين فهو رجل وامرأتان، كان صواباً. كل ذلك جائز. ولو كان «فرجلاً وامرأتين نصباً كان جائزاً، على تأويل: فإن لم يكونا رجلين فاستشهدوا رجلاً وامرأتين، وقوله «ممن ترضون من الشهداء» يعني من العدول المرتضى دينهم وصلاهم))^{٣٨}.

القول في تأويل قوله: أن تَضَلَّ إحداهما الأخرى: كي تذكّر إحداهما الأخرى إن ضلّت^{٣٩} ... لأنَّ شهادة كل واحد منهما منفردة غير جائزة فيما جازت فيه من الديون إلا باجتماع اثنتين على شهادة واحد، فتصير شهادتهما حينئذ بمنزلة شهادة واحد من الذكور. فكأنَّ كل واحدة منهما- في قول متأوّل ذلك بهذا المعنى - صيّرت صاحبتهما معها ذكراً...^{٤٠} يتابع الطبري: القول في تأويل قوله: «ولا يَأْب الشهداء إذا ما دعوا»، قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في الحال التي نهى الله الشهداء عن إيباء الإجابة إذا دعوا بهذه الآية. فقال بعضهم: معناه: لا يَأْب الشهداء أن يجيبوا، إذا دعوا ليشهدوا على الكتاب والحقوق^{٤١}.

يؤكد الطبري: القول في تأويله ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه أثم قلبه والله بما تعملون عليم﴾ البقرة ٢٨٣. قال أبو جعفر: وهذا خطاب من الله عز وجل للشهود الذين أمر المستدين ورب المال بإشهادهم، فقال لهم: ولا يَأْب الشهداء إذا ما دُعوا «ولا تكتموا أيها الشهود، بعد ما شهدتم شهادتكم عند الأحكام، كما شهدتم على ما شهدتم عليه، ولكن أجيئوا من شهدتم له إذا دعاكم لإقامة شهادتكم على خصمه على حقه عند الحاكم الذي يأخذ له بحقه...»^{٤٢}.

وأما العياشي فيذكر في تفسيره رواية عن أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وعن موسى الكاظم (عليه السلام)، وهنا نلاحظ تأثره بمرويات الإمام الكاظم من بين كتب التفسير الأربعة التي تناولناها في البحث، يقول: ((عن يزيد بن أسامة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله: ﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال: ما ينبغي لأحد إذا ما دعي إلى الشهادة ليشهد عليها أن يقول: لا أشهد لكم.

عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) في قول الله: ﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ قال: قال قبل الشهادة، قال: لا ينبغي لأحد إذا ما دعي للشهادة شهد عليها أن يقول: لا أشهد لكم.

عن محمد بن عيسى عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: لا رهن إلا مقبوضاً. عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ قال: بعد الشهادة. عن هشام عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله: ﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ﴾ قال: قبل الشهادة))^{٤٣}.

وكذلك الأمر في مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي: ((﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ وهذا يدل على أن العدالة شرط في الشهود، ويدل أيضاً على أننا لم نتعبد بإشهاد مرضيين على الإطلاق، لقوله: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ ولم يقل المرضيين؛ لأنه لا طريق لنا إلى معرفة من هو مرضي عند الله تعالى، وإنما تعبدنا بإشهاد من هو مرضي عندنا في الظاهر، وهو من مرضى دينه وأمانته، وتعرف بالستر والصلاح. ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾، أي تنسى إحدى المرأتين. ﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾ قيل هو من الذكر الذي هو ضد النسيان، عن الربيع والسدي والضحاك وأكثر المفسرين. والتقدير: فتذكر إحداهما الأخرى الشهادة التي تحملتها... وهذا النسيان يغلب

على النساء، أكثر ما يغلب على الرجال؛... ثُمَّ ((خاطب سبحانه الشهود، فقال: ﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ وفي معناه ثلاثة أقوال، أحدها: إِنَّ معناه ولا يمتنع الشهداء إذا دعوا لإقامة الشهادة، عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير. وهذا إذا كانوا عالمين بالشهادة على وجه لا يرتابون فيه، ولم يخافوا من أدائها ضرراً. والثاني إِنَّ معناه إذا دعوا لإثبات الشهادة وتحملها، عن قتادة والربيع، والثالث: إِنَّ معناه إذا دعوا إلى إثبات الشهادة وإلى إقامتها، عن ابن عباس والحسن، وعن أبي عبد الله (عليه السلام) وهو أولى، لأنه أعمُّ فائدة))^{٤٥}.

جاء في التفسير «تفسير الرازي»: ((أما قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ ففيه ثلاثة أوجه. أحدها: أن في الآية تقدماً وتأخيراً، والتقدير ومن أظلم عند الله ممن كتم شهادة حصلت عنده كقولك: ومن أظلم من زيد من جملة الكاتمين للشهادة، والمعنى لو كان إبراهيم وبنوه هوداً ونصارى، ثم إن الله كتم هذه الشهادة لم يكن أحدٌ ممن يكتُم شهادة أظلم منه لكن لما استحال ذلك مع عدله وتنزهه عن الكذب علمنا أنه ليس الأمر كذلك، وثانيها: ومن أظلم منكم معاشر اليهود والنصارى إن كتمتم هذه الشهادة من الله، فمن قوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ تتعلّق بالكاتم على القول الأوّل وبالمكتوم منه على القول الثاني، كأنه قال: ومن أظلم ممن عنده شهادة فلم يقمها عند الله، بل كتمها وأخفاها. وثالثها: أن يكون ﴿مِنَ﴾ في قوله: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ صلة الشهادة والمعنى: ومن أظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فجحدها، كقول الرجل لغيره عندي شهادة منك، أي شهادة سمعتها منك وشهادة جاءتنى من جهتك ومن عندك))^{٤٦}. وأنه نهى الشاهد عن الامتناع عن أداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق، وأن الأمر بالإشهاد يفيد أمر الشاهد بالتحمُّل من بعض الوجوه، فصار

الأمر بتحمّل الشهادة داخلاً في التوجيه القرآني حملاً له على فائدة جديدة. وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ البقرة ٢٨٣ يرى الرازي: في كتمان الشهادة والامتناع من أدائها عند الحاجة إلى إقامتها، وقد تقدّم ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ البقرة ٢٨٢، وذلك لأنه متى امتنع عن إقامة الشهادة فقد بطل حقّه وكان هو بالامتناع من الشهادة كالمبطل لحقّه، وحرمة مال المسلم كحرمة دمه، فهذا بالغ في الوعيد^{٤٧}.

جاء في تفسير الرازي: (....) واحتجّ أبو حنيفة بهذه الآية فقال: إنّ الله تعالى أوجب عند عدم شهادة رجلين شهادة الرجل والمرأتين على التعيين، فلو جَوَزْنَا الاكتفاء بالشاهد واليمين لبطل ذلك التعيين، وحجّة الشافعي ... أنّه ﷺ قضى بالشاهد واليمين، وتام الكلام فيه مذكور في خلافيات الفقه^{٤٨}). واكتفى بذلك بأن حصر حكم الشهادة بالرجل والمرأتين من دون تفصيلات بالأوضاع الخاصّة والحدود.

رابعاً: التوجيه الدلالي للأحكام الشرعية:

توجد بعض الأحكام الشرعيّة التي قد لا نعرف علّتها، ولا نستطيع تدبّر تفصيلات الحكم الشرعيّ فيها، إذ إنّها تبقى عند الله سبحانه وتعالى، وهذا كثيراً ما يثير التساؤلات، بل وبعض الإشكالات لدى بعض النفوس التي لم تصل إلى درجة الإيمان المطلق والتسليم، ولذلك نرى أنّ أَل البيت ﷺ في كثير من المواضع يبينون التوجيه الإلهي للأحكام الشرعية في مصاديقها وأدلّتها كي تكون واضحة شاملة أمام المتلقي، وبخاصّة الذي يكون التسليم عنده صعباً أو غير مكتمل، لكي يقتنع بها ويعمل بها بكلّيته، ومثال ذلك، في باب حدّ السارق: قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ المائدة ٣٨.



جاء في مسند الإمام الكاظم عليه السلام ، ((باب حدّ السارق: محمد بن يعقوب، عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن إسحاق بن عمار، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: تقطع يد السارق، ويترك إبهامه وصدر راحته، وتقطع رجله، وتترك له عقبه يمشي عليها))^٩.

وهنا يبيّن الإمام الكاظم عليه السلام حدّ القطع ويفصّل فيه، وماذا يُقطع من اليد، إلى درجة أنّه عليه السلام يوسّع في القطع ليشمل قطع الرجل، مع ترك العقب ليمشي عليها. وهنا يتحقق التوجيه التربويّ من حيث تطبيق الحدّ ليكون عبرة ورادعاً، وفي الوقت نفسه ترك الإبهام ليتمكّن الشخص من القيام ببعض الضروريات وحتى الصلاة في حال ارعوى وامتنع عن تلك الأعمال، فالعقاب وسيلة إصلاح وأداة تهذيب وليس غاية في حدّ ذاته.

لم يكتفِ عليه السلام بتفصيل مكان القطع، وربط قطع الرجل مع أصابع اليد، ولكنّه عليه السلام تقدّم تفصيلاً آخر يتعلّق بحدّ الصبيّ السارق، وهو أمر مهم جدّاً لتوجيههم وتربيتهم، وذلك على وفق الآتي في ((باب حدّ الصبيان:

١. محمد بن يعقوب، عن صفوان، عن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي إبراهيم عليه السلام : الصبيان إذا أتي بهم عليّ عليه السلام قطع أناملهم، من أين قطع؟ فقال من المفصل، مفصل الأنامل.

٢. الطوسي بإسناده عن القاسم بن محمد عبد الصمد بن بشي، عن إسحاق بن عمار، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت الصبيّ يسرق قال: يعفى مرّتين، فإن عاد الثالثة قطعت أنامله، فإن عاد قطع المفصل الثاني، فإن عاد قطع المفصل الثالث، وثُرِكت راحته وإبهامه))^{١٠}. ويظهر ذلك قيمة التسامح الموجه المؤدّي بالصبيان المخطئين لينالوا أكثر من فرصة للإصلاح والابتعاد عن الانحراف قبل أن يطبّق الحدّ عليهم.

وعند البحث في كتب التفسير عن حدّ القطع نجده عند الطبري على وفق الآتي:

يقول الطبري: القول في تأويل قوله عز ذكره: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم﴾ المائدة ٣٨. قال أبو جعفر: يقول جلّ ثناؤه: ومن سرق من رجل أو امرأة، فاقطعوا، أيها الناس، يده ولذلك «رفع السارق والسارقة»، لأنّهما غير معينين. ولو أريد بذلك سارق وسارقة بأعيانهما، لكان وجه الكلام النصب ... حدثنا ابن وكيع قال: حدثنا ابن عليه، عن ابن عون، عن إبراهيم: في قراءة «والسارقون والسارقات فاقطعوا أيماهما» ثمّ اختلفوا في السارق الذي عناه الله عزّ ذكره. فقال بعضهم: عني بذلك سارق ثلاثة دراهم فصاعداً، وذلك قول جماعة من أهل المدينة، منهم مالك بن أنس ومن قال بقوله^١. واحتجّوا لقولهم ذلك، بأن رسول الله ﷺ، قطع في مجنّ قيمته ثلاثة دراهم. وقال آخرون بل عني بذلك سارق ربع دينار أو قيمته. ومن قال ذلك الأوزاعي ومن قال بقوله، واحتجّوا لقولهم ذلك بالخبر الذي روي عن عائشة أنّها قالت: قال رسول الله ﷺ القطع في ربع دينار فصاعداً^٢، وقال آخرون: بل عني بذلك سارق عشرة دراهم فصاعداً، ومن قال بذلك أبو حنيفة وأصحابه، وكان عمر بن الخطاب... يقول: اشتدوا على السّراق، فاقطعوا يداً يداً، ورجلا رجلاً^٣.

أمّا العياشي في تفسيره، فهو ينقل الرواية: عن حماد بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه سئل عن التيمّم فتلا هذه الآية: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء...﴾ المائدة ٣٨ وقال: ﴿واغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾، قال: فامسح على كفّيك من حيث موضع القطع، قال: ﴿وما كان ربك نسياً﴾. قال: وكتب إلينا أبو محمد يذكر عن

أبي عمر عن إبراهيم بن عبد الحميد عن عامة أصحابه يرفعه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه كان إذا قطع يد السارق ترك له الإبهام والراحة، فقيل: يا أمير المؤمنين تركت عامّة يده؟ قال: فقال لهم فإن تاب فبأي شيء يتوضأ؟ لأن الله يقول: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ المائدة ٣٨-٣٩. عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) عن رجل سرق فقطعت يده اليمنى، ثم سرق فقطعت رجله اليسرى، ثم سرق الثالثة، قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يخلّده في السجن، ويقول: إني لأستحي من ربّي أن أدعه بلا يد يستنظف بها، ولا رجل يمشي بها إلى حاجته، قال: وكان إذا قطع الرجل قطعها دون الكعبين، وكان لا يرى أن يغفل عن شيء من الحدود. وبناء على ذلك نجد توافق الروايات عن آل البيت (عليهم السلام) مع ما جاء في مسند الإمام الكاظم (عليه السلام).

ولكن العياشي يبين لنا رأياً لم نجد في التفاسير من حيث تحديد نوعيّة الجرم المستحقّ لتطبيق حدّ القطع، وهو ينقله عن إمامنا الصادق (عليه السلام): عن السكوني عن جعفر عن أبيه قال: لا يقطع إلا من نقب بيتاً أو كسر قفلاً. وهذا تفصيل لم تذكره الروايات المختلفة في كتب التفسير.

كما أن العياشي يورد رواية خطيرة جداً تبين خطورة التفسير بالرأي، وتبين اختلاف الأئمة في مكان القطع: ... إن سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقه وسأل الخليفة المعتصم تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر الإمام «الجواد» محمد بن علي (عليه السلام)، فسأل القوم عن القطع في أيّ موضع يجب أن يُقطع؟ فاختلّفوا: ... وقال بعضهم من الكرّسوع، وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق... قال المعتصم... للإمام محمد الجواد (عليه السلام): ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ ... أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه، فقال (عليه السلام): أمّا

إذا أقسمت عليّ بالله إنّي أقول لهم: إنهم أخطئوا فيه السنة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكفّ، قال: وما الحجّة في ذلك؟ قال: قول رسول الله ﷺ السجود على سبعة أعضاء الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرّسوع أو المرفق لم يبق له يدٌ يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، وما كان لله لم يقطع قال: فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ^٦. تظهر هذه الرواية الغيرة والحقد الأعمى ممن سمّوا أنفسهم بالعلماء، وبخاصّة أبو داود... إذ أوغر صدر المعتصم... الذي بدوره قام بتسميم الإمام محمد الجواد عليه السلام الذي أعطاهم الجواب الصحيح على وفق تعاليم الرسول وتعزيزها بالقرآن في قضية قطع يد السارق...

وفي مجمع البيان للطبرسي: ﴿فاقطعوا أيديهما﴾ أي أيانها، ... ودلّت قراءة ابن مسعود على أنّ المراد بالأيدي الأيمان (الأطراف اليمنى)، قال العلماء: إنّ هذه الآية مجملة في إيجاب القطع على السارق، وبيان ذلك مأخوذ من السنّة. واختلف في القدر الذي يقطع يد السارق، منهم من قال: يقطع في ربع دينار فصاعداً، ومنهم من قال يقطع في عشرة دراهم فصاعداً... ومنهم من ذهب إلى أنّه يقطع في ثلاثة دراهم فصاعداً. وروى بعضهم أنّه لا تقطع الخمس إلا في خمسة دراهم... واختلف أيضاً في كيفية القطع، فقال أكثر الفقهاء: إنّما يقطع من الرسغ، وهو المفصل بين الكفّ والساعد، ثمّ إنّ عند الشافعي تقطع يده اليمنى في المرّة الأولى، ورجله اليسرى في المرّة الثانية، ويده اليسرى في المرّة الثالثة، ورجله اليمين في المرّة الرابعة، ويحبس في الخامسة، وعند أبي حنيفة لا تقطع في الثالثة. وقال أصحابنا: إنّهُ تقطع من أصول الأصابع، وتترك له الإبهام والكفّ، وفي المرّة الثانية تقطع رجله اليسرى من

وفي التفسير يبين الرازي: أنَّ المراد من الآية الشرط والجزاء، وذلك على وجوه، الأول: أنَّ الله تعالى صرَّح بذلك وهو قوله: ﴿جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا﴾ وهذا دليل على أنَّ القطع شرع جزاء على فعل السرقة، فوجب أن يعمَّ الجزاء لعموم الشرط. والثاني: أنَّ السرقة جناية، والقطع عقوبة، وربط العقوبة بالجناية مناسب، وذكر الحكم عقب الوصف المناسب يدل على أنَّ الوصف علَّة لذلك الحكم. والثالث: أنَّنا لو حملنا الآية على هذا الوجه كانت الآية مفيدة، ولو حملناها على سارق معيَّن صارت جملة غير مفيدة، فكان الأول أولى... وأمَّا قوله «الأيدي» عامَّة فنقول: مقتضاه قطع الأيدي، لكنَّه لمَّا انعقد الإجماع على أنَّه لا يجب قطعهما معاً، ولا الابتداء باليد اليسرى أخرجناه على العموم. وأمَّا قوله: لفظ اليد دائر بين أشياء فنقول: لا نسلم، بل اليد اسم لهذا العضو إلى المنكب، ولهذا السبب قال تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ المائدة ٦، فلو لا دخول العضدين في هذا الاسم، وإلَّا لمَّا احتيج إلى التقييد بقوله: ﴿إلى المرافق﴾ فظاهر الآية يوجب قطع اليدين من المنكبين كما هو في قول الخوارج، إلَّا أنَّنا تركنا ذلك لدليل منفصل... قال الشافعي...: الرجل إذا سرق أوَّلاً قطعت يده اليمنى، وفي الثانية رجله اليسرى، وفي الثالثة يده اليسرى، وفي الرابعة رجله اليمنى، وقال أبو حنيفة والثوري... لا يقطع في المرَّة الثالثة والرابعة^{٥٨}.

٤١٠

الأئمة في معرفتهم بكماليّاتها في توجيه الأحكام الشرعية. وهذا التفصيل في بيان الحكم الشرعي لم يناقشه المفسرون الذين تناولتهم الدراسة في بحثنا ولم يتم التطرّق إليه، ولكن الحاجة إلى بيانه ضرورية، ونرى فيها الحرص على تطبيق الحد، وفي الوقت نفسه رحمة بذاك الصبي الذي يُعطى الفرصة ليكون صالحاً، فيُعفى مرّتين، فإن لم يرعو وعاد وكرّر السرقة لمرّة ثالثة قطعت أنامله، فإن عاد قطع الفصل الثاني، فإن عاد قُطِع الفصل الثالث، وتُرِكَت راحته وإبهامه. وهذا التفصيل في الحكم الشرعي المتعلّق بالصبيان له آثار تربويّة توجّه الناس لتربية أولادهم وتعطي الفرصة للمخطئ ليصحّح خطأه، ويعود إلى جادة الصواب، فيصلح المجتمع، فالعقاب هنا تعديل سلوكك وليس قوّة انتقام.

نتائج البحث: توصّل البحث إلى مجموعة من النتائج نفصّلها على وفق الآتي:

مع أنّ الأئمة الإسلاميّة قد قطعت شوطاً بعيداً في إنجاز مهمّة التفسير على مدار الأزمان وتغيّر الأحوال، ومع وجود عدد من العلماء ممن حاول القيام بهذه المهمّة على امتداد العقود من القرون الماضية، في مجال الحديث والفقه والتفسير، إلا أنّ معرفتهم تبقى قاصرة ولا تعطي الأحكام المفصّلة لدقائق الأمور عبر التفاسير التي اطلعنا عليها، بل إن بعضها قد يحيد عن جوهر العقيدة ويهضم حقوق الناس، ولا بدّ من العودة إلى مرويات آل البيت (عليهم السلام) وتراثهم لبيان الأحكام الشرعية، ومعالجة كثير من الأحوال والمشكلات. إنّ مرويات الإمام الكاظم (عليه السلام) تربوية تعالج المشكلات والأفكار والمستجدات علاجاً معيّنّاً على ضوء المبادئ الإسلامية والأحكام الشرعية والتراث الفقهيّ لآل البيت (عليهم السلام) ومعرفتهم النورانيّة التي خصّهم الله بها، وذلك لتعميق المفاهيم والقيم الأخلاقية التي يريدون تعزيزها وغرسها في نفوس المسلمين أو لاجتثاث المفاهيم والعادات السيئة التي يريد الإسلام تزكية النفس منها.

تحفل مرويات الإمام الكاظم (عليه السلام) بمضامين وتوجيهات تربوية وأخلاقية قيّمة تساعدنا على تطوير أنفسنا وتنظّم لنا حياتنا بأرقى الضوابط الأخلاقية التي تطبّق فيها الحدود وتحفظ للناس حقوقهم وتيسّر معاشهم وتزرع الألفة والمودة بينهم. وبناء على ذلك يجب التشجيع على دراسة حياة الأئمة (عليهم السلام) للاستفادة من تجاربهم وتوجيهاتهم في حياتنا اليومية.

تعدّ توجيهات الإمام الكاظم (عليه السلام) وسيلةً فعّالة لتعزيز الأطر التربوية والأخلاقية في المجتمع الإسلامي، إذ إنّها تحمل في طيّاتها قيماً ومبادئ إيجابية تسهم في بناء شخصيّة المسلم وتوجيهه نحو الخير والصلاح، تسهل له أداء كفارة اليمين، وتمنحه الفرصة ليصحح خطأه ويعود إلى جادة الصواب، علاوة على ذلك، توجد في تفاسير آل البيت (عليهم السلام) دروس تربوية وأخلاقية تُعزّز التفاهم والتسامح وتشجع على ممارسة الفضيلة والإحسان.

أرشدتنا مرويات الإمام الكاظم (عليه السلام) إلى الأسلوب الصحيح في التعامل مع الآخرين ووجوب أداء الشهادة بالحقّ على الجميع وعدم كتمان الشهادة حتى ولو كانت للمخالفين أو من أهل الذمّة، وتلك أشرف الخصال، كلّ ذلك عملاً بتعاليم القرآن الكريم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت ٣٣-٣٤، لذلك نجد الكثير من مخالفينهم قد تأثر بأخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، وانقلب كثير منهم إلى محبّين وموالين لهم.

من خلال الاطلاع على مرويات آل البيت (عليهم السلام) وتفسيرهم والعمل بها يصبح أتباع هذا الدين متشبّعين بالارتباط الوجداني للتوجيه التربوي والأخلاقي التي تحيلنا إليها مروياتهم، فتعمل صدورنا ونواويسنا بها داخلنا في سكونية روحية تنتظم فيها دقات القلوب وتستقرّ الانفعالات

ونستعيد التوازن في مجتمعات غلبت فيها الآراء المتناقضة في مختلف الدروب والتعاملات.

يُعدُّ التوجيه التربوي والأخلاقي من قبل أئمة آل البيت (عليهم السلام) مصدراً مهماً لإرشاد المسلمين وتوجيههم، ويتمُّ تعزيز هذه التوجيهات بشكل أكبر عبر الاطلاع على هذا التراث العظيم لآل البيت (عليهم السلام) والعمل به.

يُمكن الاستفادة من هذه المرويات التفسيرية لتوجيه الناس نحو الخير واتخاذ القرارات الصائبة، واتباع الطريق الصحيح في حياتهم وتعاملاتهم، وتلهم الأفراد رغبة السعي نحو التحسُّن في حياتهم والسعي لتحقيق أهدافهم وفق القيم الإسلامية الفاضلة.

إنَّ انعكاس هذه القيم التربوية والأخلاقية على الفرد والمجتمع يكون بشكل ملموس من خلال تبني هذه القيم وتطبيقها في الحياة اليومية. فالفرد الذي يتأثر بتوجيهات آل البيت (عليهم السلام) يكون أكثر تفهماً وتسامحاً، ويُظهر سلوكاً إيجابياً يسهم في بناء مجتمع إسلامي مثالي يستند إلى القيم الإسلامية السامية لبناء الدولة على منهاج النبوة والإمامة.





- ١- ينظر: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت لبنان، د. ط، ١٩٩٩، ٢/ ٢٥.
- ٢- ينظر: ألفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تح عماد زكي البارون، المكتبة التوفية، مصر، د. ط، ص ٦٧.
- ٣- ينظر: كتاب التعريفات: ألجرجاني، علي بن محمد بن علي «٧٤٠-٨١٦ هـ»، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، د. ط، د. ت. ص ١٤٠.
- ٤- اللغة بين الوصفية والمعارية: تمام حسان، دار الكتاب، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠١، ص ١١٧-١١٨.
- ٥- ينظر: أصول الفقه في نسيجه الجديد: د. مصطفى إبراهيم الزلي، شركة الخنساء للطباعة المحدودة، بغداد، ط ١٠، د. ت، ج ١، ص ١٤-١٥.
- ٦- مقدمة ابن خلدون: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحُصْرَمِيّ الإشبيلي «ت ٨٠٨ هـ»، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٣، ص ٦٨٢.
- ٧- مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١١، ص ٢٨٩.
- ٨- ينظر: لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، المكتبة الإسلامية، ج ١١، مادة «فسر»، ص ١٨٠.
- ٩- ينظر: التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم)، الإمام الحافظ العلامة أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني «٢٦٠ - ٣٦٠ هـ»، ضبطه على أصله وخرّج أحاديثه وعلق عليه هشام بن عبد الكريم البدراني الموصلي، دار الكتاب الثقافي، الأردن-إربد، مج ١، ص ٣٨-٣٩.
- ١٠- ينظر: التعريفات للجرجاني، علي بن محمد بن علي «٧٤٠-٨١٦ هـ»، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، د. ط، د. ت، ص ٨٧.
- ١١- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة- كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢، ص ١١٤.
- ١٢- التفسير في ثوبه القشيب والمفسرون: العلامة الفقيه الشيخ محمد هادي معرفة رحمته الله، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ط ٤، ١٣٩١ ش، ١/ ١٧.
- ١٣- ينظر: التفسير والمفسرون بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوّره وألوانه ومذاهبه مع عرض شامل لأشهر المفسرين وتحليل كامل لأهم كتب التفسير من عصر النبي صلّى الله عليه وآله إلى عصرنا الحاضر، د. محمد حسين الذهبي، دار الحديث القاهرة، سنة الطبع ٢٠١٢، ١/ ١٩.

١٤ - ينظر: التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم): الطبراني، ص ٣٩.

١٥ - ينظر: تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتین: الراغب الأصفهاني، الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد بن محمد بن الفضل: الباب الرابع عشر، منقولة عن نسخة خطية ومقابلة على نسخة أخرى كتبها لنفسه الشيخ رضي الدين بن أبي بكر الحلبي سنة (٦٩٣هـ) ومصححة في غاية الدقة والاعتناء بمناظرة الشيخ طاهر الجزائري، بيروت، لبنان، ١٣١٩هـ، ص ٥٠-٥١.

١٦ - الولاية التكوينية والولاية التشريعية للصديقة الطاهرة (ع) مقدمة كتاب فقه الزهراء (ع): آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، هيئة محمد الأمين، بيروت، شبكة الفكر، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٢٠.

١٧ - صحيح مسلم: النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، دار الفكر، بيروت، ج ٧، ص ١٢٣.

١٨ - نهج البلاغة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، جمعه ونسق أبوابه العلامة الشريف الرضي، تحقيق وشرح الإمام محمد عبده، دار الذخائر، إيران، قم، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٣٧٠ ش، ٢/٥٤.

١٩ - معجم مختار الصحاح: الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، رتبته وصححه إبراهيم شمس الدين، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ٢٠١٢. مادة «رqb» ص ٤٤٠. وينظر: لسان العرب: مادة (رqb).

٢٠ - أبق: الإباق: هربُ العبيد وذهابهم من غير خوف ولا كدّ عمل، قال: وهذا الحكم فيه أن يُردّ، فإذا كان من كدّ عمل أو خوف لم يردّ. وقد أبقَ أي هرب. ابن سيده: أبقَ يَأْبِقُ ويَأْبُقُ أَبْقاً وإِباقاً، فهو أَبَق، وجمعه أَبَاقٌ. وَأَبَقَ وتَأْبَقَ: استخفى ثم ذهب. ينظر: لسان العرب: مادة «أبق»

٢١ - مسند الإمام الكاظم: أبو الحسن موسى بن جعفر، جمعه ورتبته الشيخ عزيز الله العطاردي، المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع)، ط ١، ١٤٠٩، ج ٣، ص ١٢٢ - ١٢٣.

٢٢ - ينظر: تفسير الطبري جامع البيان تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري «٢٢٤هـ - ٣١٠هـ»، حققه وعلق حواشيه محمود أحمد شاكر، راجعه وخرّج أحاديثه أحمد محمد شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨، ج ١٠، ص ٥٥٢-٥٥٣.

٢٣ - ينظر: تفسير الطبري جامع البيان تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري «٢٢٤هـ - ٣١٠هـ»، ج ١٠، ص ٥٥٣-٥٥٦.

٢٤ - ينظر: تفسير العياشي، المحدث الجليل أبو النصر محمد بن مسعود بن عياش

السلمي السمرقندي، المعروف بالعيشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠١٠، ١/٣٦٦.

٢٥- جوامع الجامع: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت ٥٤٨ هـ، تحقيق السيد جواد السيد كاظم الحكيم، العتبة العباسية المقدسة - قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، كربلاء، ط ١، ٢٠١٧، ٢/ ٦٦.

٢٦- مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي
ت ٥٤٨ هـ، حققه وعلق عليه مجموعة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ج ٣، مؤسسة
الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج ٧، مج ٣، ص ٤٠٨.

٢٧- التفسير الكبير: الفخر الرازي، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي ط ١، د.ت، ٤/ ٤٢١.

٢٨- المصدر نفسه، ١٠/ ٤٨٥-٤٨٦.

٢٩- التفسير الكبير: الفخر الرازي، ١٠/ ٤٨٥-٤٨٦.

٣٠- ينظر: القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي «ت ٨١٧ هـ»، طبعة جديدة منقّحة بتعليقات الشيخ أبي الوفاء نصر الهوريني - وأحمد باشا تيمور، دار الغد الجديد، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤، ص ١٤٦٠.

٣١- مسند الإمام الكاظم: ٣/ ١٣١-١٣٢.

٣٢- ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٥٤٧/٢٠.

٣٣- مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ٢٨٦/٨.

٣٤- التفسير الكبير: الإمام الفخر الرازي، ٩/٣٠٣-٣٠٤.

٣٥- ينظر: معجم الصحاح: الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، ص ٥٩٨.

٣٦- مسند الإمام الكاظم: ١٣٩/٣.

٣٧- المصدر نفسه: ٣/ ١٤٠-١٤١.

٣٨- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٦١/٦.

٣٩- المصدر نفسه، ٦/ ٦٢.

٤٠- المصدر نفسه، ٦/ ٦٣.

٤١- المصدر نفسه، ٦/ ٦٨.

٤٢- المصدر نفسه، ج ٦/ ٩٩-١٠٠.

٤٣- تفسير العياشي: ١/ ١٧٦.

٤٤- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن

الطبرسي، ٢/ ٢٢١-٢٢٢.

٤٥- المرجع نفسه: ٢/ ٢٢٢.

٤٦- التفسير الكبير: ألفخر الرازي: ٢/ ٧٧-٧٨.

٤٧- ينظر: المرجع نفسه: ٢/ ١٠٢.

٤٨- المرجع نفسه: ٢/ ٩٤-٩٧.

٤٩- مسند الإمام الكاظم (عليه السلام): ٣/ ١٦٠. وردت في المسند «يشمي عليها» والصح «يمشي عليها»

٥٠- المرجع نفسه: ٣/ ١٦٥.

٥١- ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٠/ ٢٩٤-٢٩٥.

٥٢- ينظر: المرجع نفسه: ١٠/ ٢٩٦.

٥٣- ينظر: المرجع نفسه: ١٠/ ٢٩٨.

٥٤- تفسير العياشي: ١/ ٣٤٧.

٥٥- المرجع نفسه: ١/ ٣٤٨.

٥٦- ينظر: المرجع نفسه: ١/ ٣٤٨-٣٤٩.

٥٧- ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، ٣/ ٣٢٩-٣٣١.

٥٨- ينظر: التفسير الكبير: الفخر الرازي، ٤/ ٢٥٢-٢٥٦.





المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

* أصول الفقه في نسيجه الجديد: د. مصطفى إبراهيم الزلي، شركة الخنساء للطباعة المحدودة، بغداد، ط ١٠، د. ت.

* التعريفات للجر جاني: علي بن محمد بن علي «٧٤٠-٨١٦هـ»، حققه وقدم له ووضع فهرسه إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، د. ط، د. ت.

* تفسير الطبري جامع البيان تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري «٢٢٤هـ - ٣١٠هـ»، حققه وعلق حواشيه محمود أحمد شاكر، راجعه وخرّج أحاديثه أحمد محمد شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨.

* تفسير العياشي: المحدث الجليل أبو النصر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي، المعروف بالعياشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠١٠.

* التفسير الكبير (تفسير القرآن العظيم): الإمام الحافظ العلامة أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني «٢٦٠ - ٣٦٠هـ»، ضبطه على أصله وخرّج أحاديثه وعلّق عليه هشام بن عبد الكريم البدراني الموصلي، دار الكتاب الثقافي، الأردن - إربد، المجلد الأول. د. ط.

* التفسير الكبير: الفخر الرازي، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث

العربي، ط ١، د. ت.

* التفسير في ثوبه القشيب والمفسرون: العلامة الفقيه الشيخ محمد هادي معرفة «رحمه الله»، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ط ٤، ١٣٩١ ش.

* التفسير والمفسرون (بحث تفصيلي عن نشأة التفسير وتطوّره وألوانه ومذاهبه مع عرض شامل لأشهر المفسرين وتحليل كامل لأهم كتب التفسير من عصر النبي ﷺ إلى عصرنا الحاضر): د. محمد حسين الذهبي، دار الحديث القاهرة، سنة الطبع ٢٠١٢.

* تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين: الراغب الأصفهاني، الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل: الباب الرابع عشر، منقولة عن نسخة خطية ومقابلة على نسخة أخرى كتبها لنفسه الشيخ رضي الدين بن أبي بكر الحلبي سنة (٦٩٣هـ) ومصحّحة في غاية الدقّة والاعتناء بمناظرة الشيخ طاهر الجزائري، بيروت، لبنان، د. ط، ١٣١٩هـ.

* جوامع الجامع: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت ٥٤٨هـ، تحقيق السيد جواد السيد كاظم الحكيم، العتبة العباسية المقدسة - قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية، كربلاء، ط ١، ٢٠١٧.

* صحيح مسلم: النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، دار الفكر، بيروت، د. ط.

* الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري،

تح عماد زكي البارون، المكتبة التوفية، مصر، د.ط، د.ت.

* القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي «ت ٨١٧ هـ»، طبعة جديدة منقحة بتعليقات الشيخ أبو الوفاء نصر المهورني - وأحمد باشا تيمور، دار الغد الجديد، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤.

* كتاب التعريفات: الجرجاني، علي بن محمد بن علي «٧٤٠-٨١٦ هـ»، حققه وقدم له ووضع فهرسه إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، د.ط، د.ت.

* لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، المكتبة الإسلامية.

* اللغة بين الوصفية والمعارية: تمام حسان، دار الكتاب، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠١.

* مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١١.

* مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ت ٥٤٨ هـ، حققه وعلق عليه مجموعة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

* مسند الإمام الكاظم (عليه السلام): أبو الحسن موسى بن جعفر، جمعه ورتبه الشيخ

عزيز الله العطاردي، المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام)، ط ١، ١٤٠٩.

* معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة - كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢.

* معجم مختار الصحاح: الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، رتبه وصححه إبراهيم شمس الدين، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ٢٠١٢.

* معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت لبنان، د. ط، ١٩٩٩.

* مقدمة ابن خلدون: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي الأشيلي «٨٠٨ هـ»، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ٢٠١٣.

* نهج البلاغة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جمعه ونسق أبوابه العلامة الشريف الرضي، تحقيق وشرح الإمام محمد عبده، دار الذخائر، إيران، قم، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٣٧٠ ش.

* الولاية التكوينية والولاية التشريعية للصديقة الطاهرة (عليها السلام) مقدمة كتاب فقه الزهراء (عليها السلام): آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، هيئة محمد الأمين، بيروت، شبكة الفكر، ط ١، ٢٠٠٢.

فقه المعاملات في أجوبة الامام الكاظم عليه السلام الفقهية

أ.د. حميد جاسم الغرابي

جامعة كربلاء - كلية العلوم الاسلامية

الملخص

يُعدّ منهج السؤال والجواب من أهم المناهج المعرفية والتربوية لذا استعمله القرآن الكريم في كثير من آياته قال تعالى: ﴿ واسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ ، واستعمل أيضاً في السُّنة المباركة، فقد ورد في الحديث: (دواء العيِّ السؤال) والعيِّ بمعنى الجهل ، وقال عليه السلام: (العلم خزائن ، ومفتاحه السؤال ، فاسئلوا رحمكم الله فانه يؤجر أربعة: السائل والمتكلم والمستمع والمجيب له) ، وورد عن أهل البيت عليه السلام: (نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون) ، فهذه المنظومة المعرفية القرآنية المتكاملة جاءت لغرض بيان الاحكام والدعوة والتبليغ فضلاً عن بناء منهج تربوي وتعليمي لغرض الوصول الى المعارف والحقائق، وكذا السُّنة المباركة، فقد دأب الرسول الكريم عليه السلام والأئمة المعصومين عليه السلام على الإجابة عن اسئلة الناس وتلامذتهم واصحابهم من ناحية ، أو مبادرتهم بالسؤال ليس لأخذ الجواب منهم بل لتعليمهم أن بإمكانهم عرض الأسئلة على العلماء وعليهم أو لكي يوضحوا لهم كثير من الاحكام الفقهية التي لا بدّ من بيانها لاسيما المعاملاتية الابتلائية ، وغيرها ويحاول البحث عرض بعض الاجوبة الخاصة بفقه المعاملات والتي صدرت عن الامام الكاظم عليه السلام ، وقد اثر عنه عليه السلام

سورة الزمر



سورة الزمر

قوله: (من اصغى الى ناطق فقد عبده فان كان الناطق يؤدي عن الله فقد عبد الله وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان) ، فانتظم البحث بمقدمةٍ وثلاث مباحث ، تضمّن المبحث الاول عصر الامام الكاظم عليه السلام الفكري ، وتضمن المبحث الثاني منهج الامام الكاظم عليه السلام في أجوبته الفقهية وتضمن المبحث الثالث تطبيقات لبعض المسائل المعاملاتية والتي أجاب عنها الامام عليه السلام ، ثم الخاتمة ، وأهم النتائج ، ومسرد للمصادر والمراجع .



Abstract

The question-and-answer approach is considered one of the most important cognitive approaches mentioned in the Holy Qur'an. God Almighty said, "And ask the people of the Remembrance if you do not know," and the Blessed Sunnah. It was mentioned in the hadith, "The cure for blindness is asking," and blindness meaning ignorance. "Knowledge is a treasure trove, and its key is asking, so ask your mercy," he said. God rewards four: the questioner, the speaker, the listener, and the one who responds to him. It was reported from the Ahl al-Bayt, peace be upon him, "We are the people of the Remembrance and we are the ones in charge." The Holy Qur'an is full of many questions and answers to them for the purpose of knowledge and clarification, as well as building an educational and educational curriculum for the purpose of reaching knowledge and facts, as well as the blessed Sunnah. The Holy Messenger, may God bless him and grant him peace, and the infallible Imams are able to answer the questions of the people, their students, and their friends, on the one hand, or to initiate the question, not to take the answer from them, but to teach them that they can present questions to the scholars and to them, or in order to explain to them many of the jurisprudential rulings that must be clarified, especially the affliction transactions and others. The research attempts to present some of them. Answers related to the jurisprudence of transactions, which were issued by Imam al-Kadhim, peace be upon him. He, peace be upon him, was influenced by his saying, "Whoever listens to a speaker has worshiped him. If the speaker is speaking on behalf of God, then he has worshiped God, and if the speaker is speaking on behalf of



Satan, then he has worshiped Satan.” The research is organized with an introduction and three sections that include The first section covers the intellectual era of Imam Al-Kadhim, peace be upon him. The second section includes the approach of Imam Al-Kadhim, peace be upon him, in his jurisprudential answers. The third section includes applications of some transactional issues that the Imam, peace be upon him, answered, then the conclusion, the most important results, and a glossary of sources and references.



المقدمة

تظهر اهمية فقه المعاملات من نواحٍ عدّة ، منها أنها تكليف شرعي ، ويجب على كل مكلف الالتزام بتطبيقها في حياته العملية ، ومنها أنّها إحدى وسائل ضبط المجتمع وتربيته ، فمن خلال المعاملات يتبيّن مدى إيمان المكلف وتواضعه مع الأوامر والنواهي الشرعية ، لاسيما في عمليات البيع والشراء وقد ركز الشارع المقدس في ذلك وشدّد أيّما تشديد قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾^١ ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^٢ وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^٣ وقال عليه السلام: (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى)^٤ ، وورد عن الامام الكاظم عليه السلام: (تفقهوا في دين الله ، فإنه أروى: من لم يتفقه في دينه ، ما يخطئ أكثر مما يصيب ، فإن الفقه مفتاح البصيرة ، وتمام العبادة ، والسبب إلى المنازل الرفيعة ، وخاص المرء بالمرتبة الجليلة ، في الدين والدنيا . وفضل الفقيه على العباد كفضل الشمس على الكواكب ، ومن لم يتفقه في دينه لم يُزكَّ الله له عملاً)^٥ .

المبحث الأول : عصر الامام الكاظم عليه السلام الفكري

التحق الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله بالرفيق الاعلى وبعده قام كل امام معصوم بوظيفته كإمام هادٍ للأمة ، فكانوا عليهم السلام يبينون للناس الحلال من الحرام ويقومون بواجبهم في الإصلاح والهداية . أما ما يرتبط بعصر الامام الكاظم عليه السلام فقد انتشرت في عصره كثير من التيارات والفرق والنحل والمذاهب الضالة والمنحرفة وكان من واجبه عليه السلام التصدي لهذه التيارات وما تحمله من أفكار وعقائد فاسدة الغرض منها تدمير الفرد والمجتمع

وابعاده عن الخطّ الإلهي والرسالي ، فما كان منه ﷺ إلا أن نشر منهج أهل البيت ﷺ الصحيح والواضح والمنتزع من القرآن المجيد وسُنة سيد المرسلين ﷺ ، فتمكّن الإمام ﷺ من بيان انحراف هذه الفرق والمذاهب وما قامت عليه من أسس وقواعد مخالفة للقرآن والسُنة ولا يخفى أن هذه التيارات كان لها تأثيرٌ كبيرٌ لقربها من السلطة الغاشمة والتي سعت الى هدم قواعد الاسلام الصحيح والقضاء الروح الإيمانيّة عند الفرد والمجتمع من خلال نشر الشبهات والعقائد الفاسدة وتضليلهم ، يمكن بيان منهج الإمام الكاظم ﷺ في مواجهة هذه التيارات والفرق الضالة من خلال الاعتماد على المناظرات والحوارات التي كانت تحصل بينه ﷺ وبينهم ، فقد كان اعتماد الامام ﷺ على الاسلوب العلمي الرصين والمقنع مراعيّاً آداب المناظرة والحوار ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ، فكان ﷺ يستعمل الادوات العقلية والمسلمات التي ينهزم امامها أعداء الفكر السليم ولا مجال لهم لإنكاره من قبلهم ^٧ .

وقد ظهر في عصره عددٌ من التيارات والفرق المنحرفة وانتشرت في أصقاع البلاد وظهر لهم أتباع وأنصار . فمن هذه التيارات المؤثرة كان تيار الإلحاد ، اذ اخذ هذا التيار بالانتشار والتوسّع ، فتبنّى الكثير من الناس هذه الدعوات الفاسدة مثل التفسّخ والتحلّل والابتعاد عن الدين والاخلاق ، بل إنكار الوهية المولى تعالى ووجوده فضلاً عن انكار بعض الصفات السلبية والثبوتية ، وكذلك عدم الإيمان بالرسول والانبياء وحتى الاوصياء ، وانكار أصول الدين ومنها المعاد ^٨ .

وكانت أخطر دعوى لهم هي أنكار وجود الباري عز وجل ، وهي أساس دعوتهم الإلحادية ، وهي ماتبتته المذاهب المادية وغيرها . وقد نمت هذه الدعوة إلى الإلحاد والزندقة وتكاثرت في العصور العباسية الاولى ، وهناك عدد غير قليل من الجماعات والتيارات المنحرفة تلقت هذه الدعوات بالرضا والقبول منها :

١ : المانوية :

المانوية : « أصحاب ماني بن فاتك الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير ، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور ، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام ، أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية ، وكأن يقول بنبوة المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام ، قد تبعه في معتقده خلق كثير ، وبقي قسم كبير منهم في الدور العباسي الأول ثم تسربت آراؤه إلى أوروبا وبقية الأقطار الآسيوية . وماني هذا كان راهباً بحرّان ولد حوالي عام ٢١٥ »^{١٠} ، « وزعموا أن العالم مصنوع مركّب من أمرين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وهؤلاء ينسبون الخيرات إلى النور ، والشّرور إلى الظلمة ، وينسبون خلق السباع والمؤذيات والعقارب والحيات إلى الظلمة . فأشار الصادق عليه السلام في توحيد المفضّل إلى فساد وهمهم بأن هذا لجهلهم بمصالح هذه السباع والعقارب والحيات التي يزعمون أنها من الشرور التي لا يليق بالحكيم خلقها .^{١١} وذكر عليه السلام : (أنهم في ضلالهم وعماهم وتحيرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بُنيت أنقن بناء وفرشت بأحسن الفرش واعدّ فيها ضروب الأطعمة والأشربة ، ووضع كل شيء منها موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير ، فجعلوا يتردّدون فيها يميناً وشمالاً ، وربما عثر بعضهم بالشيء الذي وُضع موضعه وأعدّ للحاجة إليه وهو جاهلٌ بالمعنى فيه ولما أعدّ كذلك ،

فتدمّر وتسخط وذمّ الدار وبانيها . فهذه حال هذا الصنف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة وإثبات الصنعة^{١٢} . وقامت المانوية ببث الحركات الإلحادية في العصر العباسي ، وكان من أعلامها ابن المقفع ، فقد قام بترجمة كتب ماني ، وابن ديسان ، ومريقيون من الفارسية إلى العربية . كما وضع كتاباً يبشر بالمانوية ، ويحمل فيه على المبادئ الإسلامية ، وقد افتتحه باسم النور الرحمن الرحيم . وقال المهدي^{١٣} :
ما وجدت كتاب زندقة قط إلا وأصله ابن المقفع^{١٤}

٢ : المزدكية أو المزدكية : « أصحاب مزدك ، ومزدك هو الذي ظهر في أيام قباز والد أنوشروان ، ودعا قباز إلى مذهبه فأجابه ، وهذه الطائفة تشارك المانوية في كثير من العقائد »^{١٥} . « واسم كتابه الذي ادّعى نزوله عليه « ديستاو » ، وقولهم كقول المانوية (ديانة فارسية قديمة) في الأصلين : النور والظلمة . أنظر فهرست ابن النديم^{١٦} . والمزدكية هم الذين أباحوا المحرمات ، وزعموا أنّ الناس شركاء في الأموال والنساء ، وإليه يمتّ المذهب الاشتراكي .

بحر العلوم على كتاب « فرّق الشيعة » للنوبختي^{١٧} حكى الورّاق : « أن قول المزدكية كقول كثير من المانوية في الكونين والأصلين ؛ إلا أن مزدك كان يقول : إن النور يفعل بالقصد والاختيار ، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق ، والنور : عالم حساس ، والظلام :

جاهل أعمى . وأن المزاج كان على الاتفاق والخط لا بالقصد والاختيار ، وكذلك الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار . وكان (مزدك) ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال ، ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال ، أحلّ النساء وأباح الأموال ، وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء ، والنار ، والكلاء . وحكى عنه : أنه أمر بقتل الأنفس ليخلصها من الشرّ ومزاج الظلمة ، ومذهبه

في الأصول والأركان أنها ثلاثة : الماء ، والأرض ، والنار . ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ، ومدبر الشر ،^{١٨} فما كان من صفوها فهو مدبر الخير ، وما كان من كدرها فهو مدبر الشر ، وهذه الفرقة كثرت في العصور العباسية الاولى ، كونها تدعو للفساد والتحرر من قيود الدين والقيم الاجتماعية ، وكذلك تدعو للتحلل من كل قيد اخلاقي وتتنكر لجميع القيم والمثل الدينية ، فاتبعها خلق كثير من البشر رغبة في الانسياق مع شهواتهم واهوائهم ، والتخلص من الواجبات والالتزامات الدينية^{١٩}

٣: الزرداشتية : « أصحاب زرداشت بن پوروشب الذي ظهر في زمان گشتاسب »^{٢٠} « وهم يدعون أن في هذا الكون أموراً تتصف بالبركة والخير وأن هناك أموراً تتصف بالبلايا والشر ، فليس من الصحيح اسناد كلا النوعين من الافعال الى الله عز وجل ، فلا بد من الاعتقاد بأن خالق الخير هو غير خالق الشر ، وقد ابتدعوا عقيدة خيالية تتمثل بوجود الخير ويسمى « يزدان » وبوجود الشر ويسمى « اهريمن » وكلا الخالقين هو من صنع الله سبحانه ومن خلال هذه النظرية استطاعوا من الاقتناع بايجاد الحل لكل مشاكل الشر والبلاء في الوجود »^{٢١} ، ويعتقد « زرداشت » ان الروح باقية لاتفنى وهي تشقى أو تنعم بلذات الحياة وان محنها لاتعدو ثلاثة ايام بعد الموت ، وبعد ذلك تنقلها الرياح حتى تبلغ الصراط وتحاكم عنده ٣ أيام وتمضي الارواح الخيرة الى الجنة وتمضي الارواح الشريرة الى النار . وقد انتشرت الزرداشتية في العصور العباسية الاولى (٧٤٧ - ٧٤٩م) : واتبعها خلق كثير من المغرر بهم والبسطاء ، واجتهدت في مواجهة القيم والمثل الاسلامية والقضاء على الروابط الاجتماعية وإبعاد المسلمين عن الاداب والخلق الاسلامي »^{٢٢}.

يتبين من ذلك ان هذه القيم والمبادئ المنحرفة المنتشرة آنذاك قد كشفت الفراغ العقدي وسوء التفكير وانتشار الجهل ، وعدم معرفة المسلمين بصورة واعية دينهم الحقيقي الذي يدعو الى اليقظة والتعلم والتفكير السليم^{٢٣}. وكان لها انصار ودعاة ، منهم «يزدان بن باذان»^{٢٤}.

ومن اعلام الالحاد والزندقة: «ابن عبد القدوس قتله المهدي العباسي، وحماد الراوية، وابن المقفع ، وحماد عجرد، وابن ابي العوجاء ، وغيرهم ذكرهم العلامة باقر القرشي رحمه الله قائلاً: «عمد هؤلاء الملحدون إلى إفساد المجتمع الإسلامي ، وإشاعة الفوضى والتحلل بين المسلمين ، كما عمدوا إلى تشويه الإسلام ، وذلك بافتعال الأخبار الكاذبة التي تحط من كرامة الإسلام»، وقد اعترف عبد الكريم بن أبي العوجاء بذلك ، فقد صرح قبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام ، فقال: «لئن قتلتموني فلقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوب»^{٢٥}، ويقول عنه السيد المرتضى: «إن حماداً مشهور بالكذب في الرواية ، وعمل الشعر وإضافته إلى الشعراء المتقدمين ودسّه في أشعارهم، حتى أن كثيراً من الرواة قالوا: قد أفسد حماد الشعر لأنه كان رجلاً يقدر على صنعه ، فيدسّ في شعر كل رجل منهم ما يشاكل طريقته ، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم»^{٢٦}. واجه الامام الكاظم عليه السلام هذه التيارات المنحرفة بكل شجاعة وقوة وحزم فقد بين فساد عقائدهم وانحرافهم عن المنهج القويم «وكان ذلك من خلال المنطق العلمي والمنهج العقلاني ومحاكاة الفطرة السليمة تجلّى ذلك في مناظراته عليه السلام معهم والرد على شبهاتهم والاجابة عن اسئلتهم واشكالاتهم فلم يدع لهم حجة في عقيدة ألا ودحضها ولا انحرافاً الا وبيّنه لهم ، وقد اظهر البراءة ممن لم يرتدع ، ولعن من تمسك بهذه العقائد الفاسدة ، وحذّر المؤمنين منهم ومن التأثير بفكرهم الضالّ ، وأمرهم بالابتعاد عنهم وعدم مجالستهم أو مؤاكلتهم أو مناكلتهم

حتى يسلم المجتمع والافراد من شرورهم ولا يقعوا في زيف افكارهم وعقائدهم ، هذا كلّهُ من أجل الحفاظ على بنية المجتمع الاسلامي وكذلك شخصية الفرد المسلم كي يبقى قوياً وملتزماً بالمنهج القرآني والنبوي الصحيحين والمؤديان الى مستقبل مشرق لكيان الدولة الاسلامية . ويمكن مطالعة كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي ومعرفة الكمّ الهائل من بعض مناظرات واحتجاجات الامام الكاظم (عليه السلام) مع الملاحدة والزنادقة فقد دافع الامام الكاظم (عليه السلام) عن شريعة جدّه وآبائه بكل ما أوتي من قوّة ، وهدم كل معتقدات الفرق والمذاهب الضالّة»^{٢٧}.

المبحث الثاني : منهج الامام الكاظم (عليه السلام) في مناظراته وأجوبته

اتبع الامام الكاظم (عليه السلام) في مناظراته واجوبته «منهج التفقه والاستنباط ، كان ذلك واضحاً بما أثر عنه (عليه السلام) من نصوص لها علاقة بحرمة القول بغير علم، وكذلك حجّة الظاهر وخبر الواحد، كذلك النصوص التي لها علاقة بعلاج حالات التعارض بين الروايات ، واخرى لها علاقة بحضر القياس ، ونصوص لها علاقة بأصالة البراءة ووجوب الموافقة القطعية في أطراف العلم الإجمالي ودليل الاستصحاب وعدم جواز الردّ الى الأصل قبل الفحص عن الدليل ، فعند تأمل ردود الامام (عليه السلام) واحتجاجاته يتبيّن انه (عليه السلام) كان مؤسساً لقواعد ومنهج الاستنباط الفقهي»^{٢٨}، فهذا التراث الفقهي المأثور عنه (عليه السلام) لاسيّما في مجال اجوبته الفقهية وردوده في فقه المعاملات «حافلاً بالقواعد الفقهية هو الذي ادى الى تكامل المدرسة الاجتهادية الفقهية من جانب ، ومن جانب آخر تعليم وتدريب العلماء ضمن هذه المدرسة حتى يضمن الحفاظ على شريعة سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) ونشر فقه اهل البيت (عليهم السلام) وثباته على الرغم من هذه التحديّات»^{٢٩} ، وكان مراده (عليه السلام) من ذلك كله التخطيط

العلمي الصحيح لأدوات الاستنباط الشرعية والحفاظ على الأمة من اتباع آليات ومناهج منحرفة وفسادة مؤدية الى نتائج معكوسة في مجال الحياة، وظهور مجتمع منحرف غير مستند على روح الشريعة السمحاء، فكل ما يُطلق عليه التجديد لابد أن يحصل ضمن أطر النصوص الشرعية الثابتة، وإلا فهو جهل وزيف^{٣٠}.

«إن الاستناد على القواعد الاصولية والفقهية المستخرجة من روايات النبي ﷺ وأئمة أهل البيت ﷺ أو التي وضعوها للرجوع اليها لاستنباط الاحكام الشرعية والتطبيق العملي يُعدّ ضماناً مهمّةً تقي من الوقوع في الشبهات والاطّاء، وهذا ما تجده يقينا في ردود وأجوبة الامام الكاظم ﷺ الفقهية، وكذلك جميع احتجاجاته العقديّة، على عكس اصحاب المناهج المنحرفة والتي لا تعتمد اساسا على تلك القواعد، وهذا تأكيد من الامام ﷺ أنه لابد للفقيه أو العالم أن يتقيد أولاً بضوابط وآليات المنهج الاستدلالي، وثانياً أن لا يرى نفسه مجتهداً قبالة النصّ الشرعي ثانياً والا يكون من الذين يخضعون النصّ الشرعي للقياس والاستحسان والرأي الشخصي كونه بعيداً جداً عن منهج وقواعد مدرسة أهل البيت ﷺ.

لذا تجد أن احتجاجات وردود وأجوبة الامام الكاظم ﷺ قد تضمنت كماً هائلاً من تلك القواعد الفقهية والاصولية، وهي تشكّل مرجعية متكاملة في الاستنباط الفقهي لاسيما في مسائل المعاملات؛ نحو ما يرتبط بحرمة القول بغير علم، وحجّة الظواهر، وحجّة خبر الواحد، وعلاج حالة التعارض بين الأحاديث، وأصالة البراءة، ووجوب الموافقة القطعية في أطراف العلم الإجمالي والاستصحاب، وعدم جواز الرجوع إلى الأصل قبل الفحص عن الدليل، ومنع القياس وغيرها؛ لأنّ وجود هذه القواعد

الفقهية والأصولية التي أرساها أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تُعتبر سداً منيعاً من الوقوع في الخطأ الذي يقع فيه أكثر أصحاب المناهج الأخرى، فأراد الإمام (عليه السلام) بذلك رسم المنهج الاستدلالي لأهل البيت (عليهم السلام)؛ ليكون واضحاً ومفصلاً ومستوعباً لجميع المتغيرات الزمانية والمكانية^{٣١}.

والمعروف عن الامام الكاظم (عليه السلام) «انه كان كثيراً ما يشجع اصحابه وتلامذته على التفقه في الدين ومعرفة الأحكام الشرعية فقد أثر عنه (عليه السلام): (تفقهوا في دين الله، فإن الفقه مفتاح البصيرة، وتمام العبادة، والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا، وفضل الفقيه عن العابد كفضل الشمس على الكواكب، ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملاً)^{٣٢}. وحتى بعد أن سُجن الامام الكاظم (عليه السلام) في عهد هارون، فإنه لم ينقطع عن العمل العلمي فكانت الأسئلة تأتيه إلى السجن ويجب عليها بصورة تحريرية^{٣٣} ولاسيما تلك المسائل الفقهية حول الحلال والحرام، ولذا يرى بعض الباحثين أن موسى بن جعفر هو الرائد الأول في كتابة الفقه، يقول محمد يوسف موسى: «ونستطيع أن نذكر أن أول من كتب في الفقه هو الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) الذي مات سجيناً عام ١٨٣ هـ، وكان ما كتبه إجابة عن مسائل وجّهت إليه تحت اسم الحلال والحرام»^{٣٤}. وقد روى عن الامام جملة من المحدثين والرواة منهم الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد والعلامة السمعاني في كتابه الرسالة القوامية والثعلبي في الكشف والبيان.. وكان الامام احمد امام الحنابلة يقول اذا روى عنه (حدثني موسى بن جعفر عن ابيه الصادق عن ابيه الباقر عن ابيه السجاد عن الحسين بن علي عن ابيه عن رسول الله ﷺ وهذا اسناد لو قرئ على مجنون لافاق)^{٣٥}.

يظهر ممّا سبق :

١: أن الامام الكاظم عليه السلام قد أولى اهتماما بالغاً في اعداد الجماعة الصالحة فضلاً عن التأكيد على مسألة التولي والتبري وعدم الابتعاد عن منهجهم عليه السلام فهو الضمانة الكبرى لعدم الانحراف أو الانجرار للدعوات الفاسدة والعقائد المضللة لقد كان للنهضة العلمية التي ارسى قواعدها الامام الصادق عليه السلام اثرٌ كبيرٌ في مسيرة الامام الكاظم عليه السلام ، اذ قام عليه السلام بإكمال ما بدأه ابيه في بناء الكوادر المتخصصة حتى بلغوا اكثر من «٣١٩» عالماً قد تلقى علومه ومعارفه منه عليه السلام»^{٣٦}.

٢: اعداد نخبة من علماء الفقه والحديث من اتباع الامام الباقر والصادق والكاظم عليه السلام ، وهم الذين عُرفوا بأصحاب الاجماع .

٣: لقد قام الامام الكاظم عليه السلام بالردّ والاجابة على جميع الاسئلة التي تعرض عليه من قبل اتباع البلاط العباسي وفقهائهم حتى يتبينوا علمية أهل البيت عليه السلام وهم أحقّ بالاتباع من جهة ولغرض دفع شبهاتهم والقضاء على تياراتهم وفرقهم الفاسدة والمنحرفة من جهة ثانية والحفاظ على المجتمع الاسلامي من خطرهم من جهة ثالثة»^{٣٧}.

لقد استعمل الامام الكاظم عليه السلام في مناظراته وحواراته واجوبته «اسلوباً غير بعيد عن اسلوب آبائه واجداده في الرد على الاسئلة أو المناظرات والحوارات فكان اسلوبه تربوياً لاسيما في تصديده للانبياء الخلفي المتفشي في عصور بني العباس عامة وفي حقبة الرشيد خاصة وقد راعى في هذا المنهج مبدا التقية له ولاتباعه فقد كان ملاحقاً ومراقب من قبل اجهزة السلطة الغاشمة فكانت رسائله واجوبته مبنوثة ضمن ادعية قصيرة لها معان كبيرة ، وكانت توجيهاته وردوده تصل شيعته والمجتمع بصورة سريعة ولها مساحات واسعة ومؤثرة في ارجاء المجتمع والافراد الى المنهج الاسلامي الصحيح»^{٣٨}.

المبحث الثالث : التطبيقات

تمهيد

لقد عرضت على الامام الكاظم (عليه السلام) في مدة امامته مسائل شتى سواء في الفقه والعقائد والاخلاق وكان (عليه السلام) يجيب عنها بكل شفافية ومقدرة علمية نابعة عن فهم وانتماء للوحي والسماء ، فعلى الرغم من محدودية تواصله (عليه السلام) مع الامة بسبب الضغوط وتشدد خلفاء بني العباس وتجسس اجهزتهم عليه الا انه كانت تردده اسئلة وهو في السجن ايضا فيجيب عنها كونه الامام المعصوم الذي من واجبه حفظ المجتمع والشرعية من الانحراف ومن واجبه نشر علوم آباءه واجداده كلما سنحت الفرصة لذلك لقد تصدى الامام الكاظم (عليه السلام) لهذه المهمة وتنوعت نشاطاته الفكرية الا ان البحث سيقصر على بعض المسائل المتعلقة بفقه المعاملات ليبين الامام موقف مدرسة اهل البيت عليهم السلام منها وذلك من خلال تراثه الروائي .

١ : مسائل في الشراكة

فعن أبي القاسم ، عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر (عليه السلام) .
قال : وسألته ، عن رجل قال لرجل علمني عملك وأعطيك ستة دراهم ، وشاركني . قال : « إذا رضى فلا بأس »^{٣٩} يتضح من هذه المسألة وجود أكثر من شرط لصحة المعاملة وهي « الايجاب ، القبول ، الثمن والمثمن ، الرضا ، المشاركة »^{٤٠} .

٢ : الضمان

كتاب مسائل علي بن جعفر : « فعن محمد بن علي بن محبوب ، عن محمد بن أحمد العلوي ، عن العمركي ، عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر (عليه السلام) ، قال : سألت عن بختي^{٤١} اغتلم^{٤٢} ، قتل رجلا ، ما على صاحبه ؟ قال : « عليه الدية » باعتبار انه هو السبب والدابة بمنزلة الآلة ومع علمه بالحال يكون ضامناً »^{٤٣} .

٣: الإجارة

كتاب مسائل علي بن جعفر : جاء فيه : ... وسألته «عن الرجل يكتب المصحف بالأجر ؟ قال : « لا بأس » ، ورواه ابن إدريس في آخر السرائر نقلاً من جامع البزنطي صاحب الرضا عليه السلام قال : سألته وذكر مثله «لكن الأولى» * عند المقاطعة على كتابته «أن لا يشارط كما في «الخبر» الآخر» ، وهو خبر عبد الرحمن بن أبي عبد الله المتقدم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن أم عبد الله بن الحارث أرادت أن تكتب مصحفا فاشتريت ورقا من عندها ودعت رجلا فكتب لها على غير شرط فأعطته حين فرغ خمسين دينارا ووجه التقريب فيه إنه قد ذكر هذا الكلام في مقام المدح والثناء لأم عبد الله بن الحارث حيث قد اهتمت لذلك وهذا لا يكون إلا عن رجحان^{٤٤} . وفيه « وسألته ، عن الرجل هل يصلح أن يكتب المصحف بالأجر ؟ قال : « لا بأس »^{٤٥} . والرواية ذكرها المجلسي في الباب الثاني بعنوان * فضل كتابة المصحف وانشائه وآدابه ، والنهي عن محوه بالبزاق . . .^{٤٦}

٤: البيع : كتاب مسائل علي بن جعفر : وسألته «عن رجل اشترى بيعا كيلا أو وزنا ، هل يصلح بيعه مرابحة ؟ قال : « إذا تراضيا البيعان فلا بأس ، فإن سمي كيلا أو وزنا فلا يصلح بيعه ، حتى يزنه أو يكيله »^{٤٧} . وظاهر هذه الرواية عدم صحة بيع المكيل والموزون قبل قبضه الا تولية ، ولا فرق في هذا البيع بين كونه شخصيا أو كليا في الذمة أو في المعين^{٤٨} . وفيه : سألته «عن الرجل يشتري المتاع وزنا في الناسية والجواليق فيقول ادفع للناسية رطلا أو أقل أو أكثر من ذلك أيحل ذلك البيع ؟ قال : « إذا لم يعلم وزن الناسية والجواليق فلا بأس إذا تراضيا »^{٤٩} ، وهذا في الاندثار للظروف أي «اسقطه» فإن فسرنا قوله : « أيحل ذلك البيع ؟ » بمعنى السؤال عن صحة البيع وفسرنا الجواب بمعنى شرط

نخلص «من كل ما ذكر أننا نبقى في باب الإندار على ما تقتضيه القاعدة، ولم يثبت من الروايات ما يوجب مخالفة القاعدة، والإندار ليس مصححاً للبيع، ويجوز الإندار مع التراضي في مورد البيع الصحيح»^{٥٠} وفيه: سألته، «عن رجل له على رجل دنائير فيأخذ بسعرها ورقاً؟ قال: «لا بأس»^{٥١}، قال الشيخ الطوسي: «أقول: ويأتي ما يدل على ذلك في الضمان»^{٥٢} أورده السيد السبزواري في مهذب الاحكام تحت عنوان: لو كان المال المقترض مثلياً كان وفاؤه بإعطاء ما يمثله في الصفات من جنسه سواء تغيرت القيمة أو لا ويصح الوفاء بالقيمة ان تراضيا بذلك^{٥٣} قال: وسألته عن الرجل يشتري الجارية فيقع عليها أ يصلح بيعها من الجد؟ قال: «لا بأس»^{٥٤}، اورده المجلسي في البحار في الباب الثامن بيع المماليك وأحكامها»^{٥٥} وسألته، عن الرجل يكون له الغنم يقطع من ألياتها وهي أحياء أ يصلح أن يبيع ما قطع؟ قال: «نعم، يذبيها ويسرج بها ولا يأكلها ولا يبيعها»^{٥٦} وروى هذه الرواية أيضاً الحميري في قرب الإسناد عن عبد الله بن الحسن عن جده علي بن جعفر عن أخيه موسى عليه السلام مثله، والرواية المذكورة كما ترى ظاهرة الدلالة في القول المذكور أي: في حرمة التكبس بالأعيان النجسة عدا ما استثنى»^{٥٧}، وسألته، عن قوم كانت بينهم قناة ماء لكل واحد منهم شرب معلوم فباع أحدهم شربة بدراهم أو بطعام هل يصلح ذلك؟ قال: «نعم، لا بأس» والرواية دالة على: جواز بيع الماء المملوك في قناة وغيرها بدراهم

وبغلة^{٥٨} وسألته ، عن الرجل الجحود أيحل له أن يجحده مثل ما جحده ؟ ، قال : « نعم ، ولا يزداد »^{٥٩} . فإنه دلّ على جواز الجحود في مقام المقاصة ، وهو يتأتى فيما وقعت المقاصة باحتساب الدين أيضاً ، كما لا يخفى^{٦٠} .

٥ : العتق وتوابعه

« فعن محمد بن يحيى ، عن العمركي بن علي ، عن علي بن جعفر ، عن أخيه أبي الحسن موسى عليه السلام ، قال : سألته عن رجل عليه عتق رقبة ، وأراد أن يعتق نسمة ، أيها أفضل : أن يعتق شيخاً كبيراً أو شاباً أجرداً؟ قال : « إعتق من أغنى نفسه ، الشيخ الكبير الضعيف أفضل من الشاب الأجرد »^{٦١} ، ذكره الفيض الكاشاني « في الوافي باب شرائط العتق والمعتق والمعتق »^{٦٢} ، وسألته ، عن الظهار هل يجوز فيه عتق صبي ؟ قال : « إذا كان مولوداً ولد في الاسلام أجزأه »^{٦٣} ذكره صاحب الوسائل في باب أنه يجزي عتق الطفل في كفارة الظهار إذا ولد في الاسلام وكذا في كفارة اليمين ولا يجزي في كفارة القتل... »^{٦٤} ، وسألته ، عن رجل يكتب مملوكه على وصيف يضمن عنه غيره أيصلح ذلك ؟ قال : « إذا قال خماسياً أو رباعياً أو غير ذلك فلا بأس »^{٦٥} ذكره صاحب الوسائل في باب : ان المكاتب المطلق يعتق منه بقدر ما أدى والمشروط عليه ان عجز فهو رد في الرق لا ينعق منه شيء حتى يؤدي جميع مال الكتابة وان كل ما شرط عليه لازم ما لم يخالف المشروع »^{٦٦}... وعن « محمد بن أحمد بن يحيى ، عن بنان بن محمد ، عن موسى بن القاسم ، عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام ، قال : سألته عن بيع الولاء يحل ؟ قال : « لا يحل »^{٦٧} ، ذكره صاحب الوسائل ، في باب : انه لا يصح بيع الولاء ، ولا هبته »^{٦٨} والوجه الآخر : أن نخصه بأن نقول : إنه مثل النسب في أن يرثه الأولاد الذكور منهم دون الإناث .

٦: الوديعة

كتاب مسائل علي بن جعفر : وسألته « عن رجل كانت عليه وديعة لرجل ، فاحتاج إليها ، هل يصلح له أن يأخذ منها وهو مجمع أن يردها ، بغير إذن صاحبها ؟ قال : « إذا كان عنده فلا بأس أن يأخذ ويرده »^{٦٩} ، قال صاحب الجواهر « إلا أنه لم أجد عاملاً بشيء منهما ، لمنافاتها أصول المذهب ، ضرورة عدم اقتضاء عقد الوديعة الوكالة في القرض والاستيفاء ، فلا محيص عن طرحها أو حملها على الفحوى أو نحو ذلك والله العالم »^{٧٠}.

٨: النذر واليمين

كتاب مسائل علي بن جعفر : وسألته « عن الرجل يحلف على اليمين وينسى ما حله ؟ قال : « هو على ما نوى »^{٧١} ، وفي مسائل علي بن جعفر « وسألته عن الرجل يحلف على اليمين ويستثنى ، ما حله ؟ قال : « هو على ما استثنى »^{٧٢} وفصل العلامة في القواعد ، فحكم بانعقاد اليمين مع الاستثناء إن كان المحلوف عليه واجباً أو مندوباً ، وإلا فلا ، نظراً إلى العلم بحصول الشرط في الأول دون الثاني.^{٧٣}

« وعن محمد بن أحمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد الكوكبي ، عن العمركي البوفكي ، عن علي بن جعفر ، عن أخيه موسى بن جعفر (عليه السلام) ، قال : سألت عن رجل عاهد الله في غير معصية ما عليه إن لم يف بعهده ؟ قال : « يعتق رقبة ، أو يصدق بصدقة ، أو يصوم شهرين متتابعين »^{٧٤} وفي الروايتين تصور من حيث السند « لأجل وجود ابن أبي عمير وجميل بن دراج وهما من أصحاب الإجماع » لكن لا معارض لهما ، والمسألة قوية الاشكال وإن كان الأقرب إن كفارة العهد كفارة اليمين ، تمسكاً بمقتضى الأصل ، ونظراً إلى أن حكم العهد لا يخرج عن حكم النذر واليمين ، وقد ثبت أن كفارتهما واحدة والله أعلم^{٧٥}. وسألته ، عن رجل يقول : هو

يهدي كذا وكذا ما عليه ؟ قال : « إذا لم يكن نذار فليس عليه شيء »^{٧٦} ذكره صاحب الوسائل في باب تحریم أكل مال الكعبة وما يهدي إليها أو يوصى لها به^{٧٧} وغيرها كثير

يتبين من ذلك حرص الامام الكاظم عليه السلام على تنشئة الفرد والجماعة الصالحة على المنهج الصحيح القويم الموافق لنصوص القرآن والسنة المباركة ولم يكن الامام عليه السلام بعيداً عنهم على الرغم من شدة الملاحقات والمراقبات التي كان تتبعها الانظمة الظالمة ضده فقد امتد العمر بالامام الكاظم عليه السلام ليعيش خمس وثلاثين سنة فعاصر حكم « المنصور الدوانيقي »^{٧٨} (محمد المهدي^{٧٩} ، موسى الهادي^{٨٠} هارون الرشيد^{٨١} . لقد اتفق هؤلاء جميعاً على عدا الطالبيين ومطاردتهم^{٨٢} ، وعلى الرغم من منهج التقية الذي اتبعه الامام الكاظم عليه السلام فقد نقل المجلسي طريقة اجتماع الشيعة بإمامهم الكاظم والتزوّد منه في ذلك الجو الرهيب فيقول: (كان جماعة من خاصة أبي الحسن موسى الكاظم من أهل البيت وشيعته يحضرون ومعهم في أكمهم ألواح أبوس لطاف، وأميال فإذا نطق أبو الحسن بكلمة وأفتى في نازلة أثبت القوم ما سمعوا في ذلك)^{٨٣} إلا أنه ردد الحياة بكثير من المعارف ودعا الى منهج العقل والعقلانية الموافق لخطابات القرآن الكريم سواء في ردوده ودعوته الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر نستدل على ذلك من وصيته لهشام بن الحكم في شرح عظمة العقل والعقلاء ، فقد تضمنت مواعظ وحكماً من شأنها ان ترتقي بالإنسان والجماعة الصالحة الى مراتب المتقين الابرار، فقد بينت كثير من الامور المتعلقة بدلائل الوجود والتوحيد وجريان الفلك وهطول الامطار واختلاف الليل والنهار ... الخ ، وهي فضلاً عن بقية رسائله وكلماته الغراء تعد تراثاً فكرياً ضخماً بحاجة الى سبر اغواره والافادة منه في مجالات الحياة .

« لقد تمكن الامام الكاظم عليه السلام من التواصل مع شيعته ومواليه بطرق شتى، سواءً وهو خارج المعتقل أو داخله وكان يجيب عن اسئلتهم واستفساراتهم وكانت اجوبته عليه السلام تمثل رأي الشريعة الصحيح والحكم المستنبط من القرآن والسنة على وفق بسط اليد والظروف التي تحيط به وبشيعته وحتى ندرك ذلك يقينا فقد عزز من مكانة علي بن يقطين عند السلطة من خلال جوابه عن كتابه فقد روي عن علي بن يقطين : « أنه كتب إلى موسى بن جعفر عليه السلام : اختلف في المسح على الرجلين ، فإن رأيت أن تكتب ما يكون عملي عليه فعلت . فكتب أبو الحسن عليه السلام : الذي أمرك به أن تتمضمض ثلاثا وتستنشق ثلاثا ، وتغسل وجهك ثلاثا ، وتحلل شعر لحيتك ثلاثا ، وتغسل يديك ثلاثا ، وتمسح ظاهر أذنيك وباطنها وتغسل رجليك ثلاثا ، ولا تخالف ذلك إلى غيره ، فامثل أمره وعمل عليه . فقال الرشيد : أحب أن أستبرئ أمر علي بن يقطين ، فإنهم يقولون إنه رافضي ، والرافضة يخففون في الوضوء . فناطه بشيء من الشغل في الدار ، حتى دخل وقت الصلاة ، ووقف الرشيد وراء حائط الحجرة بحيث يرى علي بن يقطين ولا يراه هو ، وقد بعث اليه بالماء للوضوء فتوضأ كما أمره موسى عليه السلام فقام الرشيد وقال : كذب من زعم أنك رافضي . فورد على علي بن يقطين كتاب موسى بن جعفر عليه السلام توضأ من الآن كما أمر الله : اغسل وجهك مرة فريضة ، والأخرى إسباغا ، فاغسل يديك من المرفقين كذلك ، وامسح مقدّم رأسك ، وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوءك ، فقد زال ما يخاف عليك »^{٨٤}.

« وتبقى قضية ان هذه المسائل انما قد نقلها الرواة فهم يخضعون لضوابط علم الرجال والحديث فمنها ما هو مشهور مجمع عليه ومنها ما هو مشهور لا يعمل به ومنها ما هو ضعيف أو مرسل لمشكلة في الاسناد ومن هذه المرويات ما اختلف في الفاظها ومتنها » .

الخاتمة والنتائج

تعد حقبة الامام الكاظم عليه السلام من الحقب الصعبة والخطيرة على الائمة عليهم السلام وشيعتهم كونها اتسمت بملاحقتهم ومراقبتهم والبطش بهم ، ويمكن عرض اهم ما توصل اليه البحث بما يأتي :

١. استطاع الامام الكاظم عليه السلام على الرغم من الصعوبات والمراقبات ان ينشر ضوابط التقييم الصحيحة وتربية الفرد والجماعة الصالحة ضمن هذه الضوابط والمعايير من خلال اجوبته وردوده الفقهية وغيرها .
٢. اهتم الامام الكاظم عليه السلام بالنسيج الاجتماعي للامة فكانت مناظراته وحواراته واجوبته كفيلة بمواجهة كل ما من شأنه الضرر بهذا النسيج وعقيدة الامة .

٣. لقد واجه الامام عليه السلام الفرق والجماعات الضالة بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة فكانت الغاية من جلّ أجوبته وردوده الرقي بالامة وافرادها الى مستويات المعرفة والتدين الحقيقي الموافق للقرآن والسنة .
٤. تمكن الامام الكاظم عليه السلام من تربية الجماعة الصالحة واعداد نخبة قادرة على اختراق اجهزة الحكم والعمل على نشر الفضيلة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٥. لقد سعى الامام الكاظم عليه السلام الى تكوين المجتمع الإسلامي الصالح من خلال بث روح الاخوة والمحبة والايمان حتى تتماسك ولايمكن النيل منها .

٦. تنوعت اجوبة الامام الكاظم عليه السلام العلمية الا ان الدراسة اقتصرت على اجوبته المتعلقة بفقه المعاملات فقد بين الامام الحكم الشرعي المستنبط من القرآن والسنة لكل مسألة تعرض عليه مما يكشف

الدور الريادي للامام عليه السلام والقيام بوظائف الامامة على الرغم من الصعوبات والملاحقات والحجز القسري .

٧. لم يختلف الامام الكاظم عليه السلام عن منهج ابائه واجداده في اجوبتهم

وردودهم فقد كانوا عليهم السلام يخاطبون الناس على قدر عقولهم ويوضحون لهم ما استشكل عليهم من المسائل الفقهية لاسيما في فقه المعاملات .

٨. اخذ فقه المعاملات حيزا مهما في اجوبة الامام الكاظم عليه السلام لما لها من صلة

كبيرة في واقع الناس وحياتهم ومعاشاتهم فضلا عن انها مسائل ابتلائية .

٩. حرص الامام الكاظم عليه السلام في ردوده واجوبته على اقناع السائل

بالوسائل العقلائية وعلى منهج المداراتية .

١٠. في بعض الأحيان كان الامام عليه السلام هو من يبادر في عرض السؤال

لتلامذته واصحابه والغرض من ذلك معرفة ما يقول الناس في

ذلك من ناحية أو تعليم اصحابه وتلامذته منهج السؤال عند عدم

المعرفة أو زيادة الارتباط بينه وبين مواليه في النوازل والمستجدات

فضلا عن تصحيح الاحكام الخاطئة بين الناس ونشر فقه مدرسة

اهل البيت عليهم السلام .



الهوامش:

- ١- المطففين: ٢.
- ٢- المائة: ١.
- ٣- الإسراء: ٣٥.
- ٤- صحيح البخاري ٩ / ٣
- ٥- تحف العقول: ص ٤١٠
- ٦- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام موسى بن جعفر، باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ج ٢٩، ص ١٣٥.
- ٧- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام موسى بن جعفر، باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ج ٢٩، ص ١٣٥.
- ٨- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام موسى بن جعفر، باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ج ٢٩، ص ١٣٥.
- ٩- الملل والنحل: الشهرستاني: ١ / ٢٤٤-٢٥٠.
- ١٠- مروج الذهب ج ١ ص ١٥٥، والفهرست ص ٤٥٦
- ١١- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام موسى بن جعفر، باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ج ٢٩، ص ١٣٥.
- ١٢- ينظر: توحيد الفضل: الفضل بن عمر الجعفي ٥١-٥٧، مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي، ٩ / ٤٥٣
- ١٣- ترجمته في: تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ص ١١٠، المسعودي، مروج الذهب، ١٤٠٩ هـ، ج ٣، ص ٥٠١-٥٠٢، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٥١.
- ١٤- ينظر: موسوعة سيرة أهل البيت / الإمام موسى بن جعفر / باقر شريف القرشي / دار المعروف / قم / الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م / ج ٢٩ / ص ١٢٩-١٣٠
- ١٥- الملل والنحل للشهرستاني: ١ / ٢٤٤-٢٥٠. انظر مكتبته الاب انستاس الكرمل في مجلة المشرق، ٨ / ١٨٦-٩٤٩.
- ١٦- فهرست ابن النديم ٤٠٧
- ١٧- ينظر: موسوعة المصطفى والعترة، حسين الشاكري ٩ / ٥٠٣
- ١٨- الملل والنحل: الشهرستاني، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، ١ / ٢١٣.
- ١٩- ينظر: موسوعة سيرة أهل البيت / الإمام موسى بن جعفر / باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم، ط ١، ١٤٣٠-٢٠٠٩، ٢٩ / ١٣٢.



- ٢٠- تفسير المحيط الاعظم : حيدر الاملي، ٣٦٨
- ٢١- الإلهيات / الشيخ جعفر السبحاني / الدار الإسلامية / بيروت / الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م / ص ٤٠١ .
- ٢٢- موسوعة سيرة أهل البيت / الإمام موسى بن جعفر/ باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم، ط ١، ١٤٣٠- ٢٠٠٩، ٢٩ / ١٣٢ . وينظر: (حسن، ٢٠٠١، ص ٩١-٩٢)
- ٢٣- موسوعة سيرة أهل البيت / الإمام موسى بن جعفر/ باقر شريف القرشي، دار المعروف، قم، ط ١، ١٤٣٠- ٢٠٠٩، ٢٩ / ١٣٢ .
- ٢٤- كاتب يقطين وابنه علي بن يقطين من أهل النهروان : ينظر: تاريخ الطبري : ابن جرير الطبري، ٦ / ٤٠٨ .
- ٢٥- موسوعة سيرة أهل البيت / الإمام موسى بن جعفر / باقر شريف القرشي: دار المعروف، قم، ط ١، ١٤٣٠- ٢٠٠٩، ٢٩ / ١٣٥ .
- ٢٦- امالي المرتضى، الشريف المرتضى ١ / ١٣٢ .
- ٢٧- للاطلاع على هذه المناظرات والاحتجاجات ينظر : البحار ٤ / ١٤٨، الكافي ٤ / ١٤٧، المناقب، ٣ / ٤٢٧، الاحتجاج، الطبرسي، ٢ / ١٥٨ .
- ٢٨- إرساء الإمام الكاظم عليه السلام لقواعد المنهج الاستدلالي، محمد عبد الجليل المكراني، <https://www.ruqayah.ne>
- ٢٩- ينظر اعلام الهدية، الكاظم، المجمع العالمي، قم، ط ١، ١٤٢٢ هـ، ١٥٤
- ٣٠- الفكر الاصلاحى للإمام الكاظم، محمد الامجد، المركز الاسلامي المعاصر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣، ١٠٣
- ٣١- إرساء الإمام الكاظم عليه السلام لقواعد المنهج الاستدلالي، محمد عبد الجليل المكراني، <https://www.ruqayah.ne>
- ٣٢- تحف العقول : ابن شعبة الحراني، ٤١٠
- ٣٣- اعيان الشيعة، محسن الامين ١ / ١٠٠
- ٣٤- الفقه الاسلامي، مدخل لدراسة نظام المعاملات فيه، محمد يوسف موسى، ١٦٠
- ٣٥- ربيع الأبرار ٣ / ٢٧٨ .
- ٣٦- القرشي، ج ٢، ص ٢٢٣
- ٣٧- الامام موسى الكاظم ودوره الفكري والتربوي، ١٤٨ هـ - ١٨٣ هـ / ٧٦٥ - ٨٠٠ م، م.م. علاء ابراهيم ارزوقي، جامعة بابل، كلية التربية الاساسية، مجلة كلية التربية الاساسية، العدد ١١ آذار، ٢٠١٣ .
- ٣٨- ينظر: الطبرسي، ١٩٧٠، ص ٣٠٤ (التبريزي، ٢٠٠٤، ج ٤، ص ٢١٢).

٣٩-قرب الإسناد : ١١٤

٤٠- فقه المعاملات ، مصطفىوي، ٣٠٧.

٤١-البختي : واحد البخت وهي الابل الخراسانية ، (القاموس المحيط - بخت - ١ : ١٤٣) .

٤٢-الاغتلام : هيجان البعير عند شدة الشهوة الجنسية ، انظر القاموس المحيط - غلم - ٤ : ١٥٧ .

٤٣-التهذيب ١٠ : ٢٢٦ ح ٨٩١ ، الوسائل ١٩ : ١٨٧ ب « ١٤ » من أبواب موجبات الضمان ح ٣ .

٤٤-أانوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع ، حسين آل عصفور ١١م ٨٢.

٤٥-قرب الإسناد : ١١٥-١٢١

٤٦-بحار الانوار ، المجلسي ٨٩/ ٣٤

٤٧-قرب الإسناد ١١٤

٤٨-بحوث في الفقه المعاصر - ج ١ : ٢٠١ - ٢١٠

٤٩-قرب الاسناد ، ١١٢

٥٠-البيع : كاظم الحائري ٥٢٣

٥١-قرب الاسناد ، ١١٣

٥٢-التهذيب ٧ : ١١٢ / ٤٨٢

٥٣-مهذب الاحكام ، السبزواري ٢١ / ٤٧

٥٤-قرب الاسناد ، ١١٣

٥٥-بحار الانوار : المجلسي، ١٠٠ / ٢٨

٥٦-قرب الاسناد ، ١١٥

٥٧-الحدائق الناضرة ، البحراني ، ١٨ / ٧٨

٥٨-قرب الاسناد، ١١٣

٥٩-قرب الاسناد، ١١٣

٦٠-مباني تحرير الوسيلة ، محمد المؤمن ١ / ٤٤٦

٦١-الكافي ٦ : ١٩٦ / ١٠ ، التهذيب ٨ : ٢٣٠ / ٨٣٣ ، الفقيه ٣ : ٨٥ / ٣١٢ ، قرب

الإسناد : ١١٩ باختلاف يسير بينهما

٦٢-الوافي ، الفيض الكاشاني ١٠ / ٥٨٣ .

٦٣-قرب الإسناد : ١١١

٦٤-وسائل الشيعة ، الحر العاملي ١٥ / ٥٧٧

- ٦٥- قرب الإسناد: ١٢٠
- ٦٦- وسائل الشيعة: الحر العاملي، ٨٧/١٦
- ٦٧- التهذيب ٨: ٢٥٨ / ٩٣٧، الاستبصار ٤: ٢٥ / ٧٩
- ٦٨- الوسائل: الحر العاملي، ٧٥ / ٢٣
- ٦٩- قرب الإسناد: ١١٩
- ٧٠- جواهر الكلام، محمد حسن الجواهري ٢٧ / ١٣٤
- ٧١- قرب الإسناد: ١٢١، وفي الفقيه ٣: ٢٣٣ / ١١٠٠، باختلاف بسيط
- ٧٢- مسائل علي بن جعفر، ١٣٠
- ٧٣- كفاية الاحكام: المحقق السبزواري ٢ / ٤٨٢
- ٧٤- الاستبصار ٤: ٥٥ / ١٨٩، التهذيب ٨: ٣٠٩ / ١١٤٨
- ٧٥- نهاية المرام: محمد العاملي ٢ / ١٩٢
- ٧٦- قرب الإسناد: ١٠٨
- ٧٧- الوسائل: الحر العاملي ١٣ / ٢٤٨
- ٧٨- المنصور: هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ولد سنة ٥٩ بالحميمة، توفي ١٥٨، الاعلام ٤ / ٢٥٩
- ٧٩- نظر ترجمته في: تاريخ الطبري ٨ / ١٦٨ - ١٨٦. وتاريخ بغداد ٥ / ٣٩١ - ٤٠١.
- ٨٠- موسى الهادي بن المهدي بن أبي جعفر المنصور (١٦٩ هـ - ١٧٠ هـ): وفي خلال عام واحد اشتد الصراع الداخلي في البلاط العباسي بين موسى هذا، وأمه الجارية ((خيزران) التي كانت تتحكم في السلطة إبان حكم زوجها المهدي، وبالتالي خططت لقتل ابنها (موسى) ليخلفه ابنها الآخر (هارون) . مسند الامام الرضا : داوود بن سليمان الغاري، ص ٢٢.
- ٨١- هارون العباسي (١٤٥ - ١٩٣ هـ) الشهير بهارون الرشيد خامس خلفاء بني العباس (حكم ١٧٠ - ١٩٣ هـ) عاصر الإمام الكاظم عليه السلام والرضا عليه السلام. طبري، تاريخ، دارالكتب العلمية، ج ٨، ص ٣٥٩ - ٣٤٧. أمين، هارون الرشيد، ص ١٤٣. اليوسفي الغروي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ٧، ص ٥٤٨.
- ٨٢- الائمة الاثنا عشر، سيرة وتاريخ محمد حسن آل ياسين ٢ / ٤٢
- ٨٣- البحار ج ١٢ ص ٢٧٨ فقد روى النجاشي في كتاب
- ٨٤- الارشاد ٢ / ٢٢٧، اعلام الوری ٢ / ٢١ - ٢٢، كشف الغمة ٣ / ١٥ - ١٧، الخرائج والجرائج ١ / ٣٣٥.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

* الإلهيات: الشيخ جعفر السبحاني، الدار الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

* بحار الأنوار: للعلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (١٠٣٧ - ١١١٠ هـ) الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي بالأوفست عن طبعة النجف الأشرف.

* الاحتجاج، الطبرسي، تعليق، محمد باقر الخرسان، سنة الطبع: ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف.

* إرساء الإمام الكاظم عليه السلام لقواعد المنهج الاستدلالي: محمد عبد الجليل المكراني، <https://www.ruqayah.net/print.php>

* الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، الشيخ المفيد، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، دار المفيد، طباعة - نشر - توزيع

* الاستبصار: لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ). تحقيق السيّد حسن الخرسان. الطبعة الثالثة، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥ م.

* الأعلام: لخير الدين الزركلي. ج ٣ ص ٤٨٤ طبع مصر سنة ١٣٤٧ هـ

* اعلام الهداية: الإمام موسى بن جعفر الكاظم، المجمع العالمي لأهل البيت، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ

ص: ١٥٤.

* إعلام الوري بأعلام الهدى : : للشيخ الطبرسي (حوالي سنة ٥٤٨ هـ) - منشورات دار الكتب الإسلامية - ط ٣ - .

* أعيان الشيعة : للعلامة السيد محسن الأمين ، تحقيق حسن الأمين ، منشورات دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، عام ١٤٠٣ هـ ج .

* الإمام موسى الكاظم عليه السلام ودوره الفكري والتربوي ١٤٨ - ١٨٣ هـ / ٧٦٥ - ٨٠٠ م .م . علاء ابراهيم رزوقي ، جامعة بابل / كلية التربية الاساسية ، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل آذار/ ٢٠١٣ م ، العدد ١١ .

* امالي المرتضى ، الشريف المرتضى ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: عيسى البابي الحلبي ، سنة النشر: ١٣٧٣ - ١٩٥٤

* انوار اللوامع في شرح مفاتيح الشرائع، حسين آل عصفور، مجمع البحوث العلمية .

* الائمة الاثنا عشر ،سيرة وتاريخ محمد حسن آل ياسين ، دار المؤرخ الاربعي ، بيروت - لبنان.

* البداية والنهاية، لابن كثير توفي ٧٧٤ إحياء التراث العربي - بيروت عن الطبعة الأولى

* بحوث في الفقه المعاصر : حسن الجواهري ، الناشر : دار الذخائر (بيروت - لبنان)

* البيع : كاظم الحائري الطبعة: الاولى:

الناشر: دار الرسالة، تاريخ النشر: ١٤٤٣ هـ.ق

* تاريخ الطبري: ابن جرير الطبري، تعليق، محمد باقر الخرسان، سنة الطبع

- ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، الناشر: دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف
- * تحف العقول: جماعة المدرسين - قم المقدسة.
- * تفسير المحيط الأعظم: حيدر الأملي: تحقيق: السيد محسن الموسوي التبريزي، الطبعة، الرابعة، سنة الطبع: ١٤٢٨، المطبعة: الأسوة الناشر: مؤسسه فرهنگي ونشر نور علي نور.
- * تهذيب الأحكام: لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ). تحقيق السيد حسن الخراسان، الطبعة الثالثة، ١٠ مجلدات، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م.
- * جواهر الكلام: للشيخ محمد حسن النجفي (١٢٦٦ هـ). تحقيق عدة من العلماء. الطبعة السابعة، ٤٣ مجلداً، بيروت، دار إحياء التراث العربي [بالأوفست عن طبعة طهران، دار الكتب الإسلامية ١٣٩٨ هـ].
- * الحقائق الناضرة: للشيخ يوسف البحراني (١١٠٧ - ١١٨٦ هـ). تحقيق محمد تقي الإيرواني
- * الخرائج والجرائح، لقطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي (م ٥٧٣)، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤٠٩ هـ.
- * رجال النجاشي: لأبي العباس النجاشي الأسدي الكوفي - (٤٥٠ هـ) - مؤسسة النشر الإسلامي
- * صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ) - عالم الكتب - ط ٥ - ١٤٠٦ هـ.
- * ٢٧: الفقه الاسلامي، مدخل لدراسة نظام المعاملات فيه، محمد يوسف موسى، دار الكتب الحديثة، ١٩٥٤
- * فقه المعاملات، مصطفىوي، الطبعة الأولى، سنة الطبع: رمضان ١٤٢٣، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة
- * الفكر الإصلاحي للإمام موسى بن جعفر محمد الأجدد، المركز الإسلامي المعاصر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣،
- * الفهرست: لابن النديم (٣٨٥ هـ) - دار المعرفة - بيروت.
- * القاموس المحيط: للفيروز آبادي، منشورات دار الكتاب للجميع، بيروت.
- * قرب الأسناد، لعبد الله بن جعفر الحميري، من أعلام القرن ٣، طبع، مكتبة نينوى الحديثة طهران قم - ١٤٠٧ هـ.
- * الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (٣٢٩ هـ). تحقيق علي أكبر الغفاري. الطبعة الثالثة، ٨ مجلدات، بيروت، دار صعب ودار التعارف، ١٤٠١ هـ [بالأوفست عن طبعة دار الكتب الإسلامية بطهران].
- * كشف الغمّة في معرفة الأئمّة. لعلي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (م ٦٩٣). ٣ مجلدات، بيروت، دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
- * كفاية الاحكام: المحقق السبزواري، تحقيق: الشيخ مرتضى الواعظي الأراكي، الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٣، المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة الناشر: مؤسسة النشر

الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم
المشرفة

* مباني تحرير الوسيلة ، محمد المؤمن :
تحقيق : مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام
الخميني رحمه الله الطبعة : الأولى ، سنة الطبع
: ذو القعدة ١٤٢٢ - زمستان ١٣٨٠
المطبعة : مطبعة مؤسسة العروج .

* مروج الذهب : للمسعودي (٣٤٦ هـ)
- تحقيق يوسف أسعد داغر - دار الهجرة
- قم - ط ٢ - ١٤٠٤

* مسائل علي بن جعفر : تحقيق مؤسّسة
آل البيت رحمه الله لإحياء التراث . الطبعة الأولى
، مشهد ، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه
السلام ، ١٤٠٩ هـ

* مستدرك سفينة البحار: المؤلف : الشيخ
علي النمازي الشاهرودي ، تحقيق : تحقيق
وتصحيح : الشيخ حسن بن علي النمازي
، سنة الطبع : ١٤١٨ ، الناشر : مؤسسة
النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين
بقم المشرفة

* الملل والنحل / الشهرستاني / المكتبة
العصرية / بيروت / طبع عام ١٤٢٨ هـ
- ٢٠٠٧ م
* الملل والنحل : للشهرستاني (٥٤٨ هـ
- مكتبة الإنجلو المصرية .

* المناقب ، ابن شهر آشوب ، تحقيق :
تصحيح وشرح ومقابلة : لجنة من أساتذة
النجف الأشرف سنة الطبع : ١٣٧٦ -
١٩٥٦ م ، المطبعة : الحيدرية - النجف
الأشرف ، الناشر : المكتبة الحيدرية -
النجف الأشرف

* مهذب الاحكام ، السبزواري: الطبعة

: الرابعة سنة الطبع : ١٤١٣ ، المطبعة :
فروردين ، الناشر : مكتب آية الله العظمى
السيد السبزواري رحمه الله

* موسوعة المصطفى والعترة ، حسين
الشاكري ، الطبعة : الأولى ، سنة الطبع
: ١٤١٧ ، المطبعة : ستارة ، الناشر : نشر
الهادي - قم - إيران

* موسوعة سيرة أهل البيت / الإمام
موسى بن جعفر / باقر شريف القرشي :
دار المعروف ، قم ، ط ١ ، ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ ،
١٣٥ / ٢٩ .

* موسوعة سيرة أهل البيت / الإمام
موسى بن جعفر / باقر شريف القرشي /
دار المعروف / قم / الطبعة الأولى ١٤٣٠
هـ - ٢٠٠٩ م / ج ٢٩ / ص ١٢٩ - ١٣٠ .

* نهاية المرام : صاحب المدارك السيد
العاملي ، مؤسسة النشر الإسلامي ، التابعة
لجامعة المدرسين بقم المقدسة

* الوافي : الفيض الكاشاني : تحقيق :
عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه
والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني
« العلامة » الأصفهاني الطبعة : الأولى سنة
الطبع : أول شوال المكرم ١٤٠٦ هـ . ق ١٩
/ ٣ / ٦٥ هـ . ش المطبعة : طباعة أفست
نشاط أصفهان الناشر : مكتبة الامام أمير

المؤمنين علي رحمه الله العامة - أصفهان
* وسائل الشيعة : للشيخ محمد بن
الحسن الحر العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤ هـ)
. تحقيق مؤسّسة آل البيت رحمه الله لإحياء
التراث . الطبعة الأولى ، ٣٠ مجلداً ، قم
المقدسة ، مؤسّسة آل البيت رحمه الله لإحياء
التراث ، ١٤٠٩ - ١٤١٢ هـ .

لقاء بشر الحافي بالإمام الكاظم عليه السلام وقفة توثيقية ودلالات أخلاقية

د. أركان التميمي

كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة

مُلخَصُ البحث:

لقاء بشر بن الحارث المروزي [المتوفى سنة ٢٢٧هـ]، المعروف ببشر الحافي مع الإمام الكاظم عليه السلام [المستشهد سنة ١٨٣هـ] لقاء مشهور وحادثة معروفة، طالما نسمعها من المتحدّثين عن حياة الإمام الكاظم عليه السلام، وقرأناها في قصص التائبين، لما لها من مضامين متنوعة عالية.

وربما كثيرٌ من الناس لا يعرف عن بشر الحافي شيئاً، ولم يسمع باسمه إلا في هذه القصة، التي هي الأخرى لم تُعرف ملابساتها، ومتى حدث اللقاء، وكيف حدث، والإمام الكاظم عليه السلام عاش في بغداد متنقلاً من سجنٍ إلى آخر حتى يوم استشهاده، فكيف تسنّى للإمام عليه السلام أن يمرّ ببيت بشر الحافي، ويرسل له نصيحته المؤثرة بيد جارية كانت خارج منزله. وهذا ما اعتمد عليه ابن تيمية في نفي وقوع اللقاء، وتكذيب العلامة الحلي الذي أورد القصة في كتابه منهاج الكرامة، وهو أقدم مصدر لقصة اللقاء.

وفي هذا البحث سنسلط الضوء على توثيق اللقاء، وتوضيح ملابساته، وعرض أدلة النافين لوقوعه، المستبعدين لحدوثه، ثم مناقشة النفي وصولاً إلى إمكانية الحدوث رغم تنقلات الإمام عليه السلام في سجون بغداد حتى شهادته في سجنه الأخير. وبعد ذلك نعقد الكلام عن دلالات

هذه الحادثة الأخلاقية والتربوية، فالبحث بهذا يتناول الحادثة من خلال
بعدين تاريخي وتربوي.

كلمات مفتاحية: الإمام الكاظم عليه السلام، السجون، بشر الحافي، التوبة.



Abstract:

The meeting of Bishr bin al-Harith al-Maruzi [died 227 AH], known as Bishr al-Hafi, with Imam al-Kadhim (peace be upon him) [martyred in 183 AH] is a famous encounter and well-known incident that we often hear about in narratives discussing the life of Imam al-Kadhim (peace be upon him). We have also read about it in stories of the repentant, due to its varied high meanings and lessons.

Perhaps many people do not know anything about Bishr al-Hafi and have only heard his name in this story, whose details are also unknown - when did the meeting take place? How could this meeting have occurred when Imam al-Kadhim (peace be upon him) spent his life in Baghdad being transferred from one prison to another until the day of his martyrdom? How was Imam (peace be upon him) able to pass by Bishr al-Hafi's house and send his impactful advice through a female slave going out of his home? This is what Ibn Taymiyyah relied on to deny the occurrence of the meeting and to accuse historian Al-Hurr Al-Aamili who recorded the story in his book Minhaj al-Karama [The Path of Dignity], which is the earliest source of the story of the meeting.

This research will shed light on documenting the meeting and clarifying its details, presenting the evidence of those who deny its occurrence and consider it implausible. It will then discuss denying the meeting and the possibility of its occurrence despite Imam's (peace be upon him) transfers between Baghdad prisons until his martyrdom in his last prison. Afterwards, it will discuss the ethical and educational implications of this moral incident. Thus, the research addresses the incident through historical and educational dimensions.

Keywords: Imam al-Kadhim (peace be upon him), prisons, Bishr al-Hafi, repentance



المقدمة:

قصة بشر الحافي وتوبته تتصدر قصص التائبين، حيث الانتقال المفاجئة، والانعطاف الهائلة، والتحول من حالٍ إلى حالٍ في لحظاتٍ سريعة، كلمات قليلة سمعها، لكنها بمضامين كبيرة، تلك هي كلمات الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) التي وقعت في قلب بشر بن الحارث المروزي وقوع قطرات المطر على الأرض العطشى.

لهذا اللقاء دلالات، ولل قصة إحياءات وتجليات، فهي درسٌ عظيم من دروس الأخلاق في التوبة والإنابة إلى الله تعالى، لذا عقدنا العزم على الوقوف عند الدلالات الأخلاقية لهذه القصة الشهيرة، واستجلاء المعاني السامية من بين دقائقها وتفصيلها.

وقبل الوقوف عند الدلالات الأخلاقية التربوية كان من المناسب توثيق الحادثة، لا سيما أن هناك من شكك بها وهو ابن تيمية، الذي استبعد استطاعة الإمام الكاظم (عليه السلام) الاجتياز من دار بشر، وهو الذي قضى فترة بقاءه في بغداد متنقلاً من سجن إلى سجن.

فجاءت خطة البحث بمبحثين بعد المقدمة، أما المبحث الأول فخصص للحديث عن شخصيات اللقاء بما يناسب البحث، ودراسة استدعاءات الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) إلى بغداد من قبل السلطة العباسية، والسجون التي تنقل فيها؛ لعلاقة ذلك في إمكانية لقائه (عليه السلام) مع بشر الحافي في ظل تلك الظروف.

أما المبحث الثاني فتكفل بتوثيق اللقاء، ومناقشة النافين للقاء وردّ ما استدلوأ به، ثم بعد ذلك كله جاء استجلاء الدلالات والمعاني من أحداث القصة وتفصيلها.

المبحث الأول: شخصيات اللقاء

شخصيتان هما محور الحدث، الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وبشر بن الحارث المروزي، الذي عُرف بعد هذا الحدث - كما هو المفترض - ببشر الحافي، لذا سنقف عند شخصيتي اللقاء قبل الشروع بملاحظات اللقاء وتوثيقه ودلالاته.

المطلب الأول: الإمام الكاظم عليه السلام وقفة عند سجنونه

لا نريد أن نقف عند سيرة الإمام السابع من أئمة أهل البيت عليه السلام، فسيرته المباركة لا تخفى، وهو المولود في قرية (الأبواء) الواقعة بين المدينة ومكة، عام ١٢٨ هـ - على أشهر الروايات -، والمستشهد في سجون هارون الرشيد عام ١٨٣ هـ، وهو الإمام العابد الراهب الكاظم، سابع أئمة أهل البيت عليه السلام، وقبره الشريف مهوى الأفئدة وقبلة الزائرين، قال عنه أبو علي الخلال: ما همتني أمرٌ فقصدت قبرَ موسى بن جعفر فتوسّلتُ به إلا سهّل الله تعالى لي ما أحبّ. ^(١)

ونختصر الحديث عن سجون الإمام عليه السلام، والفترة التي قضاها عليه السلام في بغداد، لأنّها الفترة المفترضة للقاء بشر الحافي به عليه السلام هي خلال وجوده في بغداد، بعد استقدامه من المدينة المنورة بأمرٍ من الخليفة العباسي هارون الرشيد [ت: ١٩٣ هـ]، فنحن هنا نستعرض الاستدعاءات والسجون التي تعرض لها الإمام الكاظم عليه السلام لتبيّن الظروف التي صاحبت اللقاء.

المقصد الأول: استدعاءات الإمام الكاظم عليه السلام إلى بغداد

استُدعي الإمام الكاظم عليه السلام إلى بغداد أكثر من مرة، حيث مقرّ الحكومة ومركز الخلافة العباسية، وهي كالأتي:

الاستقدام الأول: كان بأمر المهدي العباسي [ت: ١٦٩ هـ]، ويستفيد بعض المحققين أن الاستقدام كان في أواخر حياة المهدي العباسي ^(٢).

في الكافي: أنَّ محمد بن سنان قال : «دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام من قبل أن يقدم العراق بسنة، وعليُّ ابنه جالس بين يديه، فنظر إليَّ فقال: يا محمد، أما إنه سيكون في هذه السنة حركة، فلا تجزع لذلك، قال : قلت : وما يكون جعلت فداك ؟ فقد أقلقني ما ذكرتَ، فقال : أصير إلى الطاغية، أما إنه لا يبدوُّني منه سوء، ومن الذي يكون بعده، قال : قلت : وما يكون جعلت فداك ؟ قال : يُضِلُّ اللهُ الظالمين ويَفْعَلُ اللهُ ما يشاء، قال : قلت : وما ذاك جعلت فداك ؟ قال : من ظلم ابني هذا حقَّه، وجحد إمامته من بعدي، كان كمن ظلم عليَّ بن أبي طالب حقَّه، وجحد إمامته بعد رسول الله ﷺ، قال : قلت : والله لئن مدَّ الله لي في العمر لأسلمنَّ له حقَّه، ولأقرنَّ له بإمامته، قال : صدقت يا محمد، يمدَّ الله في عمرك، وتسلمَّ له حقَّه، وتقرَّ له بإمامته، وإمامة من يكون من بعده، قال : قلت : ومن ذاك ؟ قال محمد ابنه، قال : قلت : له الرضا والتسليم.» (٣)

فالإمام الكاظم عليه السلام أخبر محمد بن سنان «أصير إلى الطاغية»، أي سيستقدمه المهدي إلى بغداد، وهذا ما حصل، وهناك أخبار أخرى تذكر تفصيلات أكثر لما أخبر به الإمام عليه السلام :

حكى ذلك أبو خالد الزبالي قال : «قدم أبو الحسن موسى عليه السلام زُبالةً ومعه جماعةٌ من أصحاب المهدي، بعثهم المهدي في إشخاصه إليه، وأمرني بشراء حوائج له، ونظر إليَّ وأنا مغموم فقال : «يا با خالد، مالي أراك مغموماً؟» قلت : جعلت فداك، هو ذا تصير إلى هذا الطاغية، ولا آمنه عليك.

فقال : «يا با خالد، ليس علي منه بأس، إذا كانت سنة كذا وكذا وشهر كذا وكذا فانتظرنِي في أول الميل، فإني أوافيك إن شاء الله.»

قال : فما كانت لي همة إلا إحصاء الشهور والأيام، فغدوت إلى أول الميل في اليوم الذي وعدني، فلم أزل أنتظره إلى أن كادت الشمس أن تغيب فلم

أر أحداً، فشككت فوق في قلبي أمر عظيم، فنظرت قرب الميل فإذا سواد قد رفع، قال : فانتظرته فوافاني أبو الحسن عليه السلام أمام القطار على بغلة له، فقال : "إيه يا با خالد" قلت : لبيك جعلت فداك، قال : "لا تشكن، ودَّ والله الشيطان أنك شككت، قلت : قد كان والله ذلك جعلت فداك، قال : فسررت بتخليصه وقلت :

الحمد لله الذي خلّصك من الطاغية.

فقال : "يا با خالد، إنَّ لهم إليَّ عودة لا أتخلّص منهم." ^(٤)

هذا من جانب الإمام عليه السلام وإخباراته لأصحابه عن استقدمه لبغداد وعودته، أما ما جرى في بغداد بعد استقدمه، وكيف أطلق سراحه، فمجموع روايات تتفق على أن المهدي رأى في منامه ما جعله يطلق سراحه ويرجعه إلى المدينة.

قال الربيع : «رأيت المهدي يصلي في بهوله، في ليلة مقمرة، فما أدري أهو أحسن أم البهو أم القمر أم ثيابه، فقراً : فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ،

قال : فاتمَّ صلاته ثم التفت إليَّ وقال يا ربيع قلت لبيك ! قال : [عليّ] موسى ؛ فقلت في نفسي : من موسى ابنه، أم موسى بن جعفر وكان محبوباً عندي، فجعلت أفكر فقلت ما هو إلا موسى بن جعفر، فأحضرتة، فقطع صلاته، ثم قال : يا موسى، إني قرأت هذه الآية فخفت أن أكون قد قطعت رحمك، فوثق لي أنك لا تخرج [عليّ] . قال : نعم، فوثق له، فخلّاه.» ^(٥)

وروى الذهبي عن الفضل بن الربيع عن أبيه «أنه لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهدي في النوم عليّ بن أبي طالب، وهو يقول يا محمد: فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، [محمد: ٢٢]، قال الربيع: فأرسل لي ليلاً، فراعني ذلك، فجئتته فإذا هو يقرأ هذه الآية -

وكان أحسن الناس صوتاً - وقال عليٌّ بموسى بن جعفر، فجثته به، فعانقه وأجلسه إلى جانبه، وقال: يا أبا الحسن إني رأيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في النوم يقرأ عليّ كذا، فتؤمنني أن تخرج عليّ أو على أحد من ولدي؟ فقال: الله لا فعلت ذاك، ولا هو من شأني. قال: صدقت، يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار وردّه إلى أهله إلى المدينة. قال الربيع فأحكمت أمره ليلاً، فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العوائق.»^(٦)

إذن فالاستقدام الأول حصل في خلافة المهدي العباسي، ويرجح أن يكون في سنواته الأخيرة، وعمر الإمام عليه السلام ناهز الأربعين سنة تقريباً، وكان قد أخبر أصحابه أن المهدي لا يبدوه بسوء، وتفسير ذلك أن سجنه لن يطول، ولن يتعرض للتعذيب، وهذا ما حصل.

الاستقدام الثاني: وكان في زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد، وقد استقدمه من البصرة إلى بغداد، وسبب وجود الإمام الكاظم عليه السلام في البصرة أنه كان مسجوناً فيها بأمر من هارون في سجن عيسى بن جعفر العباسي، وكان والياً لهارون على البصرة.

وفي سنة ١٧٩ هـ ذهب هارون الرشيد إلى المدينة بعد أن اعتمر، وفي المدينة أمر بأخذ الإمام الكاظم عليه السلام إلى البصرة.

في عيون أخبار الرضا عليه السلام: «علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال: سمعت أبي يقول: لما قبض الرشيد على موسى بن جعفر عليه السلام قبض عليه وهو عند رأس النبي ﷺ قائماً يصلي، فقطع عليه صلاته وحمل وهو يبكي، ويقول: أشكو إليك يا رسول الله ما القى، وأقبل الناس من كل جانب يبكون ويصيحون، فلما حمل إلى يدي الرشيد شتمه وجفاه، فلما جنّ عليه الليل أمر ببيتين فهيأ له، فحمل موسى بن جعفر عليه السلام إلى أحدهما في خفاء ودفعه إلى حسان السروي، وأمره بأن يصير به في قبة إلى البصرة، فيسلم إلى عيسى بن جعفر بن أبي

جعفر وهو أميرها، ووجه قبة أخرى علانية نهاراً إلى الكوفة معها جماعة، ليعمى على الناس أمر موسى بن جعفر (عليه السلام)، فقدم حسان البصرة قبل التروية بيوم، فدفعه إلى عيسى بن جعفر بن أبي جعفر نهاراً علانية حتى عرف ذلك، وشاع خبره، فحبسه عيسى بيت من بيوت المجلس الذي كان يجلس فيه، وأقفل عليه، وشغله العيد عنه، فكان لا يفتح عنه الباب إلا حالتين: حالة يخرج فيها إلى الطهور، وحالة يدخل فيها الطعام.^(٧)

ثم إن الإمام الكاظم (عليه السلام) بقي سنة في حبس عيسى بن جعفر العباسي في البصرة، كما يظهر من كتب التاريخ، ففي مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني ما نصّه: «فحبسه عنده سنة ثم كتب إلى الرشيد: أن خذه مني وسلمه إلى من شئت، وإلا خليت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فما أقدر على ذلك، حتى إني لأسمع عليه إذا دعا لعله يدعو علي أو عليك فما أسمعته يدعو إلا لنفسه، يسأل الله الرحمة والمغفرة. فوجه من تسلمه منه، وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد، فبقي عنده مدة طويلة.»^(٨)

المقصد الثاني: السجنون التي أودع فيها الإمام الكاظم (عليه السلام) في بغداد بعد أن جيء بالإمام الكاظم (عليه السلام) من البصرة إلى بغداد، تنقل في بغداد من سجن إلى آخر، وهي على الترتيب:

السجن الأول: سجن الفضل بن الربيع^(٩)

السجن الثاني: سجن الفضل بن يحيى^(١٠)

السجن الثالث: سجن السندي بن شاهك^(١١)

أما سجن الفضل بن الربيع فبقي فيه مدة طويلة، حسب رواية أبي الفرج المتقدمة.

وأما سجن الفضل بن يحيى بن خالد فقد نُقل له الإمام (عليه السلام) بعد امتناع الفضل بن الربيع عن قتله، قال أبو الفرج: «وأراد الرشيد على شيء من أمره فأبى، فكتب إليه ليسلمه إلى الفضل بن يحيى، فتسلمه منه...»^(١٢)

ولكن الفضل بن يحيى رفض أيضاً قتل الإمام (عليه السلام)، بل لم يضيّق عليه، مما أثار غضب هارون عليه، قال أبو الفرج: «وأراد ذلك منه فلم يفعله، وبلغه انه عنده في رفاهية وسعة ودعة، وهو حينئذ بالرقعة، فأنفذ مسروراً الخادم إلى بغداد على البريد، وأمره أن يدخل من فوره إلى موسى فيعرف خبره، فإن كان الأمر على ما بلغه أوصل كتاباً منه إلى العباس بن محمد وأمره بامثاله، وأوصل كتاباً منه إلى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس بن محمد. فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد، ثم دخل على موسى فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي بن شاهك، فأوصل الكتابين إليهما. فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض ركضاً إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مَشْدُوهاً دَهْشاً حتى دخل على العباس فدعا العباس بالسياط وعقابين، فوجه بذلك إليه السندي، فأمر بالفضل فجرّد ثم ضربه مائة سوط. وخرج متغير اللون بخلاف ما دخل، فذهبت قوّته فجعل يسلم على الناس يميناً وشمالاً» (١٣)

وأما سجن السندي بن شاهك فقد نُقل إليه الإمام (عليه السلام) بعد أن اكتشف هارون أن الفضل بن يحيى البرمكي رَفّه عن الإمام (عليه السلام)، وبعد أن رفض قتله، وكان مسرور قد كتب إلى الرشيد بما رآه عند الفضل بن يحيى، فأمر بتسليم موسى إلى السندي بن شاهك، ونال الفضل بن يحيى من سخط الرشيد ما ناله. وعامل السنديُّ بن شاهك الإمامَ (عليه السلام) معاملةً خشنَةً قاسيةً، وأرهقه بالسلاسل والقيود، واستشهد الإمام (عليه السلام) عام (١٨٣هـ) في سجن السندي بن شاهك كما هو معروف، مسموماً غريباً مظلوماً.

ونقل ابن خلكان عن المؤرخ المسعودي إطلاق سراح الإمام الكاظم (عليه السلام) من السجن، ولم يذكر في أي فترة كان، قال ابن خلكان: «وقال أبو الحسن



علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب في أخبار هارون الرشيد إن عبد الله بن مالك الخزاعي كان على دار هارون الرشيد وشرطته، فقال: أتاني رسول الرشيد وقتاً ما جاءني فيه قط، فانتزعتني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي فراعني ذلك، فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم، فعرف الرشيد خبري فأذن لي في الدخول عليه، فدخلت فوجدته قاعداً على فراشه، فسلمت عليه، فسكت ساعة فطار عقلي وتضاعف الجزع عليّ، ثم قال: يا عبد الله، أتدري لم طلبتك في هذا الوقت، قلت: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: إني رأيت الساعة في منامي كأنّ حبشياً^(١٤) قد أتاني ومعه حربة، فقال: إن خلّيت عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرّتك بهذه الحربة، فاذهب فخلّ عنه، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين أطلق موسى بن جعفر، ثلاثاً، قال: نعم، امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر، وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب وإن أحببت المضيّ إلى المدينة، فالإذن في ذلك لك.

قال: فمضيت إلى الحبس لأخرجه، فلما رآني موسى وثب إليّ قائماً، وظنّ أني قد أمرت فيه بمكروه، فقلت: لا تخف، فقد أمرني بإطلاقك، وأن أدفع لك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك إن أحببت المقام قبلنا فلك كل ما تحب، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر في ذلك مطلق لك، وأعطيته ثلاثين ألف درهم، وخلّيت سبيله، وقلت له: لقد رأيت من أمرك عجباً، قال: فيّ أخبرك، بينما أنا نائم إذ أتاني رسول الله ﷺ، فقال: يا موسى حُبست مظلوماً، فقل هذه الكلمات فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس، فقلت: بأبي وأمي ما أقول؟ قال: قل: يا سامع كل صوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحماً، ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنی، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون، الذي لم يطلع عليه

أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناة لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً، ولا يحصى عدداً، فرّج عني. فكان ما ترى.» (١٥)

ولم تذكر الرواية في أيّ سنة كان ذلك، وكم المدة التي بقاها الإمام عليه السلام في بغداد قبل أن يعود إلى المدينة، أو قبل أن يزجّ في السجن ثانية، ولكن وفقاً لهذه الرواية أن الإمام عليه السلام أطلق سراحه، وأعطى أموالاً، وترك له الخيار في البقاء ببغداد أو الرحيل، وهي بتفاصيلها وأشخاصها تختلف عن القصة التي حدثت زمن المهدي العباسي، وقد تقدمت عن الخطيب البغدادي في تأريخ بغداد.

المطلب الثاني: بشر الحافي

ترجمت كثير من الكتب المعنية بتراجم الشخصيات لبشر الحافي، فقد ترجم له الخطيب البغدادي في ترجمته، فقال: «بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، أبو نصر، المعروف بالحافي، مروزي، سكن بغداد، وهو ابن عم علي بن خشرم، وكان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، تفرّد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامة المذهب، وعزوف النفس، وإسقاط الفضول.» (١٦)

وترجم له الذهبي، فقال في سنة سبع وعشرين ومئتين: «وفيها الرباني القدوة أبو نصر بشر بن الحارث المروزي، الزاهد المعروف ببشر الحافي، سمع من حماد بن زيد وإبراهيم بن سعد وطبقتهما، وعنى بالعلم ثم أقبل على شأنه، ودفن كتبه، وحديث بشيء يسير، وكان في الفقه على مذهب الثوري، وقد صنف العلماء في مناقب بشر وكراماته عليه السلام، وعاش خمساً وسبعين سنة وتوفي ببغداد في ربيع الأول.» (١٧)

وقال ابن خلكان في الوفيات: «وكان مولده سنة خمسين ومائة، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين وقيل سبع وعشرين ومائتين،

وقيل يوم الأربعاء عاشر المحرم وقيل في رمضان بمدينة بغداد، وقيل بمرور رحمه الله تعالى، وكان لبشر ثلاث أخوات وهن مضغة ومخة وزبدة وكن زاهدات عابدات ورعات وأكبرهن مضغة ماتت قبل موت أخيها بشر فحزن عليها بشر حزناً شديداً وبكى بكاءً كثيراً، فقيل له في ذلك، فقال قرأت في بعض الكتب أن العبد إذا قصّر في خدمة ربه سلبه أنيسه، وهذه أختي مضغة كانت أنيستى في الدنيا.» ^(١٨)

المبحث الثاني: توثيق اللقاء ودلالاته

المطلب الأول: حيثيات اللقاء ومصادر التوثيق

أما قصته مع الإمام الكاظم (عليه السلام) فهي كما أوردتها العلامة الحلي في كتابه منهاج الكرامة: «وعلى يده (عليه السلام) تاب بشر الحافي؛ لأنه (عليه السلام) اجتاز على داره ببغداد، فسمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تخرج من تلك الدار، فخرجت جاريةً ويدها قُمامة البقل، فرمت بها في الدرب: فقال لها: يا جارية! صاحب هذه الدار حُرٌّ أم عبدٌ؟ فقالت: بل حُرٌّ فقال: صدقت، لو كان عبدًا خاف من مولاه!.

فلما دخلت قال مولاه، وهو على مائدة السكر: ما أبطأك علينا؟ فقالت: حدثني رجلٌ بكذا وكذا، فخرج حافياً حتى لقي مولانا الكاظم (عليه السلام) فتاب على يده». (٢٢)

وعلى فرض صحة ما نقله ابن عساكر فلا ينفي إمكان وقوع ما نقله العلامة الحلي، فقد يمكننا القول إن بشرًا تعرض لأكثر من حادثة دعت للتوبة، تتفاوت حسب تأثيرها فيه، ويظهر لنا أن لقاءه بالإمام (عليه السلام) أكثر تأثيرًا أو أنه تاب على أثرها، خصوصاً أن رواية ابن عساكر بنفسها لم تذكر أنه تاب على أثرها، بل هذا قول ابن عساكر الذي عزا توبة بشر لهذه الحادثة، بينما رواية اللقاء مع الإمام الكاظم (عليه السلام) تنص على أنه خرج حافياً، والتقى الإمام وتاب على يده.

وبعد أن كتبت هذا الكلام قرأتُ في كتاب (العارف بالله بشر بن الحارث الحافي) لعبد الحليم محمود المصري تبنيّه لفكرة الجمع بين الروایتين، فقال: «وربت الأقدارُ أمرين متلاحقين لا ندرى - في صورة من اليقين - أيهما سبق الآخر، ولكنهما - فيما نرى - متقاربين لا يكاد يفصل بينهما فاصل. وأولهما: وهو - فيما نظن - السابق، يرويّه صاحب الحلية كما يلي: «.....»، وحكى قصة لقاء رجل من الصالحين بجارية بشر، وإلى آخر القصة، ثم قال: «أما الأمر الثاني فهو أنه كان يسير ذات يوم فإذا هو بقرطاس في الطريق...»، وقصّ القصة كما تقدمت. (٢٣) فهو بهذا يتبنى أن اللقاء كان هو الحدث الأول الذي

هزّ كيان بشرٍ وأعلن على أثره توبته، ثم جاءت قصة القرطاس التي عززت عنده ما كان صار إليه من التوبة والإنابة.

المطلب الثاني: أدلة النافين للقاء وردّها

أقدم مصدر بين أيدينا لقصة بشر بن الحارث المروزي مع الإمام الكاظم عليه السلام، بتصريح أنها حدثت مع الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، هو كتاب منهاج الكرامة للعلامة الحلي رحمته الله [المتوفى سنة ٧٢٦هـ]، وعنه نقل القاضي نور الله التستري [المستشهد سنة ١٠١٩هـ في الهند لتشيّعه] في كتابه مجالس المؤمنين^(٢٤)، وغيره.

وقد كذب ابنُ تيمية العلامة، وأنكر القصة باستبعاد واهٍ، فقال في كتابه منهاج السنة الذي ملأه بسبِّ الشيعة وإيكال كلِّ تهمة بهم: «وأما قوله: تاب على يده بشر بن الحافي، فمن أكاذيب من لا يعرف حاله وحال بشر، فإنَّ موسى بن جعفر لما قدم به الرشيد إلى العراق حبسه، فلم يكن ممن يجتاز على دارٍ بشر وأمثاله من العامة». ^(٢٥)

ونقول في ردّه:

أولاً: ردّ على ابن تيمية السيّد الميلاني (حفظه الله تعالى) في كتابه شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة^(٢٦)، ردّاً شافياً، مضمونه: أن الإمام عليه السلام قد أُطلق سراحه من السجن، وبقي في بغداد مدة من الزمن، ثم عاد هارون فسجنه حتى لحق بآبائه مسموماً، ونقل في ذلك الرواية المتقدمة عن ابن خلكان في وفيات الأعيان، التي أوردناها في حديثنا عن سجون الإمام الكاظم عليه السلام.

ثانياً: أورد عبدُ الله بن قدامة [المتوفى سنة ٦٠٢هـ]، أي قبل وفاة العلامة الحليّ بـ (١٢٥) سنة، أورد القصة نفسَها في (كتاب التواوين) مع تفاوت يسير، وكما هي معروفة لكن بدون ذكر اسم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وإنَّما قال «رجل من الصالحين»، وإليك نصُّ ابن قدامة: «وحُكي أن بشرًا كان

في زمن لهوه في داره، وعنده رفقاؤه يشربون ويطيون. فاجتاز بهم رجل من الصالحين، فدق الباب، فخرجت إليه جارية، فقال: صاحب هذه الدار حرٌّ أو عبدٌ؟ فقالت: بل حر! فقال: صدقت، لو كان عبدًا لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو والطرب، فسمع بشر محاورتهما فسارع إلى الباب حافيًا حاسرًا وقد ولى الرجل، فقال للجارية: ويحك! من كلمك على الباب؟ فأخبرته بما جرى. فقال: أي ناحية أخذ الرجل؟ فقالت: كذا، فتبعه بشر حتى لحقه؛ فقال له: يا سيدي! أنت الذي وقفت بالباب وخاطبت الجارية؟ قال: نعم. قال: أعد علي الكلام. فأعاده عليه. فمرغ بشر خديه على الأرض وقال: بل عبد! عبد! ثم هام على وجهه حافيًا حاسرًا حتى عرف بالحفاء. ف قيل له: لم لا تلبس نعلًا؟ قال: لأنني ما صالحني مولاي إلا وأنا حاف. فلا أزول عن هذه الحالة حتى الممات». (٢٧)

ونقل القصة عبدُ الحليم محمود في كتابه (العارف بالله بشر بن الحارث الحافي)، نقلها عن صاحب الحلية. (٢٨) ونقلها غير هؤلاء.

ولم يتساءل أحد من هؤلاء مَنْ هذا الرجل الذي اهتزَّ بشرُ الحافي لكلمته التي قالها للجارية عندما أجابته أن صاحب الدار حر، فقال: "صدقت لو كان عبدًا لاستعمل أدب العبودية وترك اللهو."، كما في نقولاتهم.

فلم يطرحوا - ولو من باب الاحتمالات - من هذا الرجل الذي قلب كيان بشر إلى هذا الحد، بعد أن خرج إليه يعدو حافيًا، وطلب منه إعادة الكلام، فأعاده، فهام بشر على وجهه حافيًا، حتى عُرف بالحفاء والحافي!! قال السيد الميلاني في مجلة تراثنا (٢٩): «رواها المناوي في الكواكب الدرية إلا أنه لم يصرح باسم الإمام!! هكذا يريدون إخفاء فضائل آل الله وإطفاء نور الله، وهكذا يأبى الله».

ويبدو أنه غاب عن الميلاني (حفظه الله تعالى) أن ابن قدامة نقل الرواية (٣٠) ولم يذكر اسم الإمام أيضاً، وابن قدامة متقدم على المناوي بأربعة قرون. ثالثاً: هناك أمرٌ أودّ التنبيه عليه، وهو أنني رأيت في موسوعة وكبيديا في شبكة الانترنت مقالةً عن بشر الحافي يذكر كاتبها أن ولادة الحافي كانت ١٧٩ هـ، فيكون عمره عند وفاة الإمام الكاظم (عليه السلام) لا يتعدى الأربع سنوات تقريباً، وهذا لا يتناسب مع القصة تماماً، حيث يفترض أنها حدثت وبشر الحافي في مقتبل شبابه في أقل التقادير.

ورغم عدم التعويل علمياً على مقالة كهذه من ناحية مبدئية مع قابلية المقالات المنشورة على التغيير بشكل مستمر، إلا أنه لا بأس ببيان خطئها، إذ يبدو أن كاتب المقالة أرجع المعلومة إلى كتاب (طبقات الصوفية) للسلمي، وأقول يبدو وضع رقم الهامش في نهاية السطر المحتوي على التأريخ، وبدون تنصيب الكلام مما يوقع في التردد، ولكن مع ذلك تبين مراجعة ترجمة بشر الحافي في كتاب (طبقات الصوفية) أن السلمي لم يذكر سنة ولادة بشر الحافي، بل اكتفى بتعيين وفاته في سنة ٢٢٧ هـ فقط.

من جهة أخرى تنصُّ تراجم بشر الحافي أن ولادته كانت في سنة ١٥٠ هـ، كما نص على ذلك ابن كثير [المتوفى سنة ٧٧٤ هـ] في كتابه البداية والنهاية (٣١)، ليكون عمر بشر الحافي عند شهادة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ٢٣ سنة، فتكون القصة قد حصلت لبشر الحافي في شبابه وتستقيم معه رواية العلامة الحلي (عليه السلام) لها.

رابعاً: نحن هنا لا ندعي الجزم لمجرد الورود في كتاب (منهاج الكرامة) للعلامة الحلي (عليه السلام)؛ لأن بين الحادثة وبين العلامة الحلي خمسة قرون، نجهل فيها سلسلة ناقلي القصة إلى زمن العلامة، فهي مرسلّة باصطلاح أهل الحديث، وإن كنا نطمئن أن العلامة الحلي نقلها عن مصدر عنده، ونطمئن

ونثق أن العلامة الحليّ - لجلالة قدره وعلو شأنه - لم ينسبها إلى الإمام (عليه السلام) بلا مصدر يستند إليه ، والقصة كما رواها العلامة الحليّ ليس فيها ما يعارض العقل والإمكان، وقد رواها قبله ابنُ قدامة، ولكن بتعبير (رجل من الصالحين)، والاستبعاد الذي ذكره ابنُ تيمية مردودٌ بما تقدّم.

هذا ما يتعلّق بنصّ الرواية ومصدرها، والإشكال الوارد عليها وردّ الإشكال، ونتفرّع الآن لاستجلاء الدلالات والعبر من هذا اللقاء.

المطلب الثالث: دلالات اللقاء الأخلاقية

لهذا اللقاء التربوي من العظمة والروحانية ما يستدعي التوقف عند تفاصيله ودقائق أموره، فهو على قصر المشهد وقلة الكلمات فيه من الموعظة البالغة ما فيه، ويزخر بالدلالات الأخلاقية الجميلة ما يقتضي التأمل في جوانبه المشرقة، ونقف هنا وقفة التأمل المدقق في حادثة اللقاء ومجرياتنا نستجلي منها الدلالات الأخلاقية العظيمة.

الدلالة الأولى: النفس السامية النقية المعصومة عندما تُطلّ بإشراقه على من تكدّرت روحه بالمعاصي والذنوب، تضيء له الطريق إلى الله تعالى، وتأخذ بيده إلى رحاب الطهر والنقاء، فكم نحن بحاجة إلى هذه الإشراقات الروحية من خلال التواصل مع تراثهم وآثارهم.

الدلالة الثانية: جلالة قدر الإمام (عليه السلام) ومهابته، وتأثيره في النفوس، ذلك مما تشعّ به قصة اللقاء، فكم له (عليه السلام) من جلالٍ وهيمنة على النفوس إذ يرضخ له من هو في مستنقع المعاصي، وهو كان على مائدة الشُّكر فأهضته كلماتٌ من تلك المائدة، بل ويهرع له ليعلن عند صاحب الكلمات ندمه وانكساره وعودته إلى الله تعالى.

الدلالة الثالثة: من عند المعصوم (عليه السلام) تكون الرحلة إلى الله، ومن رحابه يتبدئ الطريق إلى عالم الإخلاص والخلوص، ورحاب الطهارة والصفاء إلى الله سبحانه، "مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِدَأْ بِكُمْ" (٣٢)

الدلالة الرابعة: لم يرَ بشر بن الحارث المروزي الإمامَ الكاظم (عليه السلام)، بل مرّت عليه نسائمه، وأتت منه كلماتٌ قليلةٌ أحدثت في قلبه هزّةً ووجعاً، فهرع إليه ليراه ويلتقيه ويتوب على يديه، فكأنّ كلماته المؤثرة التي نقلتها الجارية كانت قميص يوسف ألقتّه على سيّدها بشر فارتدّ بصيراً، فكم نحن بحاجة إلى الوقوف عند كلماته وكلماتهم (عليهم السلام)، لتداعب نسائمه الروح، وتنشلها من ظلمة الجفاف الروحي والتهيه.

الدلالة الخامسة: قد نستجلي من حفاء بشر، وذهابه حافياً إلى مولاه موسى بن جعفر (عليه السلام) معنى رمزيّاً، وهو أنّ مَنْ يريد السير في طريق تهذيب النفس عليه أن يتنازل عن كثير من رغباتها، بل من تجملات الدنيا، ولا أعني هنا الترهّب وترك الاحتياجات الدنيوية والتلذذ بالطيبات، كيف والقرآن الكريم يقول: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧]، بل أعني ألا تملكه الدنيا، قال مولانا الصادق (عليه السلام): «ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال، ولا بتحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بها في يدك أوثق منك بما في يد الله عزّ وجلّ». (٣٣)، وقال ابنه موسى بن جعفر (عليه السلام): عند قبر حضره: «إن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله، وإن شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره». (٣٤)

الدلالة السادسة: مهما كان الإنسان في وحل الرذيلة، والبعد عن الله تعالى، فهو ليس بعيداً عن حبال التوبة المدلّاة له ليتعلّق بها وينجو، وقد يكون بينه وبين التوبة أمتاراً فقط، عليه أن يسرع إليها، وهكذا كانت المسافة بين بشر الحافي المنغمس في لذاته وانحرافه فتدلّى له حبلٌ كاظمي انتشله مما هو فيه.

الدلالة السابعة: إنّ رحمة الله تعالى ليست بعيدة عن العبد البعيد عن الله تعالى، بل قد يُسبّب الله تعالى الأسباب لهداية عبده،

وإرجاعه إلى رحابه، ربما لم يدر في خلدٍ بشرٍ بن الحارث وهو سادرٌ في لهوهِ ومجونه أن رحمة الهداية قريبةٌ منه هذا القرب، مقبلةٌ عليه هذا الإقبال، وما هي إلا لحظات حتى يتغيّر حاله.

الدلالة الثامنة: للتوفيق أسبابٌ، وقد يكون التوفيق بقاء شخصٍ يأخذك إلى درب الخير والهدى والصلاح، فأن يقع في طريقك مثل هذا فهو من التوفيق، وقد تكون كلمة تقع في مسامعك فيكون لها من الأثر الطيب ما لها، فاشكر الله تعالى على ذلك. في كتاب فقه الرضا لابن قولويه: «أروي أن رجلاً سأل العالم ^(٣٥) فقال: يا ابن رسول الله، أليس أنا مستطيع لما كلفت؟ فقال له العالم: ما الاستطاعة عندك؟ قال: القوة على العمل. قال له العالم: قد أعطيت القوة إن أعطيت المعونة. قال له الرجل: فما المعونة؟ قال: التوفيق. قال: فلم أعط التوفيق؟ قال: لو كنت موفقاً كنت عاملاً، وقد يكون الكافر أقوى منك، ولا يعطى التوفيق فلا يكون عاملاً». ^(٣٦)

الدلالة التاسعة: فرصة الهداية والرشاد قد تأتي من غير تخطيط، وتقرب منك من دون استعداد، والسعيد من اغتنم الفرصة، ولم يضعها، فإضاعة الفرصة غصة.

الدلالة العاشرة: مبادرة الإمام ^{عليه السلام} للإصلاح الأخلاقي والنصح التربوي عندما رأى منكراً، فقد كان يمكنه أن يواصل طريقه وهو في بغداد، وبغداد في عصر العباسيين وهارون كان من الطبيعي لو خرجت أصوات المعازف والأغاني من البيوت إلى الشوارع، ومعها روائح الخمر والفجور، لكن الإمام ^{عليه السلام} رأى الموقفَ موقفَ نصيحٍ وموقعَ إنكارٍ للمنكر، وهكذا كان.

الدلالة الحادية عشرة: لندقق في وضع الإمام ^{عليه السلام} في هذا الموقف، ما الذي تصوّره عن حال الإمام ^{عليه السلام} في بغداد، إنه عابرٌ سبيلٍ غريبٌ عن دياره، مراقبٌ من السلطة، يموج قلبه بالهموم، لكنّه

لم يتخلَّ عن مسؤوليته في الإرشاد، وفي النهي عن المنكر والأمر بالمعروف. عن محمد عمر بن عرفة قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: «لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهئنَّ عن المنكر، أو ليستعملنَّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم.» (٣٨)

الدلالة الثانية عشرة: أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دخیلٌ في نجاح الأمر والنهي، ووقوع نصحه موقع الرضا والتأثير، ولا أبرع من الأسلوب الذي انتهجه الإمام الكاظم (عليه السلام)، لم يُطل الكلام، ولم يُحسن الكلمات، بل كانت كلماته قليلة، دافئة، عميقة، وقفة قصيرة واستفهام من جارية بشر: صاحب هذا الدار حرٌّ أم عبد؟، قالت: حرٌّ، قال: «صدقت، لو كان عبدًا خاف من مولاه»، ومشى.

الدلالة الثالثة عشرة: الكلمة البليغة والصادقة تصل إلى القلب، وتداعب المشاعر، وتغير القناعات، ربما قد تحدّث مع بشرٍ الحافي ناصحون كثرٌ من أصدقائه ومعارفه، ولكن كلامهم لم يقع موقع التأثير منه، ولكن جملة واحدة قليلة الكلمات كان موقعها موقع قطرات المطر في الأرض العطشى.

الدلالة الرابعة عشرة: هناك شبهٌ بين بشرٍ الحافي والفضيل بن عياض، فكلاهما تابا عما كانا عليه، وأصبحا من أسماء الزهد، الفضيل الذي كان يتسوّر الجدار ليصل إلى امرأة يعرفها وسمع آية أثرت فيه، وبشر سمع كلام الإمام (عليه السلام) فانقلب حاله، فالمؤثر هناك آية، وهنا كلام إمام، هناك قرآنٌ مقروءٌ، وهنا قرآنٌ متجسّدٌ، وهما حبلان ممدودان إلى السماء..

الدلالة الخامسة عشرة: رغم ما وصلت إليه حال بشرٍ الحافي إلّا أنّ ذلك لم يسقط المسؤولية عن نصحه وإرشاده، وهذا من الدروس الأخلاقية المهمة في نصح الضالّين والمنحرفين، فربما اكتفى أحدنا بحال صاحب له وأقنع نفسه أنّ لا فائدة في نصحه وإرشاده.



الدلالة السادسة عشرة: التحلل الأخلاقي ليس حرّيةً، والمتهتِكُ الفاجرُ ليس حُرّاً، بل الحرّية في العبودية لله تعالى، والحرُّ هو الذي يعيش العبودية لله عز وجل، العبودية التي تخرجه من ذلك السجن الأسر الذي يسمى حرّية، ولكن يكون فيه عبداً لشهواته ونزواته. نبي الله يوسف عليه السلام كان السجن عنده حرّية، حرّية طاعة الله، وخارج قضبان السجن عبودية، عبودية الشهوة، عبودية معصية الله، قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ [يوسف: ٣٣]

الدلالة السابعة عشرة: الإنسان مخير في انتخاب طريقه ومساره في الحياة، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]، وإتقان الاختيار يعتمد على كثير من الأمور، بشرُّ بن الحارث وضعته كلمة الإمام الكاظم عليه السلام أمام خيارين هما: البقاء على مائدة مجونه وهوه، أو الذهاب إلى الإمام عليه السلام تاركاً للهو والمجون خلفه وإلى الأبد، أي أنّ الكلمات الكاظمية وضعته أمام مفترق طريقين: الاستمرار بحياته الماجنة عبداً لشهواته، أو السير في طريق الهداية والصلاح متحرراً من عبودية اللهو والرذيلة، فقرر في لحظات أن يختار الطريق الثاني، نجد الخير، وهو اختياراً شكل المنعطف الأكبر في حياته.

الدلالة الثامنة عشرة: قدرة الإنسان على السمو بأخلاقه إلى أعلى عليين، والهبوط بها أسفل سافلين، فكما كان بشرُّ الحافي في مستنقع الرذيلة، صار بعيون الناس من الزهاد الذين تؤخذ منهم الموعظة المؤثرة.

الدلالة التاسعة عشرة: الدين يهذب السلوك، ويحوّل الالتزام بتعاليمه الإنسان من فردٍ مؤذٍ للمجتمع إلى فردٍ صالحٍ مسالمٍ محبٍ للتعايش مع الآخرين، فبشر الحافي كان شاطرًا - وهو الذي أعى قومه شرّاً وخُبثًا - وكان يجرح بالحديد كما ينقلون، فهو يؤذي الناس، وتحول بالالتزام بالدين إلى إنسان يريد الناس منه الموعظة ويطلبوا النصيحة.

الدلالة العشرون: من أقوال إمامنا الكاظم عليه السلام: «إنَّ الله على الناس حجتين: حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول»، وها نحن نلاحظ كيف قامت على بشر الحافي الحجتان، الحجَّة الظاهرة متمثلة بالإمام عليه السلام، والحجَّة الباطنة وهو عقله وتفكيره، إذ أعمل عقله متفكِّراً بحاله، وانصاع لحجَّة الله تعالى الظاهرة.

الدلالة الحادية والعشرون: هناك عبارة في رواية اللقاء استوقفتني لاستجلاء معنًى منها وإن كان على سبيل الرمز والإشارة، والعبارة هي: «فخرجت جاريةً ويدها قُمامةُ البقل، فرمت بها في الدرب..»، فكأنَّها بإخراج القُمامة المادية أخرجت القاذورات المعنوية، وعادت تحمل الفيوضات المعنوية، عادت تحمل كلماتٍ كاظمية ستكون مطهَّرة للبيت وصاحبه، وهذا ما يُمكن أن نعبر عنه بالتخلية والتحلية، التخلِّي من الرذائل، والتحلِّي بالفضائل.

الدلالة الثانية والعشرون: هذه الهداية الخاصة التي جاءت إلى بشرٍ وفتحت ذراعيها له لم تكن لتأتي اعتباطاً، لو لم يكن هناك عملٌ صالحٌ عنده، أو طبع كريم يحبُّه الله تعالى فأثابه عليه بفتح باب التوبة والهداية، وتهيئة الظروف للابتعاد عن دنيا الرذيلة والطيش والمعاصي.

نكتفي بهذا القدر من استجلاء الدلالات الأخلاقية واستيحاء الإيماءات التربوية، ويمكن للمتأمل أن يستلَّ من الحادثة دلالات أخرى.

نسأل الله تعالى من رحمته الخاصة وفضله العليم، وأن ينعم علينا بالعافية، عافية الدين والدنيا والآخرة بالمصطفى محمد وآل محمد.

الختامة:

نجمل في خاتمة البحث أهم النتائج التي توصلنا إليها، وهي:

١- لقاء بشر الحافي بالإمام الكاظم (عليه السلام) يشتمل على الدلالات الأخلاقية والمعاني التربوية ما يستدعي الوقوف عنده ملياً.

٢- أقدم مصدر لدينا يصرح باسم الإمام الكاظم (عليه السلام) في اللقاء هو منهاج الكرامة للعلامة الحلي، وسبقه غيره بهذا كابن قدامة ولكن بتعبير رجل من الصالحين بدلاً من ذكر اسم الإمام (عليه السلام)، وقد ساق القصة بهذا التعبير آخرون.

٣- هناك قصة أخرى تروى في توبة بشر الحافي، لكنها لا تنافي أن لقاء بشر الحافي بالإمام (عليه السلام) كان سبباً لتوبة بشر وإنابته إلى الله، وقد بينا كيفية الجمع.

٤- ادّعى ابن تيمية كذب العلامة في روايته للقاء، عناداً أو جهلاً، بحجة أن الإمام (عليه السلام) كيف يتمكن من السير في بغداد وهو سجين، وأثبتنا خطأ هذا الاستدلال وهزأته بوجود رواية أن الإمام أفرج عنه في بغداد.

٥- استجلينا من اللقاء عدداً من الدلالات الأخلاقية والإشارات التربوية، ووجدنا أن اللقاء على قصره، والكلمات التي قيلت على قلتها، ينبوع معانٍ عميقة ودلالات سامية.



- ١- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، ج ٣ ص ٤٢٢
- ٢- اليوسفي الغروي، محمد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي، أضواء الحوزة، لبنان، ط ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ج ٧ ص ٤٤٣
- ٣- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٣ش، ط ٥، ج ١ ص ٣١٩
- ٤- الحميري القمّي، أبو العباس عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم، ١٤١٣هـ، ط ١، ص ٣٣١
- ٥- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، ج ٦ ص ٨٥
- ٦- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ط ١، ج ١٣ ص ٣٣
- ٧- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ج ١ ص ٨٢
- ٨- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، مقاتل الطالبين، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، ط ٢، ص ٣٣٦
- ٩- «الفضل بن الربيع، أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة... لما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة كان الفضل بن الربيع يروم التشبه بهم ومعارضتهم ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم فكان في نفسه منهم إحن وشحناء قال عبيد الله بن سليمان بن وهب إذا أراد الله تعالى هلاك قوم وزوال نعمتهم جعل لذلك أسباباً فمن أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم بالفضل بن الربيع وسعي الفضل بهم وتمكنه من المجالسة مع الرشيد فأوغر قلبه عليهم... وكانت وفاة الفضل بن الربيع في ذي القعدة سنة ثمان ومائتين وسنة ثمان وستون سنة وقيل في شهر ربيع الآخر. [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤ ص ٣٧]
- ١٠- هو الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك البغدادي الوزير. أحد رجال الدهر سؤدداً وحزماً وعزماً وخبراً ورأياً. ولي الأعمال الجليلة من الوزارة والإمارة بخراسان وغيرها لهارون الرشيد. فلما قتل أخاه جعفر بن يحيى سجن هذا وأباه حتى توفيا في الحبس. قيل: إن الفضل بن يحيى كان أندى كفاً، وأسمح من جعفر، لكنه كان ذا كبر مفرط، وتيه زائد... وكان أحاً للرشيد من الرضاة. مولده سنة سبع وأربعين ومائة،

وأمه بربرية اسمها زبيدة، من مولدات المدينة النبوية. مات في آخر سنة اثنتين وتسعين ومائة. [الذهبي، تاريخ الإسلام، ج ١٣ ص ٣٤٠]

١١- «السندي بن شاهك الأمير أبو منصور مولى أبي جعفر المنصور ولي إمرة دمشق للرشيد ثم وليها بعد المائتين وكان ذميم الخلق سلليا كاسمه، قال الجاحظ: كان لا يستحلف المكاري ولا الفلاح ولا الملاح ولا الخائف بل يجعل القول قول المدعي وتوفي ببغداد سنة أربع ومائتين.» [الصفدي، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث، بيروت، بلا ط، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م، ج ١٥ ص ٢٩٥]

١٢- المصدر السابق

١٣- المصدر السابق

١٤- في بعض المصادر أنه رأى الحسين بن علي (عليه السلام)، وفي أخرى أنه رأى النبي (صلى الله عليه وآله)، وفي مصدر أنه رأى الحسن المجتبي (عليه السلام)، راجع في ذلك: شرح إحقاق الحق، السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، إيران - قم، بلا ط، بلا تا، ج ١٢ ص ٣٢٧

١٥- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، ج ٥ ص ٣١٠

١٦- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، ج ٧ ص ٧١

١٧- الذهبي، العبر في خبر من غبر، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، بلا ط، ١٩٦١م، ج ١ ص ٣٩٩

١٨- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، ج ١ ص ٢٧٦

١٩- أنظر: القمي، عباس، الكنى والألقاب، مكتبة الصدر، طهران، بلا ط، بلا تا، ج ٢ ص ١٦٩

٢٠- أنظر: السلمي، أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م، ص ٣٩

٢١- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، بلا ط، ١٤١٥هـ، ج ١٠ ص ١٨١

٢٢- العلامة الحلي، يوسف بن الحسن، منهاج الكرامة، انتشارات تاسوعاء، إيران - مشهد، ط ١، ١٣٧٩ش، ص ٦٠

٢٣- عبد الحليم، محمود، العارف بالله بشر بن الحارث الحافي، دار المعارف، القاهرة،

بلاط، بلا تا، ص ۱۴ - ص ۱۷

٢٤- أنظر: القاضي التستري، نور الله، مجالس المؤمنين، المكتبة الحيدرية، ط ١،

١٣٩١ش - ١٤٣٣ق، ج ٢ ص ٤١٠

٢٥- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة، مؤسسة قرطبة، تحقيق: د.

محمد رشاد سالم، ط ۱، ۱۴۰۶ھ، ج ۴ ص ۵۷

٢٦- الميلاني، علي، شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، مؤسسة الحقائق، إيران -

قم، ۱، ۱۴۲۸هـ، ج ۱ ص ۲۵۲

٢٧- ابن قدامة، عبد الله، كتاب التوايين، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط،

مكتبة الشرق الجديد، بغداد، بلاط، بلاتا، ص ٢١١، وقد أورد ابن قدامة قبلها قصة القرطاس المرمى في الطريق.

٢٨- عبد الحليم، محمود، العارف بالله بشر بن الحارث الحافي، دار المعارف، القاهرة،

بلاط، بلاتا، ص ۱۴

٢٩- الميلاني، علي، حديث خطبة علي (عليه السلام) ابنة أبي جهل، مجلة تراثنا،

مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، قم المقدسة، العدد الثاني ١٢٣١ السنة السادسة / ربيع الثاني - ١٤١١ هـ، ص ٢٩.

٣٠- أوردنا رواية ابن قدامة في أدلة النافين في المطلب الثاني من المبحث الأول.

٣١- ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١،

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ٣٢٧

٣٢- ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، تحقيق الشيخ جواد القويمى،

مؤسسة نشر الفقه، إيران - قم، ط ١، ١٤١٧ هـ، ص ٣٦٥

٣٣- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٣،

١٣٦٧ ش، ج ٥ ص ٧٠

٣٤- الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم، ط ٢،

١٤٠٤ھ - ١٣٦٣ش، ص ٤٠٨

٣٥- العالم هو الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، والعالم من ألقابه.

٣٦- ابن بابويه القمي، علي، فقه الرضا، المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام)، مشهد

المقدسة، ط ١، ١٤٠٦هـ، ص ٣٥١

٣٧- أبو الحسن هنا هو الإمام الكاظم (عليه السلام)، فالكنى التي عرف بها (عليه السلام) أبو

الحسن، وأبو إبراهيم.

٣٨- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ٣،

١٣٦٧ ش، ج ٥ ص ٥٦

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- * ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- * ابن بابويه القمي، علي، فقه الرضا، المؤتمر العالمي للإمام الرضا (عليه السلام)، مشهد المقدسة، ط١، ١٤٠٦هـ.
- * ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، منهاج السنة، مؤسسة قرطبة، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦هـ.
- * ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، د. ط. د. ت.
- * ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.
- * ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٤١٥هـ.
- * ابن قدامة، عبد الله، كتاب التوابين، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، د. ط، د. ت.
- * ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات، تحقيق الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، إيران - قم، ط١، ١٤١٧هـ.
- * الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، مقاتل الطالبين، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ط٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
- * الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران - قم، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٣٦٣ش.
- * الحميري القمي، أبو العباس عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت

- * لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١٣هـ.
- * الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- * الذهبي، محمد بن أحمد، العبر في خبر من غير، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، د. ط، ١٩٦١م.
- * السلمي، أبو عبد الرحمن، طبقات الصوفية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- * الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- * العلامة الحلي، يوسف بن الحسن، منهاج الكرامة، انتشارات تاسوعاء، إيران - مشهد، ط١، ١٣٧٩ش.
- * القاضي التسري، نور الله، مجالس المؤمنين، المكتبة الحيدرية، ط١، ١٣٩١ش - ١٤٣٣ق.
- * القمي، عباس، الكنى والألقاب، مكتبة الصدر، طهران، د. ط، د. ت.
- * الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٦٧ش.
- * المرعشي النجفي، شهاب الدين، شرح إحقاق الحق، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، إيران - قم، د. ط، د. ت.
- * الميلاني، علي، شرح منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، مؤسسة الحقائق، إيران - قم، ط١، ١٤٢٨هـ.
- * اليوسفي الغروي، محمد هادي، موسوعة التاريخ الإسلامي، أضواء الحوزة، لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

المحتويات

مؤتمر الإمام الكاظم (عليه السلام) الدولي الثاني

- المباني الوعظية في فكر الإمام الكاظم (عليه السلام) ٦
- م. زينب حازم كشيش
- أسس المناظرة الحضارية في فكر الإمام الكاظم (عليه السلام) ٣٠
- السيد أحمد جاسم الغالبي - الشيخ أياد كاظم السهلاني
- الأبعاد الفكرية والجمالية في مرويات الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ٥٠
- أ.د. كوثر هاتف كريم - أ.م.د. منى صالح حسن
- الإمام الكاظم (عليه السلام) وخطاب المرحلة (التشخيص والعلاج) ٧٤
- الشيخ قيصر الصالح - السيد ناصر المولى
- التربية النفسية والأخلاقية والاجتماعية عند الامام الكاظم (عليه السلام) ٩٤
- م. م. عقيل حسن جاسم
- التعاطي الايجابي مع التحديات في المنهج التبليغي عند الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ١٣٢
- أ. د. شكري ناصر عبد الحسن
- التوجيه الدلالي في الروايات التفسيرية للإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ١٦٨
- أ.م.د. عمّار حسن عبد الزهرة
- الحفاظ على البيئة وصحة الأبدان في فكر الإمام الكاظم (عليه السلام) ٢٠٢
- حيدر السيد موسى وتوت الحسيني
- الدور التربوي والثقافي والتنوير العقلي للإمام موسى الكاظم (عليه السلام) ٢٤٤
- الدكتور علي أبو الخير
- العوامل الموضوعية والذاتية للتأصيل لإمامة موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) ، ودورة في هداية الامة ٢٦٤
- أ.م.د. شاكر هوله سابط
- الكلمة ودورها الرباني والرسالي عند الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) ٢٩٤
- الشيخ منير صادق الكاظمي

المناجاة نصاً ثقافياً مقارنة نقدية في مناجاة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)
المعروفة بـ(الجوشن الصغير)

أ.د. علي مجيد البديري..... ٣١٤

التربية الدينية في بناء الشخصية في وصية الإمام الكاظم (عليه السلام)
لهشام بن الحكم في العقل - قراءة قرآنية عقدية موجزة -

د. الشيخ عماد الكاظمي..... ٣٤٦

دلالة الروايات التفسيرية للإمام الكاظم (عليه السلام) ودورها التربوي في بناء
الفرد والمجتمع

م.د. أكسم احمد فياض..... ٣٨٠

فقه المعاملات في أجوبة الامام الكاظم (عليه السلام) الفقهية

أ.د. حميد جاسم الغرابي..... ٤٢٠

لقاء بشر الحافي بالإمام الكاظم (عليه السلام) وقفة توثيقية ودلالات أخلاقية

د. أركان التميمي..... ٤٥٠



